الدكتور رؤوف عبيد
وكيل كلية الحقوق
جامعة عين شمس

في العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم



أي افلاطون ! هل أنت على خطأ أم على صواب ؟ !
إذاً فلنناقش الوقائع بحذر وحساب !

الدكتور رءوف عبيد

وكيل كلية الحقوق
جامعة عين شمس

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

١٩٧٦

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني بالقاهرة ت ٤٧٤٨٦

اهـــداء

عزيزى القــارىء

قال الفيلســوف فرانسيس بيــكون F. Bacon « اقــرا لا لتعارض او لترفض ، ولا لتقبل وتسلّم جزافاً ، بل اقرا كيما تزن ، وتقــدّر » .

وقال العــلامة توماس هكسلى T. Huxley « اننا ينبغى ان نكون كاطفال صغار ، وعلى استعداد لأن نتنازل عن كل فكرة مسبّقة ، وان نتتبع بتواضع ما تقودنا اليه الطبيعة من اخاديد حيثما وجدت وكيفما كانت ، والا فلن نتعلم شيئاً . ولقد بدات أتعلم كيف يكون رضى العقــل وسلامه فحسب منذ صممت على أن أفعل ذلك مهما كانت المخاطر » .

وينبغى أن تضع فى الاعتبار انك هنا تتصفح أوراق قضية عظمى ، غنية بالوثائق والأســانيد الخطــيرة المتنوعة ، مما يقتضى الكثير من الأناة فى المطالعة وفى المراجعة .

فاذا كنت تريد أن تمضى مع بيكون وهكسلى فى سبيلهما الى الكشف عن الحقائق فاننى أهــدى اليك هذا الجهد المتواضع فى محاولة الكشف عنها ، لعلك تجد فيه ضالتك المنشودة كيما تزن وتقدّر ، وتحصل بذلك على رضى العقــل وســلامه ، وليس بعدهما من غاية يصح أن ينشــدها العقل الحكيم .

اما اذا كنت تعرف سبيلاً آخر للكشف عن الحقائق فارجو ــ بكل لهفة ــ أن ترشدنى اليه ، وأن توضح لى أين يوجد ، وكيف يكون ؟ !

المؤلف

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

تمهيـــد

عن الوضع العلمى للمشكلة

هل يحيا الانسان فى جسده الترابى مرة واحـدة فحسب ، أم من الجائز أن تتاح له فرصـة العيش فيه أكثر من مرة ؟ تسـاؤل مفرط فى خطورته ، كما هو مفـرط فى قـدمه ، وتنوعت صيغ الاجابة عليه تنـوعا ضخماً منذ أقدم العصور حتى الآن . وثمة صيغة واحدة بالأقل يعنى بها كل العناية « علم الروح الحديث » ـ ومن ورائه الباراسيكولوجى ـ وهى مدى احتمال عودة الروح للتجسد فى صورة آدميـة قد تشبه على نحـو أو آخـر صـورتها السابقة ، وان لحقها بعض التطور فى الشـكل أو فى الموضوع طبقاً لناموس التطور الطبيعى .

وقد انتقل العلم الحديث بهـذا الموضوع الخطـير من اطار النقاش النظرى البحت الى اطار التحقيقات الوضـعية كما هو الشأن فى موقف العلم الحديث من دراسـة كافـة الظواهر الطبيعية . ولـما كان الانسان العائد للتجسد يفقد بحسب الأصل ذاكرته الواعية عن تجسده السابق ، لذا فان التحقيقات الوضعية هنا اتخذت لها عدة مسالك متنوعة جديدة ـ نسبياً ـ على دوائر العلم : ـ

ـ وكان من أولها استخدام أسلوب ارجاع الذاكـرة الى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى وقد تكشف فى بعض الحالات عن نتائج مذهلة ، وقد ذلل الطريق أمام هذا الأسلوب البحاثة الفرنسى الكونت أوجين البير دى روشا Eugène Albert de Rochas . ثم تابعه فيه عدد من الباحثين الجادين فى بلاد متنوعة .

ـ ثم ظهر أسلوب تحقيق ظواهر « رؤى من قبل » و « سـمع من قبل » وقد جاء بدوره بنتائج ايجابية غزيرة مترابطـة ابتـدات تجتذب انتباه كبرى الجامعات والهيئات المعنية بدراسة الانسان .

— ويضاف الى ما تقدم أساوب الاتصالات الروحيــة ، أو بالأدق التحقيقات المتواصلة التى جرت فى الظواهر الوساطية العقلية والفيزيقية معاً ، وقد جاءت بدورها بنتائج ايجابية عديدة لها وزنها .

— وقد تضافرت هــذه الأساليب فى تجميع عدد ضخم من الوقائع الهـامة ، التى ينبغى أن تخضــع للتحليــل العلمى الناقد لاســتخلاص نتائجها المنطقية .

وتجميع الوقائع أو تحليلها ينبغى بداهة أن يجـرى بمعزل تام عن كل آراء مسبقة الى جانب صحة العودة للتجسد أو الى جانب انكارها ، حتى يتسنى الوصول الى نتائج يعتد بهــا فى شأن هذه المشكلة العلميــة الكبرى . ولذا يقول الدكتــور جوستاف جيــلى Gustave Geley (١٨٦٥ — ١٩٢٤) مدير « المعهــد الدولى لمــا وراء الروح » Institut Métapsychique International بباريس — وهو مؤســسة معترف بهــا رســمياً بأنها ذات نفــع عام — فى مؤلفــه عن « العــودة للتجسد » : « ان نظرية العودة للتجسد اذا ما فهمت فهماً جيــداً بكل نتائجهــا الميتافيزيقية ، من الناحيتين المعنــوية والاجتماعية سترتكز فى المستقبل على أساس ثابت . وبالتالى لا يقبل الزعزعة .

لكننا ينبغى أن نتجنب بلا تحفظ طغيــــان التعــاليم المزعــومة ، المؤسسة على صور من الالهــام المزعوم ، والابتكار المزعوم » . وبقــدر ما ينبغى تجنب التعاليم الروحيــة المزعومة ينبغى أيضاً تجنب التعــاليم الرافضة مقدماً لأنهــا مؤسسة على خرافات مادية يطلقــون عليها أحياناً وصفاً خاطئاً وهو « العلم المــادى » .

وتحقيق المشكلات العديدة المرتبطة بالعودة للتجسد ينتظر منه أن يلعب دوراً فعالا فى تراجع خرافات العلم المــادى . ولذا فان ثمــة نشاطاً علمياً واسعاً يجرى حاليا فى جامعات عديدة نحو تحقيق هذه المشــكلات أو بعضها ويرجى لهــا أن تلقى بعض اضــواء على العــديد من الغـــاز الاضــطرابات العقلية والعصــــبية . وان تساعد فى الكشف عن مجاهل الشعور واللاشعور ، وتوسيع نطاق دراستها الى مدى أو الى آخر .

وفى نفس الوقت قد تساعد هــذه التحقيقات فى اثبــات الطبيعــة الروحية الحقة للانسان ، وللعقــل ، وللذاكرة ، وبالتــالى لانفصال كل ذلك عن نشاط المخ — وهو جهاز محض مؤقت كسائر أعضاء الجســد المــادى — للقبول بازدواج الانسان فى الجسد المــادى الى روح ومادة ، وبصحة دوام الروح بغير حاجة الى هــذا الجسد المــادى ، وهذه هى بعينها النظرية الروحية بكل نتائجها المفرطة فى خطورتها واتساع نطاقها ،

وتشعبها فى مسالك الفلسفة ، والاعتقاد ، والنفس ، والأخلاق ، والبيولوجيا ، والفيزياء ....

صلة هذه المشكلة بالخلود

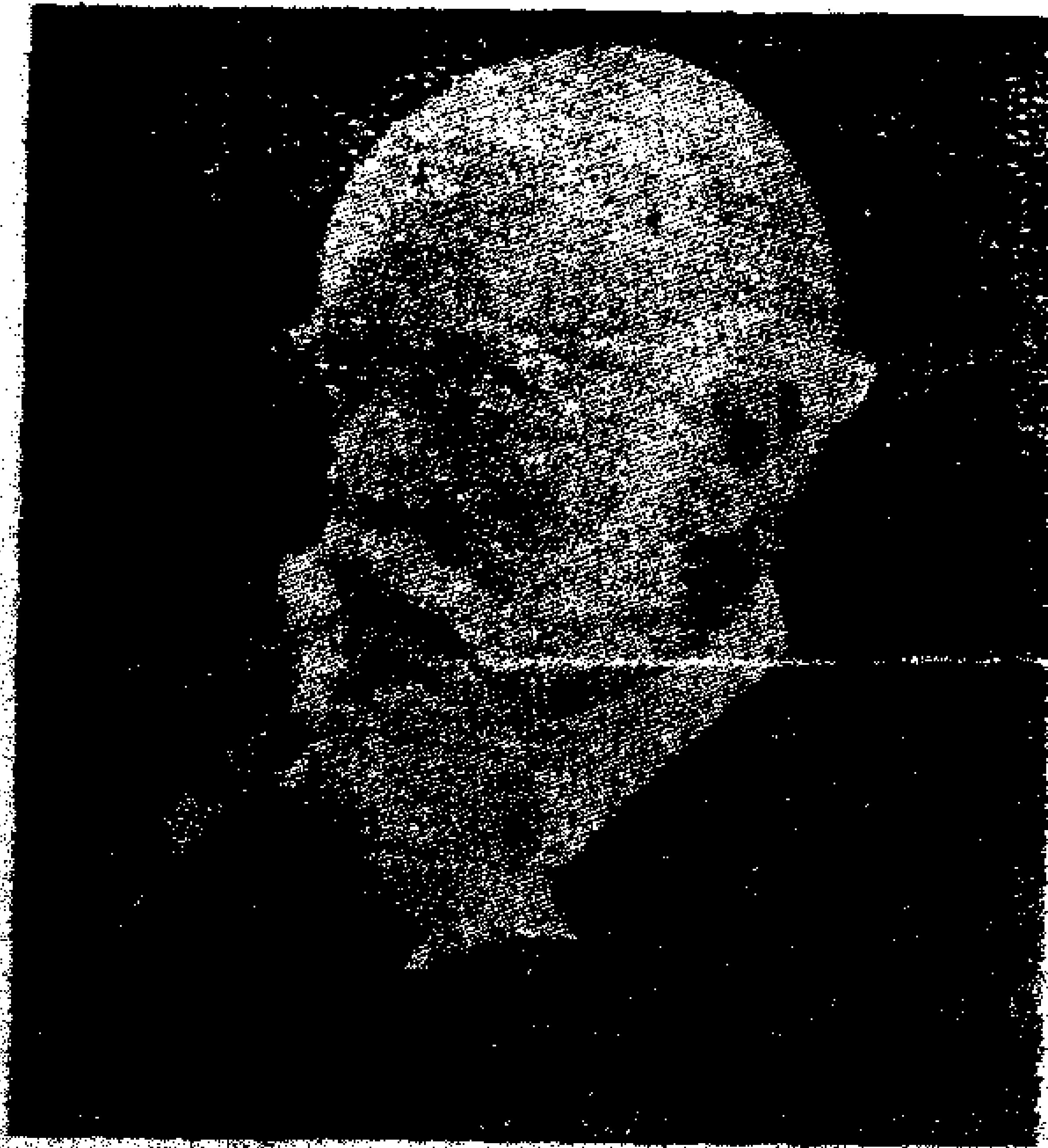
ثم ان هناك حقيقة منطقية فى هذا الشأن وهى أنه اذا كان خلق الروح لا يكون الا ساعة تكوّن الجنين فى بطن أمه ــ نتيجة اتحاد جنسى للأجساد الفانية ــ فان التكوين الجثمانى يصبح لا غنى عنه للروح ، ويصبح فناء الروح بفناء التكوين الجثمانى هو الأمر الأقرب الى المنطق من الناحية النظرية بالأقل .

أما اذا قلنا ان خلق الروح سابق على خلق الجسد ، وأن الجسد مجرد موطن عابر ومؤقت للروح الأزلية لأصبح من المفهوم التحدث عن حياة الروح بعد فناء الجسد . أو بعبارة أخرى ان النظرية الروحية كلها لا يمكن أن تقف على قدميها عند القول بأن حياة الجسد مبدأ لحياة الروح ، لأن موت الجسد يصبح على هذا النحو مبدأ لموت الروح أيضاً .

وقد حاول سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ — ١٩٤٠) عالم الفيزياء ومدير جامعة برمنجهام ــ وهو من أضخم الأسماء فى العلم الطبيعى الحديث ومن أقدرها فى الحديث عن الخلود وعن الصلة بين العقل والمادة ــ **أن يضع صياغة علمية لهذا الموضوع** لما قال :

« عندما يثار موضوع الوجود السبقى pre-existence فان بمقدورى ان أقول أن الانسان كما نعرفه عبارة عن ظهور طازج fresh apparition أى « تفريد » أو « تشخيص » individualisation لشىء موجود من قبل . ان حياتنا دخلت فى رابطة بالمادة عندما أصبحت المادة صالحة لاستقبالها ...

والآن لابد أن تقولوا أن هذا مجرد افتراض ، وهو كذلك بلا ريب ، لكن هدفى هو أن أحاول أن أوضح معنى الأشياء كما ظهرت لى تدريجياً من دراسة الطبيعيات والروحيات . واذا لم يكن ذلك صحيحاً فان شيئاً أفضل منه هو الصحيح . وعلى أن الفت نظركم الى ان هذا القول يؤيده الهام الشعراء ، أى تؤيده العبقرية والالهام ، لأن ثمة سبلا عديدة للوصول الى الحقيقة ، وما التحقيق العلمى سوى سبيل من بينها . وهو سبيل بطىء ، ومجهد ، وشاق ، لكنه يكون سبيلا آمنا لو احسنا الانتظار بما يكفى .



اوليفر لودج

ولكن الانسان العبقرى قد يكون صاحب الهـام ، وليس لنـا أن نحتقر على أى وجه كان الهامات العباقرة ، وقد تكون أقوال الشـعراء لهـا مغزاها . وعندما يقول وردزورث **Wordsworth** « ان ميلادنا نوم ونسيان » فانه يقول شيئاً يماثل ما بدأت أفكر أنه الحقيقة . ومرة ثانية ترد بخاطرى هذه العبارة وهى « النزول الى الجيل » (١) ، وعبارة « ان الروح تتطلع الى أن تخلط نفسها بالطين » .

ويمكننى أن أتخيل أنه من آن الى آخر تسنح للروح فرصة كيما تدخل فى ارتباط بالمـادة ، وتصبح تدريجياً فرداً ، وتنمى لها طبعاً ، وشخصية ستبقى . وبحيث يبـدو بالأكثر وجود نوع من الاختيار فيما اذا كنـا ندخل الى حياة المـادة أم لا ، وفى نوع هذه الحياة التى ندخل اليها . وعلى هذا النحو قد يطلب الينا أن نتخـير أبوينا ، وهو ما قد يبدو خارقاًللعقل بحسب الظاهر ، حتى وان كان من الجائز أنه يمثـل قدرا من الحقيقة . وبالتالى فان بعض حقائق الوراثة ينبغى أن يدخـل فى الاعتبار .

والآن اكرر أن الحياة الأرضية هى المغامرة ، وهى الشىء المحير ، والاستثنائى . فنحن تجسدات ، ودخلنا الى المـادة ، ونحتفظ مع ذلك ببعض الصلة بعالم الروح ، وهو العـالم الحقيقى الذى هو موطننا اكثر مما نحن هنا . ولذا تحدث الرؤى ، والالهـامات ، وحتى « الصـوت المباشر » ، وكل صور الظواهر التى أضحت مألوفـة لدينا تدريجياً ، كما كانت لدى الأقدمين أيضاً .

كما اختبرنا الارشاد والمساعدة اللذين يمنحان لنا أثناء تجسدنا ، سواء أشعرنا بهمـا أم لم نشعر . وفى الواقع ان هذا النظر الذى حاولته أن أبرزه عن تجسد الروح بالمـادة لهـدف تقدمها ، أو لهـدف آخـر راق سواء أكان تحسن طباعها أم تحقيق خـدمة ما ، يلتئم تمـاماً مع الايمان الدينى ، ومع القول بأن التجسد اكثر من مجرد ارتباطنا المألوف بالمـادة » (٢) .

هـذه هى ثمرة او خلاصـة بحـوث دامت لـدى خمسـين عاماً بمعرفة علامة طبيعى عبقرى ذى سمعة ضخمة . ويقال انه وضـع حجر الأساس فى أخطر كشفين وصـل اليهما عقل الانسان فى القـرن

---

(١) Descent into generation.

(٢) Phantom Walls. 1969 p. 98 - 101.

العشرين : وهما الارسال اللاسلكى ونظرية النسبية (١) ، فكيف نتجاهل ثمار أمثال هذه البحوث ولحساب من يكون التجاهل ان لم يكن لحساب الاصرار على كل ما الفنـاه من مفاهيم وآراء ؟ ! وعلى أن آراءنا المسبقة أصوب من آراء كل الباحثين العلميين سواء اتيحت لنا فرصة الاطلاع عليها.أم لم تتح ؟ !

نقـد « التناسخ »

وهذه الظاهـرة أطلق عليها المؤلفون القـدامى وصفاً خاطئاً هو « تناسخ الأرواح » . ومصدر الخطأ أن النسخ هنا أو الالغـاء لا محل له ، انما كان الأولى أن يطلق عليها « تناسخ الأجساد » لأن الروح تبقى دائماً وتواصل حياتها ونشاطهـا فى النمـو وفى تحقيق الذات ، انمـا العنصر محل النسخ هو فحسب الجسد الترابى الذى ينفصل عن الروح فى لحظة الوفاة ، وتعيش الروح فى اطار من جسد آخر أرق منه وأرقى هو الجسد الأثيرى . وذلك الى أن تأذن ارادة الله بأن تحـل الروح فى جسد لهـا جديد عنـدما يصلح ـ وهو فى بطن الأم ـ لاستقبال ذلك الضيف القادم من عالم ما وراء المـادة ، أو بالأدق من عالم الأثير .

وهذا هو ما تعنيه نظرية العودة للتجسد Re-incarnation أو العودة للميلاد Rebirth أو نحو ذلك من أوصاف محددة .

ويمكن بالتالى تعريف هذه العودة للتجسد أو للميلاد بأنها « عودة المبدأ الروحى فى الانسان الى غلاف لحمى جديد » . وهذا الغلاف يتخذ بالنسبة للانسان دائما جسما آدميا ، ولو أنه يمكن أن يفترض مجـرد افتراض أن هذه العودة كما هى جائزة الى نفس الكوكب الذى كان موطنا للتجسد القديم فانها جائزة نظـريا الى كوكب قد ينتمى الى مجمـوعة شمسية أخرى ، صالح لصيغة ما من صيغ حياة التجسـد الفيزيقى للانسان .

و « العـودة للتجسد » بهـذا المفهوم المحـدد تختلف تماماً عن المعتقدات الشائعة عن احتمال تقمص روح الانسان لجسد حيـوان ، وهذا ما ترفضه تماماً كل البحوث العلمية فى الروح . كما يختلف أيضاً عن دورات الحياة فى عالم المـادة أو تحـول خلايا جسم الانسان بعـد تحلله بالوفاة الى غـذاء للنبات ، أو تحـول خلايا النبـات الى غذاء

---

(١) للمزيد عن أوليفرلودج راجع كتابا حديثاً بمعرفة و.ب. جولى W.P Jolly عنوانه « سير أوليفر لودج الباحث الروحى والعلامة » (١٩٧٤) .
Sir Oliver Lodge : Psychical Researcher and Scientist.

للحيوان ، أو تحول خلايا الحيوان الى غذاء للانسان (عن طريق اكل لحمه مثلا) .

وهو ما قد يمثل الأصل التاريخى للخلط الذى شاع بين دورات الحياة فى عالم المادة على هذا النحو وهى تلك التى يطلق عليها « التناسخ » وبين « العودة للتجسد ، أو للميلاد » ، وهذا أمر مختلف عن ذلك تماماً ، رغم أن بعض الباحثين تعود من باب التجاوز الضار استخدام هذا الوصف الأخير وهو « التناسخ » للتعبير عن « العودة للتجسد » Re-incarnation أو « العودة للميلاد » Rebirth فى مفهومها العلمى المحدد المعاصر .

ولذا نفضل فى معالجة هذا الموضوع استخدام هذا التعبير وهو « العودة للتجسد » أو للميلاد باعتباره أصحها واكثرها شيوعاً فى البيئات العلمية . أما تعبير « التناسخ » فينبغى العدول عنه نهائيا لأنه يقود الى خطأ بيّن ولبس لا مبرر له فى فهم هذا الموضوع .

وهذا لا ينفى أننا سنضطر أحياناً الى استخدام كلمة «التناسخ» عند الحديث عن رأى المؤلفين القدامى فى هذا الموضوع ، وما دام كان هذا هو أسلوبهم المستخدم فى كتاباتهم أو فيما كتب عنهم وبالقدر اللازم لأداء هذا الغرض وحده .

ويراعى أيضاً أن تعبير « تقمص الأرواح » تعبير خاطىء بدوره ، لأنه اما أن يشير الى حالة الهيمنة أو الاستحواذ الروحى ، وهذه لا ينبغى أن تختلط بموضوع « العودة للتجسد » ، واما أن يشير الى تقمص أرواح الحيوانات والنباتات ... وهى عقيدة كانت ولا تزال معروفة فى الشرق الأقصى ، ولكن لم يقم على صحتها أى دليل حتى الآن ، بل انها تتعارض فى الواقع مع أولى حقائق العلم الوضعى وما يرتبط به من فلسفات عن الروح ، وعن الخلود فى مفهومه الحديث .

عن تزايد الاهتمام بالمشكلة

وحتى اذا تركنا جانباً موضوعات الخلود وما تثيره من مباحث عديدة فان حقائق الحياة ، وكشوف العلم الحديث لا تعترض طريق الاعتقاد باحتمال العودة للتجسد فى صورة آدمية وهو نفس المعنى الذى عبر عنه الدكتور ك . ج . ديكاس C. J. Ducasse أستاذ الفلسفة بجامعة براون Brown بأمريكا فى مؤلف له عنوانه

« دراسة انتقادية فى الاعتقاد فى دوام الحياة بعد الموت » (١) (١٩٦١) بقوله انه « سواء أكانت الحيــاة بعد الموت حقيقــة أم لم تكن ، فان من المتصور تعــدد الحيوات على الأرض . ومن المتصــور منطقياً أن تكون مترابطة ومتماسكة ، وليست متعارضة مع الحقائق التى نعـــرفها فى العلم التجريبى أو متضاربة معها » .

وهــذه الحقائق هى نفسها التى استند الى بعضها عــدة بحــاث علميين بكل معنى الكلمة ، وقدموا نتائج خطيرة لأبحاثهم تسبب الحيرة والذهول . منهم الدكتور لويس كريستوفورو بوستليونو Leuis Cristoforo Postigiono فى مؤلف له عنوانه « أسس لفلســفة علمية عن دوام الحياة بعد الموت ، والعــودة للتجسد » (٢) (١٩٥٦) . وكان ذلك موضوع رسالة طبعت فى بوينس ايرس (عاصمة الأرجنتين) وتقدم بهــا صاحبها الى أحد المؤتمرات الروحية الدولية .

على أن أهم ما ينبغى أن يراعى هو أن جميــع الأسانيد التى تثــار الآن فى شأن هذا الموضوع ليست ــ بالمرة ــ نظرية ، أو فلسفية ، أو عقيدية ، بل هى أسانيد وضعية وصــل اليها البحاث المفكرون فى محاولة استكشـــاف مجاهل الانسان ، وأسرار تكوينه العقــلى ــ الروحى والجثمانى أيضاً .

واذا كان للفلسفة من دور هنا فهو تحليل الوقائع التى جمعها فى كد ونصب البحاث الوضعيون فى جميع الأرجاء لمحــاولة تشييد قضايا كلية صحيحة على هذه الوقائع نفسها . واذا كان للاعتقاد من دور هنــا فهو أن يعيد صياغة المفاهيم العقيدية بما يلتئم تماماً مع كشوف العــلم الثابتة بدلا من المكابرة فيها ، على غير أساس ، ولغير جدوى .

خصوصاً وأن الأسانيد العقيدية فى جانب صحة هذا الاعتقاد وفيرة وفــرة لا يمكن أن يتصورها الانسان الذى يعيش على هامش الاعتقــاد معتقداً أنه قد حاز منه أوفر نصيب ، وأصبحت له ــ وحــده ــ الكلمة الأولى والأخيرة فى هذا الموضوع البعيد الاغوار ، المترامى الاطراف .

وهو فى أول المطاف ، وفى نهايته أيضــا ، موضوع محض علمى شأنه شأن كل نواميس الطبيعة التى نجح كد العلمــاء فى الوصول اليها بعــد

---

(١) A Critical Examination of the Belief in a life After Death.

(٢) Fondamental Scientific Philosophy About Survival and Reincarnation.

طول عنـاء ، وبعد تطبيق أسلوب التحليل الناقد على أكبر قدر ممكن من الوقائع الثابتة . وموضوع هـذا شأنه ليس من الحكمـة فى شيء أن يترك لأسلوب التطرف ، أو لأسلوب الافتراض والارتجال ، الا اذا صح أن يترك لنفس الأسـلوب استكشاف أسرار الطاقـة ، أو الجاذبية ، أو المغناطيسية ، أو النسبية ، أو الفضاء ، أو الكيمياء ، أو استكشاف أسرار الشعور واللاشعور وهى تقع فى الصميم من موضوع احتمال العودة للتجسـد .

ومراعاة لهـذه الاعتبارات الواضـحة بذاتها كل الوضـوح نجـد أن الجامعات والمعاهد الأجنبية بوجه عام بدات تولى دراسة هذا الموضوع الهـام الكثير من العناية للبت برأى حاسم فيه ـ ايجاباً أو سـلباً ـ على أسس محض وضعية ـ وذلك الى حد أن أعدت له فى الولايات المتحـدة وحدها مشروعات بحث جاد بالأقل فى سبع معاهد كبرى وهى : ـ

ـ جامعة هوارد Howard بمدينة واشنطون .

ـ جامعة أدلفى Adelphi بمدينة نيويورك .

ـ جامعة سانت لورانس St Laurence بسانت لورانس .

ـ جامعة لاسال Lasalle بمدينة فيلادلفيا .

ـ جامعة فيرجينيا Virginia بولاية فيرجينيا .

ـ كلية كاليفورنيا California بمقاطعة كاليفورنيا .

ـ كليـة تكساس Texas فى مقاطعة ويزليانيا .

* * *

ولا غرابة أن يتزايد على الدوام الاهتمام بدراسـة هـذه القضية الدقيقة المركبة . خصوصاً وأن المقـام ليس بالمرة مقام رأى ثانوى قد اثير اعتباطاً فى شأن مشكلة عادية من مشـكلات الاعتقاد ، أو الفلسفة ، أو العلم . بل ان المقـام جـد خطـير ، لأنه مقـام البحث فى أعمـاق علاقـة الانسان بالكون وبنفسه ومحاولة تحـديد أبعـادها الصـحيحة على أسس يقينية يراد لهـا أن تكون بعيدة تماماً عن أسلوب المضاربات الجزافية ، أو الافتراضات النظـرية التى كانت ـ فى المـاضى ـ تهيمن هيمنة شـبه تامة على دوائر الفلسفة والاعتقاد .

ويكفى فى هذا الشأن أن تعلم أن « عودة التجسد » متى قيـل بثبوتها علمياً ، وهو ما يقوله الآن العديدون من المطلعين اطـلاعاً كافيـاً على ما جرى بشأنها من تحقيقات وأبحاث معملية مثابرة منذ مطلع هـذا القرن ، فانها تلقى أضواء ساطعة كثيرة على أمور خطيرة متعددة منها : ـ

اولا : تفسير البعض من النواحى الغامضة فى سلوك الانسان وملكاته والغـازه الكثيرة والتى كان علم النفس القديم يقف ازاءها فى حيرة تامـة ، وفى عجز مطلق ازاء اصراره على حداثة الذاكرة الانسانية .

ثانياً : انهـا توضـح بالتـالى بعض معالم الحـدود بين الشعور واللاشعور ، تلك الحدود التى طالمـا كانت أرضا خصـبة لصراع قد طال أمده بين المدارس النفسية المختلفة .

ثالثـاً : انها تثبت بطريقة محسوسة ملموسة وجود نواميس غيبية ــ طبيعية لا مادية ــ تحكم الكون بصرامة واضطراد لا تقل عن صرامـة نواميس المـادة واضطرادها . وهذه النواميس جزمت الفلسفات العريقة بوجودها ، ولكن أنكرتها مدارس كثيرة للشك وللالحـاد زعمت لنفسها الاطلاع الكامل على كل أسرار الكون لأن الكون لا يتعدى فى نظرها حـدود حواسنا الخمس المعروفة ! .

رابعاً : أنها تثبت بطريقة وضعيـة قانون « السبب والنتيجة » ، أو « العـلة والمعـلول » . وانه يعمل فى نطاق الروح فى اضـطراد تام ، ومنطق صارم ، كما يعمل فى نطاق المـادة أيضا .

خامساً : أنها تقيم دعائم لا تدحض للايمـان بالله ، بوصفه صانعاً حكيماً للكون على أسس أخلاقية مفرطة فى حكمتها وفى عدالتها .

سادساً : أنها تلقى أضواء ساطعة على ماهية تلك الأسس ، الخلقية لا على مبدأ وجودها فقط ، وبعبارة أخـرى أنها تساعد على تحـديد الطريق الصحيح لمسيرة الانسان فى رحبات هذا الأزل الذى لا يعـرف له بداءة ولا نهـاية .

سابعاً : أنها تثبت بطريقة عملية واضحة توافر قدر ما من حـرية الاختيار لدى الانسان ، وبالتالى تقيم أساساً وطيداً لمسئوليته الأخلاقية عن أفعاله ، وهى تقـع فى الأساس من مسئوليته الاجتماعية والتشريعية أيضـاً .

ثامناً : انهـا قد تلقى أضواءها على العديد من الروابط الاجتماعية والوراثية التى لا يزال أمرها مجهولا من المعـارف الانسانية ، وبالتـالى قد تفسر صـلة الانسان بأسرته ، وبوطنه ، وبجنسه تفسيراً أعمق من التفسير الشائع وربما أصح منه ايضاً . ناهيك عن صلة الانسان بنفسه التى قد يثبت انها أعرق بكثير من صلته بجسده العضوى الراهن . وهذا التفسير الجديد من شأنه أن يدخل دور ارادة الانسان وحريته فى الاعتبار

عند تحديد مصدر هذه الصلات كلها ، والرجوع بهـا كلهـا الى ماضيه السحيق لا الى حياته الراهنة فحسب .

تاسعاً : انها تثبت بطريقة علمية نهائية صـحة دوام حياة الانسان بعد الموت . وبالتـالى صـحة مبـدأ الخـلود ناهيك بجميع الأسس الفيزيقية والرياضية التى أصبح يقـوم عليها هـذا المبـدأ الأساسى الذى يكاد يمثل كل شيء لضمير الانسان ومصيره .

عاشراً : واذا ثبت نهائياً دوام الحياة بعد الموت ، وبالتالى استقلال الروح عن الجسد المـادى فقد ثبتت نهائياً أقوى دعامة للايمـان النقى ، ولعـزاء الانسان عن آلام حاضره وماضيه ، وتراجعت بنفس المقـدار دعاوى الشك والانـكار بكل ما تورثه من يأس ، وقلق ، وتشـاؤم من مستقبل الانسان فى الحياة ، والحياة فى الانسان .

حادى عشر : وبالتـالى فان كل ذلك يصلح أساساً لفلسفة جديدة باذخة عن الروح ، والخلود ، والوجود ... ذات آثار عميقة فى التكوين الروحى للأفراد وللشعوب ، وذات أسانيد وضعية ثابتة تعطيها من عناصر الرسوخ ، والترابط ، والموضوعية ، والوضوح ، ما لم يتحقق بيقين لأية فلسفة روحية أخرى جاءت عن طريق محض المضاربة والارتجال .

ثانى عشر : انهـا تلقى أضـواء لهـا قيمتها على جوانب كثيرة من الاعتقاد فى كل صوره وارتباطاته . وتمهد السبيل للتوفيق بين شـتى العقائد والنحل ، ناهيـك بالتوفيق بين النصوص ، وهى فى الحقيقة قد يكمل بعضها البعض الآخر ، أو قد يتصدى بعضها لمواجهة أوضاع غـير تلك التى يتصدى لها البعض الآخر .

ثالث عشر : انهـا تعطى مفاهيم وتطبيقات حيـة ومحـددة عن حقيقة الصلة بين العقل والمادة . كما تبين أهمية تلك «الهيولى المحايدة» التى يتكون منها الوجود ، والتى هى ليست بعقل ولا بمادة ، أو هى بالأدق عقل من جانب ومادة من جانب آخر ، وهذا هو ما وصل اليه وليـام جيمس أبرز فلاسفة هذا القرن فى أمريكا عن طريق الربط بين الفلسفة النظرية ، والبحث الروحى الوضعى . كما وصل اليه برتراند راسل الفيلسـوف البريطانى المعروف عن طريق معادلاته الرياضية .

رابع عشر : وبالتالى فهى تلقى اضواء جديدة على نظرية التطور . وتحدد له مصدرا روحيا واضحا بعد مصدره المـادى الخاطىء الذى نادى به داروين وهو نقص الطعام فى الطبيعة ، وبالتـالى تنازع البقـاء بين الأحياء وبقاء الأصلح منهم . اما الآن فقد أصبح التطور الجثمانى خاضعا

التطور الروحى للانسان ومحكوما بتخطيط رياضى حكيم يسبب الحيرة والذهول عند أولى الألباب من المطلعين والمفكرين .

خامس عشر : أنها تساعد على حل بعض جوانب مشكلات العدل والشر ، والألم ، والضمير ، والمصير ، وهى مشكلات طالما أعيت الفلاسفة الكبار وحيَّرت أعمق رجال الاعتقاد تفكيراً ، منذ أول عهد الانسان بأسس الفلسفة الراقية وعناصر الاعتقاد المترابط .

سادس عشر : أنها قد تساعد على تفسير الكثير من ألغاز الحياة وعصى مشكلاتها ، ومن بينها مثلاً : مصدر الحمل ، أى مصدر الجسد بما له وما عليه ، ومصدر العبقرية ، ومصدر الذاكرة ، ومصدر الغريزة والعاطفة ، ومصدر النمو ، ورسالة الشيخوخة والموت ...

سابع عشر : أنها قد تقع فى المستقبل القريب فى الأساس من علم الانسان بكل فروعه . ناهيك بعلوم أخرى كثيرة مرتبطة به منها « المورفولوجى » أى الأشكال الخارجية ، و «الميزولوجى » أى علم تأثير البيئة فى الأعضاء ، وعلم « السلالات البشرية » وغيرها ...

ثامن عشر : وأنها قبل كل اعتبار آخر ستقع فى الأساس من علم النفس « السيكولوجى » بكل فروعه وأخصها « علم النفس التكوينى » وستكون سبباً لثورة جذرية فيه تقتضى اعادة النظر فى كل مفاهيمه . وبالتالى قد تكون أعمق تأثيراً فى تطور علم النفس من اكتشاف دورة الدم ، والميكروبات ، والتخدير ، والمضادات الحيوية ... فى تطور الطب .

ومن الموضوعات التى سيتناولها هذا التغيير الجذرى مثلاً مفاهيم اللاشعور ، والادراك خارج الحواس ، ودور الجهاز العصبى وكيفية قيامه بوظائفه ، وبالتالى تفسير العديد من الأمراض العصبية والنفسية . والأحلام التى لا تزال تفسيراتها لغاية الآن قاصرة تماماً عن شمول جميع الحالات ، بالاضافة الى تفسير بعض جوانب السلوك الغامضة التى تعنى بها علوم النفس ، والاجتماع ، والاجرام ، والتربية ، وكلها تحاول تفسيرها سعياً الى تخفيف بعض ويلات الانسان ومواجهة بعض متاعبه وآلامه ...

* * *

فهل لك أن تتساءل من بعد عن سر الاهتمام المتزايد بدراسة هذه المشكلة العظمى ؟ ! وهل لك أن تتردد فى القول بأنها أم القضايا كلها ، ومن أجدرها بعناية الباحثين والدارسين الى حين البت فيها برأى حاسم ونهائى ؟ وذلك مع مراعاة أنه فحسب عند هذا البت تكون العلوم الانسانية

جرمتها قد وقفت على قدميها لأول مرة فى التاريخ شامخة الراس موفورة الكرامة ، لا يشوبها قلق واضطراب حتى فى أسسها الأولى .

* * *

ومنذ قرون عديدة اتجهت الفلسفة بوجه عام الى التمييز بين الجسد والروح والى الاقرار بكيان سبقى للروح على الجسد ، الى أن سادت الفلسفة المادية فى البيئات العلمية فتراجع هذا الأسلوب فى النظر الى الأمور . ولكن منذ منتصف القرن الماضى ابتدأت « الحكمة القديمة » تسترد اعتبارها ، وابتدأت حقائق العلوم العصرية نفسها ، وبوجه خاص البيولوجيا ، والنفس ، والفيزياء تشير فى وضوح وفى جلاء الى أن الربط بين حياة الروح وحياة الجسد ربط خاطىء ، شأنه شأن الربط بين العقل والمخ ، الذى ثبت بعد بحوث متواصلة دامت لمدى ثلاثين عاماً أو أكثر بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية أنه « محض تدليس علمى ليس له ما يبرره » على حد تعبير عالم من أبرز علماء النفس المعاصرين وهو جوزيف راين J. B. Rhine .

وعلى أية حال فانه اذا كانت العلوم المادية قد وصلت الى تعليل جسد الانسان بتلقيح البويضة وانقسام الخلايا ، فان روحه لا تزال — لغاية الآن — بلا تعليل ، وبالتالى مصدر الحياة التى تحل بالجنين بعد فترة طويلة أو قصيرة من بدأ الحمل . ولما كان قانون السببية الطبيعية أو العلية يحكم الكون — وهذه بديهية لا نزاع فيها فى أى علم أو أية فلسفة — فلابد لهذه الحياة من علة سابقة ، خصوصاً اذا ما ارتبطت هذه الحياة بعقل له كيانه الخاص ، ومقوماته التى تميزه حتى عن عقول الآباء والأجداد ، والتى تتشابه أو لا تتشابه معها الى مدى أو الى آخر .

ولذا أخذت الدراسات العلمية فى احتمال « الوجود السبقى » ترتدى قيمة متزايدة ، خصوصاً بعد أن عرف المنهج العلمى سبيله الى اتباع أساليب معينة للتحقيق وللاستكشاف كانت مجهولة من دوائر العلم القديمة ، وساعدت هذه الأساليب الحديثة أيما مساعدة فى الكشف عن بعض أسرار الانسان وسبر بعض أغواره ، وتحديد بعض أطواره . فهل ثبت فعلاً هذا الوجود السبقى ؟ وهل تبين فعلاً مدى اتصاله بالوجود الراهن ؟ وهل ثبت فعلاً تبادل التأثير بين العقل والجسم أو بين الروح والجسم والى أى مدى ، وعلى أى أساس ؟! ان الاجابة عن هذه التساؤلات الخطيرة هى — فى الجملة — موضوع تلك الدراسات التى تجرى الآن على قدم وساق فى العودة للتجسد فى العديد من الجامعات والمعاهد المعنية ، والتى يعلقون عليها أعظم الآمال فى الوصول الى استكشاف بعض أغوار الانسان فى شتى جوانبه الشعورية واللاشعورية .

واتباع المنهج العلمى المرتبط أيما ارتباط بالفلسفة الوضعية عن الانسان وعن الكون هو الأمر الذى قاد كل خطى العلوم المعاصرة فى المادة والطاقة ، ووصل بها الى ما وصلت اليه من تقدم نسبى وازدهار ملموس. فهو لم يخيّب أبداً رجاء أحد من الباحثين العلميين ، ولم يخذلهم فى نضالهم المتواصل لسبر بعض أسرار الوجود من خارجه ومن داخله .

وهو أيضاً فى هذا المقام بالذات — مقام محاولة سبر بعض أسرار الانسان — لم يخيّب الرجاء المعقود عليه ، بل لعله تجاوز بكثير آمال أكثر الباحثين تفاؤلا ، وذلك رغم وعورة الطريق ، وفداحة تبعاته . وكل ما يتصل بدراسة الانسان تحف به كل عناصر الوعورة فى الطريق ، والفداحة فى التبعات .

ولكن النتائج التى تم التوصل اليها — لغاية الآن — تتجاوز فى أهميتها وتشعب أرجائها كل الجهود المبذولة ، ولذا فانها تستحق منا تماماً جهد العناية بمتابعتها، ودراستها، وتحليلها، والافادة منها، على ما سيدركه القارىء تماماً بعد الفراغ من الاطلاع على ما سجلته بحوث أولئك الرواد المناضلين الشجعان الذين أمضوا حياتهم فى سبيل محاولة استكشاف المجهول من أسرار الانسان فى علاقته بنفسه ، وبالكون . ويا لها من أسرار تتجاوز فى قيمتها كل تقدير اذا ما وضعها فى الاعتبار عند اتخاذ أى قرار ، مهما بدا له ضعيف القيمة هيّن الآثار .

* * *

وفى اعتقادى ان البحوث الروحية — بوجه عام — وان كانت كلها عظيمة القيمة فى الكشف عن أغوار الذات الانسانية من ناحية صفتها كحقيقة كونية ، ومن ناحية صلاتها بسائر الحقائق الكونية الأخرى ، الا أن بعض هذه البحوث قد يتجاوز فى خطورة دوره بعضها الآخر . ومنها بوجه خاص — بحسب ترتيب ورودها — فى « مفصل الانسان روح لا جسد » فى طبعته الرابعة : —

أولاً : موضوع تجسدات الأرواح التامة والجزئية .

ثانياً : ظواهر الخروج من الجسد أو الطرح الروحى .

— وقد عالجتهما فى الجزء الأول من هذا المفصل .

ثالثاً : الصلة بين العقل والمخ .

رابعاً : الالهام والأدب الروحى .

— وقد عالجتهما فى الجزء الثانى منه .

خامساً : التسيير والتخيير .

سادساً : العودة للتجسد .

— وقد عالجتهما فى الجزء الثالث منه .

وذلك بالاضافة الى الموضـوعات الروحية الأخرى ، ولكننى راعيت دائماً أن تكون وقفتى عند هذه الموضوعات الستة بالذات أطول من غيرها احساساً منى بأن تحقيقات هذه الموضوعات تمثل الركائز الأساسية لأهم المعطيات التى تتضافر فى اثبات الخلود ، والكشف عن أعمق نواميسه ، وبالتالى ألزمها للحديث الآمن عن هـذا الخلود وعما يرتبط به من قضايا علمية ، أو فلسفية ، أو عقيدية .

ولعل أخطرها كلها ، وأجلها شأنا فى هذا المقام ، هو موضوع العودة للتجسد بالذات ، ولذا فقد أوليته قدراً من العناية يتجاوز بلا ريب قدر العناية بغيره من الموضوعات . ولعلى تجشمت فى سبيله قدراً من المشقة يتجاوز قدر غيره ، لأنه بمقدار نفعه فى شأن دراسة الخلود ، نقابل نفعه أيضاً فى دراسة الانسان وهو لا يزال بعد معتقلاً فى جسده البالى ، ناهيك بدراسـة ماضيه السحيق حسبما ينبغى أن يهدينا اليه المفهوم الصحيح لمبدأ تطوره فى الجسد وفى الروح ، وفى أماطة اللثام عن العديد من ألغـاز القضايا الفلسفية الكبرى مثل العدل الالهى ، والألم ، والثواب والعقاب . . .

* * *

ولا ريب أن الاعتقاد فى « العودة الى التجسد » — حتى فى المفهـوم المحدود الواضـح الذى أشرت اليه آنفـاً — اعتقاد جديد على أذهاننا . وكل اعتقاد جديد على الذهن خصوصاً اذا كان هاماً يحتاج الى وقت كاف لدراسة أسانيده ، ولهضمه ، ولتمثيله ، حتى يصبح جزءاً من وجـدان الانسان . وهو اعتقاد لقى مقاومة ملحوظة عند السواد الأكبر من الناس فى الشرق الأوسط والغرب ، ولا يزال يلقى ، بسبب عدم فهمه على النحو المطلوب ابتداء ، ثم بسبب تجاهل شعبى غير مفهوم للنصوص التى تؤيده باشارات واضحة الدلالة وتكاد لا تقبل تفسيراً آخر لو أحسنا التفسير ، وكانت العقلية الموضـوعية المتفتحة هى رائدنا الحقيقى عند محاولة تفهم النصوص وتفسيرها .

وهذا الموقف من مقاومة احتمال العودة للتجسد يضاهى نفس الموقف من مقاومة التحقيقات الروحيـة بوجه عام ، والتى لقيت مقاومة ضـخمة عند السواد الأكبر ، ولا تزال تلقى لنفس هذه الاعتبارات : وهو من جانب أول عدم فهم الموضوع على وضعه الصحيح . ومن جانب ثان تجاهل غير مفهوم للنصوص التى تشير الى صحة نفس المفاهيم العلمية المستفادة من

هذه التحقيقات الروحية التى تقع أو ينبغى أن تقع فى الأساس من كل فهم أمين للنصوص وبعد اطلاع كاف على كل جوانب الموضوع .

ومراعاة لهذه الاعتبارات وتلك فانه ينبغى على القارىء الا يتعجل الحكم على الموضوع ، فهو أجلّ شأناً بكثير من أن يبت فيه برأى مبتسر أو بمحض شعور مستمد من الارتباطات المسبّقة فى فهم النصوص ، والتى قد تحتاج الى اعادة النظر فى بعض المفاهيم اذا أردنا فعلاً اعتقاداً بعيداً عن شوائب الخرافة ، أو الغلو ، أو التناقض ، أو الارتجال ، ... وهذا هو ما يسعى اليه المناضلون لأجل الارتباط بحقائق الحياة الصحيحة بوصفها تمثل أسمى ما ينبغى الارتباط به ذهنيا ووجدانياً . وهو ما لا يتأتى تحقيقه الا عن طريق الدراسة المتأنية ثم توفير عناصر الترابط المنطقى ، وهو أمر ليس باليسير لكنه ليس محالاً لو أحسنا التقدير والتفكير .

تبويب

وهذه الاعتبارات نفسها دفعتنى الى توخى الأناة المطلوبة فى دراسة هذه القضية العظمى التى ينبغى أن تحظى بالكثير من عناية الباحثين فى تحديد علاقة الانسان بالكون تحديداً صحيحاً . ومع مراعاة أن هذا التحديد هو أساس علم المنطق ، وبالتالى ينبغى أن يقع فى الأساس من الاعتقاد والفلسفة والعلوم الانسانية ، ناهيك بعناية الانسان المثقف العادى الذى يريد أن يتعرف على مواضع صحيحة لأقدامه فى طريق الأبدية الصاعد الطويل ، الذى لا تعرف له بداية ولا نهاية .

وفيما يلى سأوزع نتيجة الدراسة التى قمت بها على فصول ثلاثة على النحو الآتى :

الفصل الأول : فى العودة للتجسد كعقيدة وكفلسفة .

الفصل الثانى : فى موقف العلم الحديث من هذه العودة .

الفصل الثالث : فى بعض النظريات والحقائق العامة بقدر اتصالها بنظرية العودة للتجسد .

* * *

— وعندما تفرغ — أيها القارىء العزيز — من استيعاب الفصل الأول ستتحقق تماماً من أن النصوص لا تعترض بالمرة طريق هذا الاعتقاد ، ومثل ذلك الحقائق الفلسفية ، منذ أول عهد الانسان بالفلسفة الراقية لغاية الآن ، فهى الى جانبه وليست ضده كما قد يتصور البعض خطأ .

ـ وعندما تفرغ من استيعاب الفصل الثانى ستدرك أن الوقائع المادية ، والتحقيقات العلمية المحايدة التى تعزز هذا الاعتقاد من الوفرة بمكان كبير ، والى حد من حقه أن يشد انتباهنا ويثير شديد عجبنا ، وذلك لأننا لا زلنا نعيش ـ لغاية الآن ـ فى عزلة شبه تامة عما يجرى فى الخارج من بحوث وتحقيقات متوالية فى شأن هذه الأمور الهامة الدقيقة .

ـ اما عندما تفرغ من استيعاب الفصل الثالث فستجد أن خطة تجاهل الحقائق العلمية الكبرى ما عادت تجدى بالمرة ، بل من شأنها تعويق ركب التقدم العلمى على غير أساس من منطق ولا من اعتقاد . ووضع العقبات المفتعلة مغامرة ضارة تسىء الى العلم والينا ، حين يقفزون فى الخارج قفزات سريعة نحو ثراء المعرفة ، ونحو تخفيف الآلام والويلات التى تصيب الانسان وما أفدحها من آلام وويلات سببها قصور الانسان فى استكشاف أسرار ذاته لغاية الآن .

ـ كما ستدرك أيضاً أن عناصر هذا الموضوع المتشعب الأطراف مترابطة كل الترابط فيما بينها ، بمقدار ترابطها مع القضايا الفلسفية الكبرى التى من واجب العقول المفكرة أن تثيرها ، على ما ستلمحه بنفسك، ولكن بعد الاطلاع المتروى على ما سيعرض عليك من تحقيقات وحقائق وضعية وبعد امعان النظر فيها ومنحها ما هى جديرة به من عناية بالغة ، والله ولى التوفيق .

الفصل الأول

فى « العودة للتجسد » كعقيدة وكفلسفة

لا يتسع المقام الحالى بطبيعة الحال للكلام فى « العودة للتجسد » تفصيلا فى جميع العقائد والفلسفات القديمة والحديثة ، فان هذا موضوع يطول شرحه ، خصوصاً وأن الأساطير والخرافات قد احاطت بهذه العقيدة من جوانب كثيرة فجعلت الكلام فيها من الناحية التاريخية عبارة عن افاضة — ليس هذا موضعها — فى أساطير الشعوب ومعتقداتها الشائعة ، وكم تحوى من غرائب ومن مفارقات لا ينبغى أن يعنى بها سوى علم الأساطير لا العلم الوضعى .

وانما سأقصر الحديث فى الفصل الحالى على أهم الجوانب العامة المترابطة فيما بينها ، والمتصلة بهذه العقيدة مباشرة ، بترتيب تاريخى وذلك فى مباحث خمسة على النحو الآتى : —

المبحث الأول : عن « العودة للتجسد » عند الفراعنة والاغريق .

المبحث الثانى : عن « العودة للتجسد » فى المسيحية .

المبحث الثالث : عن « العودة للتجسد » فى الاسلام .

المبحث الرابع : عن « العودة للتجسد » فى الديانات الافريقية .

المبحث الخامس : موقف لفيف من أعلام الفلسفة والفكر من عقيدة « العودة للتجسد » .

المبحث الأول

عن « العودة للتجسد »
عند الفراعنة والاغريق

العودة للتجسد عقيدة ذاعت فى العالم منذ أقدم العصور ، فهى ليست عقيدة جديدة . وقد كانت ولا تزال تسود مشاعر القوم فى الشرق الأقصى ، مثل الهند والصين واليابان ، وفى كل بلاد تعرف شيئاً عن البوذية ، أو الهندوسية ، أو البرهمية ، أو الكونفشيوسية ، أو الزرادشتية ، أو المانوية ... وكلها موغلة فى القدم . ومن الباحثين من يرجعها الى حضارة الاتلنتس تلك الجزيرة الضخمة التى ابتلعها المحيط

الاطلسى منذ عشرة آلاف سنة قبل الميلاد أو نحو ذلك ، كما روى بعض مؤرخى الاغريق نقلاً عن الفراعنة .

وقد ارتدى هذا الاعتقاد فى البلاد الأسيوية صوراً عديدة متنوعة ، وداخلته فى كثير من الأحايين الخرافات والمبالغات شأنه فى ذلك شأن كل اعتقاد دينى لا يخضع لرقابة المنطق المترابط ، ناهيك برقابة الحقائق الثابتة التى تكشف عنها أساليب البحث الناقد .

عن موقف قدماء المصريين

وقد وجد هذا الاعتقاد سبيله الى قدماء المصريين ويشير بيكون شيودو Picon-Chiodo نقلا عن كتاب لمؤلف يدعى فونتان Fontane الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد عبارته كالآتى : « قبل الولادة عاش هذا الطفل وليس الموت نهايته . الحياة تجىء وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد » .

كما تحوى ورقة بردى انانا Anana التى ترجع الى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد العبارة الآتية : « الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ، الا فى الحلم أحياناً ، أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة . ولا يمكنه أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها لكنه يعلم فحسب أنها حادثة مألوفة عنده . وفى النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة » .

ويعتقد هيرودوت المؤرخ الاغريقى الذى عاش فى مصر فترة طويلة أن المصريين (فى سنة ٤٥٠ قبل الميلاد) كانوا يتقبلون فكرة دورة التجسدات وفى هذا الشأن يقرر الأستاذ مصطفى الكيك فى مؤلف له عنوانه « تناسخ الأرواح » (١٩٧١) :

« وقدماء المصريين — على ما هو معروف — أصحاب أقدم المعتقدات الدينية المتكاملة . فقد كانوا يؤمنون بأن ثمة حياة ثانية للانسان فى عالم آخر ، وأن الروح باقية الى أن تعود الى أجسادها عندما يحين الوقت الذى يستأنف فيه الميت حياته الثانية . وكان تقديرهم الزمنى للمدة الواقعة بين حدوث الموت والعودة الى الحياة الثانية ثلاثة آلاف عام تقريبا . وقد رأى المصرى القديم أن الروح لا تقضى هذه المدة الطويلة فى فراغ ، ومال الى الاعتقاد بأنها تستفيد من هذا الفراغ فى الالمام بطائفة من المعلومات والوان متعددة من المعرفة والخبرة التى تزخر بها مختلف ميادين الحياة فى عالم الحيوان بعد أن الت منها بما يختص به عالم الانسان . ومن أجمل ذلك تتجسد فى أجنة حيوانات الأرض والبحر والجو .

ولم يكن هـذا التجسد على هـذه الصورة مرتبطا بحياتها الآدميـة السابقة ارتباطاً جزائياً ، فلم يكن تجسدها فى أجنة حيوانات عليـا ثوابا لها أو فى أجنة حيوانات دنيا عقابا لها ، لأن جزاء الروح على ما أحسنت أو أساءت فى العقيدة المصرية القديمة انما يكون فى الحياة الثانية عنـدما يعود المتوفى الى الحياة ويواجه الحساب أمام الآلهة لتقضى له أو عليه .

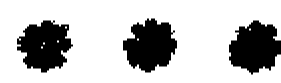
وبعد أن تستنفد الروح أغراضها من رحلة المعـرفة والعلم تعـود الى جسدها الآدمى لتحل فيه ، وتستأنف به حياتها الثانية فى العـالم الآخر ، فاذا لم تجـده كأن يكون قد تحال واندثر ، أو وجـدته محنطاً ومحتفظا بكيانه ، ولكنه على حالتـه من الموات فلم تسـتطع التلبس به انصرفت عنه الى جنين انسـان فحلت به لتستأنف به حيـاة أرضـية جديدة » (١) .

ثم انتقلت هـذه العقيدة الى الاغـريق عن طـريق فيريكيدس Pherekydes وتلميذه فيثاغورس الذى كان معاصرا لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية .

عن موقف الاغريق

على أية حال لقد وجد هذا الاعتقاد سبيله الى الفلسفة الاغريقية ، وهى فى أوج ازدهارها ، فلقى قبـولا واسـعاً فيها . فمثلا ممن اعتنق عقيدة العودة للتجسد فيثاغورس (٥٨٢ ــ ٥٠٧ قبل الميلاد) . وقد عاش هذا الفيلسوف عشرين عاما من حياته فى مصر ، وربما يكون قد أخذ عنها هذه العقيدة ، ولو أنه يقول انه تجسد من قبل خمس مرات على الأرض ، وأنه كان يدعى فى تجسده السابق أوفورباس Euphorbus ، وقد سار على نفس الدرب جميع الفيثاغوريين .

وقد اعتنقها أيضاً سقراط أبو الفلاسفة (٤٦٨ ــ ٣٩٩ ق.م) وقال فيها : « اذا كانت كل الأشياء التى من طبيعتها الحياة ، أو تلك التى لهـا بعض صفات الحياة ينبغى أن تموت ، وبعد أن تموت تظل باقية فى صورة الموت ولا تعود الى الحيـاة مرة أخرى ، فان كل شىء سـوف ينتهى الى فنـاء ، ولن يتبقى شىء على قيد الحياة ــ فما هى النتيجة الأخـرى التى يمكن أن تكون ؟ ! » .



---

(١) ص ١٣ ، ١٤ ، وهو يحيل القارىء الى كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » للمرحوم الأستاذ عبد القادر حمزة (١٩٤١) جـ ٢ ص ١٩ ، و « مصر ومجدها الغابر » تأليف مرجريت مرى ترجمة الأستاذ محرم كمال (١٩٥٧) ص ٢٩٠ من هيرودوت ــ الكتاب الثانى فقرة ١٢٣ ، ١٤٢ .

ثم وجد أفلاطون Plato (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) فى هذا الاعتقاد ضالته المنشودة لتفسير عدة أمور تلتئم مع فلسفته القائلة بأن النفوس الحالة فى الأبدان وجدت قبل وجود الأبدان فى عالم أسماه « عالم المثل أو عالم الحقيقة » . وأنها كانت تدرك هناك المعانى الكلية التى لا صلة لها بالمادة ، ثم حلت فى ابدانها كيما تدرك الجزئيات المحسوسة فى عالم المادة عن طريق القوى الحسية التى يملكها البدن .

ولذا راح أفلاطون يقول : « ان الصورة معقول ، والعاقل هو النفس، أى أن النفس من جنس الصورة ، والصورة بسيطة ، فالنفس اذن بسيطة ، والنفس مشاركة فى الحياة ، فهى اذن تحيا ، والنفس تتذكر المثل ، فهى اذن قد حيت حياة تأمل فى حياة سابقة ، ثم انها بعد الموت ستحيا هذه الحياة نفسها ، لأن الحياة بعد الموت من جنس الحياة قبل الوجود » .

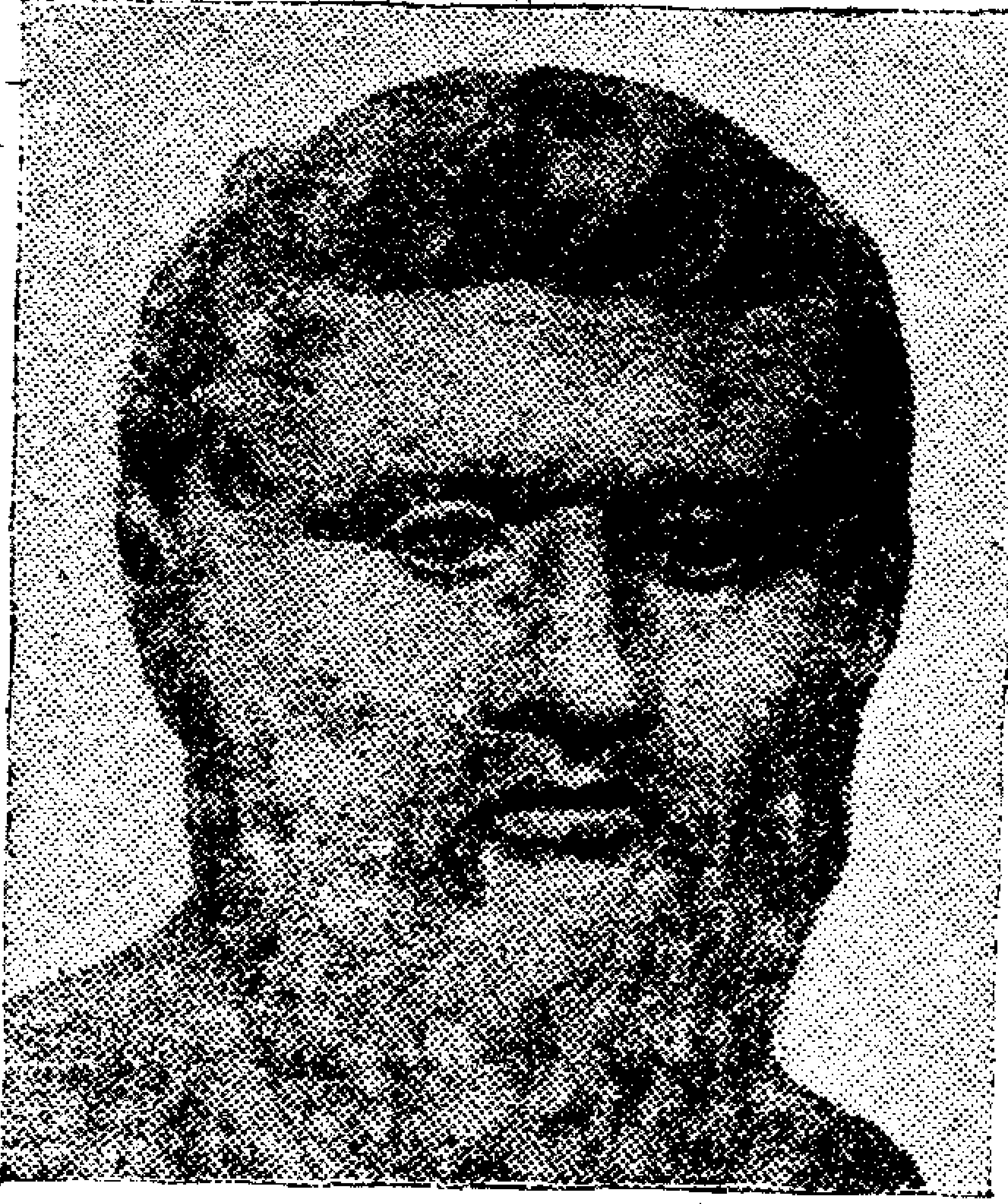
هذا وان كان أفلاطون مثل فيثاغورس من قبله ، ومثل أفلوطين من بعده ، راح يتحدث عن التناسخ بمفهومه الذى كان معروفا فى أيامه ، ويتضمن احتمال تقمص أرواح الآدميين لأجساد حيوانات ، وهو ما يعبر عنه « بالتناسخ » فى مفهومه العام الذى يتقبل جميع الاحتمالات ، كما عرف ولا يزال معروفاً لغاية الآن فى الشرق الأقصى . ولكن هذا الجانب الأخير ثبت الآن أنه يمثل الجانب الاسطورى من هذا الاعتقاد ، وهو الجانب الذى يثير بطبيعة الحال اعتراضات ضخمة من الناحيتين الفلسفية والعلمية معاً ، ولا اعرف أن هناك باحثاً روحياً واحداً أمكنه ان يدافع عنه أو أن يتبناه ، بل أن الحديث عندهم مقصور على احتمال العودة للتجسد فى صورة آدمية على ما بينته آنفاً ، وسأعود الى ذلك تفصيلا فيما بعد .

ولا يتسع المقام بطبيعته للحديث طويلا فى فلسفة « التناسخ » عند أفلاطون ، خصوصا وانهامرتبطة وثيق ارتباط بفلسفته عن الخلود بوجه ، وباعتقاده بوجود « مبدأ ثابت فى ذاته لا يتأثر بالتغير ، ويحل فى الأجسام ، وحلوله فى الأجسام ليس صفة جوهرية بالنسبة اليه ، بل هو صفة عرضية .

فهو يحل فى الجسم ، وبالعرض يبعث فيه الحياة ، أو يكون له مصدر حياة . فكأن هذا البرهان اذا اريد به اذن أن يؤدى الى البرهنة على المطلوب لابد ان نفترض حينئذ وجود مبدأ ثابت فى ذاته ، احياؤه للأشياء بالعرض ، وهذا الشىء لن يكون شيئاً آخر غير الصورة... »(١).

---

(١) راجع « أفلاطون » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٤٤ ص ١٩٨ .


أفلاطـون

وراح أفلاطون يقول أيضاً : « ان الروح أعرق من الجســـد ، وأن الأرواح تعــود للولادة من جـديد بلا توقف فى هــذه الحياة . وروح الفيلسوف الحق تترفع عن المتـع والرغبات بقدر الامكان ، وبالتـالى تبعد عن الآلام والمخاوف ... لأنها كنتيجة لتكوينها للآراء بنفس طريقة تكوينها للأجساد ... يتعذر عليها الدخـــول الى الجحيم ما دامت أصبحت فى حالة نقية . أما عندما تغادر الجسد ملوثة بشهواته فانهـا سرعان ما تســقط من جديد الى جسد آخر ، وهكذا يمتنع عليها الوصــول الى كل ما هو مقـدس ونقى ومتناسـق ... » .

ولذا علّق أفلاطون أهمية خاصة على تذكر المـاضى : « فما العلم فى الواقع الا تذكر النفس حالتها السابقــة التى كانت عليها قبــل الوجــود البشرى ، وما قد تشاهده فى تلك الحياة السابقة يجعل حياتها الراهنــة أشــبه الأشــياء بالولادة . والنفس تبرز ما كان فيها كامنا وفى جوهرها باطـــناً ...

واذا كانت النفس قد عاشت حياة سابقة فلا يمكن لتلك الحيـــاة السابقة ألا تترك أثراً فى النفس عندما تتصل بالجسم . ومن هنا كانت فكرة التذكر مرتبطة أشد الارتباط بفكرة الوجود السابق . هذا ونظـرية المعرفة عند أفلاطون تضطر اضطرارا الى القول بالتذكر . فكيف تتم المعرفة بمعنى العـلم ان لم يكن هنـاك تذكر لمعـــارف سابقــة أدركها الانسان أو حصـلها فى حياته السابقــة ؟ ... فالانسان لا يبحث عن شىء يجهله كل الجهل ، وانمــا يبحث عن شىء لديه عنه بعض المعرفة السابقــة ، وهذه المعرفة السابقة عبارة عن تذكر للصور التى رأيناها فى عالم سابق نذكرها بمناسبة هذه الأشياء الحسية التى تظهـر أمامنا ، فمن ناحيــة نظرية المعرفة أيضا لابد من القول بالتذكر » (١) .

* * *

(١) المرجع السابق ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

كما كان من رأيه أن تغير الحياة يجرى بين ضدين وفى اتجاهين : فبالنسبة الى النفس والموت والحياة نرى ان الأحياء يولدون من الأموات . ومعنى هذا أن النفوس التى تدخل فى أجسام جديدة فتأخذ الحياة كانت موجودة بعد الموت فى مكان ما . ومن هذا المكان اتت فأخذت أجساماً جديدة . اى لابد من القول بفكرة بقاء الأرواح بعد الموت وسيرها لمدة تأتى بعدها فتحل فى الجسم ، ثم تخرج من هذا الجسم عن طريق الموت لكى تحل مرة أخرى فى جسم جديد ، وهكذا باستمرار .

كما كان من رأيه أن الرذيلة أو الخطيئة مصدرها تأثير الجسم الضار فى النفس ، فكأن للجسم تأثيرا على النفس . ونراه يقول كذلك بنظرية الوراثة بمعنى أن الآباء يورثون أبناءهم ما لهم من صفات ، وهذا لايمكن أن يتم الا اذا كان هناك تأثير متبادل بين النفس والجسم . فهذه الوراثة لا يمكن أن تفسر الا على أساس القول بتأثير الجسم فى النفس .

ويبدو أن علم الروح الحديث يسلّم تماما بتأثير النفس فى الجسم ، كما يسلم فى نفس الوقت بتأثير الجسم فى النفس ، فبينهما اذا تداخل لا يتوقف . ويبدو أنه على المستوى المادى للوجود يرجح دور تأثير الجسم المادى فى النفس ، حين أنه فى المستوى الأثيرى يرجح على العكس من ذلك دور تأثير النفس فى الجسم الأثيرى .

وسار أفلوطين Plotinus (٢٧٠ — ٢٠٥ ق.م) — وهو بدوره من أعظم فلاسفة الاغريق على نفس درب أفلاطون من ناحية الاعتقاد فى مبدأ العودة للتجسد . وقد ولد هذا الفيلسوف فى أسيوط وعاش فى الاسكندرية ثم استقر فى روما وكتب فى كتابه عن « هبوط النفس » (١) يقول : « ان النفس رغم مصدرها القدسى نزلت من المناطق العليا واندمجت فى مقابلها الجثمانى المظلم . . وبما أنه من قدرها أن تصبح « الهاً » (أى روحاً عاوية) (٢) فانها تهبط مختارة حتى تتقوى وتتخلى عن مطالبها الدنيا . . . وتهبط النفوس حاملة معها اختباراتها مما أدركته، ومما تألمت منه . وهكذا تتعلم كيف تكتسب القدرة التامة على ادراك كمال الحالة السامية » .

ولذا قال أفلوطين على سبيل المثال ان الولد اذا قتل أمه عاد مرة ثانية الى الحياة الأرضية فى صورة امرأة يقتلها ابنها ، وبذلك يكفر عن

---

(١) The Descent of The Soul.

(٢) يراجع « منفصل الانسان روح لا جسد » . الجزء الأول . ص ٦٢ — ٦٣ ، ٧٢ — ٧٤ .

ذنبه ، وأن الظالم يعود مرة ثانية لكى يظلمه غيره ، وأن الضارب فى عمر من الأعمار يقتص منه ضارب فى عمر جديد (١) .

وقد أصبح القديس اوغسطين St. Augustin (٣٥٤ — ٤٣٠) فيما بعد من أشد الناس اعجاباً بفلسفة أفلاطون وأفلوطين معاً ، كما اقتنع مثلهما بصحة مبدأ العودة للتجسد ، ولذا راح يقول عنهما فى كتابه « ازاء رجال العلم » (٢) : « لقد كانت رسالة أفلاطون أكثر رسائل الفلسفة نقاء واشراقاً . لقد نجح بالأقل فى تبديد ظلام الخطأ . ثم أشرقت فلسفته من جديد فى شخص أفلوطين الذى كان نداً لأستاذه ، الى حد أن المرء ليعتقد أنهما عاشا معاً ، أو أن أفلاطون قد عاد — بعد الفترة الطويلة التى تفصل بينهما — الى التجسد ثانية فى شخص أفلوطين ! » .

* * *

ومن شعراء الاغريق الذين اعتنقوا العودة للتجسد ينبغى أن نشير أيضاً الى اوفيد Ovid (٤٣ — ١٨ ق.م) الذى كان من رأيه « أن الموت كما يطلق عليه ان هو الا مادة قديمة تتسربل هيئة جديدة . والروح تظل كما هى ، يقذف بها من مسكن الى مسكن وفى ثوب مغاير ، والشكل فقط هو الذى يفقد » .

كما ينبغى أن نشير الى أبيمنيد الفيلسوف الذى كان معاصرا للمشرع سولون Solon ويقول انه هو شخصياً سبق له التجسد على الأرض تحت اسم أوكوس .

كما ينبغى أن نشير أيضاً الى الشاعر فيرجيل Virgil (سنة ٧١ — ١٩ قبل الميلاد) .

عن الموقف فى أوروبا القديمة

وعن طريق الاغريق انتشر الايمان بالعودة للتجسد لدى الرومان ونذكر منهم الخطيب والفقيه شيشيرون Cicero (سنة ٤٣ قبل الميلاد) ، والفيلسوف سينيكا Seneca (سنة ٢ — ٦٦ م) .

وبعد الرومان انتشر الاعتقاد فى العودة التجسد لدى عدة قبائل وشعوب أوروبية اخرى منها قبائل الصلت Celts ، والدرويد Druids والتيوتون Teutons . ولدى بعض شعوب الشمال حيث تبين من ملحمة ادا Edda الشعرية التى تم جمعها فى القرن الحادى عشر أنهم كانوا يعرفون أيضاً هذا الاعتقاد .

---

(١) راجع كتاب « الله » للمرحوم الأستاذ عباس العقاد . ص ١٧٣ .

(٢) Contra Academicos

بل ان الدكتور بابيس Papus (جيرار انكوس Gérard Encausse ، يقول فى مؤلفه عن « العودة للتجسد » (١) انه يمكن القول بأن هذه الفكرة التى كانت بمثابة المشعل المضىء فى جميع الحضارات لم تختف أبداً فى اى اعتقاد . ويبدو أنهـا تستند الآن الى عدة مصادر أساسية : وهى مصر الفرعونية التى تأثر بتعاليمها فيثاغورس ، ثم اتباع الأفلاطونية الجديده ، والتقاليد الشرقية متمثلة فى البوذية ، والكشوف الحديثة فى الروحية .

كما يقول انه من الخطأ أن نتصور أن المسيحية لم تشغل نفسها بهذا الاعتقاد ، بل بالعكس لقد كان هذا الاعتقاد يمثل جزءاً أساسياً فى الاعتقاد الكنسى القديم (١) ، وهذا ما ينتقل بنا الى موضوع المبحث المقبل .

المبحث الثانى

عن « العودة للتجسد » فى المسيحية

بعض الآيات

قد يتصور البعض أن عقيدة العودة للتجسد ليس لها أى صـدى فى الانجيل المقـدس مع أن العهـدين معاً يتضمنان اشارات كثيرة عنها ، وعن « الوجود السبقى للروح » Pre-existe ce وهو عنصر هام فى بناء عقيدة العودة للتجسد . وقـد تجاهل المفسرون القدامى هـذه النصوص تحت ضغط آراء مغرضة معينة سادت فى الغـرب فى عصور لاحقة على ما سأوضحه فيما بعـد ، أو أساءوا فهمها لانتفاء المعطيات العلمية التى تساعدهم على الفهم الصحيح .

ومن هذه الاشارات التى وردت فى العهد القديم : —

ما ورد بسفر التكوين (فى أصحاح ٢٥ عـدد ٢٣) : « فقال لهـا الرب فى بطنك أمتان ، ومن أحشائك يفترق شعبان : شعب بقـوى على شعب ، وكبير يستعبد لصغير » . وهذه كانت نبـوءة الروح لرفقة عن ميلاد ولديهـا . ويمكن أن يقـال فى تفسيرها أن الروح استطاع معرفة مستقبل ولديها من معرفة ماضيهما فيما سبق لهما من تجسدات .

— ما ورد فى الأمثال (أصحاح ٨ عدد ٢٢ — ٣٣) : « الرب قنانى (أى امتلكنى) ، أول طريقه من قبـل أعماله منذ القـديم . منذ الأزل مُسحت منذ البدء ، منذ أوائل الأرض . اذ لم يكن غَمر أبدئت ، اذ لم

---

(١) La Réincarnation, L'Evolution Physique, Astrale, et Spirituelle.

تكن ينابيع كثيرة المياه . من قبل أن تقررت الجبال قبل التلال أبدئت . اذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول أعفار المسكونة . لما ثبّت السموات كنت هناك أنا ... كنت عنده صانعاً ، وكنت كل يوم لذته ، فرحة دائمة قدامه . فرحةً فى مسكونة أرضه ، ولذاتى مع بنى آدم . فالآن أيها البنون اسمعوا لى ، فطوبى للذين يحفظون طرقى ، اسمعوا التعليم وكونوا حكماء ولا ترفضوه » ...

فاذا أخذنا هذه الأقوال على أنها مجرد أبيات من شعر غامض لفقدت معناها ، لكننا اذا أخذناها على أنها تمثل روحا انسانية تتحدث عن مصدرها الخاص عن طريق ذاكرتها اللاشعورية ، فان كل سطر فيها يعطينا معنى منطقيا ، بما فى ذلك تطلعاتها الحارة الى فرحاتها القديمة فى الأبدية فى كنف خالقها قبل أن تتجسد على الأرض ، ولهفتها على أن تستعيد مكانتها القديمة تلك عن طريق حفظ الطرق الالهية ، وسماع التعليم ، واتباع الحكمة .

— ويماثل ذلك ما ورد فى المزمور التسعين (عدد ١ — ٥) : « يارب ملجأ كنت لنا فى دورٍ فدور ، من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونه منذ الأزل الى الأبد أنت الله . ترجع الانسان الى الغبار ، وتقول ارجعوا يا بنى آدم ، لأن ألف سنة فى عينيك مثل يوم أمس بعد ما عبر ، وكهزيع من الليل . جرفتهم كسنة يكونون ، وبالغداة كعشب يزول » ...

— وما ورد فى سفر ارميا (اصحاح ١ عدد ٥) : « قبلما صوّرتك فى البطن عرفتك ، وقبلما خرجت من الرحم قدّستك نبياً للشعوب » وهنا أيضاً يمكن أن يقال ان معرفة الوحى لارميا قبل أن يصوّر فى البطن ويخرج الى عالم المادة كانت هى العامل الأول فى اختياره نبياً للشعوب ، أى بسبب ماضيه النقى الناصع فى تجسداته السابقة .

— ويماثل ذلك ما ورد فى رسالة بولس الرسول الى أهل رومية (اصحاح ٩ عدد ٨ — ١٥) : « أى ليس أولاد الجسد هم أولاد الله ، بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً . كلمة الموعد هى هذه . أنا آتى نحو هذا الوقت ويكون لسارة ابن ، وليس ذلك فقط ، بل رفقة أيضاً . وهى حبلى من واحد وهو اسحق أبونا ، لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلا خيراً أو شراً لكى يثبت قصد الله حسب الاختيار ، ليس من الأعمال ، بل من الذى يدعو . قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير . كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا تقول . ألعل عند الله ظلماً . حاشا ، لأنه يقول لموسى انى أرحم من أرحم وأتراءف على من أتراءف » ،

وهنا ايضا قد يقال ان الله أحب يعقوبا وأبغض عيسو قبل أن يولدا على الأرض من جديد لأنه يعلم ماضى يعقوب وماضى عيسو ، والا فما معنى الآية : « ألعل عند الله ظلماً حاشا » ؟ !

ــ ثم نقرأ هذا الأقوال عن أيوب (فى أصحاح ١ عدد ٢٠ ــ ٢٢) : « فقام أيوب ومزق جبته ، وجزّ شعر رأسه وخر على الأرض وسجد ، وقال عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود الى هناك . الرب أعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً . فى كل هذا لم يخطىء أيوب ، ولم ينسب لله جهالة » .

ولم يكن أيوب يقصد طبعا المعنى الحرفى ، أى أنه سيعود الى بطن نفس أمه القديمة ، بل كان يقصد أنه سيعود الى الحياة عارياً عن طريق بطن أم جديدة كما جاء عارياً عن طريق بطن أمه القديمة .

ــ ثم ترد هذه الأقوال فى انجيل متى (اصحاح ١٦ عدد ١٣ ــ ١٧) : « ولما جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا من يقول الناس انى أنا ابن الانسان . فقالوا : قوم يوحنا المعمدان ، وآخرون ايليا ، وآخرون ارميا ، أو واحد من الأنبياء . قال لهم وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا ان لحماً ودماً لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات » .

ــ ثم نجد صدى هذا الاعتقاد فى انجيل لوقا (اصحاح ٩ عدد ٧ ــ ٩) : « فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان منه وارتاب، لأن قوماً كانوا يقولون ان يوحنا قد قام من الأموات ، وقوما ان ايليا ظهر ، وآخرين ان نبيا من القدماء قام ، فقال هيرودس يوحنا أنا قطعت رأسه ، فمن هو الذى أسمع عنه مثل هذا ، وكان يطلب أن يراه (أن يرى يسوع) » .

ــ ثم تجىء هذه الأقوال فى انجيل متى (اصحاح ١٧ عدد ١٠ــ١١) : « وسأله تلاميذه قائلين : فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا (نبى العهد القديم) يأتى أولا ويرد كل شىء » ...

ــ ثم هناك ما ورد فى انجيل يوحنا (اصحاح ٣ عدد ١ ــ ٨) ونصه : « كان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود . هذا جاء الى يسوع ليلا ، وقال له يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلما لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل ان لم يكن الله

معه . أجاب يسوع وقال له : الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله . قال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ العله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ أجاب يسوع الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح . لا تتعجب أنى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ، لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى أين تذهب . هكذا كل من وُلد من الروح » .

وهذه الآيات فُسِّرت فيما بعد على أنها تتحدث عن « المعمودية » وهذا التفسير لا يتعارض مع القول بأنها قد تتحدث أيضا عن العودة للتجسد عن طريق الميلاد من فوق ، خصوصا اذا روعى أنها كالمعتاد — تتحدث بأمثال وبأمور رمزية كثيرة . ومن ذلك قولها « المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح » وهو ما يفيد معنى التمييز بين مصدر الجسد وهو يولد من اجتماع جسدين ، ومصدر الروح وهو مستقل عن ذلك تماما لأنه يجىء من الروح ، أو بالأدق من مصدر آخر ، وله أيضاً مصير آخر .

— ويكمل ذلك ما جاء فى نفس الانجيل (اصحاح ٨ عدد ٢٣ — ٣٣) على لسان يسوع : « فقال لهم أنتم من أسفل ، أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم ، أما أنا فلست من هذا العالم .... فقال لهم يسوع أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به ، ان لى أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم ، لكن الذى أرسلنى هو حق ، وأنا ما سمعته منه فهذا أقوله للعالم ... انكم ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى وتعرفون الحق والحق يحرركم » .

وأيا كان التفسير الدقيق لهذه الآيات فمما لا ريب فيه تاريخياً هو أن هذا الاعتقاد كان شائعاً وراسخاً عند اليهود ، ولم ينكره فيما بعد السيد المسيح فى أى قول من أقواله ، بل على العكس من ذلك أيده صراحة عندما أعلن أن يوحنا المعمدان الذى كان معاصرا له هو بنفسه ايليا النبى الذى توفى منذ أكثر من أربع وعشرين قرنا سابقة .

ذلك أنه ورد فى العهد القديم فى سفر ملاخى (اصحاح ٤ عدد ٥) هذا القول : « هانذا أرسل اليكم ايليا النبى قبل مجىء الرب فى اليوم العظيم والمخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم ... »

ثم ورد فى العهد الجديد فى انجيل متى (اصحاح ١١ عدد ٢ — ١٥)

أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له انت هو الآتى أم ننتظر آخر ، فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون ، وطوبى لمن لا يعثر فىَّ .

وبينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجميع عن يوحنا ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا أقصبة تحركها الريح ... لكن ماذا خرجتم لتنظروا انبياً . نعم أقول لكم وأفضل من نبى ، فان هذا هو الذى كتب عنه هأنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهىء طريقك قدامك ... ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاضبون يختطفونه ، لأن جميع الأنبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا ، وان أردتم فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى ، من له أذنان للسمع فليسمع » . ولاحظ هذه الجملة الأخيرة « من له أذنان للسمع فليسمع » وهى تفيد معنى التأكيد والمطالبة بالاصغاء التام لما يقول .

وعاد السيد المسيح فى نفس الانجيل (اصحاح ١٧ عدد ١ — ١٣) ليؤكد نفس الواقعة كالآتى : « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم الى جبل عالٍ منفردين ، وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالنور ، واذا موسى وايليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه ، فجعل بطرس يقول ليسوع يا رب جيد أن تكون ههنا ، فان شئت نضع هنا ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة (١) . وفيما هو يتكلم اذ سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ... وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الأموات ، وسأله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى أن يأتى أولا ، فأجاب يسوع وقال لهم ان ايليا يأتى ويرد كل شىء ، ولكنى أقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم ، حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان » .

وهذه الآيات واضحة كل الوضوح فى أن يوحنا المعمدان « هو ايليا المزمع أن يأتى » ، (وذلك بحسب سفر ملاخى من العهد القديم) . والسؤال المشروع الوحيد الذى يصح أن يشار هنا هو لماذا آثر يوحنا

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

أن يظهر متجسدا — على جبل التجلى — فى حضور السيد المسيح وتلاميذه فى صورة ايليا ولم يتجسد مثلا فى صورة يوحنا المعمدان الذى كان هيرودس قد أمر بقتله قبل هذا التجلى ؟

والجواب هو أنه قد ظهر من طائفة من التحقيقات الثابتة فى الظواهر الفيزيقية ان بعض الأرواح يفضل فعلا أن يجىء فى صورة تجسد سابق له ، لا فى صورة تجسيده الأخير على الأرض . ولنا عودة فيما بعد الى بعض نماذج من التحقيقات المعملية فى هذا الشأن ، والتى تبين كيف أن بعض الأرواح يؤثر هذا الأسلوب الفريد من التجسد فى صورة حياة سابقة أو أكثر ، وبالذات لاثبات هذه العودة للتجسد أكثر من مرة ، وقد سجل حدوث مثل هذا النوع من الظواهر الباحثة الروحية السيدة روفينا نوجيرات Ruffina Noeggerath ، والعالم المعاصر فى الباراسيكولوجى هانز جيرلوف (١) Hans Gerloff .

ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن انجيل متى (اصحاح ٣ عدد ٤) يصف يوحنا المعمدان بأنه « كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا برياً » .

ويقارب هذا الوصف ما ورد عن ايليا فى سفر الملوك الثانى (اصحاح ١ عدد ٥ — ٩) « فانطلق ايليا ورجع الرسل اليه فقال لهم لماذا رجعتم ، فقالوا له صعد رجل للقائنا وقال لنا اذهبوا راجعين الى الملك الذى أرسلكم ... فقال لهم ما هى هيئة الرجل الذى صعد للقائكم وكلمكم بهذا الكلام ، فقالوا انه رجل أشعر متمنطق بمنطقة من جلد على حقويه ، فقال هو ايليا ... » .

وكان ايليا ويوحنا — كلاهما — يحبان العزلة والاعتكاف فى الصحراء ، وهذا التشابه الفريد فى الطبع وفى الملبس أمر ينبغى أن يستلفت نظر المتمعن فى النصوص ، وفى دلالاتها .

* * *

وثمة واقعة اخرى قد تصلح لتأييد هذا النظر — بالأقل فى مفهوم « الوجود السبقى » Pre-existence للروح على الجسد ، وهو جانب واحد من مفاهيم العودة للميلاد ، ولا يتضمن بالضرورة التجسد السابق على الأرض ، بل الوجود السبقى فى الأثير أو فى الفضاء على نحو ما قبل التجسد على الأرض ، وهو ما يعتقد باحتماله عدد من أبرز الفلاسفة والعلماء والمفكرين على ما سيرد فيما بعد .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٦٠٨ — ٦٠٦ .

وهـذه الواقعـة وردت فى انجيل يوحنا عـــدد ٤٩ ـ ٥٩ كالآتى :
« أجاب يســوع أنا ليس بى شيطان لكنى أكــرم أبى وأنتم تهينوننى . أنا لست أطلب مجـدى . يوجد من يطلب ويدين . الحـق الحـق أقــول لكم ان كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت الى الأبد . فقال له اليهود الآن علمنا أن بك شيطاناً . قد مات ابراهيم والأنبيـاء ، وأنت تقول ان كان أحد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت الى الأبد . ألعـلك أعظم من ابينـا ابراهيم الذى مات ، والأنبياء ماتوا ، من تجعل نفسك ؟ !

أجاب يسوع ان كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً . أبى هو الذى يمجدنى الذى تقولون انتم انه الهكم ، ولستم تعرفونه ، وأما أنا فأعرفه . وان قلت انى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً ، لكنى أعرفه وأحفظ قوله . ابوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح . فقال له اليهود ليس لك خمسون ســنة بعد ، أفرأيت ابراهيم ؟ فقال لهم يســوع الحــق الحــق اقول لـكم قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن ، فرفعـوا حجارة ليرجمـوه ، اما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى هكذا(١) » . فأيهما أسبق مجيئاً ابراهيم أم يسوع ؟ !

موقف بعض آباء الكنيسة ومؤسسيها

وهذه الوقائع والآيات مجتمعة دفعت عـددا من أبرز آباء الكنيسـة ومؤسسيها الأوائل الى الاقتناع بصحة « الوجود السبقى » قبل الميـلاد الراهن سواء أكان هذا الوجود فى الفضاء المجهول أم فى الجسد المـادى .

ـ ومن أوائلهم سان جوستين الشـهيد St. Justin le Martyr وهو رسول وفيلسوف مسيحى عاش فى روما الوثنية داعيا للمسيحية ، واستشهد فيها بسبب دعوته حوالى سنة ١٦٠ ميلادية . وقد وضـع رسالتين « فى تقريظ المسيحية » (٢) (عيده السنوى فى ٣١ أبريل) .

ـ ومن أوائلهم ايضا سان كليمان السكندرى St. Clement of Alexandria (١٥٠ ـ ٢٢٠) ، وقد تقبل عقيدة العودة للتجسـد ونسب الى القديس بولس انه نادى بهـا فى رسالته الى اهـل روميـة (٨ : ١٥) على ما بينته فيما سبق ، وهذا القديس كان أبرز دعاة المسيحية فى القرن الثالث الميلادى .

وفى كتاب له عنوانه « توبيخ الى الملحدين » (٣) يقول : « لقد كنـا

---

(١) من انجيل يوحنا ٨ : ٤٩ ـ ٥٩ .
(٢) Apologie de la Religion Chrétienne.
(٣) Exhortation To The Pagans.

موجودين قبل تأسيس هذا العالم بزمن طويل . لقد كنا موجودين فى عين الله ، لأن من قدرنا أن نعيش فى الله . نحن الخلائق العاقلة للكلمة الالهية ، لذا فقد وجدنا منذ البدأ لأن فى البدأ كان الكلمة ... فالله لا يظهر لنا عطفه علينا لأول مرة عندما نكون فى سياحاتنا على الأرض ، بل لقد عطف علينا منذ البداية الأولى » .

— وبعد سان كليمان تقبل نفس العقيدة تلميذه سانت أوريجين St Origéne (١٨٥ — ٢٥٤) ودافع عنها بحرارة وموقفه يحتاج الى وقفة كافية لعرضه ، لأنه كان مصدراً لصراع طال أمده حول هذا الموضوع .

عن موقف سانت أوريجين

وقد تعرض سانت أوريجين لهذا الموضوع بافاضة ، وكانت تعاليمه حيوية بالنسبة للحفاظ على الأناجيل فى صيغتها الأصلية ، وكان انتاجه الفكرى متدفقاً ، لكن أهم انتاجه وهو كتاب « ستروماتا » Stromata (فى عشرة أجزاء) اختفى برمته ولم يعثر له على أثر كما تقول « الموسوعة البريطانية » . والظاهر أن لهذا الاختفاء صلة بما حاوله فيه من التوفيق بين التعاليم المسيحية ، وبين فلسفة أفلاطون ، وارسطو ، ونيمونيوس Numenius ، وكوريتوس Corrutus ، وغيرهم من فلاسفة الاغريق .

ولكن فى أحد كتبه الباقية لغاية الآن وهو « ازاء السماء » Contra Celsum نجده يقول : « اليس مما يكون أكثر التئاماً مع العقل أن نقول كما قال فيثاغورس ، وافلاطون ، وأمبودقليس Empedocles ان كل نفس لم تدخل الى الجسد لأسباب غامضة (أى اعتباطاً) بل بحسب ما تستحقه طبقاً لأعمالها السابقة ؟ أليس من المنطق أن تكون النفوس التى استخدمت أجسادها فى تحقيق أعظم قدر من الخير الممكن للآخرين قد أصبحت ذات حق فى الحصول على أجساد مزودة بصفات أسمى من اجساد الآخرين ؟

ان النفس وهى غير مادية وغير منظورة بطبيعتها ، توجد فى مكان غير مادي وبغير ان يكون لها جسد مناسب لطبيعة ذلك المكان . وبالتالى فانها فى وقت ما ترتدى جسدا كانت تملك مثله من قبل ، لكنه لم يعد بعد ملائماً لها فى حالتها المتغيرة ، وبالتالي فانها تستبدله بجسد ثان » .

وفى كتابه عن « المبادىء » De Principis يقول سانت أوريجين :

« ان كل نفس تجيء الى هذا العالم وقد تقوت بالانتصارات التى حازتها فى حياتها السابقة ، أو وقد ضعفت بالهزائم . ومكانها فى هذا العالم يتوقفه على ما تستحقه من مجد أو من خزى بحسب حسناتها أو سيئاتها السابقة، كما أن عملها فى هذا العالم هو الذى يحدد مكانها فى العالم الذى يلى العالم الحالى » .

وقد تأثر سانت أوريجين بالفلسفة الاغريقية كما عرفت فى أزهى أيامها وفى أروع جوانبها ، كما تأثر أيضاً بأساطير المعتقدات الهندية والاغريقية . فلم يناد فحسب بامكان العودة الى التجسد فى صورة انسان ، بل نادى باحتمال التجسد فى صورة حيوان أو طير ، وهى أساطير لم يقم على صحتها اى دليل ، على عكس احتمال العودة فى صورة انسان يشبه الى حد ما الانسان السابق ، وهو الأمر الذى توافرت الى جانبه أدلة عديدة على سنبينه فيما بعد .

ومن المعروف من الناحية التاريخية أن صراعاً قد نشب بين أتباع سانت أوريجين الذى كان ينادى بالعودة للتجسد ، وبين منكرى هذه العودة . كما نشب اكثر من صراع حول طبيعة جسد المسيح عليه السلام . وكانت الوسيلة لحسم النزاع هى عرضه على المجمع المسكونى الذى عقد فى القسطنطينية فى سنة ٤٥١ ميلادية ، فحاول أن يضع حلا وسطا للمشكلة لكنه كان فى الواقع أكثر ولاء الى تعاليم سانت أوريجين منه الى تعاليم معارضيه .

وهذا القرار هام لتفهم الأحداث التى جرت فيما بعد فى المجمع المسكونى الذى عقد بالقسطنطينية . ذلك لأنه أبرز شعبية سانت أوريجين الذى كان يعمل بتعضيد من الامبراطور جستنيان Justinian فى الشرق (٤٨٣ — ٥٦٥ م) . وقد أعلن بطريرك القسطنطينية علناً تأييد الامبراطور لهذا القرار بناء على طلبه .

لكن ما لبث أن حدث تحول هام لدى جستنيان عندما وقع تحت تأثير عشيقته الممثلة تيودورا Theodora التى أصبحت هى نفسها الامبراطورة (٥٠٨ — ٥٤٧) . وكانت ذات تأثير قوى عليه ، كما يروى المؤرخون وتكره عقيدة العودة للتجسد فى كل صورها . فحاولت أن تمحوها من العالم الغربى بسبب جهلها . كما يعتبرها المؤرخون مسئولة عن قتل اثنين من البابابوات ، الى حد أن أصبحت تختار البابا بنفسها ، وبالتالى كانت تمسك بيديها جانباً قوياً من زمام سلطانه الدينى وكانت تطلب من كبار رجال الدولة أن يقسموا لها يمين الولاء كالامبراطور

سواء بسواء وكان لها جواسيس وعيون فى كل مكان كما تروى « الموسوعة البريطانية » .

وفى هذا الشأن يروى المؤرخ جونتر روزنبرج Gunther Rosenberg انها كانت معارضة بسبب جهلها لآراء سانت أوريجين على طول الخط ، وكذلك لقرارات مجمع كاليدونيا « فصممت تصميماً مطلقاً على أن تمحو كل اشارة الى العودة للتجسد فى تعاليم الكنيسة ، وسيطرت على الامبراطور جستنيان الذى أصبح لا حول له فى مقاومة مخططاتها » . فأصدر قراره الامبراطورى فى سنة ٥٤٣ ميلادية بادانة موقف سانت أوريجين بسبب اعتناقه لصيغة ما من صيغ « الوجود السبقى للانسان » رغم أنه كان قد توفى منذ قرنين سابقين ! ! .. وهكذا كان التمهيد للمجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية بعد هذا التاريخ بعشر سنوات (وهو المجمع الخامس فى تسلسل المجامع الدينية منذ بدء انعقادها) .

يقول روزنبرج أيضاً أنه على العكس مما يعتقد الناس لم يكن مصرحا للبابا نفسه بحضور هذا المجمع . ولقد أنكر هو صحة قراراته ، لكنهم تجاهلوا رأيه وعقد المجمع فى حضور مجموعة من الأساقفة كانت ترغب فى السيطرة على المسيحية ، وكان البابا فرجيليوس Virgilius عاجزاً تماماً أمام القوة العسكرية المتزايدة للامبراطورية البيزنطية ، خصوصاً وان سلفين من أسلافه ماتا مقتولين بأمر من تيودورا هذه .

كما يقول روزنبرج أنه عندما وافق المجمع على قصر حضور اجتماعاته على ستة أساقفة غربيين فحسب تمكن من الفتك بتعاليم سانت أوريجين . وهكذا محوا العودة للتجسد من اللاهوت المسيحى . وأكثر من هذا لقد أدى الهجوم على آراء أوريجين الى الهجوم على كل آباء الكنيسة الأوائل الذين كانت كتاباتهم تعكس تقديرهم له ، ولم تكن نسخ هذه الكتابات عديدة ، فكان من اليسير سحبها وحرقها .

ويقول روزنبرج أيضاً ان ظلاماً كثيفاً لا يزال يخيّم حتى الآن على هذا المجمع ، ولم تبذل جهود جدية لكى تكشف عن حقيقة الدوافع التى كانت وراءه ، ووراء أولئك الذين سُمح لهم بحضوره . بل يوجد بعض الشك حتى فيما اذا كان هذا المجمع الدينى قد أدان بالفعل آراء سانت أوريجين ... وهكذا سقطت عقيدة العودة للتجسد فى عالم الاعتراض ، ووصفت بأنها هرطقة ، والغيت كل مناقشة بشأنها فى العصور الوسطى ، حيث كان قد بدء عصر محاكم التنقيب والتحرى واضطهاد كل من يعارض « الفقه الدينى المستقر » .

* * *

ويبدو لى انه كان من ضمن دوافع تيودورا على استصدار هــذا القــرار من المجمع المسكونى ليس فحسب جهلها الطبيعى بأمور الاعتقاد والعلم ، بل أيضاً تصورها الاله على صــورة ملك شخصى ينبغى أن يتقى الانسان غضبه بالزلفى له والرياء ، وهو موقف شائع جــدا لغــاية الآن فى تصــور الاله .

ولا ريب أنها كانت تتصور أن فى مثل هذا القــرار المزيد من الزلفى والرياء على ما ستلاحظ بنفسك من صياغته العجيبة . كما كانت تتصور حتماً أن انكار العودة للتجسد فيه المزيد من الاقرار لله بسلطاته المطلقــة فى الخلق والانشاء ، وفى الثواب والعقاب ، وفى توزيع المواهب والأرزاق ، وفى حكم الكون بلا نواميس ولا ضوابط ... ألم يحدث فى تاريخ لاحق أن قاوم المتزمتون اكتشاف نيوتن لقانون الجاذبيــة « لأنه يخلع العنــاية عن عرشها » كيما يضع بدلها بدعة عجيبة تسمى « قانون الجاذبية » ؟ !

وقد لاحظ عدد من كبار الفلاسفة منهم توماس هوبز T. Hobbes أن « الصفات التى نخلعها على الاله ليست الا أسماء تعبّر عن عجزنا عن معرفته ، وعن رغبتنا فى وصفه بعبارات تمجيدية من شأنها ارضاء قــوة مجهولة ... وكل تقــدم فى المعرفة العلميــة والفلسفية معناه التضييق النسبى لمجال الأسماء اللاهوتية » .

فلم تكن تيودورا تحب الله أو تفهمه أكثر من سانت أوريجين ، بل كانت فى تقديرها تتزلف الى الله غير مدركة أنه لا يحقد ، ولا يمالىء أحدا ، وأن سلطانه على الكون لا يتوقف على موقفنا منه ، وتزلفنا اليــه . وغير مدركة أنه يختلف تماماً عن طغاة الأرض الذين يبحثون عن متعة الملق ، ويحيطون انفسهم بالأذناب والمرائين .

وهذا هو كل الفارق بين الايمــان باله موضوعى ـ لا حــدود له ـ يحكم الكون بنواميس موضوعية مطلقة من الحكمــة والترابط والعــدالة ـ وهذا هو نوع ايمان سانت أوريجين ـ وبين الايمــان باله شــخصى يحكم الكون بميوله ونزواته وأهوائه ـ وهذا هو نوع ايمان تيودورا ـ فأى نوع من الايمان نختار لأنفسنا ؟ ! ان لنا لحديثا مستفيضا فى هــذا الشأن فى أكثر من موضع آخر .

* * *

وفى الواقع لقد دخلت المسيحية الى الامبراطورية الرّومانية الشرقية منــذ أيام الامبراطور قسـطنطين الأول (٢٧٤ — ٣٣٧ م) وانتشرت فى أوروبا تدريجيا ، لكن الحيــاة فى قصــور قسطنطين الأول وخلفــائه الى

قسطنطين الحادى عشر كانت ابعد ما تكون عن روح المسيحية . اذ ظلت الروح الرومانية سائدة بكل فجورها وطغيانها ، واستمرت سائدة أجيالا طوالا ، حتى وان تغير الشعار الخارجى فحسب من الوثنية الى المسيحية .

ثم هناك الاعتبارات الواقعية للسياسة التى كثيرا ما تبعد بالانسان عن التطبيق الصادق للفضيلة حتى اذا كان يؤمن نظريا بضرورة التطبيق . خصوصاً اذا كان هذا الانسان حاكماً قد آلت اليه مسئوليات الهيمنة على امبراطورية مترامية الأطراف محوطة بالأعداء الشرسين المتوثبين للانقضاض عليها ، كما ينبئنا التاريخ عن الامبراطورية الرومانية فى نضالها مع قبائل البربر وغيرهم .

وغالباً ما تضيع النوايا الطيبة فى غمار المسئوليات الضخمة وتنهار تحت جحافل الجيوش من المهاجمين والمدافعين معا وتحت وطأة مناورات السياسة واساليبها الوصولية .

والأيام لا تدور بغتة ، والتطور لا يتحقق طفرة ، خصوصاً فى كل ما يتصل بتهذيب غرائز الانسان وانفعالاته السفلى ، واردأها اطلاقاً شهوة التسلط على الآخرين ، والتحكم فى آرائهم وحرياتهم باسم الدين .

واين ذلك مما نادى به السيد المسيح — وعاش فيه أيضاً — من وداعة ، ومن محبة ومن انكار للذات ، ومن صفح للمخالفين بل للمعتدين أيضاً ؟ ولذا يمكن أن يقال بحق ان المسيحية لم تدخل الى أوروبا عن طريق الامبراطور قسطنطين الأول أو خلفائه ، بل دخلت عن طريق المناضلين الأبطال الذين سفك أباطرة الرومان دماءهم واستباحوا أرواحهم وآدميتهم . كما دخلت عن طريق القديسين الصالحين من أصحاب الرأى والمبدأ من طراز سان كليمنت ، وسانت أوريجين ، وسان جيروم ، وسانت اوغسطين ، وسان فرانسوا الاسيسى ، وكلهم من المؤمنين بصحة مبدأ العودة للتجسد .

ولا ريب أن الكنيسة البيزنطية ، والمجامع الدينية المختلفة ، كانت الاعيب فى أيدى طغيان أباطرة الرومان يوجهونها بالتتابع حسبما شاءت لهم أهواؤهم ، وشهواتهم ، ومصالحهم السياسية ، فلا ينبغى التعويل على ما جادت به قرائح تلك المجامع ، أو قرائح الأساقفة الخاضعين خضوعا تاماً للارهاب السياسى الرومانى باسم الدين .

وانما ينبغى أن يعاد النظر فى كل شىء ، وأن يناقش كل رأى فى نزاهة تامة ، وفى ضوء كشوف العلم الثابتة بعيداً عن الآراء المسبقة ، والارتباطات المتوارثة عن تلك العهود ، وهذا هو الدور الشاق النزيه

الذى يقوم به « علم الروح الحديث » . ولعله بسبب هذه النزاهة نفسها لا يرضى احداً من المتزمتين والرجعيين ولا من الملحدين أيضاً !

عن قرار « المجمع المسكونى » الخامس

ومع ذلك ماذا يقول بالضبط قرار المجمع المسكونى الخامس (الثانى بين مجامع القسطنطينية) (سنة ٥٥٣) ؟ هذا هو نصه : « اذا قال أحد ، او فكر أن نفوس البشر كانت توجد من قبل ، باعتبار انها كانت فيما مضى ارواحاً ، وانها كانت ذات فضائل مقدسة ، وانها قد ارتوت من التأمل الالهى ، ولذا فقد انحرفت ، وبالتالى قد فتر حب الاله فيها ، واصبحت تدعى ارواحاً خاطئة واستحقت أن ترسل فى اجساد أرضية كعقاب ... ان من يقول او يفكر فى ذلك يعتبر مجدِّفاً Anathème » .

ولا يعتقد أصحاب عقيدةالعودة التجسد أن عودة الأرواح تكون بسبب الملل من التأمل فى عظمة الاله ، أو بسبب فتور حب الاله لديها . بل انهم قد لا يرون أن العودة تكون دائماً بمثابة عقوبة . ويقولون ان تكرار الوجود الارضى مفروض علينا لكى نتطور ونصبح سادة على غرائزنا التى استعبدت جد الخليقة آدم وسلالته .

وهذا الوجود الأرضى لا يمتد لأكثر من مائة عام وفى المتوسط أقل من ذلك بكثير ، ولكن هذه الاقامة القصيرة لا تكفى للوصول الى النصر النهائى على الغرائز ، ولذا أعطيت لنا مهلات أطول كثيراً تقطعها فترات نوم أعمق من النوم اليومى ، وكل نومة منها تسمى موتاً .

ومن الصحيح أن الوجود اللاحق يكون مصحوبا بنسيان كل وجود سابق ، ولكن هذا النسيان من صور العناية الالهية لأنه يسهّل التطور .. وعندما نبلغ مستوى الطهارة الحقة نموت مرة أخيرة فلا نعود ثانية للحياة على الأرض . وبالتالى فان نظرية العودة للتجسد على هذا المعنى يمكن للانسان المتدين أن يرفضها أو يتقبلها بغير أن يسقط فى التجديف الذى أشار اليه قرار مجمع القسطنطينية .

ويضاف الى ذلك أن قرار مجمع القسطنطينية قد أدمج قضايا عديدة فى قرار واحد مشترك ، مع ما بين بعض هذه القضايا وبعضها الآخر من مميزات وفروق تتنافى مع هذا الادماج ، وهذا هو بعينه أسلوب المغالطة عند من يريد أن يغالطك لينتزع منك قراراً معيناً أو آخر .

ونتيجة هذا الادماج من الناحية المنطقية — أن من يستبعد قضية واحدة من القضايا المدمجة معاً — رغم تنافرها — لا يكون خاضعاً لهذا القرار ، وبالتالى لا يكون مجدِّفاً ، كمن يقول مثلاً : ان نفوس البشر

كانت توجد من قبل ، ولا يضيف أنها كانت ذات فضائل مقدسة ، أو انها قد ارتوت من الحب الالهى ، أو انها قد انحرفت ...

ثم ان العودة للتجسد قد يصدق عليها وصف « واقعة مادية » تقبل التحقيق بأساليب معملية أحياناً على ما سيرد فى الفصل المقبل ، اما تعليل العودة للتجسد فهو قضية أخرى قد تكون ادخل فى باب الفلسفة الروحية منها فى باب « الواقعة التى تقبل التحقيق » . وقبول « القضية العلمية » امر يخضع لاعتبارات مستقلة تماماً عن قبول « القضية الفلسفية » كما يعلم كل مفكر ، وكذلك الشأن أيضا فى كل القضايا الفلسفية الأخرى المتصلة بهذا الموضوع الدقيق والمتفرعة عنه ، وبوجه خاص تطور الانسان ، واساليب هذا التطور ، وأهدافه الأخيرة ، وهو ما سنعرض له فى الفصل الأخير .

* * *

ومع كل الاعتبارات الواضحة لماذا اذاً وجدت عقيدة العودة للتجسد كل هذه المقاومة الضخمة من السواد الأعظم من رجال الاعتقاد ، أو بالأدق من « ارباب المذاهب » ؟ لا ريب أن هذه المقاومة لا ترجع الى قرار مجمع القسطنطينية ، الذى طالما أهدرت قرارات صريحة له فى أمور كثيرة . بل ترجع بالأكثر الى اعتبارات معينة يمكن أن يسلم بها بسهولة كل عارف لطبائع بنى البشر ، ومقدّر لحقيقة نوازعهم ، ومن هذه الاعتبارات ما يلى :

أولا : ان انكار هذه العقيدة يكفل « لأرباب المذاهب » المزيد من الهيمنة على افئدة البشر ، لأن التلويح بالنار الأبدية التى قد تنتظرهم بعد الموت مباشرة مختلف تماماً فى وقعه على النفوس عن التلويح بمجرد التطور نحو ما هو أسمى وأفضل عن طريق احتمال العودة المتكررة للتجسد .

ففى الحالة الأولى من السهل التلويح بالغفران الذى بمقدورهم أن يمنحوه للمؤمنين ، اما فى الحالة الثانية فانه ان كان ثمة غفران فهو منحة التطور الطبيعى لصاحبه لا منحة من احد من البشر .

وما قصة صكوك الغفران التى كانت تباع فى القرون الوسطى عدّاً ونقدا — ببعيدة عن الأذهان . وقد كانت هذه القصة وراء الثورة العارمة التى أعلنها مارتن لوثر ، وتمثل الصكوك انحرافاً جلياً باسم الاعتقاد . واخشى أن يكون هذا الانحراف لا يزال قائماً — ولو على وجه ما — وان اختلفت الأشكال وذلك فى انحاء كثيرة من الأرض .

ثانياً : ان التسليم بهذه العقيدة يفتح الباب واسعاً لتدخل مفاهيم

العلم والفلسفة أيضاً . ولا ريب أن آفاق رجل الاعتقاد خصوصاً في العصور الأولى والوسطى ما كانت لتتسع للسماح بمثل هـذا التدخل الذى قـد يتهـدد أيضـاً قوة سلطانه الشخصى على النفوس ، هذا السلطان الذى يحرص عليه رجل الاعتقاد كل الحرص بطبيعة الحال بوصـفه حقـاً له خالصاً ، لا يصح أن ينازعه فيه منازع من فلسفة أو من علم ، ولو كانت الفلسفة صادقة والعلم ثابتاً .

ولا ريب أن الحصار الدينى ، أو بالأدق أن الحصار باسم الدين كان قـد بلغ ذروته فى أوروبا فى تلك العصور . وعندما يقـوم الانفعال الدينى بفرض حصـاره على العقل فانه يكون من المحال على العقـل أن يبحث فى روية فى طبيعة الانسان ، أو فى حقيقة قدره ومصيره ، أو حقيقة النواميس الطبيعية التى تهيمن على سير ركب الحياة . . .

وتكون كل محاولة فى هـذا الشأن مطبوعة بروح الانفعال لا بمنطق العقـل ، وشتان بين هـذين الأسلوبين اللذين يمثل أولهما أسلوب الغلو والارتجال ، ويمثل ثانيهما أسلوب التأنى والاعتدال .

وبمقدار ما يحاول أولهما الارتباط بالنصـوص بمقـدار ما يفلح فى تشويه الحقائق ، وذريعته الوحيدة هى أنه أكثر ارتباطاً بالنصوص مع أنه قد يكون فى واقع الأمر على النقيض منها تماماً .

وهـذا اعتبار لا أريد أن أقف عنده طويلاً ، لأن العبرة هى بالنتائج اليقينية التى تكشفت عنها التحقيقات الوضعية ، وبرغبة تحليلها وتأصيلها تأصيلاً صحيحاً ، وليست بالمناقشات النظرية الجوفاء التى لم تنته ولا يمكن أن تنتهى أبداً الى نتائج يقينية يصح الاعتداد بها .

ثالثاً : أن عقيدة العودة للتجسد ـ شـأنها شأن سائر موضوعات الروح ـ اذا نظرنا اليها من الناحيتين العلمية والفلسفية وجدنا أنها عميقة الغور بعيدة الأطراف تتطلب الالمـام بنواح كثيرة من فلسفات ومن علوم شتى . وعقيدة هذا شأنها من المحال أن تتسع آفاق كل انسان لدراستها فى كافـة جوانبهـا ، ثم لهضمها وتمثيلها ، والافادة مما ترتبـه من نتائج فلسفية وعلمية مفرطة فى خطورتها .

رابعاً : أن التمسك بصحة جميع المفاهيم المتوارثة هى السمة المميزة لأرباب المذاهب فى كثير من الأمـور ، ولرجـال العـلم أيضـاً . فان من خصائصهم مقاومة كل كشف جديد مهما كانت عناصره واضحة وثابتة . وهذا التشبث بالقديم تعلو درجته كلما علت درجة الكشف الجديد فى عمق الغور وخطورة النتائج .

فلم يكن اذاً قرار « مجمع القسطنطينية » بكل ما لا بسه من مقدمات معروفة ، وما شمله من مضمون واهٍ ، هو العقبة الحقيقية فى وجه ـ تقبل الاعتقاد بالعودة للتجسد فى الغرب بمقدار ما كان هو هذه الاعتبارات التى اسلفناها . كما لم تكن العقبة ــ من باب أولى ــ هى نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، بما فيهما من دلالات واضحة ــ وفى كثير من الأحيان حاسمة ــ الى جانب صحة هذا الاعتقاد ، لا الى جانب بطلانه كما زعموا خطئاً .

والدليل على صحة ما أقول أنه اذا كان السواد الأعظم من رجال الاعتقاد قد وقف فى الغرب فى وجه انتشار هذا الاعتقاد بلا بحث ولا دراسة ــ كما هى الحال فى كثير من الحالات ــ فان هناك عدداً ممن يعدون فى الذروة بين آباء الكنيسة الأولى ، وواضعى أسسها اللاهوتية ، أو الخلقية ، أو الفلسفية ، وممن عرف عنهم التفكير المنطقى المترابط والفهم الصحيح لأمور الاعتقاد ، قد اعتنقوا هذه العقيدة ودافعوا عنها .

ولعل مما شجعهم على ذلك ان هذه العقيدة قد تلقى أضواء أوضح من غيرها عن الخطيئة الأولى التى نزلت ببنى البشر من حياة الروح الى حياة المادة وتوجد عنها اشارات متنوعة فى الكتب السماوية . وكأن كل المطلوب هو أن يقال ــ من الناحية اللاهوتية ــ ان الجنس الانسانى برمته هو الذى سقط لتعلقه بالشهوات الأرضية ، وأن الحديث عن آدم وحواء هو كناية واضحة عن الجنس البشرى كله ، متضامنا معاً .

ولعل مما شجعهم على ذلك أيضاً أنه بحسب بعض تعاليم الاعتقاد حتى الحرفى تمضى حقبة طويلة جداً بين العيش الذى يلى الموت مباشرة ، والحساب الأخير الذى يحدد بحسب هذه التعاليم المصير النهائى للروح بين الجنة ، أو النار ، أو المطهر . والى ان يحل وقت الحساب الأخير من الجائز بحسب هذه التعاليم نفسها أن يحدث تغير فى تطور الروح .

اذاً ماذا تصنع الروح خلال الحقبة الطويلة التى ينبغى أن تمضى ؟ من الجائز أن يقال انها تكون عرضة للعودة للتجسد المتكرر من جديد على الأرض حتى تحصل على المزيد من التطور ، وتعطى أكثر من فرصة للتطهر من خطاياها الى أن يحل موعد حسابها الأخير .

وليست هذه العقيدة الأخيرة هى بالضبط عقيدة علم الروح الحديث، لكن يمكن بلا أدنى ريب التوفيق بين العقيدتين فى ضوء الحقائق العلمية الحديثة خصوصاً اذا تركنا جانباً اسلوب التشبث بالفهم القديم لمجرد قدمه ، ولرسوخه فى الأذهان وفى الوجدان وتركنا معه أسلوب التشبث بالصور الحرفية الى قبول الصور الرمزية للعقاب وللثواب .

وعلى أية حال لقد وجدت عقيدة العودة للتجسد الأرضى ــ بالمفهوم المحدد المستقل تماماً عن مفهوم « التناسخ » أو « تقمص أرواح الحيوانات والنباتات » ــ من يتبناها بين عدد من صفوة المفكرين الدينيين فى الغرب .

ولم يدر بخلدهم مطلقاً انهم بموقفهم هذا قد خالفوا أصول عقائدهم الدينية ، كما لم يدر ذلك بخلد أحد من شراحهم ، أو أتباعهم ، على ما سيتضح ذلك تماماً فيما يلى :

متابعة لموقف آباء الكنيسة

فبالاضافة الى من أسلفنا ذكرهم نجد أن عدداً من أبرز آباء الكنيسة اللاتينية وفلاسفتها قد اتجه ــ رغم كل المقاومة الضارية ــ الى اعتناق مبدأ العودة للتجسد ، ونذكر منهم بوجه خاص (بترتيب تاريخى) : ــ

ــ الأسقف سينوسيوس Syenésios الذى كان أسقفا لأبروشية البطالسة Ptolemais ببلاد اليونان ، وكان فيلسوفاً ، وخطيباً ، وشاعراً المعياً (ولد حوالى سنة ٣٧٠ وتوفى حوالى سنة ٤١٣) .

ــ سان جيروم St. Jerome وهو من ابرز آباء الكنيسة الغربية وهو الذى ترجم الأناجيل الى اللغة اللاتينية ، وله مؤلفات عديدة فى الدين ، والتاريخ الدينى والآداب (ولد حوالى سنة ٣٣١ وتوفى حوالى سنة ٤٢٠ وعيده السنوى فى ٣٠ سبتمبر) .

ــ سانت أوغسطين St. Augustin وهو أبرز فلاسفة الكنيسة اللاتينية قاطبة (٣٥٤ ــ ٤٣٠) وكان أسقفاً لأبروشية هيبون Hippone وينسب اليه صياغة العقيدة المسيحية فى صيغة فقه بمؤلفاته العديدة التى منها « مدينة الله » (١) ، و « الاعترافات » (٢) ، و « كتاب النعمة » (٣) . (عيده السنوى يوم ٢٨ أغسطس) .

ــ الراهب الفيلسوف سان بونافنتورا St. Bonaventura (١٢٢١ ــ ١٢٧٤) وهو صاحب كتاب « رحلة النفس الى الله » ويعتبره اتين جلسون مؤلف كتاب « روح الفلسفة فى العصر الوسيط » اكبر ممثلى التصوف العقلى الذين ينتمون الى ديوسان فكتور الأوغسطينى بباريس هو وتلميذه ريشار .

ــ سان فرانسوا الاسيسى St. Francois d'Assisses وهو

(١) La Cité de Dieu.
(٢) Les Confessions.
(٣) Le Traité de la grace

مؤسس نظام الفرنسيسكان (١٣٨٢ — ١٤٢٦ . عيده السنوى فى ٤ أكتوبر) .

— الفيلسوف الدينى الايطالى توماس كامبانيلا **Campanella** (١٥٦٨ — ١٦٣٩) المعروف بنضاله المرير ضد الفلسفة المدرسية (التى كانت تدرس فى المدارس فى القرون الوسطى) . ولعله من أوائل المنادين فى الغرب باتباع الأسلوب الوضعى فى تحقيق الأمور . وآراؤه مزيج من الفلسفة الوضعية ومن التصوف . وقد قاسى طويلاً من السجن والاضطهاد ولجأ الى فرنسا حيث مات فيها . واهم مؤلفاته « مدينة الشمس » (١) .

ويلى هؤلاء عدد آخر من آباء الكنيسة اللاتينية وأساقفتها منهم سان جريجوار St. Grègoire ، وسانت هيلاريوس St. Hilaire ، وسان مارتان St. Martin ، ونيموسيوس Nymesius ، وآخرون يضيق عنهم هذا المقام .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الأستاذ عبد العزيز جادو قائلاً :

« اذا تساءل القديس أوغسطين فى « اعترافاته » : « الم أولد فى جسد آخر ، او فى مكان آخر قبل دخولى فى رحم امى ؟ » ، واذا تساءل سانت اوريجين « ألم يكن طبقاً للسبب أو للمبرر فقط أن كل روح انما تدخل فى جسد لأسباب مؤكدة وغامضة ، ويكون دخولها هذا طبقاً لاستحقاقاتها وافعالها السابقة ؟ » ، فان القديس جيروم يميط اللثام عن ذلك بقوله ان عقيدة تعدد الحيوات كانت تدرس كسر من أسرار الدين الخفية يعرفه الانسان عن طريق الوحى وحده ، ولا يستطيع مع ذلك أن يفهمه فهماً كاملاً ...

ويقرر سان جريجوار : « انها ضرورة حتمية أن النفس يجب أن تعالج لتبرأ وتطهر . واذا لم يتم هذا فى أثناء حياتها على الأرض فلابد أن يتم فى حيوات قادمة » .

وكذلك كانت تعاليم القديس فرنسيس الأسيسى ، والقديس بونافنتورا ، وتوماس كامبانيلا ، رغم أنهم كان محظوراً عليهم الخوض فى هذا الموضوع — وكان ذلك فى القرن الخامس تقريباً — والا حكم عليهم بالنفى أو بالحرق احياء ! ! !

---

(١) للمزيد فى هذا الموضوع راجع : La Cité du Soleil. Reincarnation : A Study of Forgotten Truth 1904 p 232 - 237.

ولكن مع نمو الاستنارة والتثقيف وعودة العلم والمعرفة للحلول محل المخاوف السياسية — كما يذكرنا بذلك لوتوسلاوسكى فى كتابه « الوجود السبقى والعودة للتجسد » (١) بدا بعض رجال الاكليروس يعلن أن الاعتقاد بمذهب العـــودة للتجســد لا يخالف المذهب الكاثوليكى . وكان رئيس الأساقفة باسافللى Passvalli — الذى كان يعيش فى القرن الأخير — يقوم بتعليم هذه العقيدة علانية » (٢) .

عن موقف بعض المذاهب والنحل

وبوجه عام فقـد انتشرت عقيدة العودة للتجسـد انتشاراً محدوداً فى الغرب بسبب المقاومة الشـديدة التى لقيتها عند السـواد الأكبر من رجال الدين خصوصاً فى العصور الوسطى لكنها مع ذلك لقيت قبولاً عاماً عند طوائف دينية محدودة نذكر منها بوجه خاص : —

— طائفة الغنوطسية Gnostics وهى جماعات دينية فلسفية ظهرت فى القرنين الأول والثانى للميلاد ، ولها ميول صوفية . وكانت توفق بين الاعتقاد والفلسفة ، كما كانت ذات نزعة تحـاول التوفيق بين العقـائد المختلفة . وكان موطنها الأصلى بلاد الفرس وآسيا الصغرى .

— طائفة الالبيجيين Albigénses فى فرنسا وهى تنتمى تاريخياً الى الغنوطسية ، وتعرضت بسبب اعتقـادها هذا للاضطهاد الدينى فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر من الميلاد .

— وثمـة طوائف أخرى لا تزال تترقب عودة المسيح بالجســد ، لا بالروح فقط وهو اعتقاد يتعذر تفسيره الا على أساس تقبُّل العودة للتجسد كمبدأ عام . وموقفهم يختلف عن موقف اليهود المعاصرين الذين لا يزالوا يترقبون قدومه لأنه لم يحضر بعد ، ويعتقدون أنه سيحضر فى صورة ملك أرضى سيجمع شملهم ويجعل منهم سادة لغيرهم من بنى البشر لمدى ألف عام !

— وكان البحاثة والمتصوف فرنسوا مركيرهيلمونت F.M.Helmont (١٦١٨ — ١٦٩٩ م) ينادى فى روما بوحـدة الوجود وبالعودة للتجسد كعقيدة صحيحة وسجن بسبب ذلك .

— وكان جون ويزلى John Wesley (١٧٠٣ — ١٧٩١) وهو مؤسس مذهب الميثوديزم Methodism يدافع عن العودة للتجسد بوصفها بديلاً صحيحا للاعتقاد فى المصير المفروض مقدماً على الانسان بلا خيار له فيه . وبعبارة أخرى انه يمكن تفسير الحياة الحاضرة لأى انسان بسلوكه

(١) Pre – Existence And Reincarnotion

(٢) من الأستاذ عبد العزيز جادو المرجع السابق ص ٧٢ ، ٧٥ .

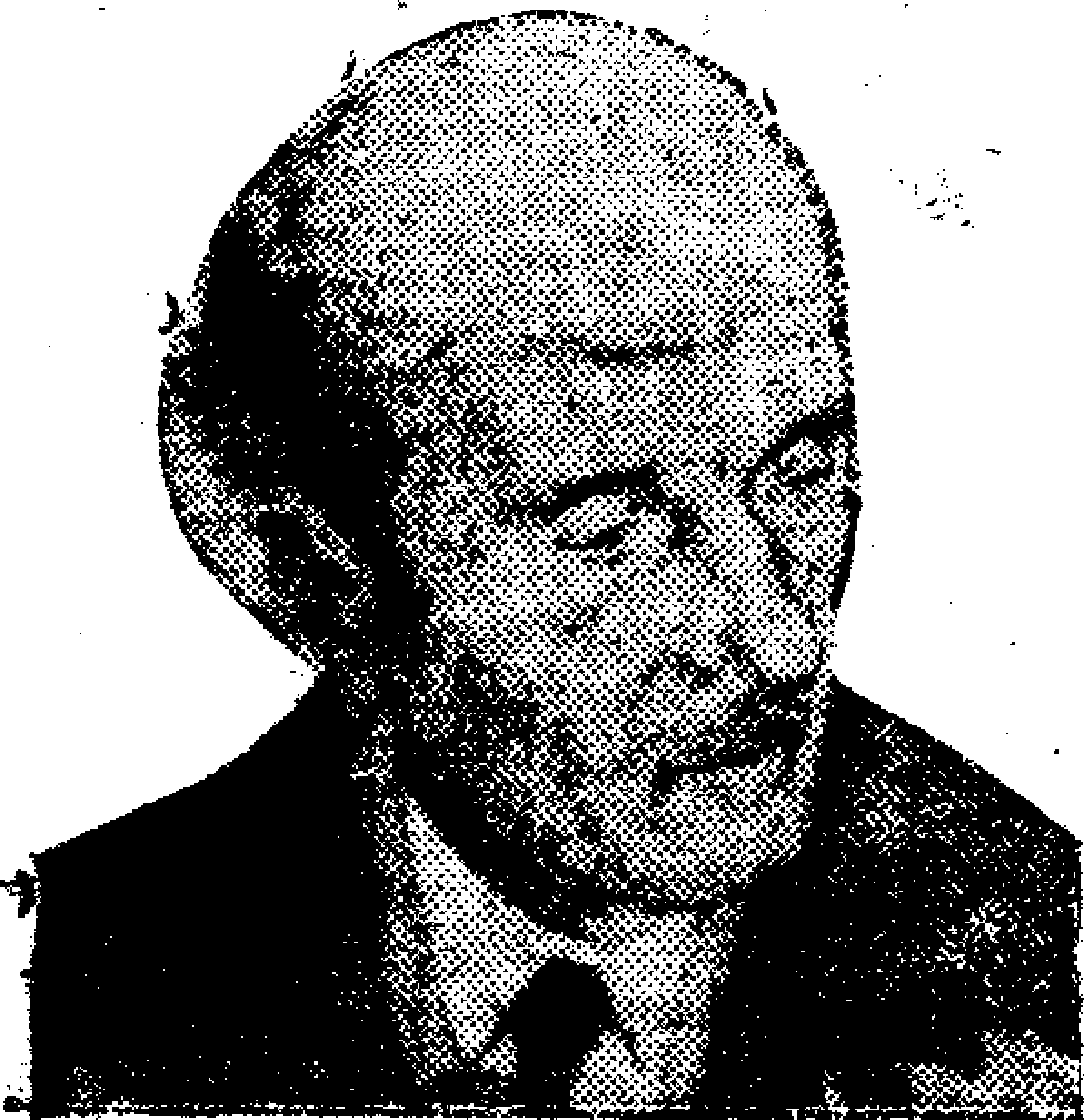
فى حياته الماضية ، وليس فحسب بالقدر المفروض عليه جزافاً ومقدماً ، والذى لا يمكن الافلات منه باى حال .

— وهـذا هو نفس النظر الذى تبناه ودافع عنه ميخائيل نعيمة ، وهو الى جانب كونه مفكراً من ابرز المفكرين المعاصرين ارثوذكسى عميق التدين . وكان ذلك بصدد تعليق له على قصة الانسان المولود أعمى ، الذى ابراه السيد المسيح من مرضه . وقد وردت هذه القصة فى انجيل يوحنا على النحو الآتى : « وفيما هو مجتاز راى انساناً اعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه قائلين يا معلم من اخطأ هـذا أم أبواه حتى ولد أعمى ، اجاب يسوع لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر اعمال الله فيه ... قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى الأعمى ، وقال له اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مرسل ، فمضى واغتسل وأتى بصيراً ... » وتنتهى تفصيلات القصة بقول يسوع : « لدينونة أتيت أنا الى هـذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون . فسمع هـذا الذين كانوا معه من الفرنسيين ، وقالوا العلنا نحن أيضاً عميان ، قال لهم يسوع لو كنتم عمياناً لما كانت لكم خطية ، ولكن الآن تقولون اننا نبصر فخطيتكم باقية » (أصحاح ٩) .

ماذا يقول م. نعيمة ؟

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ نعيمة : « جلى أن تلاميذ يسوع كانوا يعتقدون أوثق الاعتقاد ان العاهات والمصائب على انواعها ليست سوى قصاص عادل للذين تنزل بهم ، والذين يشاركونهم فيها الى حد كبير او صغير ، فهى حصادهم لما زرعوه ، انها نياتهم وأفكارهم وأعمالهم وقد ارتدت اليهم .

ولكن التلاميذ ارتبكوا أشد الارتباك عندما حاولوا أن يطبقوا قانون الزرع والحصاد على رجل ولد من بطن امه أعمى . اذ كيف كان لذلك الرجل أن « يزرع » أى البذور وهو ما يزال جنيناً فى الرحم ؟ واذا هو لم يزرع أى بذور تستوجب العمى وزرعها أبواه ، فأى العدل هو العدل الذى يقضى بأن يحصد الولد ما زرعه أبواه حتى قبل ولادته ؟ انه الظلم الذى ما بعده ظلم ان ياكل الآباء الحصرم فلا يضرسوا ويضرس الأبناء . وأى



م. نعيمة

الناس يطاوعه قلبه أو فكره ان يقول لطفل مولود اعمى : « تستأهل ! » ؟

فكرت فى هذه الأحجية ، وفكرت حتى كان ينفلق راسى ولم أهتـد الى جواب ، وبغتة خطر لى خاطر غريب . وهو أن تلاميذ المسيح لم يكونوا من البلاهة بحيث يعتقدون أن الجنين يمكن أن يخطىء وهو فى بطن أمه . فالخطأ هو تجاوز القاعدة ، أو القانون ، أو النظام سواء أكان التجاوز عن عمد أو عن غير عمد ، والجنين فى بطن امه لا يملك القدرة على مثل ذلك التجاوز فكيف يخطىء ؟

ولكن الرجل ولد أعمى ، والعمى كغيره من العاهات والمصائب لايمكن أن يكون غير نتيجة لتجاوز النظام الذى يقضى على كل انسان ان يحصـد ما زرع . العل التلاميذ عندما سألوا معلمهم ذلك السؤال كانوا يقصدون ان الرجل « أخطأ » قبل أن كان جنيناً فى بطن أمه . أى انه عاش ومات ثم عاد فولد ، وأنه تجاوز النظام فى حياته السابقة تجاوزاً استحق من اجله أن يعيش حياته الجديدة مكفوف البصر .

بلى بلى ، ذلك ما عناه تلاميذ يسوع بسؤالهم ، وذلك مافهمه معلمهم منهم ولولا أنه كان يعتقد اعتقادهم أن الناس يولدون ويموتون اكثر من مرة لأنبهم اقذع التأنيب فقال لهم : « يا مجانين ! كيف كان لهذا الرجل أن يخطىء وهـو جنين فى بطن أمه ؟ » . الا أنه لم يفعل شيئاً من ذلك واكتفى بجواب ينفى « الخطأ » عن الولد وأبويه ، ولكنه لا ينفى أن العمى هو قصاص تتجلى فيه « أعمال الله » ، أو مشيئته ، أو نظامه . ولا هو ينفى أن مثل ذلك القصاص يمكن أن ينزل بالذى ارتكب الخطأ مباشرة ، والذين لهم به صلات وثيقة ، فكأنهم شركاؤه فى الخطأ ، ولكن بدرجات متفاوتة . فنصيب الولد جاء أكبر من نصيب الوالدين ، وليس من المعقول أن يتساوى نصيب الولد ونصيب الوالد .

وهكذا يبدو أن « أعمـال الله » أو مشيئته ، أو نظامه ، هى التى قضت على الرجل أن يولد أعمى لأنه عمل أعمـالاً ، أو فكر أفكاراً ، أو نوى نيات ، أو اشتهى شهوات مغايرة للنظام . ومن الأكيد أنذلك لم يتأت له وهو جنين فى بطن امه ، اذاً متى وأين ، ان لم يكن فى حياته سابقة ؟ » .

ثم يستطرد قائلاً — على لسان احدى شخصيات كتابه عن « اليوم الأخير » وهو أستاذ الفلسفة « موسى العسكرى » — فيقول محللاً هـذا الاعتقاد من ناحية صلته بنواميس الحق والعدل كما تشعر بها البداهة ، قبل شروح الشارحين النظريين فى كل ارتجالهم :

« لو أن ملاكاً هبط من السماء قبـل دقائق ليقول لى ان النـاس يولدون ويموتون ، ثم يولدون ويموتون مراراً وتكراراً لشككت فى سـلامة

عقله ... أما الآن فانى اشك فى سلامة عقل كل انسان يقول غير هذا القول . ومن أعجب العجب أن يتولد عندى هذا الشعور — بل هذا اليقين في مثل رفة الجفن .

فكأن غشاوة كثيفة كانت على عينيَّ فانتزعتها يد خفية ، رفيقة ، ومزقتها ثم بعثرتها هباء فى الفضاء . أما كيف تولد عندى ذلك اليقين فى مثل هذه السرعة فأمر لا أملك الجواب عليه . ولا أنا أستطيع أن أسوق عنه الأدلة والبراهين القاطعة ، وكل ما يمكننى قوله هو أننى كنت فى فراغ هائل وفجأة نبتت لى هذه الفكرة فملأت الفراغ .

لا . ليست الفكرة بالجديدة علىَّ ، فقد قرأت عنها من زمان فى بعض دراساتى الفلسفية . وكأننى أذكر أن فيثاغورس كان من القائلين بها ، وأن فى الهند والصين وغيرهما من ديار الشرق الأقصى مئات الملايين من الذين تقوم تلك الفكرة بمثابة حجر الزاوية فى معتقداتهم الدينية والدنيوية . الا أنها لم تلقَ من جانبى أى استعداد لتقبلها اكثر مما تلقى حبة القمح أو قطرة الماء من جانب الصخرة الصلدة .

أما الآن ... فقد انقض علىَّ انقضاض الصاعقة ذلك السؤال الوارد فى الانجيل: « من أخطأ ، أهذا أم أبواه ؟ » وبمثل انقضاض الصاعقة جاءنى فى الجواب ، وهو وان اختلف فى الشكل عن الجواب الوارد فى الانجيل ليس يختلف عنه فى المعنى . والجواب هو أن الولد ووالديه تجاوزوا فى حياة سابقة « مشيئة الله » التى هى نظام حياتهم ، فكان الذى أصابهم جميعاً نتيجة حتمية لذلك التجاوز . لقد جلبوا البلية ، أو الوجع ، أو القصاص لأنفسهم بأنفسهم ، فالمسئولية هى مسئوليتهم أولاً وآخراً .

والناس قد يجلبون الأوجاع لأنفسهم بأعمال يعملونها ، أو افكار يفكرونها ، أو شهوات يشتهونها وهم يعرفون حق المعرفة أنها تجاوز على النظام واذ ذاك فأوجاعهم هى جواب النظام على تجاوزهم . وقد يتجاوز الناس النظام عن غير وعى أو عن جهلهم للنظام ، واذ ذاك فأوجاعهم هى المنبه لهم الى وجود النظام الذى عينه أبدا يقظى ، وميزانه لا يطرأ عليه أى خلل ، ولا هو يعرف المحاباة ...

ولعل الذى راقنى من هذه الفكرة فى الدرجة الأولى هو أنها تقضى على رهبة الموت فتجعل منه خادماً أميناً للحياة لا خصماً لدوداً لها . ثم أنها ترد الى « العدل » و « الحق » و « الحياة » معناها . فما يصيبنى من لذة وألم هو حصاد ما أزرعه فى هذه الحياة ، وما زرعته فى حيوات سابقة من بذور صالحة أو طالحة . وذلك هو العدل كل العدل : أن يكون ثوابى فى يدى ، وعقابى فى يدى . فلا أعاتب الله ، ولا الدهر ،

ولا الطبيعة ، ولا اى انسان فى ما يصيبنى من وجع . فأنا قضاء نفسى ، وأنا قدرها ، وأنا السبب الأول والأخير فى كل ما بينى وبين الناس من تفاوت فى الحظوظ .

كذلك هو الحق كل الحق أن تتهيأ لى الفرصة الكافية لدرس النظام وتطبيقه عن فهم وعن رضىً . وهل من يستطيع القول ان عمرا واحداً مهما طال هو فرصة كافية لدرس النظام وفهمه وتطبيقه ؟ فكيف بذلك العمر اذا هو لم يتجاوز بضع سنوات ، بل بضع ساعات ، بل بضع دقائق ؟

وكذلك هى الحياة التى مداها الزمان كله ، والتى تنتهى بنا الى معرفة النظام الذى منه كل شىء ، وفيه كل شىء ، والى اندماجنا فى ذلك النظام اندماج قطرة الماء فى الجدول ، والجدول فى النهر ، والنهر فى البحر ، والبحر فى المحيط . انها غير الحياة التى يترصدها الموت منذ ان تبصر النور فى المهد ، والى ان تلفها ظلمة اللحد . ومعناها ابعد من ان يعقله اى عقل أو يتخيله اى خيال . انها الأزل والأبد ، انها حياة الله .

وانى لأسأل بعد هذا : لماذا يصعب على الناس أن يتقبلوا فكرة تجدد الشخصية البشرية مرارا وتكرارا بعد الموت كيما تكتمل لها أسباب المعرفة والحرية والخلود ، ويهون عليهم أن يتقبلوا فكرة تجديد تلك الشخصية مرة واحدة يوم القيامة ، أو فكرة امحاقها بالموت امحاقا لاتجديد بعده ؟

أيهما اقرب الى منطق الحياة ، والى العدل والرأفة والمحبة ، أن يقول الله للانسان : « انى خلقتك لتمجدنى . وانى وان يكن الزمان كله فى قبضتى لم اعطك منه غير فسحة ادناها ساعة او بعض الساعة ، واقصاها قرن او بعض القرن . ثم اميتك واتركك ميتا حتى يوم القيامة . ويوم القيامة لا يعرف موعده غيرى ، فقد يأتى بعد الف عام ، وقد يأتى بعد الف الف عام . فى ذلك اليوم اعود فأجمع عظامك اينما كانت وكيفما تحولت ، فأكسوها باللحم ، وانفخ فيها الحياة فاردك بشراً سوياً ، ثم ادينك بما فعلته فى خلال عمرك على الارض فاذا رجحت كفة الصالح منه على الطالح اسكنتك الى الأبد جنات تجرى من تحتها الأنهار ، واذا رجحت كفة الطالح على الصالح زججتك الى الأبد فى نار لا ينطفىء لها أوار ، فلا لهيبها يخبو لحظة ، ولا انت تحترق فتصبح رمادا ؟

أو أن يخاطب الله الانسان هكذا : « صورة انت كصورتى ، ومثال كمثالى ، ولكنك لا تعرف نفسك ولا تعرفنى ، أما انا فاعرف نفسى واعرفك . لذلك خلقت لك الأرض والسموات وكل ما فيها لتكون لك منها

عدة تساعدك فى الوصول الى معرفة نفسك ومعرفتى . ومددت لك بساط الزمان كله لتتمكن من بلوغ تلك المعرفة .

ولأسهل عملك عليك فقد جعلت حياتك مراحل تتلو مراحل . فعمل وراحة ، وشبع وجوع ، ويقظة ونوم ، وطفولة وصبا ، وشباب وكهولة ، وشيخوخة ثم موت . وانى لأميتك واحييك ثم اميتك واحييك ، ثم أميتك واحييك الى أن تتم لك معرفة نفسك ومعرفتى ، فتغدو خارج نطاق الزمان والمكان ، وأبعد من متناول النمو والانحلال ، وفوق سلطان الخير والشر » ؟

اجل أيهما اقرب الى منطق العدل ، والحق ، والحياة : أن يخاطب الله الانسان بذلك الخطاب أم بهذا ؟

بهذا المنطق استطيع ان اتقبل كل ما جرى لى حتى اليوم مع نفسى ومع الناس . فلا اعجب لأننى كونت كما كوّنت ، وتدرجت فى حياتى ما تدرجت ، واتصلت من الناس بمن اتصلت ، وتزوجت بمن تزوجت ، ورزقت واياها الولد الذى رزقنا ... فجميع ذلك لم يكن غير حصادى لبذور زرعتها ، وغير دروس لى فى معرفة نفسى ، ولكنها دروس فاتنى من معانيها الشىء الكثير قبل أن أدركت اليوم ما أدركت » (١) ...

* * *

وهذا التحليل المنطقى المتماسك الذى ساقه نعيمة يقتضى ضرورة التعرض لدفع شبهة قد يستند اليها أحد أرباب الحرف وهى الاستناد الى نص طالما استند البعض اليه خطأ لتبرير مظالم الدنيا ومفارقاتها التى لا تعليل لها . وهذا النص ورد فى سفر الخروج (٢٠ : ٥) وهو كالآتى : « لأنى أنا الرب الهك ، اله غيور افتقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضى » .

وفى التعليق على هذا النص يلاحظ المؤلف جوفرى هدسون أن : « أولئك الذين يتمسكون بعقيدة العودة للتجسد يتحدثون أحيانا عن شخصيات الحيوات السابقة كآباء لمن جاءوا بعدهم ، فى نفس المعنى القائل ان الولد سر ابيه ، لا بمعنى أن الولد وهو ما يزال طفلا هو اب للرجل البالغ ، بل ان الولد هو الرجل فى الجرثومة . وبالمثل فان كل حياة هى ثمرة سابقتها ولا سيما بالنسبة للقوى الفطرية ، والخلال ، والمواهب الخاصة . فاذا ما فهمنا الأمر على هذا النحو كان المعنى صحيحا تماما .

---

(١) عن كتاب « اليوم الاخير » طبعة ١٩٦٦ ص ١٥٢ — ١٥٩ .

ومن الجهة الأخرى فانه اذا لم تكن هناك سوى حياة واحدة ، وكان الأبنـاء الذين ولدوا ليشقوا عن ذنوب آباءهم أرواحاً متباينة بالكليـة فاننا نعزو تشريعاً مضـحكاً وساخـراً الى الأب الـكلى ، ونرجّح كفـة الالحاد واللاأدرية . وقد قال الفيلسوف فرانسيس بيكون Francis Bacon (١٥٦١ — ١٦٢٦) فى هذا الصدد « أفضل لنـا الا نكوّن رأياً عن الله من أن نكوّن رأياً لا يليق به ، لأنه اذا كان الأول كفرا كان الثانى عاراً » .

وكيفما كانت الحال فاننا اذا نظرنا الى عبارة التـوراة فى ضـوء العـودة للتجسد ، وأن الانسان يحصد فى جسمه الحالى ثمرات ونتائج اقترفها هو نفسه فى أجسام ارتداها فى حيوات سابقة فان الكلمات المنسوبة لله تصبح بيـاناً عن العدل الالهى (١) » .

ويؤكد صحة ذلك التفسير الأخير دون الأول ما ورد فى سفر رومية من نص حاسـم صريح (١٤ : ١٢) : « فاذا كل واحـد منا سيعطى عن نفسه حسابا لله » . وما ورد فى سفر تثنية (٢٤ : ١٦) « ولا يُقتـل الآباء عن الأولاد ولا يُقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيئته يقتل » . وما ورد فى حزقيال (١٨ : ٢٠) « الابن لا يحمل من اثم الأب ، والأب لا يحمل من اثم الابن . بر البـار يكون عليه وشر الشرير عليـه يكون » . وما ورد فى سـفر التكوين (٩ : ٦) « وسافك دم الانسـان بالانسـان يسفك دمه » .

ولهـذه الاعتبارات كلها راح تلاميذ المسيح يسألونه : « هل هـذا أخطأ أم أبواه ؟ » . وسؤالهم عن خطيئة الابن المولود أعمى لا يكون له أى معنى — ما دام هو أعمى منذ مولده ولم يكن قد ارتكب أية خطيئة بعد — لو لم يكونوا يؤمنون بأنه عائد للتجسد من حياة سابقـة يحتمل أن يكون قد أخطأ فيها . فجاءهم الجواب « لا هـذا أخطأ ولا أبواه » أى لم يصدر أى خطأ من أحد فى حياته الراهنة .

اما عن أخطاء الحياة السابقة فقد تحاشى يسوع الاشارة اليها لأنه لم يتعود أن يدين انساناً ، بل كان كثير الرفق حتى بالأثمـة والخطـاة ، حريصاً على غفران خطاياهم وابراء ادوائهم ، وهذا هو جوهر رسالته ، ولذا عطف قلبـه الرحيم على ذلك المولود أعمى ، فأعاد اليه بصره .

---

(١) عن كتاب «العودة الى الحياة ، وهل هى حقيقة أم خيال» الترجمة العربية بمعرفة صديقنا الأستاذ زكى عوض المحامى ١٩٥٧ . ص ٢٥ ، ٦١ ، ٦٢ .

. وهكذا ترى أن عقيدة العودة للتجسد تفسر ما لا يملك أحد له تفسيراً منطقياً ملتئماً مع نواميس العدل والمحبة فى وقت واحد ، وبما ينفى شبهة التناقض بين النصوص ، حتى تلك النصوص الواردة فى عهد واحد ، او فى سفر واحد .

* * *

وعلى أية حال فان عقيدة العودة للتجسد وجهت أدب نعيمة ، كما وجهت أدباء عديدين وفلاسفة وشعراء كبار . وفى هذا الشأن يقول الأستاذ شفيع السيد فى دراسته عن ميخائيل نعيمة (١٩٧٢) : « انتهى نعيمة فى تفسير الحياة والوجود الى الايمان بفكرة « التناسخ »(١) ، فالانسان ينتقل من جسد الى جسد ، ومن حال الى حال عبر أجيال طويلة الى أن يتطهر من أدران المادة وشهوات الحس ، ويتحرر من كل العلائق الأرضية ، ويصل الى الحرية الكاملة ، والمعرفة الشاملة ، بحيث يتحد بالذات الكبرى التى لا وجود الا لها وفيها (مذهب وحدة الوجود أو ألوهية الكون Panthéisme) .

وقد اطمأن نعيمة الى هذه العقيدة ، وآمن بها منذ شبابه الباكر ، ورأى فيها حلا لكل المشكلات الروحية والعقيدية التى أرّقته حيناً من الزمن ... ونود أن نشير الى أنها كانت نقطة انطلاق فى تصوره لماهية الأدب وفهمه لطبيعته . ذلك أنه بحكم هذه العقيدة يرى أن الانسان يحتوى على بذرة الألوهية فى نفسه ، وأنه فى سعى دائب لاكتشاف ذاته والوقوف على حقيقتها التى هى حقيقة الوجود كله وجوهره الثابت الأصيل .

والانسان فى هذا السعى ما فتىء فى صراع مستمر مع الطبيعة من حوله بغية الوصول الى هذه المعرفة . وقد أدى هذا الصراع الى وجود الوان المعرفة المختلفة كعلوم الطبيعة ، والفلسفة ، والسياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والتاريخ ، والفنون ، وغيرها . فكل منها يجعل الانسان مناط بحثه ، ويحاول اكتشاف حقيقته . ولا يخرج الأدب عن هذا النطاق أيضاً ، فهو يتعلق بالانسان ويسعى الى معرفة ذاته ...

كذلك يرى أن رحابة الكيان الانسانى وحيويته وامتداد أطرافه ، وكثرة حاجاته وشواغله ، وتنوعها من عصر الى عصر ، ومن مكان لآخر

---

(١) تحدث نعيمة عن العودة للتجسد فى صورة آدمية ولم يتحدث مطلقاً عن « التناسخ » بمفهومه الأسطورى الذى يتقبل احتمال العودة فى صورة حيوان . لذا كنا نحب أن يكون المؤلف عن نعيمة أكثر دقة وتحفظاً فى التعبير عن وجهة نظره .

قد أدت الى امتداد مماثل فى ظلال الدوحة الأدبية حتى تغطى سائر أطراف الحياة الانسانية وتصور جميع تجاربها . ومن هنا نفهم السر فى تعدد المذاهب الأدبية ... ، كما نفهم السر فى تنوع الفنون الأدبية ... فكل مذهب من هذه المذاهب خرج الى الحياة نتيجة لظروف معينة ، واستجابة لعوامل متشابكة اجتماعية وسياسية وفكرية » (١) ...

ماذا يقول وذرهيد ؟

ويتحدث فى موضوع العودة للتجسد الدكتور وذرهيد Weatherhead وهو مفكر بريطانى معروف واسع الثقافة قائلا :

« اننى أفكر فيمن تدعى بتى سميث Betty Smith (وهو اسم رمزى) التى ولدت فى منزل ثراء ، تحيط بها جميع الفرص ، والتى تلقت تعليماً مثالياً ، والتى أحبت وتزوجت زواجاً كفل لها العيش فى نفس الترف ، والتى أنجبت ستة من البنين السعداء الأصحاء ، والتى أمضت أيام حياتها المتوسطة والأخيرة فى كامل الصحة والرفاهية .

وبعدئذ أفكر فى السيدة جين جونز Jane Jones (اسم رمزى بدوره) التى ولدت عمياء ، أو صماء ، أو عرجاء فى منزل فقير الى حد الجوع ، من أب سكير جعل من الحياة جحيماً للجميع . وجين عاجزة عن أن تفلت من هذه الحياة ، ولا يمكنها أبدا الزواج ، ولا مغادرة منزلها . فهى لا يمكن بالتالى أن تنعم بنفس مباهج بتى ، ثم تموت مبكرا من داء عياء .

قد يتصور البعض أن الأمور يمكن اصلاحها فى السماء . فهل يتعين عندئذ على بتى أن تعانى فى السماء لمجرد أنها كانت سعيدة على الأرض ؟ وماذا يعنى ذلك فى مفهوم العدالة ؟ انه لا يعنى شيئاً ، وقطعاً لن تستفيد جين شيئاً من معاناة بتى ، ولا هى بالحقودة ، ولا تريد أن تكون حقودة .

وهل يتعين مكافأة جين أو تعويضها ، ولكن أى تعويض يمكنه أن يصلح معاناة نصف قرن من التعاسة الأرضية ؟ اننا نسخر عندما نسمع أن شخصا حصل على تعويض نقدى فى مقابل وضعه خطأ فى السجن ، اذ كيف يتأتى للمال أن يعوض خيبة أمل العقل ، والسنين الضائعة ، وما لحق بأقاربه من تعاسة ومن بؤس ؟ ان هذه الأمور لا يمكن تعويضها فيما بعد .

---

(١) عن كتاب « ميخائيل نعيمة : منهجه فى النقد واتجاهه فى الأدب » ص ٥٨ــ٦٠ .

(٢) The Christian Agnostic (1965).

وذلك فى فصل عنوانه « العودة للتجسد والغرض المتجدد » .

اذا هل تعاسة الانسان محض حظ ؟ واذا كان الأمر كذلك فكم تكون الحيـاة باغيـة ؟ فهـل هـذه هى ارادة الله ؟ وعندئذ فان الله لا يشابه أى أب بشرى ، لأن الأب البشرى لا يمارس ارادته على هـذا النحو . . » .

لكن وذرهيد يعتقد مع ذلك أن المسيحية تمثل أسلوبا للفكر وللحياة، ونظاماً لاهوتياً ينبغى أن يلتئم تماماً مع الحجج المنطقيـة : « فاذا كنت تحب المسيح ، وتحـاول أن تتبعه ، فلتتخـذ خطـة الانسان المفـكر فى المعضلات العقلية ، بالأقل بالنسبة للوقت الحاضر ... ولابد أن المسيحية تحـوى طاقة عجيبـة بداخلها ، والا لكانت الكنائس تغلبت عليها منذ أمد طويل » ! !

ويواجه وذرهيد اعتراض أحـد رجال الدين وهو الدكتـور هويل Whale على عقيدة العودة للتجسد عندما قال الأخير : « ان وجودى السبقى المزعوم لا يمكن أن يكون له أى مغزى راهن بالنسـبة لى لأننى ممنوع من أن أتذكر أى شىء عنه » ، فيرد عليه قائلا : « لو أن مخـدرا أعطى للدكتور هويل لكى يمحو ذاكرة شبابه فان كل ذكريات الشـباب لا يمكن أن يصبح لهـا مغزى أدبى راهن بالنسبة له ! انه يتجاهل أن هذه الذكريات هى التى صاغته صياغة فعلية وشكلته على ما هو كائن الآن ، كما لو كان لا يزال يذكرها فعلا . والقـاضى لا يكون فى المعتاد مسـتعدا لاعفاء أى سجين من كل مسئولية أدبية حتى لو تأكد أن هذا السجين لم يعد بمقدوره أن يتذكر الآن شيئاً عن مسئوليته !

وما من واحد منا يمكنه أن يستعيد ذكريات أيامه الأولى على الأرض، ولكن أى عالم نفسانى بمقـدوره أن يؤكد أهميتها ، والأثر الذى أحدثته لدينا . وأحداث الطفولة هذه لم تحدث لانسان آخر غيرنا ، بل لقد حدثت لنـا ، ورغم أننا قد نسيناها الآن الا أنها قد وجهت العـديد من ردود فعلنا الحاضرة نحو الحياة . وطريقة السـلوك الشخصى للحياة فى سن البلوغ عبارة عن صيغة من ذاكرة مخزونة . فنحن لسنا بحاجة لأن نتذكر الانطباعات العقلية حتى نتأثر بها فى سلوكنا .

ان الانسـان المؤمن الذكى يؤمن بأن لله خطـة فى حياة كل رجـل وامرأة ، وأن تحقيق هذه الخطة يعنى أن مشيئة الله هى السائدة كما فى السماء كذلك على الأرض ، ولكن كيف يمكن تحقيق التقدم فى العـالم فى الأمور الداخلية — التى هى أخطر الأمور كلها — اذا كان ميلاد كل جيـل جديد يملأ العالم بنفوس ضعيفة يعوزها الرقى ، والتهذيب ، وتغـذيها الميول الحيوانية ؟ ان العـالم لا يمكن أبداً أن يتطور نحو الكمال ما لم يتمكن أولئـك المولودون فيه من الاستفادة من الدروس التى حصلوها فى حيواتهم السابقة بدلا من البـدأ من « الصفر » .

وفى الواقع ان عدد الموهوبين قليـل ، ومثله عدد القديسين . ولكن من الجائز أنه توجد ثمـة كواكب أخرى أكثر ملائمـة لهم من هذا الكوكب الأرضى كيما تكون لهم فصولا مدرسية . وبالتـالى فانه يتعين أن نتنازل عن الفكرة القائلة بأن عالمنـا هـذا هو الطريق الى المجتمع الكامل .

وهذه الأفكار تجعلنى أتفق مع المرحوم العميد انج Dean Inge ــ المفكر بلا أدنى ريب ــ عندما قال عن نظرية العودة للتجسد « اننى أجدها متصورة وجذابة فى وقت واحد » .

وان الانسان ليعجب لمـاذا تقبّل الناس بسرعة شديدة وعلى نطاق واسع فكرة وجود حياة بعد الموت ، لكنهم قاوموا فى الغرب فكرة وجـود حياة قبل الميلاد ، وذلك مع أن الحجج عن الخلود فى اتجاه واحد تبدو لى ملائمة أيضاً عن الحياة فى اتجاهين خارج الجسد الراهن » (١) .

وازاء هذه الاعتبارات العديدة التى أسلفتها ، والتى لهـا وجاهتها الواضحة ، أخذ يظهر تدريجيا عدد من رجال الدين المعاصرين الذين أعلنوا صراحة اقتناعهم بصحة العودة للتجسد كمبدأ سليم من الناحية الدينية : اذكر منهم الدكتـور بتلر Butler اسقف ديرهام Durham (ببريطانيا) ، والدكتور هنرى مور Henry Moore ، والدكتـور شيين Cheyne وغيرهم ، وعددهم آخـذ فى التزايد التدريجى ، خصوصاً بعد ذيوع نتائج التحقيقات المدققة الكثيرة والكشوف العلمية ، والتى أتت بنتائج ايجابية متدفقة لم تكن متوقعة فى كثير من الأحيان ، على ما سيرد فى الفصلين الثانى والثالث .

المبحث الثالث

عن « العـودة للتجسد » فى الاسـلام

بعض الآيات

فى القرآن الكريم توجد آيات عديدة كريمـة كلها تشـير الى امكان رجعة الروح هذه منها : ــ

ــ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (٢) . (لاحظ أن الموت هنا ورد قبل الحياة مرتين) .

---

(١) عن كتاب : Noel Langley : Edgar Cayce on Reincarnation 1967 p 275 - 278

(٢) سورة البقرة ٢٨ ، ٢٩ .

— قل الله يبرؤ الخلق ثم يعيده فأنّى تؤفكون (١) .

— خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى (٢) .

— وهو الذى أحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ان الانسان لكفور(٣) .

— يبرؤ الخلق ، ثم يعيده ، ثم اليه ترجعون (٤) .

— قالوا ربنا أمتّنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين ، فاعترفنا بذنوبنا ، فهل الى خروج من سبيل (٥) .

— وستردون الى عالم الغيب والشهادة (٦) .

— نحن قدّرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين (أى بعاجزين) على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون (٧) .

— يأيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك ، فسوّاك ، فعدلك فى أى صورة ما شاء ركّبك » (٨) .

فلاغرابة لذلك أن تجد أن عددا من شراح النصوص يؤيد نظرية رجعة الروح هذه تحت أوصاف شتى لعل أكثرها ذيوعاً هذا الوصف الخاطىء وهو « تناسخ الأرواح » الذى يعادل فى خطئه وصف « تحضير الأرواح » .

لذا ينبغى أن يقال « رجعة الروح » أو « عودتها الى الميلاد » كمقابل للتعبير الأجنبى Rebirth . لأن المقصود به هو مجرد دوام حياة الروح مع احتمال عودتها للتجسد كما سبق أن قلت ، حين أن وصف « التناسخ » قد يثير فى الذهن معنى مغايراً تماماً ، وهو أن الحياة اللاحقة للروح قد تنسخ حياتها السابقة، مع أن النسخ لامحل له فى نواميس الطبيعة التى لا تعرف الا الدوام مع التطور فى اتجاه أو فى آخر طبقا لمدى الاتساق الصحيح مع هذه النواميس البيولوجية والروحية ، التى تتحكم فى تطور الحياة بوجه عام .

ولكن من شراح النصوص من أنكر احتمال رجعة الروح وقاومه

---

(١) سورة يونس ٣٤ .

(٢) سورة طه ٥٥ .

(٣) سورة الحج .

ولاحظ أن الاشارة الى الموت وردت قبل الاشارة الى الحياة فى عدة مواضع .

(٤) سورة الروم ١١ وراجع ايضاً سورة العنكبوت ١٩ .

(٥) سورة غافر ١ ، ١١ .

(٦) سورة التوبة ١٠٥ .

ولاحظ كلمة « ستردون » وهى تشير الى سبق الوجود فى عالم الغيب والشهادة .

(٧) سورة الواقعة ٦٠ ، ٦١ .

(٨) سورة الانفطار ٥ ، ٦ .

تأسيساً على اقتناعه بأن الحياة التالية للموت هى الخلود رأساً فى النعيم أو فى الجحيم ، فلا محل فيها لعودة ثانية الى الأرض . وفاتهم أن تلك الحياة التالية قد تكون حياة برزخية ، أو « انتقالية » على النحو الذى فهمه الكثيرون من شراح هذه النصوص ، وقد تفتح هذه الحياة البرزخية بالتالى الباب واسعاً لجميع الاحتمالات ، بما فى ذلك « احتمال » رجعة الروح من جديد فى صورة آدمية وذلك لسرعة تطورها ولتحقيق أى هدف مما أسلفناه .

والحياة ذاتها ، وفى كل مكان وزمان ، ليست أكثر من تطور بطىء للروح المحدودة داخل الروح غير المحدودة ، وانتقال من حالة سابقة الى حالة لاحقة أتم منها أفضل. وهذه هى بعينها سنة النشوء والارتقاء التدريجى البطىء الذى لا يعرف الطفرة ، كما لا يعرف التطرف ازاء ارتباط النتائج بمقدماتها ارتباطاً محتوماً .

عن موقف الكندى

لذا نجد عددا من أبرز فلاسفة الاسلام والعرب الأوائل — شأنهم شأن فلاسفة المسيحية الأوائل — لم يفتهم الحديث عن موضوع « وجود سبقى » للروح قبل أن تولد على الأرض وهو اعتقاد يمثل عنصراً رئيسياً فى اعتقاد « العودة للتجسد » . ومنهم مثلا يعقوب بن اسحاق بن محمد ابن قيس الكندى (ولد فى أواخر القرن الثانى من الهجرة) ، وكان يحمل فى حياته لقب « فيلسوف العرب » .

« ويذهب الكندى الى أن نفس الانسان جوهر بسيط غير فانٍ ، هبط من عالم العقل الى عالم الحس ، ولكنه مزوَّد بذكريات من حياته السابقة . وهى لا يقر له قرار فى هذا العالم ، لأن له حاجات شتى تحول دونها الحوائل الكثيرة فيكون ذلك مثار شعور أليم ... ولا ديمومة الا فى عالم العقل ، فاذا أردنا أن تقر أعيننا بتحقيق ما نصبو اليه ، وألا يسلب منا ما هو حبيب الى نفوسنا وجب علينا أن نقبل على نعيم العقل الدائم ، وعلى تقوى الله ، وأن نعكف على طلب العلم وعلى صالح الأعمال » .

والأمر الهام كما ترى انه يتحدث عن « هبوط الانسان من عالم العقل الى عالم الحس ، وأنه مزوَّد بذكريات من حياته السابقة ... » وهذه هى نظرية العودة للميلاد كما فهمها بعض فلاسفة اليونان ثم العرب ،

---

(١) عن كتاب « تاريخ الفلسفة والاسلام » تأليف ج. دى بور ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٢٠ .

وراجع ما سبق فى الجزء الأول عن آراء لفيف من فلاسفة المسلمين فى الخلود ص ٨٨ — ٩٥ والمراجع المشار اليها فيها .

قبل أن تداخلهـا الأساطير التى تسللت تدريجياً عندما اتصلت الفلسفة العربية بالفلسفة الهندية ، فعرفت باسم « تناسخ الأرواح » .

وأخذ بعض الشراح من شتى المذاهب يرددون فيما بعد هذا الوصف الخاطىء ، بل ويرددون أيضاً بحسن نية بعض الأساطير الهندية بوصفها عناصر ضرورية لا يمكن فصمها عن تلك النظرية ، التى عرفتها أيضـاً الفلسفة المصرية والاغريقية على ما وضحته فيما سبق ، لكن فى صـورة معتدلة جداً اذا ما قورنت ببعض الأساطير التى جاءت من الشرق الأقصى.

عن موقف السهروردى

وفى هـذا الشأن يقرر الدكتور محمد على أبو ريان أستاذ الفلسفة بجامعة الاسكندرية « تعرضت الأديان القديمة لمشكلة « التناسخ » (١) ، وآمن الهنود به ايماناً عميقا سيطر على حياتهم الدينية والعقلية ، ورتبوا له طقوسـاً وأدواراً وتأثر به الفرس والمصريون القـدماء ، وأهل بابل ، وعرف عن الفيثاغورية قبول التناسخ .

ويرجع انتشار الاعتقاد بالتناسخ فى العالم اليونانى القديم الى النزعة الأورفيـة التى كانت تمثـل الجـانب الخفى فى الحيـاة العقليـة عند اليونانيين ... واختلط هـذا الجانب الروحى بالتراث اليونانى وتكونت الثقافة الهللنية من هـذا الاختلاط ، وقـد عمل العرفانيون على ذيوع الاعتقاد بالتناسخ فى حقـل انتشـار الثقافة اليونانية فجاءت الأفلاطونية المحدثة وهى تؤمن بعقيدة التناسخ » .

ثم يعرض المؤلف لموقف الفيلسوف شـهاب الدين عمر بن محمـد السهروردى (٥٣٩ — ٦٣٢ هـ) من التناسخ قائلاً عنه انه « عرض له فى جميع كتبه الا أنه كان قلقـاً متردداً فى تقرير موقف ثابت له . فهـو يعرض للتناسخ عند أصحاب المذاهب المختلفة ، ويذكر أن التناسخ على أنواع : من انسان الى حيوان أو من انسان الى نبات أو الى جماد . وقد يكون التناسخ عكسياً من الحيوان الى الانسان أو قد يكون فى دائرة النوع الواحد، فمن بدن انسان الى بدن انسان آخر،أو من بدن فرس الى بدن فرس واحد (وهذا « التناسخ » فى دائرة النوع الواحد يبدو أنه أوثق التئاماً من غيره مع بعض المدارس العلميـة الحديثة ، وما عـداه تنكره جميع المدارس) .

---

(١) راجع ما سبق عن رأينا فى خطأ هذا التعبير .

ثم يذكر أن الشرقيين من حكمـاء الفرس والهند والصين واليونان كانوا على هذا الرأى ، ولكن أرسطو عارض قضية « التناسخ » وهاجمها مهاجمة عنيفة فى نقده لأفلاطون والفيثاغورية . وجاء الاسلاميون فأقرها كثرة منهم ، ودللوا على دعواهم بآيات قرآنية كقوله تعـالى : « كلمـا نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها » (١) ، وقوله تعالى « وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها » (٢) وقوله تعالى « لقـد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين » (٣) .

ثم يصل السهروردى بعد عرض الآراء المختلفة فى هذا الشأن الى القول بأنهم كلهم متفقون فى ضرورة خلاص النفوس الطاهرة من ظلمـات البـدن . « وصغى أكثر الحكماء الى هـذا ، الا أن الجميع متفقون على ضرورة خلاص الأنوار المدبرة الطاهرة الى عالم النور دون النقل ، لأنه انما كان للتطهير وقد حصل » .

ثم يقول السهروردى أيضاً « وطريق خلاص النفوس وتطهرها من آثار الجسـد يتعلق بهـذه المراتب تعلقاً أساسياً ، اذ أن هؤلاء الكاملين الذين مارسو الحكمتين العملية والعلمية يصلون الى عالم الأنوار المجردة ، أما هؤلاء المتوسطين فى مرتبة الكمال فانهم يرتقون الى عالم المثل المعلقة . ولا يجب أن نخلط بين هذه المثل والمثل الأفلاطونية . « والمعلقة قسمان : ظلمانية للأشقياء ومستنيرة للسعداء ، وفى المثل المعلقة تبقى نفوس الذين حق عليهم العذاب والذين كتب عليهم نسخ أبدانهم (لاحظ أن الحديث هو عن نسخ الأبدان لا الأرواح) هذا ان صحت قضية التناسخ » (٤) .

* * *

هذا هو كلام شهاب الدين السهروردى الذى كان شيخ الشيوخ فى بغـداد . ويقول فيه الدكتور محمد غلاب أستاذ الفلسفة بالجامعـة الأزهرية « كان السهروردى من طراز أبى حامد الغزالى فى حملته على الفلسفة الاغريقية ومناصرة الشريعـة الاسلامية عليها . ولهـذا كان من فصيلة عمه ... (أبو نجيب السهروردى : ٤٩١ — ٥٦٤ هـ وكان من أئمة المتصوفين أيضاً) .

وللقـوى الانسانية عند شهاب الدين السهروردى ثلاث درجات :

---

(١) سورة النساء آية ٥٦ .

(٢) سورة السجدة آية ٢٠ .

(٣) سورة التين آية ٤ — ٥ .

(٤) عن كتاب « أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى » ١٩٦٩ ص ٣٥٥ — ٣٥٧ .

علياها الروح ، وهى متجهة الى العالم اللامحس ، ودنياها النفس وهى متجهة الى العالم المحس ، وبينهما القلب وهو صالح للاتجاهين : الأعلى والأدنى ، فقبـل أن يتم نوره يكون اتجـاهه موزعاً بين القوتين العليـا والدنيا ، لكنه عندما تتم انارته يتجه بكليته الى الروح فيتصل بالعـالم الروحانى ، وفى هـذه الحالة تنجذب النفس الى القلب ، وعلامة اتجاه النفس الى القلب هى احساسها بالهدوء ...

ومما أثر عنه قوله : « ان من فضـائل الصوفية أن يكون الانسان رحيماً ، وأن يصـفح ويحسن الى من أساء اليه » . وقوله : « لو أحب الناس بعضهم بعضـاً وقـدّروا ما فى الاحسان من خـير لاستغنوا عن العدالة ، اذ العدالة أدنى مرتبة من الرحمة ، ولا تستعمل الأولى الا عند غيبة الثانية ، وأن من ينفذ أوامر الرحمة أسمى ممن ينفذ أوامر القانون ، لأن اطاعة القانون خارجية ، أما اطاعة الرحمة فهى داخلية » (١) .

عن موقف بعض المذاهب والنحل

وممن أيد قضية التناسخ من المسلمين القرامطة فى العراق والشـام واليمن . ومنهم أيضاً عبد الكريم بن أبى العوجاء المتوفى عام ٧٧٢ م والذين يدورون فى فلكه ...

« ويعتبر أحمـد بن خابط المتوفى عام ٢٣٢ هـ ٨٤٦ م زعيم هؤلاء التناسخيين وكان يقول ان الله تعالى خلق الخلق فى أبدان صحيحة وعقول سليمة فى دار نعيم ليست هى الدنيا ، وخلق فيها معرفته والعلم به وأسبغ عليهم فى هذه الدار نعمه . فمن أطاعه فى كل ما أمر به من التكليف أقره ومن عصاه أخرجه منها الى النار وهى دار العذاب الدائم .

أما من أطاعه فى بعض ما أمر به وعصـاه فى البعض الآخـر فانه يخرجه الى الدنيا ويلبسه فيها بعض هذه الأجسام التى هى قوالب كثيفة للروح ويبتاينه بالشدة والألم لبعض عصيانه ، أو الراحة والمتعة لبعض طاعته عن طريق التجسد فى صور مختلفة من صور الناس والحيوانات على اختلاف أنواعها ، وبالقدر الذى كانت عليه معصيته فى دار النعيم الأولى ، فمن كانت معاصيه أقل وطاعاته أكثر كانت صورته فى الدنيا أحسن ، ومن كانت طاعته أقل ومعاصيه أكثر صـار قالبه فى الدنيـا أقبح . ولا تزال الروح فى هـذه الدنيا تتنقل فى قوالب وصـور مختلفة ما دامت الطاعة مشوبة بالذنوب ... » (٢) .

---

(١) عن كتاب « التصوف المقارن » للدكتور محمد غلاب ١٩٥٨ ص ٦٢ — ٦٤ .

(٢) عن « تناسخ الأرواح » المرجع السابق ص ٣٧ .

« وكان اليهود يقولون برجعة الروح لبعض الناس بعد الموت فيعودون بنفس أجسادهم الى الحياة . وعندهم الكاهن عزرا أو عزير كاتب شريعة موسى الذى عاد الى الحياة بعد موته بمائة عام . وكذلك هارون أخو موسى فقد آمنوا برجعته واستئنافه الحياة من جديد . وقد ناسبت هذه الفكرة بعض فرق الشيعة فقالوا برجعة على بن أبى طالب رحمه الله .

وكان عبد الله بن سبأ يردد القول برجعة النبى محمد (ص) استناداً منه الى الآية الكريمة ٨٥ من سورة القصص ونصها : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » . ويقول الدكتور حسن ابراهيم حسن ان مذهب « تناسخ الأرواح » وهو خروج الروح من جسد وحلولها فى جسد آخر نشأ فى الاسلام من فكرة الرجعة هذه (١) .

ولا ريب أن عقيدة رجعة نفس الروح الى التجسد Reincarnation الأرضى عن طريق الولادة فى العالم المادى من جديد تحت اسم آخر جديد تختلف من نواح كثيرة عن عقيدة خروج الروح من جسد وحلولها فوراً فى جسد مولود حديث ، كما تختلف تماماً من باب أولى عن تقمص الأرواح الآدمية لأجساد حيوانية أو نباتية . فلا ينبغى الخلط ، أو التعميم المتعجل الخاطىء . كما لا ينبغى التعويل كثيراً على الآراء الشائعة ، أو على أقوال الرواة فليس هذا من الأسلوب العلمى فى شىء .

ماذا يقول ابن الخطيب ؟

وقد تعرض المفسر المعروف محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب لهذا الموضوع بمناسبة شرحه للآيتين الكريمتين « نحن قدرنا بينكم الموت ، وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون » (٦٠ ، ٩١ من سورة الواقعة) .

يقول ابن الخطيب : « وما نحن بمسبوقين » أى بعاجزين على أن نبدل أمثالكم ، أى نخلق غيركم من جنسكم بعد مهلككم . وننشئكم أى نشأة أخرى . « فيما لا تعلمون » أى خلق شئنا ، وأية نشأة أردنا .

ثم يقول : يؤخذ من هذه الآية أن الانسان قد يخلق بعد موته فى خلق أدنأ من خلقته ، وأحط من طبيعته تأديباً له وتعذيباً ، كما أنه يجوز أن يخلق فى خلق أعلا من خلقه وأشرف من جنسه تعظيماً له وتكريماً . وهذا

---

(١) عن المرجع السابق ص ٤١ وهو يحيل القارىء الى كتاب « أديان الهند الكبرى » ص ٦٤ ، و « الدولة الفاطميه » للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٨ .

القول يعارضه الأكثرون تحرزاً من القول بتناسخ الأرواح » (١) ...

وواضح أن ابن الخطيب يشير الى معارضة الأكثرين للقول بتناسخ الأرواح ، بمفهوم احتمال عودة روح الانسان فى جسد حيوان بين احتمالاتها الأخرى . فاذا نفينا هذا المفهوم ، وعلى النفى أجمع بحاث الروحية كلهم ، فلا يتبقى سوى احتمال عودة الانسان للتجسد فى صورة انسان جديد ، وهذا مفهوم مختلف عن ذلك تماماً ، ويلتئم تماماً مع صريح نص هذه الآية ، وغيرها من الآيات العديدة التى أوردناها فيما سبق .

كما يلتئم مع احتمال عودة الانسان ـ نفسه ـ فى مستوى أعلى أو أدنى اجتماعياً من مستواه السابق ، طبقاً لسلوكه ، ولاستحقاقه ، ولدواعى تطوره وارتقائه ، وكل ذلك يدخل فى قدرة الله تعالى التى لا يحدها قيد ولا حد اذا ما أرادت أن تبدّل « أمثالكم وتنشئكم فيما لا تعلمون » .

ماذا يقول الدكتور نوفل ؟

ويتحدث أيضاً الدكتور عبد الرزاق نوفل ـ وكيل وزارة التجارة الخارجية ، وهو بحاثة معروف وعضو مبرز فى المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ومقرر « لجنة التعريف بالاسلام » بهذا المجلس ـ عن هذه العقيدة من الناحية الدينية فيقول « وتفيد آيات القرآن الكريم وجود خلق أكثر من مرة للانسان مما يؤكد ويساند هذا الرأى . وذلك فى مثل النص الشريف « وهو خلقكم أول مرة » (٢) . فذكر القرآن الكريم للخلق أول مرة انما يفيد وجود أكثر من خلق . وهذا الخلق الآخر المقصود غير قيام الناس يوم القيامة ، اذ أن القرآن الكريم لم يطلق على قيام القيامة الخلق وانما أطلق عليه البعث ...

وفى نفس المعنى وتوضيحاً له نجد أن هناك آيات كريمة قد أوردت اعادة الخلق ، مما يؤكد وجود أكثر من خلق ، وذلك بمثل النص الشريف « قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون » (٣) . وهذا النص يشير علاوة على زيادة الخلق عن مرة الى أهمية الخلق الأول الذى بدأ به الخلق ، كما أن آيات الخلق الأول ثم اعادته أوردت بعد عمليات الخلق الرجوع الى الله ، وذلك فى مثل النص الكريم « الله يبرأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون » (٤) .

---

(١) عن « أوضح التفاسير » لابن الخطيب ص ٦٦٣ .

(٢) آية ٢١ سورة فصلت .

(٣) آية ٣٤ سورة يونس .

(٤) آية ١١ سورة الروم .

خلق في البداية ، ثم اعادة للخلق ، ثم الرجوع الى الله . ورجوع لفظ لا يحتاج الى تفسير أو بيان ، فالرجـوع معناه العودة . حيث كان الانسان مرة . فكأن الانســان كان عند الله سابقاً ثم خلق فى الحياة ، ثم سيرجع الى ما كان عنده ، وسيكون ذلك بعـد الحيـاة ثم الموت ، وذلك كما تنص الآية الشريفة « هو يحى ويميت واليه تُرجعون » (١) .

كما توجد آيات شريفة كثيرة قررت عودة الانسان الى عالم الغيب مما يؤكد وجود الانسان فى هذا العالم الغيبى ، ثم غادره وعليــه فسيعود اليه مرة أخرى . ورد الانسان الى جهة انما يفيد وجوده السابق فيها . وفى ذلك تقـول آيات القـرآن الكـريم « وستُردّون الى عـالم الغيب والشهادة » (٢) .

فلا شك اذاً فى أن الانسان كان فى عالم الغيب قبل عالم المشاهدة ، اى كان فى حياة سابقة لحياته الأرضية ، ولذلك نجـد أن القرآن الكريم قد قرر أن للانسان حياتين وموتتين بالنص الكريم « قالوا ربنا أمّتنا اثنتين واحييتنا اثنتين » (٣) . ويكون المعنى الواضح القريب للآية الشريفة وجود حياتين للانسان وموتيين كما يفيد النص . وليست مرتين بالعدد ، وبذلك فالآية أوردت وجود نوعين للحياة ونوعين للممات ولم تقصد مجرد العدد ، لذلك قالت « اثنتين » لتختلف عن « مرتين » التى تشير الى العدد ...

وبعد أن يستشهد المؤلف بآيات كريمة أخرى يقول « فدون أى بحث أو اجتهاد ، وبلا لبس أو غموض ، تقرر الآيات الشريفة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق جميعاً يوماً ما قبل مولدهم المعروف ، فأخذهم من ظهور آبائهم وأشهدهم على أنفسهم أنهم به يؤمنون ...

وهكذا تأكد الأمر ووضحت الحقيقة ، ولم يعـد هناك أى مجـال للبحث . فلقد كان للانسان حياة سابقة على حياة الأرض ، فكم يا ترى استمرت هذه الحياة ؟ وعلى أى شكل كانت ؟ وكيف كان يعيش الخلق ؟ وهل كانوا جميعاً فى وقت واحد ، أم تعاقبت الخلائق ؟ وكم ظل الانسان فى هذه الحياة ؟ لا شك أنها فترة طويلة اذ تعلم وشهد وأقر ثم رجع الى ظهر آبائه حتى يحين موعد مولده فى الحياة الدنيا ... » .

ثم يقول المؤلف « ان الآيات المنظورة التى نراها بأعيننا فى حياتنــا الدنيا موجودة وواضحة فى كل ما خلق الله ، ولا شــك أنها كذلك كانت

---

(١) آية ٥٦ سورة يونس .

(٢) آية ١٠٥ سورة التوبة .

(٣) آية ١١ سورة غافر .

الآيات المنظـورة التى رأيناها فى حياتنا الســابقة ، فان فى كل خلق الله آيات وآيات ...

فآيات الســماء والأرض كانت الآيات المنظــورة للخلق فى حياتهم السابقة ، وهى نفسها الآيات المنظورة لهم فى حياتهم الدنيا . كما أن خلق الانسان نفسه هو آية منظورة جلية وواضحة . وكما هى آية له فى حياته السابقة حيث خلق . فهى آية له فى حياته الدنيا لأنه خلق فيها أيضاً . وكذلك كل كائن حى يدب فى السماء أو الأرض انما هو آية منظورة يراها الانسان فى حياتيه السابقة والحالية ... » (١) .

ماذا يقول الأستاذ جادو ؟

ويضــع الأستاذ عبد العزيز جادو الأديب السكندرى المعــروف — وصاحب ورئيس تحرير مجلة « الشاطىء » الغراء (١٩٤٨ — ١٩٥٦) — كتاباً قيماً فى هذا الموضوع عنوانه « العودة للتجســد فى المفهوم العلمى الحديث » (١٩٧٤) وهو كتاب غنى بالأسانيد العلمية والدينية ، ومما ورد فيه من الناحية الدينية : « هناك فرق وطوائف وجماعات أخــرى كثيرة كانت تؤمن بمذهب العودة للتجسد منهــا : فرق المحمدية ، والعلبانية ، والمغيرية ، والقدرية ... ولقد ذكر ذلك جماعة من مصنفى كتبهم ، ومن حذاق مبرزيهم من فرق المحمــدية والعلبانية وغيرهم منهم اسحق بن محمد النخعى المعروف بالأحمر فى كتــابه المعــروف بكتــاب « الصراط » (٢) .


عبد العزيز جادو

ولعــل أول من نادى بهذه العقيدة بين المسلمين كما جاء فى مراجــع كثيرة أحمد بن خابط (٣) وكان ذلك قبل عام ٢٣٢ هـ (٨٥٩ — ٨٤٧ م) ، فكان يقول بمبدأ الكرور ، أى « تناسخ » الأرواح التى ابتدعتها النفس الكلية فى صــور تزداد حسناً أو قبحاً بمقدار الفضائل التى اكتسبتها فى

---

(١) عن كتاب « أسرار وعجب » ص ١٨ — ٢٥ .

(٢) يحيل المؤلف القارىء إلى كتاب « مروج الذهب » للمسعودى . جزء أول تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٣) وهو متكلم يسلك فى زمرة المعتزلة كان تلميذ النظام وشيخاً للفضل الحدثى .

تجسدها الأول . وهذه النظرية تقتضي وجود خمس مراحل : دار عذاب وهى النار ، ودار ابتلاء وامتحان وهى دار الدنيا ، وداربن للجزاء النسبى ، ثم أخيراً دار النعيم التى خلق الخلق فيها ...

ولقد جاء بعد ذلك كثيرون ممن كانوا يؤيدون العودة للتجسد نذكر منهم : ابن باقوس ، وجعفر القاضى ، وأبو مسلم الخرسانى ، ومحمد بن زكريا الرازى الطبيب ، والحسين بن منصور المعروف بالحلاج ، ومحيى الدين بن عربى ، والسهروردى ، وأصحاب أبى يعقوب المزايلى ، وأبى جعفر محمد بن على الشلفانى المعروف بابن أبى الفرائز وغيرهم ممن يستندون الى قوله تعالى : « يأيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك » . وقوله تعالى : « جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرأكم فيه » (١) .

وبعد أن يستشهد المؤلف بالعديد من الآيات الكريمة التى أسلفناها يقول : « تظهر الروح لكى تؤدى — وفقاً لعرف معين — عملية التطور التى هى أصلاً سبب الوجود . ولهذا التطور حاسة غائية فذة هى التطور الأخلاقى . ونظراً الى أنه ليس فى الامكان ادراك هذا التطور خلال حياة واحدة مفردة بمقتضى قانون طبيعى ، فمن الضرورى أن تؤديها على مراحل او أطوار على قدر ما هنالك من ضرورة ، حتى تضىء الحقيقة الالهية بكل فخامتها وأبهتها ، وبكل اشراقاتها السرمدية ...

ثم يقول «وهكذا يتم توزيع العدل الالهى بالتساوى على كل المخلوقات وعلى جميع الكائنات . وثمة تعبيران جميلان يترجمان قلب القانون ولبه : وهما المحبة والحكمة . الأول يهدى الى الصلاح ، والتقوى ، والكمال ، والطيبة ، والثانى يقود الى التعلم ، والمعرفة ، والخبرة ، والتجربة . وهذه الأهداف التى هى القوة المنظمة والوجهة الصحيحة للعدل الالهى بمعنى آخر هى الهدف الموضوعى للوجود ، والسبب الفعلى للحياة كبوتقة فيها اختبار قاس للنفوس فى التطور ، وصورة المطلق أو الحقيقة المطلقة تتطلب العمل والتنسك والفهم . والفهم الروحى انما هو بالانتصار ، وبالأشياء المكتسبة ، وبالتحصيل . ولتم هذا عن طريق مرات عديدة من رجعة الروح للبحث عن قدرها فاذا وصلت الى هذا الوقت ، فان الحاجة أو الرغبة الملحة لعودة التجسد ستختفى من سبيل الروح المتطورة »(٢)...

ثم يضيف قائلاً : « ولقد عملت الجماعات الصوفية جهدها للتمييز بين العودة للتجسد Reincarration والرجعية Transmigration وتعدد

---

(١) عن كتاب « مروج الذهب » للمسعودى جـ ١ ص ٣٨٤ .

(٢) عن « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » المرجع السابق ص ٦٤،٦٥ .

الحيوات أو التجسدات المتكررة Métempsychosis اذ أن الأمر كان ملتبساً بينها سواء فى الشرق أم فى الغرب .

والمبدأ المقرر بأن الروح التى كانت تعيش من قبل فى صورة بشرية لا يمكن أبداً أن تعاد ولادتها فى جسد مادى لحيوان اذ أن المخلوقات الآدمية التى لم يتم نضجها وارتقاؤها ربما تسلك سلوكاً بهيمياً أو تتصرف بكيفية وحشية — واضح وصريح » .

كما يقول أيضاً : « وفى العصر العباسى حين التقت الثقافتان الهندية والعربية اعتنق بعض الفرق الاسلامية هذه العقيدة مثل : البيانية ، والخباحية ، والخطابية ، والراوندية ، والقدرية ، والنظامية (١) . ويرى البيرونى أن بعض المتصوفين المسلمين ذهب الى هذه العقيدة فى بعض معتقداتهم .

وفى كتاب « الزهر » أو كتاب « النور » (٢) نقرأ : « أن الأرواح كلها خاضعة لتجربة الرجعة ، اذ أن الروح يجب أن تدخل مرة أخرى فى الجوهر المطلق الذى منه انبثقت . ولكن لكى تتم هذه الغاية وتكمل ، يجب عليها أن تنمى جميع الكمالات وتحسنها ... أى أن الجرثومة أو النطفة التى زرعت فيها ينبغى أن تبلغ أعلى درجات الكمال . واذا هى لم تحقق هذه الحالة فى خلال حياة واحدة ، وجب عليها أن تبدأ من جديد فى حياة ثانية ، وثالثة ، وهكذا الى أن تنال الحالة أو الدرجة التى تناسبها للوصول أو التوصل الى رحاب الله » ...

ويمكن أن يقال نفس الشىء فيما يتعلق بتعاليم « الكارما » أو القانون الأخلاقى الخاص بالسبب والنتيجة ، أو العلة والمعلول . وفى الكتب المقدسة اشارات كثيرة تشير الى هذا المعنى . ففى القرآن الكريم كثيراً جداً من الآيات البينات التى نفهم منها ما يعنيه هذا القانون :

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، ثم الى ربكم ترجعون » (٣) .

« من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » (٤) .

---

(١) يحيل المؤلف القاروىء الى كتاب « عن الفرق بين الفرق » للبغدادى ص ٦٥٣ .

(٢) وهو كتاب يحتوى على الفلسفة القبلانية .

(٣) سورة الجاثية آية ١٥ .

(٤) سورة فصلت آية ٤٦ .

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره »(١) .

« وليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط » (٢) .

* * *

ويخلص الأستاذ جادو الى النتيجة الهامة الآتية وهى أننا « ليس لنا أن ننسى أن الاسلام ، دين المسلمين فى بقاع الأرض من المشرق الى المغرب ، أقر هذه العقيدة ، كما أقرتها المسيحية ، واليهودية ، والبوذية ، والهندوكية . ولقد ذكرنا فى بعض فصول هذا الكتاب ، وبالأخص فى الفصل الأول منه كثيراً من الشواهد والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى يستدل منها على هذه الحقيقة . وهذا دليل واضح على أن عملية التطور من المادة الى الروح ، ومن النقص الى الكمال ، انما تتم عن طريق العودة للتجسد » ...

كما يخلص الى أن المقصود بالولادة الثانية ليس الرجوع الى هذه الأرض بأنفسنا الحالية ، فلا نتجسد ثانية كما كنا . وهذه الشخصية بمميزاتها الجسمية والنفسية والعقلية ، وبالاسم الذى أطلق عليها السلالة والعقيدة والجنس والنظرة الى الحياة لا تعود ثانية . وطبقاً للحكمة القديمة يطرح بالموت الجسم الوقتى الترابى ولا يبعث ثانية . ويحدث نفس هذا الأمر مع الجهازين النفسى والعقلى (٣) . وما ينظر اليه المرء هنا على الأرض على أنه روحه ليس فى حقيقة الأمر روحه الحقة ، بل ان هذه متميزة تماماً عن الجسم المادى ولو أنها تحتله . وهى لاتموت لأنها خالدة وأزلية بعكس الجسم ، فان مصيره الى الفناء لأنه فان بطبيعته ...

وطبقاً لعقيدة العودة للتجسد فان الذى يعود هو النفس الالهية أو النزيل الالهى بداخل الجسم لا الجسم الفانى أو الانسان الجثمانى بمشاعره وأفكاره العابرة . ولذا فاننا حينما يعترض على الولادة الجديدة بمقولة اننى « لست أرغب فى العودة » يجب أن نضع نصب أعيننا أننا لا يجوز لنا أن نخشى شيئاً ، فنحن كما نفهم أنفسنا عادة لا نرجع ، بل ان الذى يرجع الى التجسد هو الجوهر الكامن أو الروح بخلالها الفردية المكتسبة (٤) ...

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة يونس آية ٤ . وللمزيد راجع الأستاذ جادو المرجع السابق ص ٧١–٧٣ .

(٣) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « الموت وما بعده » Death & After تأليف أنى بيزانت Annie Bessant .

(٤) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « العودة للتجسد حقيقة أم خيال ؟ » تأليف جوفرى هدسن ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى .

فاذا كان الأمر كذلك ، واستطاعت الروح بعودتها الى هذا العالم المادى أن تمر خلال الدرجات المطلوبة . فقد يكون من الأفضل أن يطيل الله حياة الروح فى العالم المادي الى أن تحصل على الكمال وتنال بما تبتغى من النعم الالهية ، ولن يكون ضرورياً لها أن تذوق كأس الموت ، أو أن تحرز حياة ثانية على الأرض . ان العوالم الالهية مطلقة ، سرمدية ، لا نهاية لها ، والارتقاء لا تحده حدود ، ولا تقيد هذه الحياة الفانية بحدود ، والعوالم الروحية لا تحدها حدود هى الأخرى ولا تقيدها أية قيود (١) .

ماذا عن موقف الأستاذ الكيك ؟

وليس من المتوقع أن تمر عقيدة العودة للتجسد بدون أية مناهضة لها ، بل المتوقع هو العكس ، وقد ذكرت فيما سبق أن هذه العقيدة غريبة على أفئدة الكثيرين سواء فى الشرق الأدنى أم فى الغرب ، ومن بين الذين لم يتقبلوها فى بلادنا الأستاذ المحترم مصطفى الكيك ، الأمر الذى دفعه الى وضع كتاب عنوانه « تناسخ الأرواح » (١٩٧١) وهدفه الأساسى نقدها .

ومن حق الأستاذ الكيك أن ينقدها بكامل حريته ، وهذا النقد لا ينقص شيئاً من تقديرنا لما لمسناه من جهد طيب فى وضع كتابه هذا ، ولما لمسناه من توفيق ملحوظ فى وضع كتابه الآخر الذى عنوانه « بين عالمين : عالم المادة وعالم الروح » (١٩٦٥) .

ولكن ليسمح لنا الأستاذ المؤلف أن نوجه الى نقده الملحوظات الآتية وهى : ـ

أولا : انه من الواضح تماماً أنه ذو اعتقاد مسبّق بأن هذه العقيدة منافية للدين ، مع أن هذه المنافاة محض سراب ، كما بينا فى الصفحات السابقة ، والدليل القاطع أنه لم يقدم الينا فى كتابه أى تفسير مقنع للآيات الكريمة الكثيرة التى أشرنا اليها آنفاً ، والتى استشهد بها الأستاذان نوفل وجادو وغيرهما ، وهى واضحة وصريحة ، الا اذا تركنا المعنى الواضح ولجأنا الى أسلوب التكلف أو التعجل فى التفسير .

ثانياً : ان جميع الحجج التى ساقها حجج سلبية ، أو محايدة

---

(١) عن المؤلف « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » . المرجع السابق ص ٧٥ ، ٨٠ ـ ٨٣ .

وللأستاذ عبد العزيز جادو مؤلفات أخرى قيمة متنوعة فى النفس والروح والعقل منها : « الاحلام والرؤى » ، و « لكى تكون سعيداً » ، و « الطريق الى النجاح » ، و « نحو حياة مشرقة » ، و « الروح والخلود » ، و « العقل منبع الحكمة » (تحت الطبع) .

أو فى أحسن الفروض تعتمد على الاجتهاد النظرى ، فلم نلمس فى مؤلفه هذا حججاً ايجابية كفيلة بدحض الأسانيد الفلسفية والعلمية التى جاءت لكي تعزز هـذا الاعتقاد ، ولنسمّه مؤقتاً هـذا « الافتراض » باحتمال العـودة للتجسد فى صورة آدمية من جديد.

ثالثاً : انه اصر على ان يتحـدث عن عقيـدة العـودة للتجسـد أو « التناسخ » كما سماها كما لو كانت تتطلب بالضرورة عـودة الانسان للتجسد فى جسم جيوان ، مع أن هذا افتراض ، وذاك افتراض آخر ، ومن الممكن جدا ، بل من الواجب حتماً الآن ، الفصل بين الافتراضين ، وسنبين أسانيد ذلك تفصيلا فيما بعـد .

وسيعرف القارىء كيف أنه فى ضـوء التحقيقات المتواصـلة التى جاءت مؤيدة لهذه العقيدة أصبح يتعين الآن التمييز بين جانبها الصحيح ، وجانبها الأسـطورى ، وهو عودة الانسان للتجسـد فى جسم حيـوان ، أو « تناسخه » فى جسم حيوان . ولعل اصرار المؤلف على هذه التسمية هو الأمر الذى دفعه الى الاصرار على دمـج الافتراضين معا حتى يهـون عليه عبء الاعتراض والنقـد ، وحتى يرتدى اعتراضه ــ بعـد هـذا الادماج ــ قالبـاً سليما مقنعا من الناحيتين العلمية والفلسفية .

رابعاً : انه عند الـكلام فى الأسانيد « المعمليـة » التى جاءت مؤيدة لهـذه العقيدة تحاشى المؤلف اقواها واحدثها ، أو لعـله لم يطلع عليها بعد مع انه لو اطلع عليها لجاز أن يعيد النظر فى موقفه منها .

وعندما يناقش اى انسان أسانيـد عقيـدة غير راضٍ هو عنها من الواجب أن يتعرض لأقـوى أسانيدها ويدحضـها ، لا أن يتخير أوهاها وأضعفها ، واكثرها قبولا لأكثر من تأويل وتعليل .

خامساً : انه عند رفض عقيدة العـودة للتجسد فى صـورة انسان لا نجد انفسنا فحسب فى مواجهة الأسانيد العلمية الكثـيرة التى سنقدمها فيما بعد فاننا سنجد انفسنا فى مواجهة الغاز كثيرة فى الكون تظل بلا حل منها الغـاز العـدل الالهى ، والألم ، والشر ، وحـرية الاختيار ... بالاضافة الى الغاز العلم الخاصة بتفسير التطور ، والوراثة والحمـق ، واللاشعور ، والعبقرية ، والذاكرة ، والتـكوين الانسانى بوجه عام ... فان هذه المعضلات الفلسفية والعلمية ــ وغيرها كثير ــ تقبل الحـل فى ضوء عقيدة العودة للتجسـد ، ولا تقبل اى حـــل مقبـول بدونها ، على ما سيلاحظه القـارىء بنفسـه فيما بعد .

سادساً : ثم راح الأستاذ المؤلف يتحـدث طويلا فى نظريات كثـيرة

لا صلة لهـا بالعودة للتجسد ــ اثباتاً أو نفياً ــ مثـل نظـرية الحـاول بحسب فهم البراهمة لهـا فى ضـوء أساطير معينة ، ومثل تعليل الحروب والأوبئة والكوارث العـامة ، ومثل مصدر الصفات الحيوانية فى الانسان، والأطفال النوابغ ... لكى يعلل هذه الأمور كلها ببعض مصادرها الظاهرة التى لا ينازع أى انسان فى صحتها ، واجهد نفسه فى ذلك مع أن التساؤل المثـار هو : هل وجود هذه العوامل كلها ينفى احتمال العـودة للتجسد أو يتعارض معه ؟ هذا هو لب القضية ، وما عـداه خروج عن الموضـوع وتشتيت لعناصره بلا داع .

فمثلا هو يصر ــ من الناحية البيولوجية ــ على أن الانسان خاضـع للتطور فى المفهوم الداروني الذى يبدو أنه لاينازع فى صحته ، ويصر على أن الشخصية الانسانية « محصـلة التفاعل المستمر بين طبيعـة الانسان الموروثة وبين العوامل الاجتماعية والبيئية المختلفة » . ويتناول بالتالى اثر الوراثة ، والغدد الصماء ، والجهاز العصبى ، وأثر البيئة والثقافة فى شخصية الانسان (١) ... فهل نازعه أحد فى كل ذلك سواءً أكان مقتنعاً بنظرية العودة للتجسد أم غير مقتنع بهـا ؟ !

ان هذا كله مسلم به تماما ، وقد عالجتـه فى مؤلفى عن « مبادىء علم الاجرام » الذى هو فرع من « علم الانسان » أو « الانتروبولوجى »(٢) . ولكن السؤال الوحيد الذى يصح أن يثار هنا مما له اتصـال بموضوعنا هو : هل يصح أن نضيف الى كل تلك العـوامل مجتمعة ميراث الذات من نفسها أيضاً أم لا ؟ وحين يقـول المـاديون لا ، لأنهم لا يعترفون بحياة سابقة على الميـلاد المـادى ــ ولا لاحقـة له ــ يقـول سواد الروحيين نعم لأنهم لا يجدون مبررا لانكار هذه الحيـاة السابقة التى تفسر لهم أمورا عديدة أولهـا التفاوت الواضح فى المواهب والملكات بين شقيقين ــ أو حتى توامين ــ ولو اتحـدت بينهما عوامل الوراثة ، والبيئـة ، والثقافة ... أو تقاربت على نحو ما . اما الحديث عن الغـدد الصـماء ، وعن الجهاز العصبى فهو بدوره حديث خارج عن الموضوع تماماً خصوصاً متى سلمنا بأن الروح هى المهيمنة الفعلية على الغـدد والجهاز العصـبى ، وليست وظيفة لهما كما يقرر المذهب المـادى للوجود .

سابعاً : وعندما يتعرض المؤلف لتجارب « ارجاع الذاكـرة للوراء » فى التنـويم المغناطيسى يتجاهل اخطـرها ، واقواها دلالة مثـل تجارب

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥ — ٩٠ .

(٢) راجع منه بوجه خاص ص ١٨٦ — ١٩٨ ، ٢٣٦ — ٢٥٠ من الطبعة الثالثة١٩٧٢ — وهى صفحات وثيقة الصلة بهذا النقاش .

دى روشا وآخرين متعددين غيره لكى يقدم حالتين اثنتين ، ويحاول تعليلهما كالآتى : « ويحدث هذا الانفصال المؤقت فى حالة التنويم المغناطيسى كما يحدث فى حالة النوم العادى ، وبذلك يخلو الجسد الأرضى مما كان يشغله أثناء اليقظة ويكون فى هذه الحالة معرضاً لأى فضولى من الهائمين فى عالم الروح فيقتحمه كما تقتحم اللصوص المساكن الخالية من أهلها .

فاذا استطاع هذا الفضولى اقتحام الحدود التى تفصله عن العالم الأرضى فانه يحتل أجهزة الجسم الفارغ ويهيمن على النفس التى انفصلت عن هذا الجسم فيمنعها من أن تستعمل أجهزة الصوت فيه ويستأثر بها لنفسه فى كل ما يعن له أن يفضى به حينئذاك من حقائق أو أضاليل ، وعندما يفاجأ الناس بمثل هذه الظاهرة يظنون أنهم قد وقعوا على كشف علمى جليل كما حدث لمؤلف قصة روث سيمون »(١) .

وهذا التعليل بالهيمنة الروحية من كائن غير منظور على وسيط التنويم المغناطيسى كان نصب عين المختبرين عن طريق « ارجاع الذاكرة للوراء » ، وليس فيهم واحد كان مقتنعاً بمبدأ العودة للتجسد من قبل ، ولذا عمدوا — للتحقق من صحة الظاهرة — الى تكرار التنويم مع الوسيط أو الوسيطة الواحد الى حوالى خمسين وأحيانا ثمانين مرة ولمدى عدة سنوات فوجدوا أن تسلسل الذكريات المخبوءة فى اللاشعور نحو الماضى ظل مرتبا على نفس حاله تماما ، وأن تتابع التجسدات السابقة ظل محتفظاً بنفس ترتيبه بالضبط .

وهذا أمر من المحال حدوثه لو أن الوسيط ، وهو فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، كان خاضعاً لهيمنة روحية من كائن غير منظور ، أو من عدة كائنات غير منظورة ، لأنه من غير المتصور اطلاقاً عند الدارسين لظواهر الهيمنة الروحية أن تتتابع الهيمنات فى كل مرة بنفس الترتيب ، وعلى نفس النمط ، فى الاستيلاء على وعى الوسيط . ولنا عودة تفصيلية الى مناقشة هذه النقطة بعد عرض عدد كاف من الاختبارات بما يغنى عن المزيد هنا .

ثامناً : ولما كان عرض أسانيد احتمال العودة للتجسد هو موضوع بحثنا الحالى برمته فاننا لا نجد حاجة للوقوف طويلا عند مناقشة الأستاذ المحترم مصطفى الكيك فى كل اعتراضاته ، بل سندع لصفحات هذا البحث مؤونة هذه المناقشة التفصيلية بحجج ايجابية نرجو أن تلاقى ما هى جديرة به من تقدير .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ — ١١١ .

ولكن هذا لا يمنع من أن نقف هنا وقفة أخيرة عند حجة نظرية ساقها فى اعتراضاته عندما قال ان هذه العقيدة « لا تثير فى الانسان بالضرورة التحمس لممارسة الأعمال الصالحة ، وأداء الواجبات ، وتطهير النفس من الفساد والرغبات الشاذة المنحرفة . انها تضع أمام الناس فرصاً عديدة فى حيوات تالية لا عدد لها للاصلاح . وترتيباً على ذلك قد لا يرى الفرد بأساً عليه من أن ينطلق مع رغبات نفسه فيحققها سواء أكانت هذه الرغبات متفقة أم كانت غير متفقة مع المبادىء والقيم الخلقية فى المجتمع ، ومن أن يعيش حياته بالطول وبالعرض على أن يطهر نفسه بعد ذلك فى أية حياة تالية وأية دورة جديدة »(١) ...

وهذا القول مردود عليه بأن من أصول هذه العقيدة أن الانسان سيدفع الثمن كاملا عن كل غلطة تصدر منه ، أو زلة يقع فيها عن عمد أو اهمال ، لأن الجزاء من جنس العمل ، ولا يتصور أن يؤجل انسان عاقل توبته الى حياة أخرى اذا كان مهددا بأن يولد فيها بسبب سوء أفعاله ، أعمى ، أو أبتراً ، أو مشلولا ، أو ذليلا ... وهو يرى بنفسه فى أية ظروف رهيبة وتعيسة يولد الملايين فى هذه الحياة الدنيا ! ! فالانسان الذى يؤجل توبته الى حياة مقبلة له ، كالانسان الذى يؤجل توبته الى يوم لاحق ، كلاهما أحمق وسيدفع حتماً ثمن حماقته ، وسوء تقديره ان أصر على التمادى فى غيه ، وتجاهل عين الله التى لا تغفو ولا تنام حتى عن « خائنة الأعين وما تخفى الصدور » .

ثم فلأسائل المؤلف المحترم سؤالا بسيطاً ، وهو هل كان رفض هذا الاعتقاد سبباً حقيقياً فى دعم أسباب الفضيلة ودرء دوافع الرذيلة فى حياة السواد الأعظم من الناس ؟

وحياة الانسان فى كتاب الأبدية لا تساوى أكثر من مهلة يوم واحد فى كتاب حياته الأرضية ، سواء أسلمنا باحتمال تعدد فرص الحياة الأرضية ، أم أنكرنا صحة هذا الاحتمال . وبعبارة أخرى أن جميع قضايا الاعتقاد ، والثواب والعقاب ... تكون على هذا النحو محايدة تماماً فى شأن هذا الاحتمال الذى ينبغى أن يخضع فى اثباته أو فى نفيه ، لأساليب التحقيق العملى دون غيرها ، مع الركون المستمر الى التحليل المنطقى والرياضى بعد تجميع أكبر عدد ممكن من الوقائع التى من فصيلة واحدة ، أى بعد توسيع رقعة البحث الى أبعد مدى .

وهذا هو الأسلوب الذى تتبعه حالياً الجامعات والهيئات المعنية بالتحقيقات الروحية بوجه عام وبتحقيقات العودة للتجسد بوجه خاص .

---

(١) عن الأستاذ الكيك . المرجع السابق ص. ١٢٠ .

وهى بوجه عام تسير باضطراد فى اتجاه الاثبات لا النفى ، ولو اطلع المؤلف الفاضل على بعضها لوفّر على نفسه مشقة الاعتراض ، وعلى قرائه مشقة المتابعة ، وعلى قلمى الضعيف مشقة النقاش الموضوعى الذى أرجو ألا يضيق به صدره .

وعلى العموم فان لى عودة الى أهم القضايا المتصلة بهذا الموضوع ، الواحدة بعد الأخرى فأكتفى بهذا القدر الآن منعاً للتكرار ، وحفاظاً على التبويب الذى ارتبطت به فيما سبق .

المبحث الرابع

عن العودة للتجسد فى الديانات الافريقية

مما هو جدير بالذكر أن عقيدة العودة للتجسد شائعة حتى فى أديان افريقيا التقليدية . ومن ذلك شيوعها عند « الكالابارى » الذين يقول جاك مندلسون Jack Mendelson عنهم أنهم يمثلون تمثيلا صحيحاً غالبية سكان افريقيا الذين يقطنون جنوبى الصحراء الكبرى : « ويقسم اللاهوت « الكالابارى » العالم الى قسمين من الكائنات : «أوجو» (المادى أو الجسمانى) ثم «تيم» (الروحانى أو اللامادى) . فكل كائن له «أوجو» يمكن أن يراه الانسان العادى اذا كان فى مركز يسمح له بذلك ، لأن كل أوجو سواء أكان رجلا ، أم سمكة ، أم ثعباناً ، أم شجرة، أم حشائش ، أم أحجارا يشغل حيزاً محدداً فى الفضاء .

أما « تيم » من الناحية الأخرى فيمكن أن يراه الناس العاديون حينما يكونون صغارا جدا فقط قبل أن يطفىء فساد العالم المادى نور قلوبهم .

ويمكن استرداد هذه القدرة المفقودة ، ولكن لا يستردها الا المستعدون للخضوع لعلاج عشبى شديد يطلق عليه « تجلية العينين والأذنين » . وهكذا يجند المقدسون الذين لهم القدرة على التخاطر مع « تيم » ومعرفة ارادته .

ورغم أنهم يتكلمون عن « تيم » كأنما قد حضر الى مكان معين واستقر فيه ، فهم أيضاً يصفونه بأنه فى كل مكان كالنسيم . ويمكن لتيم أن يكون بغير أى مقابل جسدى فى عالم « أوجو » كما يحدث بالنسبة لآلهة القرية الأبطال أو أمواتها مثلا .

هؤلاء هم الذين لا تراهم . ولكل شىء فى «أوجو» ما يقابله فى «تيم» وحينما يفقد الانسان أو حيوان «تيم» فانه يموت ، وهذا يطبق على كل الأشياء فى العالم العادى ، حيوانية أو غير حيوانية ، بل حتى بالنسبة لفئة

معينة من الآلهــة المعروفة باســم « شعب المياه » ــ أن « تيم » يسيطر على أوجو كما يسيطر الربان على قارب الصيد ...

ويختلف « الكالاباری » فی تقـدير القوة النسـبية لبعض « تيم » ، ولكن هنالك عائلتين من الآلهـــة تحتم قواها ونفـوذها على الكل مراعاة احترامها . وأول طائفة هم الذين يطلق عليهم حكام الكيان والتقـــدم . ففى المبـدأ أسس الاله الأعظم قوتين لتعملا معا ، الأولى الانثى الاصلية وسماها « تامونو » ، والأخـرى الذكر الأصلى « ســو » . ومن تامونو جاءت الأرض ، وأعطى «سو» سلطة توجيه الأرض . وكل شيء فى العالم به جــزء من تامونو ، وسو . كما أن مجرى الحياة لكل قرية ، وكل كوخ، وكل فرد قد خُلق ، ومُسيَّر ، بواسطة «تامونو» و « سو » .

ان مصير الانسان ، كما يقـول الكالاباری ، هو « ما قاله قبـل أن يأتی » . ومرة ثانية يختلط الأمر على الانسان الغربی ، ولكن مغزى هذا المثل يمكن تفهمه بعد الشرح . فقبــل مولده يذهب « تيم » (الجســد الأثيرى للشــخص) الى تامونو ليقـول لهـا أى طـرق الحياة يختار . وتستمع « تامونو » الى هــذه الكلمات وتعتز بهـا . وتتجسد الكلمـات « ســو » أو مصير الانسان الذى حضر تيم قبله اليها ليتكلم . وترســل تامونو بعد ذلك « تيم » الانسان ليدلف الى الجســد الذى خلقته فی رحم الأم . وبذلك يكون منطقياً جدا القول بأن الشخص هو ما قاله قبــل أن يأتی »(١) .

ويشيع فی هذه القبائل أيضاً الاعتقاد بأن الأسلاف الموتى هم عبارة عن « تيم » الأشخاص المتوفين الذى انسلخ عن أجسادهم بالموت ليستمروا فی كينونتهم فی العــالم غير المــادى والاعتقاد بأن شخصياتهم وقيمهم تماثل تلك التى كانت لهم وهم أحياء . كما أن علاقات بعضــهم ببعض هی تماماً كعلاقة الأحياء فی الكالاباری ... وأى خــير أو شر قد يقع على العــائلة يفسر عادة بنشاط وتصرفات الموتى .

ومع هذا ليس الموتى أحياء ، بمعنى أنهم ليسوا أحياء بمفهومنا نحن عن الحيــاة . ان الموتى كائنون ، وبالتالى فهم ليسوا أمواتاً . هم كائنون ووجودهم يظهر نفسه للأحياء من نسلهم عن طريق قوى متذبذبة .. »(٢) .

هكذا يتضح تماماً أن العـــديد من اديان أفريقيا الوســطى يحوز

---

(١) عن كتاب « الاديان فی أفريقيا المعاصرة » تأليف جاك مندلسون ترجمة الأستاذ ابراهيم أسعد محمد ص ٤٥ ــ ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

معلومات صحيحة لا يستهان بها عن الملكات الوساطية ، والأجساد الأثيرية ، كما يعرف عقيدة دوام الحياة بعد الموت ، والوجود السبقى قبل الميلاد على الأرض ، وهى وثيقة صلة بعقيدة العودة للتجسد بحيث يتعذر الفصل بينهما . وشأن الافريقيين فى ذلك شأن غالبية سكان آسيا ، وان كانت فلسفة الوجود السبقى والعودة للتجسد فى الأديان الأسيوية أكثر وضوحا ، وترابطاً ، وأوثق اتصالا بمفاهيم أخلاقية نقية ، وبفلسفة متفوقة جدا على أديان أواسط افريقيا التى لا تزال تعيش على الفطرة ، فى مفاهيمها وطقوسها أيضاً .

كلمة لابد منها

وأحب أن أوجه نظر القارىء فى هذا المقام الى اعتبار أرجو أن يكون له وزنه ، وهو أننى ما وقفت حتى الآن طويلا عند موقف كافة العقائد الدينية من نظرية العودة للتجسد ، الا لأبين كيف أن كافة العقائد لاتعترض طريقها على أى وجه كان الاعتراض ، فلم يكن وقوفى بالمرة لأننى اقر وصاية الاعتقاد على العلم ، على أى وجه كانت الوصاية .

بل لقد كان الوقوف لاعتبار واحد : وهو أن أبين كيف أن الأصول الدينية بوجه عام تقف الى جانب هذا الاعتقاد ، ولا تقف الى جانب من قد يعترضون باسم العقائد بغير اطلاع كاف عليها وعلى الحقائق الهامة التى تكشّف عنها العلم . والتى تلعب — أو ينبغى أن تلعب — دورا أساسيا فى القاء أضواءها على مفاهيم العقائد ، وتبديد أخطاء بعض الشروح القديمة المرتجلة وما أكثرها فى كل اعتقاد ، وما أعظم رسوخها فى الأذهان ، ناهيك بأخطاء التزمت والغلو ، التى من شأنها أن تجنى على المفاهيم الصحيحة فى الاعتقاد والعلم أيضاً .

فالوصاية ينبغى أن تكون لمعطيات العلم الوضعى على « مفاهيم العقائد » ، لا « للمفاهيم العقيدية » أياً كان مصدرها أو نطاقها على معطيات العلم الثابتة . وهى بداهة لا تصبح « معطيات » ثابتة الا بعد أن تحظى بكل صور التحقيق والاختبار الممكنة ، والا بعد أن تجتازها بنجاح يرضى عنه أسلوب التحليل الناقد .

* * *

ولو اتبع المفكرون من شتى العقائد والمذاهب والنحل منهج البحث العلمى المحايد عن الحقائق لذابت تدريجياً أعتى عناصر سوء الفهم ، ومصادر الخلاف فى الرأى ، أو بالأقل لتراجعت كثيرا عما كانت عليه من

قبل . ولما وجدت كل عقيدة ، وكل نحلة أنها وحدها على صواب مطلق ، وأن من حقها أن ترمى غيرها بالهرطقة والالحاد كما حدث على مر العصور بين جميع العقائد بل بين أرباب العقيدة الواحدة ، أو المذهب المشترك .

وتكفير المخالفين فى الرأى أمر يسير ، لكن الوصول الى الحقيقة هو الأمر العسير ، لأن الحقيقة هى أثمن شىء فى الوجود ، ولا يمكن أن يصل الانسان اليها لمجرد ارتباطه مقدماً برأى ما ، وتكفيره لمن يخالفه فيه .
ولو صدقنا غلاة المعتقدين فى حكمهم على غيرهم بالكفر والالحاد لكان
الكفر هو الصفة المشتركة الوحيدة المميزة لجميع العقائد ومعتقديها ٥
منذ فجر التاريخ حتى الآن ، وحتى يرث الله الأرض وما عليها !!

أما فى اطار البحث الروحى فان كل الارتباطات المسبقة لا تقدم ولا تؤخر فى مصير الانسان . والكفر الحقيقى فيه هو التعالى على كل شىء حتى على محاولة فهم حقائق الحياة . وهو الأحقاد يطويها الانسان بين جنبيه ازاء كل مخالف فى الرأى . أو هو تكفير الآخرين لمجرد الخلاف فى الرأى ، مهما كان الخلاف يسيراً أو جسيما . فهذا هو الكفر الحقيقى بالله لأنه يتضمن مروقا صريحا على كل نواميس التواضع ، والوداعة ، والتسامح ، والجد فى البحث عن الحقائق ... التى هى كل شىء فى ارتقاء الانسان أو فى تخلفه ، وفى نجاته أو ضياعه ، وفى نجاح الحياة خلقياً واجتماعياً أو فى فشلها الذريع .

ثم ان النضال الجاد للوصول الى حقائق الحياة هو أنقى صور العبادة ، لأن الله هو أسمى حقائق الوجود ، ولا يمكن أن يخطو خطوة واحدة فى طريق الوصول الى الله الا من عرف أولا كيف يتجرد من الاعتداد المفرط بالرأى وبالذات ، ومن التصور الخاطىء بأنه قد ملك وحده الفهم الصحيح لله ولنواميسه التى أعيت ولا تزال تعيى كبار المفكرين والعلماء .

ولذا فانه اذا أثير أى نقاش هام بين رأيين متعارضين ، وكان كل منهما يعتمد على النصوص ، ولا شىء غير النصوص ، كما يحدث عادة بين أرباب المذاهب والنحل المختلفة حتى تلك التى تنتمى الى اعتقاد واحد ، فكيف يكون الترجيح بينهم ؟ ومن يملك سلطة الترجيح ، أو سلطة التوفيق ان كان ثمة محل للتوفيق ؟ هل هى المناقشات التى لا تنتهى أبدا ، أو تنتهى دائما من حيث بدأت وربما أشد عنفا وغثاثة مما بدأت ؟ أم هى معطيات العلم الثابتة التى لم تعد تحتمل بعد جدلا ولا نقاشا ؟

من البديهى أن تكون معطيات العلم الثابتة هى الحكم وهى الفيصل فى هذا النقاش ، ولا شىء غيرها ، عند من يناقشون للوصول الى الحقائق ، لا للمكابرة فيها . وعند من يبحثون عن الصواب بحثا جادا لا عند من

يبحثون عن اثبات وجودهم وقدراتهم « البلاغية » والدفاع عن آرائهم المسبقة بكل الأساليب مهما كان نوعها ، وأية كانت مراميها .

وأولئك الذين يبحثون عن الحقائق بحثاً جادا مخلصا — وهم بحمد الله كثيرون — سيتفهمون فيما أرى موقفي هذا ، وسيتجاوبون بسهولة مع وجهة نظري من امكان التوفيق — في أمور عديدة — بين العلم والعقائد من جانب ، وبين العديد من الأمور الخلافية بين شتى النحل والمذاهب من جانب آخر .

وهذا الأسلوب نفسه تبناه ودافع عنه الامام الغزالي عندما قرر في كتابه « تهافت الفلاسفة » أن الدين لا يحتج به على العلم ، بمعنى أن ما يقرره العلم لم يعد يجوز لأحد أن يكذبه بما يزعم وروده في الدين يقول: « من ظنّ أن ابطال شيء مما يقوله العلم هو دفاع عن الدين فقد جنى على الدين ... فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية حسابية لا يبقى معها ريبة ، فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها .. اذا قيل له أن هذا خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يسترب في الشرع .

وأعظم ما يفرح به الملاحدة — هكذا يقول الغزالي — هو أن يُصَرِّح ناصر الشرع بأن ما قد أثبتته البراهين العقلية العلمية هو على خلاف الشرع ، ما دام شرعا تتنافى أحكامه مع نتائج العلم » .

وقد رسم لنا الغزالي — كما يقول الدكتور زكي نجيب محمود — طريقاً للشك المنهجي لا نرى بعده شيئاً ننسبه الى ديكارت Descartes ولا ننسبه اليه ، وذلك حينما نادى الغزالي مثلما نادى ديكارت من بعده « بالشك في المعلومات التي سبق أن حصلناها عن طريق الحواس أو عن طريق العقل ، ثم البدء من أوليات يقينية تستمد يقينها من ادراكنا لها ادراكاً مباشرا ، ثم الانتهاء من تلك الأوليات اليقينية الى نتائج تلزم عنها فتكون في مثل يقينها .

يقول الغزالي في « المنقذ من الضلال » وهو بصدد تحليله لمعلوماته السابقة ، وذلك بعد أن استعرض معلوماته التي جاءته عن طريق الرواية والتقليد « فقلت في نفسي انما مطلوبي العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو ذلك الذي تنكشف فيه العلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن

يكون مقارناً لليقين مقارنة » (١) .

وهـــذا هو بعينــه أســلوب المدرســة التخييرية **Eclectique** للتوفيق بين القديم والجديد ، أو بين الاعتقاد والعلم ، ولها ما يقابلها فى كل فروع المعارف الانسانيــة ، وقد ادت ـ ولا تزال تؤدى ـ خدمات جليلة الى فلسفة القانون ، والى سياسات الشرائع المختلفــة ، كما أدت نفس الدور فى الحد من غلو الاعتقاد وفى نفس الوقت من اندفاعات كثيرة طالمــا حملت خطــأ لواء العلم والعـــرفان ، وما هى من العلم الصحيح فى شىء .

المبحث الخامس

موقف لفيف من أعلام الفلسفة والفكر من مشكلة « العودة للتجسد »

يعتقد بعض المؤلفين أن ذيوع الاعتقاد فى العودة للتجسد فى الغرب جاء نتيجة لانتشار الفلسفة الهندية هناك بعد الحرب العالميــة الأولى ، وتزايد الاهتمام بتلك الفلسفة . على أن هذا القول غير صحيح بالمرة ، لأن هذا الاعتقاد وجد صــدى قويا له ـ كما ســبق أن بينت ـ فى مؤلفــات لفيف من أبرز رجال اللاهوت فى الغرب ، وعلى رأسهم أبرزهم اطــلاقاً وهو سانت أوغسطين .

بعض الفلاسفة والمفكرين

كما وجد هذا الاعتقاد صدى أقوى من ذلك بكثــير فى آراء وكتابات لفيف ضخم من أبرز فلاسفة العصرين الوسيط والحديث ومفــكريهما وشعرائهما ، ممن يضيق المقــام عن ذكرهم كلهم ، وانما أكتفى بذكــر طائفة كافية من أبرزهم ، فمنهم بترتيب تاريخى : ـ

ـ روجر باكون Roger Bacon (١٢١٤ ـ ١٢٩١) .
ـ دانتى الاليجيرى Dante Alighieri (١٢٦٥ ـ ١٣٢١) .

---

(١) عن مؤلفه « المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى » ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

— جيوردانو برينو Giordano Biuno (١٥٤٨ — ١٦٠٠) .

— جاكوب بويهم Jacob Boehme (١٥٧٥ — ١٦٢٤) .

— رينيه ديكارت René Descartes (١٥٩٦ — ١٦٥٠) .

— باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (١٦٣٢ — ١٦٧٧) .

— توماس براون Thomas Brown ١٦٠٥ — ١٦٨٢) .

— ادوار يونج Edward Young (١٦٨١ — ١٧٦٥) .

— عمانوئيل سويدنبرج Emmanuel Swedenborg (١٦٨٨ — ١٧٧٢) .

— دافيد هيوم David Hume (١٧١١ — ١٧٧٦) .

— فرانسوا فولتير Francois Voltaire (١٦٩٤ — ١٧٧٨) .

— جوتهولد لسنج Gotthold Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) .

— بنجامين فرانكلين Benjamin Franklin (١٧٠٦ — ١٧٩٠) .

— سان مارتن Saint Martin (١٧٤٣ — ١٨٠٣) .

— جوهان هردر Johann Harder (١٧٤٤ — ١٨٠٣) .

— عمانوئيل كنط Emmanuel Kant ١٧٢٤ — ١٨٠٤) .

— جوهان شيللر Johan Schiller (١٧٥٩ — ١٨٠٥) .

— جان فشته Jean Fichte (١٧٦٢ — ١٨١٤) .

— بيرسى شيللى Percy Shelley (١٧٩٢ — ١٨٢٢) .

— سان سيمون Saint Simon (١٧٦٠ — ١٨٢٥) .

— وليم بلايك William Blake (١٧٥٧ — ١٨٢٧) .

— همفرى دافى Humphry Davy ١٧٧٨ — ١٨٢٩) .

— جوهان جوته Johann Goethe (١٧٤٩ — ١٨٣٢) .

— والتر سكوت Walter Scott (١٧٧١ — ١٨٣٢) .

— صمويل كوليردج Samuel Coliredge (١٧٧٢ — ١٨٣٤) .

— فرانسوا فوريه Francois Fourier (١٧٧٢—١٨٣٧) .

— ادجار آلان بو Edgar Allan Poe (١٨٠٩—١٨٤٩) .

— وليام وردزورث William Wordsworth (١٧٧٠—١٨٥٠) .

— أونوريه بلزاك Honoré Balzac (١٧٩٩—١٨٥٠) .

— توماس مور Thomas Moore (١٧٧٩ — ١٨٥٢) .

— آرثر شوبنهور Arthur Schopenhauer (١٧٨٨—١٨٦٠) .

— شارل رينوفييه Charles Renouvier (١٨٠٤ — ١٨٦٠) .

— جان رينو Jean Reynaud (١٨٠٦ — ١٨٦٣) .
— أدولف جارنييه Adolphe Garnier (١٨٠١ — ١٨٦٤) .
— ألفونس لامارتين Alphonse de Lamartine (١٧٩٠—١٨٦٩) .
— الكسندر ديماس Alexander Dumas (١٨٠٢—١٨٧٠) .
— بيير ليرو Pierre Leroux (١٧٩٧ — ١٨٧١) .
— بونسون دى تيراى Poncon de Terrail (١٨٢٩—١٨٧١) .
— تيوفيل جوتيه Theophile Gauthier (١٨١١ — ١٨٧٢) .
— بايار تايلور Bayard Taylor (١٨٢٥ — ١٨٧٨) .
— توماس كارليل Thomas Carlyle (١٧٩٥ — ١٨٨١) .
— لويس بلانكى Louis Blanqui (١٨٠٥ — ١٨٨١) .
— رالف أمرسون Ralph Emerson (١٨٠٣ — ١٨٨٢) .
— هنرى لونجفلو Henry Longfellow (١٨٠٧ — ١٨٨٢) .
— فيكتور هيجو Victor Hugo (١٨٠٢ — ١٨٨٥) .
— روبرت برونتج Robert Browning (١٨١٢ — ١٨٨٩) .
— جون هويتير John Whittier (١٨٠٧ — ١٨٩٢) .
— ألفريد تنيسون AlFred Tennyson (١٨٠٩—١٨٩٢) .
— والت هويتمان Walt Whitman (١٨١٩—١٨٩٢) .
— فردريك نيتشه Friedrick Nietsehe (١٨٤٤—١٩٠٠) .
— كامى فلاماريون Camille Flammarioh (١٨٤٢—١٩٢٥) .
— رودلف شتينر Rudolf Steiner (١٨٦١ — ١٩٢٥) .
— جون ماك تاجارت اليس John Mc Taggart Ellis (١٨٦٦ — ١٩٢٥) .

ومن فلاسفة ومفكرى العرب :

— جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) .
— ميخائيل نعيمة .
— ايليا أبو ماضى .

عن مصدر اقتناعهم

ولم يكن لهؤلاء الاعلام من الفلاسفة والمفكرين والشعراء اطلاع خاص في الفلسفة الهندية ، أو ولع معروف بها ، فيما خلا آحاد قلائل على رأسهم آرثر شوبنهور فانه قد تعمق فيها ، واعجب بها ، وقال ان

المستقبل سيكون لها ، وأنها ستجتاح أوروبا وتؤثر فى الثقافة الأوروبية المستقبلة ، مثلما فعلت الفلسفة الاغريقية فيما مضى .

أما بالنسبة للباقين فقد كانت العودة للتجسد نظرية مقبولة لكى تفسر الكثير من ظواهر الحياة التى يتعذر تفسيرها بغيرها ، وأهمها مفارقات الدهر العجيبة ، والتفاوت الضخم فى الملكات ، وفى فرص السعادة والشقاء ، بالاضافة الى تفسير مصدر الحمل ، وبالتالى مصدر الانسان ولذا أشاروا كلهم اليها بأساليب متنوعة ، تتفاوت فى مدى قوتها ووضوحها لطبيعة الحال ، اما نثرا واما شعرا .

ولذا يتعذر القول بأن أولئك المقتنعين الكبار بعقيدة العودة للتجسد قد أخذوها عن فلسفة الهند أو غيرها من فلسفات الشرق ، خصوصاً عند من يعرفون مدى ما تتميز به الروح الغربية — خصوصاً فى مثل المستويات التى أشرت اليها — من وضوح وترابط ، ونقد ، وحذر ، بالمقارنة بروح الشرق الأقصى بوجه عام ، ناهيك بما يتميز به الغرب من روح واقعية وضعية ، وايجابية أيضاً .

وانما كان ارتباط هؤلاء الأعلام بعقيدة العودة للتجسد بمقدار ارتباط هذه العقيدة نفسها بجانب هام من الحقائق الكونية التى ينبغى دواماً السعى للارتباط بها بدلاً من الجرى وراء الأوهام والترهات .

وفى الواقع أن الفلسفة الهندية تتسم بالكثير من عناصر الغموض ، والتعقيد ، والافتراضات المرتجلة الكثيرة ، الا أنها وصلت فى الروح الى العديد من الحقائق الكونية الصادقة وبالذات فى شأن العودة للتجسد ، والعديد من النواميس الأخلاقية ، ومن الظواهر الروحية ، ودور العقل وتأثيره فى المادة ... وربما كان ذلك عن طريق الهامات صادقة وصلت الى معلمى الهند الكبار فى عصور ازدهار الحضارة الهندية ، كما وصلت نفس الالهامات الى معلمى الفراعنة والاغريق فى عصور ازدهار حضارتهم . وهذا أمر طبيعى اذا ما عرفنا أن الالهام الراقى ظاهرة طبيعية قد أدت دورها الخطير فى تطوير الانسانية منذ فجر التاريخ حتى الآن .

ويتعذر فى نفس الوقت القول بأن هؤلاء الأعلام قد بنوا اقتناعهم على نتائج التحقيقات الوضعية فى الظواهر الروحية ، لأن هذه النتائج لم تكن فى أيامهم قد أعلنت بعد ، أو لم تكن قد بدأت بعد . وبالتالى لم تكن بالنسبة لغالبيتهم العظمى من ضمن عناصر تكوين اقتناعهم .

وهذا هو ما يفرق هذه الطائفة من الفلاسفة والمفكرين والشعراء عن طائفة العلماء والباحثين الوضعيين الذين بدأوا منكرين للعودة للتجسد ، وللظواهر الروحية فى جملتها ، ثم تحولوا تدريجياً الاقتناع بها بعد لأى وطول عناء ، وذلك بناء على مقدمات محددة ، وأسانيد محسوسة

ملموسة يمكن اخضاعها لكل صور النقد والنقاش ، وهو ما سيكون موضوع الفصلين المقبلين .

فاذا صح تعليل اعتناق نظرية العودة للتجسد عند اثنين أو ثلاثة من الأعلام الذين أسلفنا ذكرهم بالاطلاع على الفلسفات الشرقية بوجه عام ، فانه بالنسبة للباقين قد يصح القول بأنها قد جاءتهم عن طريق الالهام او الحدس ، لأن عبقرية الفلسفة ، أو الشعراء ، أو الأدب الراقى عند دارسى التصوف الراقى ، والفكر الرفيع كثيراً ما تكون نابعة من محض الالهام أو الحدس (١) .

هذا وقد بينت فى مناسبة سابقة كيف أن عالماً طبيعياً عظيماً مثل اوليفر لودج راح يحذّرنا من اهدار قيمة الهامات الفلسفة ، أو الشعر الرفيع ، أو الأدب الراقى . فقد يكون فيها بعض جوانب الصدق النابعة من الاتصال بالحقائق الكونية للحياة ، وهو المعنى الذى عبَّر عنه شوقى الخالد فى احدى قصائده المملاة من عالم الروح وفيها يقول : —

فالشعر الهام ونبع سجية   والشعر منحة خالق لسعيدِ
والملهمون منالهم لا يُكترى   فالشعر وقفٌ للسراة الصيدِ (٢)

وهذا هو بعينه ما ذهب اليه برجسون فى دفاعه عن فلسفة الحدس (٣) .

فلا ينبغى اذاً أن نغفل أن هذه أسماء قمم عالية فى شتى مجالات الفلسفة ، والشعر ، والأدب . ورسوخ القدم فى هذا الميدان أو فى ذاك قد يكون مصدره الأول هو تطور الروح وعراقتها ، ومدى ما وصلت اليه من نضج سريع بسبب العودة المتكررة للتجسد ، وربما فى فترات متقاربة ، وفى ظروف مؤاتية .

ولعل الأحاسيس بهذه العودة تكون قد انزلقت عند بعض هؤلاء الى اللاشعور فدفعتهم دفعاً الى الحديث عنها ، والى الاعتقاد بصحتها على نحو أو آخر . ومنهم من تحدث صراحة عن رجوع الذاكرة اليه بسبب وجوده فى أمكنة معينة حركت عنده ذكرياته القديمة على ما سيرد فيما بعد عن الفونس لامارتين ، وتيوفيل جوتييه ، والكسندر ديماس وغيرهم . ومنهم من شيد فلسفة متكاملة فيما وراء الطبيعة تأسيساً على مبدأ العودة للتجسد مثل جون ماك تاجارت اليس .

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « المفصل » ص ٤٨٤ وما بعدها الى نهاية الجزء .
(٢) المرجع السابق ص ٥٢٦ — ٥٢٧ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ .

طائفة أخرى من المفكرين والحكماء

ومما هــو جدير بالذكر أن الباحثة ايفــا مارتن Eva Martin في كتاب عنوانه « حلقــة العودة » (١) جمعت ما يقرب من خمسمائة اسم من أبرز أعلام الفكر والفن والشعر في الشرق والغرب الذين أعلنوا — خلال العصــور المختلفة — أنهم يؤمنون بالعودة للتجســد ، وكتبوا فيــه نثراً أو شعراً .

كمــا قرر البروفسير لوتوسلاوسكى Wincenty Lutoslawski « أننا اذا أمكننا أن نجمع ما قاله أحكم الرجال في جميع الأصقاع والعصور لكي نحــدد موقفهم من هــذا الموضوع يمكننا بسهولة أن نؤكد أن اغلبية ساحقة منهم لا تؤمن فحسب بأن لهــا وجوداً سابقاً وعودة للتجسد ، بل لقد قاموا بخطوة متقدمة على ذلك ، وهي توسيع اعتقادهم الشخصي الى دائرة نظرية عامة تصدق على جميع الأشخاص ، حتى منهم أولئك الغافلين عن ماضيهم ، غير الواثقين من مستقبلهم » .

ويعلق البحاثة الارلندى شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهــد الدولي للبحث الروحي » بلندن بقوله ان الوقائع تثبت صــحة ذلك ، وقد اتفق جميع مؤسسى البرهمية والبوذية على العودة للتجســد — ورغم اختلافاتهم الجوهرية في أمور كثيرة — كما نجد أن صفحات الفلسفة الهندية غاصة بأسماء الحكماء الذين انضموا الى هذا الاعتقاد بكل جوارحهم خلال ثلاثة آلاف عام . وهو ما ينطبق أيضاً على بلاد الفرس ، والصين ، ومصر القديمة ، والدرويد ، والصلتيين ، والاغريق ، والرومان ، والفلسفة العبرية أيضاً .

ويستشهد دزموند ببعض أقوال شاعر ألمــانيا العظيم جوتة Goethe في رواية فاوست Faust ، وشاعرى بريطانيا الكبيرين تنيسون Tennyson و وردزورث W. Wordsworth حتى يصل الى شاعر الهند العظيم طاغور Tagore ثم فيلسوفها المناضل غاندى .

بين دوام الوجود والعودة للتجسد

وعقيدة العودة للتجســد قد تبدو بحسب المنطق الواضــح وثيقــة اتصال بعقيدة دوام الوجود الفردى بعد الموت ، أو بالأدق بعد الانفصال عن الجسد المــادى بحيث لا يتصور صحتها ، ما لم تصح أولاً عقيدة دوا

(١) The Ring of Return.

(أ) في مؤلف عنوانه « عودة التجسد لكل انسان » .
Reincarnation For Everyman P. 66 – 70.

شخصية الانسان بعد الموت . والعكس غير ضرورى بمعنى أنه من الجائز أن تصح عقيدة دوام شخصية الإنسان بعد الموت دون التسليم بعقيدة العودة للتجسد من جديد على الأرض على أساس أن الحياة فى أى مستوى من مستويات ما بعد المادة قد تغنى عن الميلاد من جديد على مستوى المادة .

قد يقال هذا ، ولكن الأمر الذى لوحظ لدى بعض من كبار الفلاسفة أو المفكرين أنهم قد تقبلوا التسليم بمبدأ العودة للتجسد الأرضى من جديد ، رغم رفضهم قبول مبدأ دوام الشخصية الانسانية بعد الموت بكامل مقوماتها وخصائصها . ومن هذا الفريق الأخير الفيلسوف المتشائم آرثر شوبنهور ، الذى قد يظهر من بعض آرائه عدم اعتراضه على العودة للتجسد من الناحية الفاسفية ، وان ظهر تماماً اعتراضه على مبدأ دوام الوجود الفردى بعد الموت ، وهذا الدوام هو محور علم الروح الحديث ، بل حجر الأساس فيه ، وفى كل ما ارتبط به من تحقيقات ، وآراء ، وفلسفات .

ومنهم أيضاً الفيلسوف فردريك نيتشه الذى كان مادياً ملحداً وراح يقيم فلسفته برمتها على مبدأ سيادة « الانسان الأسمى » ، وفناء الانسان فى الطبيعة ، لكنه لم يجد غضاضة من الحديث عن مبدأ « العود الأبدى » الذى استقاه من فلسفة المعلم الدينى الفارسى زرادشت .

وهذه الحالات النادرة فى الفلسفة الغربية من تقبّل مبدأ العودة للتجسد دون تقبّل مبدأ دوام فردية الانسان بعد موته قد يعلل « بوضعية » العقلية الغربية بوجه عام ، وبالاتجاه الذى كان سائداً فى الفلسفة المادية من أن الانسان بالموت يفقد شخصيته بالاندماج فى المجرى الكونى للحياة وهو مجرى محض موضوعى .

أما بحسب كشوف العلم الروحى الحديث فانه ينبغى التمييز بين « فردية » الانسان و « شخصية » الانسان . فالفردية باقية أزلية لايمكن أن تتلاشى . أما الشخصية فهى متطورة دواماً نحو الأفضل — وبالتالى نحو الموضوع الأسمى — عن طريق تبادل العيش بين عالمى الروح والمادة .

وعن طريق التطور تتحول الذات تدريجياً — وببطء شديد — من الخصائص الشخصية الى الموضوعية ، وهذا هو الهدف النهائى من تطورها البطىء . أما الذات نفسها فتحافظ على فرديتها على الدوام فى وسط التغيرات التى لا تتوقف ولا تنقطع للجسد وللوعى معاً .

ولذا فان الذات حتى عندما تصل الى قمة تطورها ، عن طريق التحقيق المتواصل لخصائصها السامية المطلوبة ، قد تندمج فى المجرى

الكونى للحياة ، وتسعد بالنرفانا Nirvana أى السعادة الأزلية التى لا تشوبها اية شائبــة بحسب التعبير الهندى ، وذلك بعد ما تتخلص من شهواتها الترابية،وأوجه ضعفها وقصورها فى المواهب والملكات ، لكنها تظل مع ذلك محتفظة بفرديتها ، التى لا تقبل التلاشى ولو أرادته باصرار ، كما أن الانسان وهو فى المــادة لا يمكن أن يتلاشى ولو أقدم بنفسه على الانتحار.

وعلى أية حال فان الآراء التى تتقبل مبدأ العودة للتجســد ، وفى نفس الوقت ترفض أن تتقبل مبدأ دوام الوجــود الفردى بعد الموت هى آراء متناقضة مع نفسها تناقضاً واضحاً ، لأن مبدأ العودة للتجسد اذا كان صحيحاً ، فانه لا يتصور صحته بغير مبدأ دوام الحيــاة بعد موت الجسد المــادى ، ولذا فلم أقابل رأياً ينفى الروح والخلود ويسلم بالعودة للتجسد ــ ولو على وجه ما ــ الا عند نيتشه الفيلسوف الألمــانى المريض بعقله الذى كان يصر على اتباع أسلوب « خالف تعرف » .

انما الأمر المسلم به عند جميع العلماء والمفكرين الروحيين والوضعيين هو أن التسليم بمبدأ العودة للتجسد يجر بطبيعته الى نفى الفناء وافتراض دوام الوجــود الفردى بعد الموت ، على نحو ما ، وفى صيغة ما من صيغ الوجود غير الخاضعة لحواسنا .

ماذا يقول جبران

ولا يتسع المقام لأن نعرض مواقف كل المؤمنين بالعودة للتجسد من فلسفة هذه العودة ، خصوصاً وأن اعتمادنا ينبغى أن يكون بصفة أساسية على التحقيقات الوضعية وما تكشفت عنه من نتائج محــددة مترابطة . وانما نكتفى هنا بنموذج من موقف أحــد أعلام هؤلاء المفكرين وهو جبران خليل جبران .

وعنه يقول الأستاذ عدنان يوسف سكيك فى رســالته عن « النزعة الانسانية عند جبران » (١٩٧٠) : « والانسان فى مد الحياة وجزرها متطور أبداً لا تنتهى حيــاته بالموت . فمــا حيــاته فى رأى جبران سوى سلسلة مستمرة متطورة لا تنقطع . وسيعود الانسان كرة أخرى بعد فترة زمنية محــددة ليكمل ما بداه فى الحيــاة الأولى . يعود بصورة أوضح وادراك أفضــل » .


جبران

ثم ينقل عنه قوله فى كتاب « النبى » (ص ١٥٩) : « لا تنسوا أننى سوف أرجع اليكم . فترة قصيرة ثم يجمع اشتياقى وحنينى التراب والفقاقيع لأجل جسد آخر . فترة قصيرة ، لحظة من الراحة فوق الهواء ، تم تحملنى امرأة أخرى » . كما ينقل عنه قوله فى كتابه « حديقة النبى » (ص٦٦) قوله « سأمثل أمامك مرة أخرى .. ولسوف أحيا بعد الموت ... فالموت لا يغير شيئاً الا النقاب الذى يخفى وجودنا ... » كما يحيل القارىء الى قصة « رمال الأجيال والنار الخالدة » فى كتاب « عرائس المروج » (ص ١١) (١) .

ويقول الأستاذ طنى زكا فى مؤلفه « بين نعيمة وجبران » (١٩٧١) عن هذا الأخير : « عندما كانت الحلقات الصوفية تنمو فى أمريكا بسرعة الفطر ، وجد جبران فيها ما استهواه ، وما جعله يؤمن بعقيدة التناسخ ووحدة الوجود ، فأخلص لهما الاخلاص كله ، وأصبحا اطارين يلازمانه ملازمة الاطار للصورة .

فهو يستمد من عقيدة التناسخ ــ بعد أن أضحت فى روح أدبه ــ أجمل التعابير وأكثرها شاعرية . اسمع اليه يلجأ الى هذه الصورة الرمزية الرائعة ليجسّد تلك العقيدة تجسيداً شاعرياً جميلاً : « ان مياه البحر تتبخر وتتصاعد ثم تتجمع وتصير غيمة وتسير فوق الطلول والأودية حتى اذا ما لاقت نسيمات لطيفة تساقطت باكية نحو الحقول وانضمت الى الجداول ورجعت الى البحر موطنها الأول .

حياة الغيوم فراق ولقاء ، كذا النفس تنفصل عن الروح العام ، وتسير فى عالم المادة وتمر كغيمة فوق جبال الأحزان وسهول الأفراح ، وتلتقى بنسيمات الموت فترجع الى حيث كانت ، الى بحر المجد والجمال ،

(١) عن كتاب الأستاذ عدنان سكيك ص ١١٤ ، ١٦٦ .

الى الله » (١) .

ويقول المؤلف أيضاً : « وبكلمة واحدة كان جبران يجتاح ينابيع الصوفية الشرقية ، ويتلقى رياها ، ويترسم غايتها التى هى النقاء والتطهر من الحس والمادة ، والاتحاد بالله ، ويتغنى بها تغنى المؤمن الذى وجد ضالته ... مما أعطى لكتبه مسحة الأسفار المقدسة ، وشيئاً كثيراً من لغتها ونكهتها » .

ثم يقول ان جبران قد تأثر فى هذا الشأن أيضاً بالشاعر والرائى والفنان الانكليزى وليام بلايك William Blake ، اذ « نجد بلايك يؤمن بالتناسخ ، وبوحدة الوجود ، ونجد أن بلايك كجبران يدعو الى قلب الشرائع ليقيم بديلها نظماً فى الأخلاق جديدة ، ويفتعل الحرمان لأن الحرمان فوارة الأحلام ، والرؤى مكونة من العالم الأسطورى الذى يضج بالأشباح والأرواح والجبابرة والاخيلة » (٢) .

ويراعى دائماً عند الاطلاع على ما كتبه المؤلفون بلغة الضاد عن جبران ونعيمه وبلايك وغيرهم ... أنهم غالباً يتجاوزون فى التعبير فيستخدمون خطأ كلمة « التناسخ » حين كان ينبغى أن يستخدموا وصف « العودة للتجسد » أو « العودة للميلاد » أو نحوهما .

وذلك لأن التناسخ قد يثير فى ذهن القارىء غير المطلع مفهوماً مغايراً لايتقبله أبداً مبدأ العودة للتجسد وهو من جانب مفهوم النسخ اى الالغاء ، ومن جانب آخر مفهوم احتمال العودة فى شكل غير آدمى ، وهوما لم يرد مطلقاً على ذهن أحد من هؤلاء المفكرين الكبار أو الباحثين العلميين . ويا حبذا لو تعودنا فى لغة الضاد الدقة فى استخدام المصطلحات العلمية أو الفنية دفعاً لأى خلط أو لبس محتمل فى ذهن القارىء .

---

(١) عن كتاب الأستاذ طنى زكا ص ٧٢ — ٧٣ ، ٧٧ .

الفصل الثاني

فى موقف العلم الحديث

من «العودة للتجسد»

تمهيـــد

مما لا ريب فيه أن العودة للميلاد أو للتجسد موضوع هام ودقيق ، وقد كان يستند فى الماضى الى مجرد الاعتقاد اثباتاً أو نفياً ، أو الى محض الفلسفة النظرية كما سبق أن بينت فى الفصل السابق . أما الآن فقد تكشَّف أسلوب البحث الوضعى ـ الذى سيطر سيطرة تامة على الأوساط العلمية منذ عصر النهضة أو التنوير ـ عن فتح أبواب جديدة للبحث قائمة على أسلوب الملاحظة والتحليل ، على أوسع نطاق ممكن حتى يتأتى تشييد النظريات المناسبة عليهما ، وهى أبواب كانت مغلقة تماماً فيما مضى .

ومما لا ريب فيه أيضاً أن البحث الحديث فى الخلود وفى الظواهر الروحية بأساليب وضعية هو الذى يرجع اليه الفضل الأول فى تجميع الوقائع ، وبالتالى فى توسيع رقعة البحث ، مع اخضاعها فى النهاية للتحليل المنطقى الموضوعى . ولذا ازدهرت تحقيقات العودة للتجسد عن طريق البحث فى الظواهر غير المألوفة وذلك بالنظر للصلة الوثيقة بين هذه الظواهر وبين محاولة القاء أضواء لها قيمتها على التكوين الحقيقى للانسان ، وبالتالى على قدره ومصيره ، بما فى ذلك احتمال عودته للتجسد ، ولو كمجرد افتراض علمى لا ينبغى قبوله ولا رفضه مسبَّقاً ما لم تعززه الوقائع الثابتة ويبرِّره تحليلها تحليلاً صحيحاً .

بعض الباحثين الوضعيين

وفى نطاق الباحثين الوضعيين فى الظواهر غير المألوفة ثمة اجماع ـ خصوصاً عند الفرنسيين منهم ـ على أن العودة للتجسد لم تعد مجرد افتراض علمى له ما يبرره ، بل أصبحت حقيقة تؤيدها مشاهدات يقينية لا تحصى ، وتعززها حقائق العلم المتنوعة عن الحياة ، والمادة ، والتطور ،

والعقل ، والشعور ، واللاشعور ، والهيولى المحايدة ، والعلية الطبيعية... الخ على ما سيرد تباعاً فيما بعد .

ومن ألمع العلماء الوضعيين الذين أفنوا حياتهم فى دراسة الظواهر غير المألوفة وفى تحليلها ، والذين قدموا بيانات كثيرة متراكمة تلتئم تماماً مع نظرية العودة للتجسد ، ولا تلتئم مع غيرها ، نذكر : —

— آلان كاردك Allan Kardec (١٨٠٤ — ١٨٦٩) وهو أبرز اسم فى الحركة الروحية اللاتينية منذ نشأتها لغاية الآن (١) .

— جابريل ديلان Gabriel Delanne (١٨٥٧ — ١٩٢٦) وهو من ابرز الأعلام فى نفس هذه الحركة (٢) .

— ليون دنيز Léon Denis (١٨٤٧ — ١٩٢٧) وهو أيضاً بحاثة روحى له مكانته البارزة (٣) .

— جوستاف جيلى Gustave Géley (١٨٦٥ — ١٩٢٤) وهو أول مدير « للمعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس وصاحب سمعة عالمية فى تحقيق الظواهر الوساطية (٤) .

— أوجين أوستى Eugène Osty الذى خلّف جيلى فى ادارة هذا المعهد من سنة ١٩٢٥ — ١٩٣٨ (٥) .

— رينيه فاركولييه René Warcollier الذى خلف أوستى فى ادارة هذا المعهد ، وظل يديره من سنة ١٩٣٨ الى حين وفاته فى سنة ١٩٦٢ (٦) .

وذلك بالاضافة الى أسماء كثيرة لأعلام فرنسيين كبار منهم بوجه خاص :

— شارل لانسلان Charles Lancelin (٧) .

— وألبير دى روشا Albert de Rochas (٨) .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ٤٦٨ .

(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٢ .

(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٩ .

(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٤ .

(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٧ .

(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٦٨ .

(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٨ .

(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٥٤ .

— وموريس ماجر Maurice Magre (١) .
— وادوار شيريه Edouard Schuré (٢) .
— وهكتور ديرفيل Hector Durville .
— وجيرار أنكوس Gérard Encausse (أو الدكتور بابيس) (٣) .
— وجورج باربارإن George Barbarin (٤) .
— وبيير نوفيل Pierre Neuville .
ومنهم فى سويسرا :
— راؤول مونتاندون Raool Montandon .
— وكارل موللر Karl Muller .
— ومنهم فى بلجيكا موريس ماترلنك Maurice Maeterlinck (٥)
ومنهم فى انجلترا وارلندا : —
— سير آرثر كونان Arthur Conan Doyle (٦) .
— سير أوليفر لودج Oliver Lodge (٧) مدير جامعة برمنجهام .
— مارشال الطيران لورد داودنج Dowding (٨) .
— تشارلى بروض Charlie Broad الأستاذ بكامبريدج (٩) .
— موريس باربانيل Maurice Brarbanell عضو « جمعية البحث الروحى » بلندن ، ورئيس تحرير مجلة « الأنباء الروحية » (١٠) .
— شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن (١١) .
ومنهم فى الولايات المتحدة الأمريكية : —
— ادجار كايس Edgar Cayce (١٢) .
— وآرثر فورد Arthur Ford (١٣) .

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٩ .
(٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٧٥ .
(٣) المرجع السابق جـ ٣ ص ٢٣٢ — ٢٣٥ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٨١ .
(٥) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٨٥ .
(٦) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٠٧ .
(٧) المرجع السابق جـ ١ ص ٤١٢ .
(٨) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٠٢ .
(٩) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .
(١٠) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٤٣ .
(١١) المرجع السابق جـ ١ ص ٤٣٨ .
(١٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٩ .
(١٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٣٤٧ .

ـ وايان ستفنسون Ian Stevevson وهو حالياً أستاذ للتحليل النفسى بكلية الطب بجامعة فرجينيا (١) .

عن الحركة الثيوصوفية

وتعتبر رجعة الروح أو العودة للتجســد محوراً أساسياً من محاور الحركة الثيوصوفية Theosophy ، وهى حركة ترجع الى حوالى مائة عام مضت . وقد انشأتها الوسيطة الروسية هيلين بتروفا بلافاتسكى Helen B. Blavatsky (١٨٣١ ــ ١٨٩١) بالاشتراك مع الكولونيل الأمريكى هنرى استيل أولكوت Henry Steele Olcott .

وكان هدفها الأساسى هــو استثارة روح الاهتمــام بدراسة مصير الانسان دراسة تجمع بين فلسفة الحكمة القديمة وبوجه خاص الفلسفة الهندية ، وكشوف العلوم الحديثة . وقد انضم اليها منذ انشائها عــدد ضخم من صفوة المثقفين فى انحاء عديدة من العالم وكان من بينهم اديسون المخترع المعروف الذى انضم للحركة فى سنة ١٨٧٨ .

وممن عالجوا موضوع العودة للتجسد من بين أعضاء هذه الجمعية ــ غير مؤسستها السيدة هـ.ب. بلافاتسكى (٢) ــ نذكر :

ــ السيدة آنى بيزانت Annie Beasant (٣) .

ــ الأسقف ك.و. ليدبيتر C. W. Leadbeater (٤) .

ــ ا.د. والكر A. D. Walker .

ــ جوفرى هدسون J Hudson .

ــ كريستماس همفريز Christmas Humphreys وغيرهم ...

وسنحتاج فيما بعد الى عرض وجهات نظر هؤلاء المؤلفين خصوصاً فى موضوعات الكارما أو الجزاء من جنس العمل ونظرية التطور لفرط اتصالها بمشــكلة العودة للتجســد ، ولو أن اعتمادنا سيكون بصفة أساسية على أعمال العلمــاء والمحققين الوضعيين كما كان الشأن فى أغلب موضــوعات هــذا الكتاب .

وعلى اية حال فليست العبرة بعدد الباحثين ، ولا بمكانتهم العلمية ،

---

(١) المرجع السابق جـ ١ ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » جـ ١ ص ٣١١ .
(٣) المرجع السابق جـ ١ ص ٦٦١ .
(٤) المرجع السابق جـ ١ ص ٨٧٤ .

ولا حتى بعدد السنين التى أمضوها فى تجميع البينات والشواهد ، بل ينبغى أن تكون فحسب بماهية هذه البينات والشواهد وبالنتائج التى يؤدى اليها اخضاعها لأسلوب التحليل العلمى ، فان كل كشوف العلم الحديث تدين بكل الفضل لاتباع هذا الأسلوب دون غيره وهذا هو موضوع الفصل الحالى .

تبـويب

وبالنظر الى الخطورة المفرطة لهذا الموضـوع وتشعب نواحى البحث فيه ، فانه ينبغى أن يعالج فى أناة شديدة ، ومن أهم زواياه الرئيسية التى ينبغى أن تكون كل زاوية منها موضوع مبحث على حدة على النحو الآتى :ــ

المبحث الأول : عن اختبارات ارجـاع الذاكرة الى الوراء بالتنويم المغناطيسى .

المبحث الثانى : عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » (فى اثناء كامل الوعى وبدون تنويم مغناطيسى) .

المبحث الثالث : عن بعض النتائج العلمية الهامة التى خلص اليها الباحثون (فى الظواهر السابقة) .

المبحث الرابع : عن بعض الاختبارات الفـريدة فى الأحـلام أو فى الاتصالات الروحية .

المبحث الخامس : عن آراء بعض الأرواح الراقية فى شأن « العودة للتجسد » .

المبحث الأول

عن اختبارات « ارجاع الذاكرة الى الوراء » بالتنويم المغناطيسى

المطلب الأول

من اختبارات دى روشـا فى ارجاع الذاكرة

من أغرب الاختبارات التى يعتقد الكثيرون أنهـا ذات وثيق صـلة بموضـوع احتمـال « العـودة للتجسـد » تلك التى تستخدم التنويم المغناطيسى فى محاولة ارجاع ذاكرة الشخص المنوَّم للوراء régression de mémoire ، لعله يتذكر شيئاً من أحداث حيواته الماضية .

وقد أمكن أحياناً عن طريق بعض الحالات النادرة للتنويم المغناطيسى ارجاع ذاكرة الشخص المنوَّم الى ما قبل الولادة فى حياته الحالية ، فروى بعضهم ذكريات معينة عن حيوات سابقة له مؤيدة بوقائع محددة ، وبأسماء أشخاص ، ومدن ، وطرقات ، ومعالم جغرافية ثبتت صحة البعض منها بطرق التحقيق المادى المألوفة .

ولا ريب أنه يرجع الفضل فى افتتاح هذا الأسلوب الجديد فى استكشاف أغوار الذاكرة الانسانية للبحاثة الروحى المعروف الكونت البير دى روشا E. A. De Rochas الذى كان مديراً « للمدرسة الفنية العسكرية بباريس » Ecole Polytéchniques وكان رائداً من أعظم رواد البحث الروحى فى العالم ، وتعد مراجعه فيه من أحسن المراجع وأعمقها لغاية الآن (١) .



دى روشا

ولم ينازع أى انسان فى صحة هذه التجارب وفى الثقة التامة فى صاحبها ، وأن كان الجدال كله يدور حول تعليل النتائج التى وصل اليها ، وهل تشير فعلاً الى صحة « العودة للتجسد » أم فحسب الى أن وعى الشخص المنوَّم كان على صلة بعقول أخرى عديدة متحررة من أجسادها المادية ، يستمد منها قدراً ما من المعلومات الصحيحة . وقد رجح التعليل الأول لاعتبارات كثيرة مررنا ببعضها آنفا ، وسنمر بباقيها فيما بعد .

وهذه التجارب أجراها الكونت دى روشا فى الفترة من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٩١٠ ، ودفعته نتائجها الى أن يكتب قائلاً : « من المؤكد أنه عن طريق السبل المغناطيسية يمكن — لدى أشخاص يملكون حساسية كافية ، احداث سلسلة من أوجه السبات Léthargie ، وحالات اليقظة النومية الحركية (٢) états somnambuliques التى تتتابع بانتظام

---

(١) راجع ما ورد عنه وعن أبحاثه فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول . ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ، ٩٤٠ — ٩٤٢ .

(٢) وهى من مراحل التنويم المغناطيسى .

كما تتتابع الليالى والأيام . وخلالها تبدو الروح وقد تخلصت شيئاً فشيئاً من أربطة الجسد واندفعت الى مناطق فى المكان وفى الزمان ، لا يمكنها أن ترتادها بوجه عام فى حالة اليقظة العادية .

ومن المؤكد أنه عن طريق عمليات مغناطيسية معينة يمكن للانسان أن يقود تدريجياً غالبية الوسطاء الى عصور سابقة لحياتهم الراهنة ، بكل ما فى هذه العصور من خصائص ذهنية وفسيولوجية مميزة ، وذلك الى لحظة ميلادهم . وليست هى محض ذكريات توقظ ، بل هى حالات متتابعة من الشخصية تستدعى ، وهذه الاستدعاءات تحدث دائماً بنفس النظام ، وخلال تتابعات من السبات ، ومن حالات اليقظة النومية الحركية .

ومن المؤكد أنه بمتابعة هذه العمليات المغناطيسية الى ما بعد الولادة ، وبدون حاجة من اللجوء الى الايحاءات ، يمكن للانسان أن يمر بالمنوَّم الى تجسدات سابقة ، والى فترات تفصل بين هذه التجسدات . والموكب هو نفسه يتم عن طريق تتابعات السبات ، وحالات اليقظة النومية الحركية .

وهذه الحالات من « كشف الماضى » عندما أمكن تحقيقها لا تعبّر عن الحقيقة دائماً ، لكن من الصعب أن نفهم كيف أن نفس التجارب الفيزيقية التى تحدد ابتداءً تراجع شخصيات حقيقية للوراء الى لحظة الميلاد يمكن بغتة أن تسمح بحدوث هلوسات زائفة تماماً .

ومن المؤكد أنه بمتابعة « التمريرات الموقظة » Les Passes reveillantes الى ما بعد العمر الحالى للشخص المنوَّم يمكن للانسان أن يحدث ظواهر مماثلة لتلك التى أحدثها فى الماضى ، بمعنى حدوث نفس الأوجه المتقابلة من السبات ومن حالات اليقظة النومية الحركية ، وفيها يلعب الشخص أدواراً تقابل أدوار حياته اللاحقة ، اما فى حياته الراهنة ، واما فى حيواته المستقبلة .

ولم يمكن بعد مراقبة حقائق التوقعات المستقبلة التى يمكن أن يعزى بعضها فى الراجح الى مخططات الشخص فحسب . ومع ذلك فقد ثبت فى ظروف عديدة بما يكفى ، وان كانت لم تحدد بعد ، انه أمكن للانسان أن يرى أشياء فى المستقبل » (١) .

---

(١) راجع ما ورد فى « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الثانى ، عن التنبؤ بالمستقبل خصوصاً ما قد يتم فى أثناء التنويم المغناطيسى ، (ص ٣٥٤ — ٣٦٨) .

وهـذه النتائج الخطيرة تمثل ثمرة بحوث جـرت على تسعة عشر شخصاً ، وأمكن تكرارها مـع لويز Louise ومايو Mayo لمدى عـدة سنوات متتابعة . ويضيق المقام عن ايراد جميع هذه الحالات ، لكن تكفى هنا الحالة رقم ٧ التى جرت أحداثهـا فى سنة ١٩٠٥ والتى هى أهمهـا اطلاقاً ، وأكثرها استرعاءً للانتباه ، وقد تكشفت عن أحد عشر تجسداً متتابعاً ، وهى حالة السيدة روجيه Roger ، وقد سردها دى روشـا على النحو الآتى : (بعد أن نختزل بعض الوقائع ونكتفى بتلخيص البعض الآخر لضيق المقام) .

حالة السيدة روجيه (فى تجسدها الراهن)

ورغم أن دى روشا كان منـوِّماً بارعاً الا أنه كان مع ذلك يستعين بمنـوِّم قـدير يدعى بوفييه Bouvier من ليون وكان فى نفس الوقت رئيساً لتحرير مجلة تدعى « السلام العالمى » La Paix Vniverselle وكان ابن بوفييه يقوم بتدوين مضابط الجلسات . وكانت هذه الجلسات تبدأ بمحاولة ارجاع ذاكرة الشخص المنـوَّم بتمريرات طولية مصحوبة بالايحاء على النحو الآتى (١) .

س : (الكولونيل دى روشـا للسيدة المنـوَّمة روجيه ، وكانت فى التاسعة والثلاثين من عمرها) : أنت الآن فى الخامسة والثلاثين فمـاذا تعملين ؟

جـ : أعمل فى صناعة الحرير ، ولا أحبها .

س : أنت الآن فى الثلاثين فقط ، فماذا تعملين ؟

جـ : فى صناعة الحرير .

س : أنت الآن فى العشرين فماذا تعملين ؟

جـ : أنا مع والدىَّ ، وأعرف رجلاً أعتقـد أننى سأتزوجه لكننى لست متمسكة به كثيراً ، انها أمى هى المتمسكة به ولست أنا .

س : وماذا يدعى ؟

جـ : اندريه André .

س : هل يعجبك ؟

جـ : الى حد ما .

---

(١) من أهم عناصر نجاح مثل هذه التجارب براعة المنوم المغناطيسى فى فنه وطول خبرته . بالاضافة الى ملكة خاصة ينبغى أن تتوافر فى الشخص المنوم ، حتى يطفو عقله الباطن الى مستوى الشعور أثناء الغيبوبة المغناطيسية .

س : ماذا يعمل ؟
ج : عامل بالأجرة عند ساعاتى .
س : هل تعرفين السيد بوفييه (المنـوّم) من ليون ؟
ج : كلا .
س : ومع ذلك فهو معروف جيداً فى ليون بوصفه منـوّماً قديراً .
ج : لا أعرفه .
س : (من السيد بوفييه) ماذا كنت تعملين عندما كنت فى الثانية عشرة من عمرك ؟
ج : أطهو الحساء .
س : أين تقطنين ؟
ج : شارع بلفدير ، ٤ حديقة بيساردون (4 Clos Bissardon) مع أبى وأمى .
س : هل أنت سعيدة ؟
ج : انهم يؤنبوننى كثيراً .
س : هل تذهبين الى المدرسة ؟ وأين هى ؟
ج : مدرسـة الآنسات حيث توجد الآنسة روز Rose والآنسة اجات Agathe ...

ثم يقوم بوفييه بارجاع ذاكرة المنـوَّمة الى مرحلة الحمل ، ثم الى ما قبلهـا .

س : ماذا تعملين فى الفضاء ؟
ج : السياحة .
س : ما شكلك ؟
ج : فتاة شابة .
س : هل ترين أشياء من حولك ؟
ج : لى رفيقات ، وأراهنّ ضاحكات .
س : هل لديهن تكوين جثمانى ؟
ج : تبدو أحياناً لهن أشكال أطول منى ، وأسعد منى .
س : هل لك مدة طويلة وأنت على هذه الحال ؟
ج : نعم وقت طويل بما يكفى .
س : وماذا أنت ؟
ج : أنا آنسـة .
س : هل عشت على الأرض ؟
ج : نعم وقد قالوا لى اننى غادرت جسدى .
س : وكم كان عمرك (وقت مغادرته) ؟

ج : ١٩ عاماً وبضعة شهور .
س : استردى جثمانك لأنك تبلغين التاسعة عشرة فقط من عمرك .
ج : **وعندئذ تتذمر المنومة ، ويبدو عليها الألم مع صعوبة التنفس.**
س : أنت تعلمين انك مريضة ، فهل ذلك منذ مدة طويلة ؟
ج : منذ ثلاثة سنوات .

عن التجسد الأول (السابق مباشرة على تجسدها الراهن) :

س : ما اسمك ؟
ج : مادلين Madelèine .
س : ماذا تعملين فى السادسة عشر من عمرك ؟
ج : لست سعيدة ، ويبدو لى أننى لن أعيش طويلاً .
س : اسمك مادلين ، وما هو اسمك الثانى ؟
ج : مادلين بوليبه M. Baulier .
س : فى أى عام نحن ؟ (أى فى أى عام أنت تشعرين الآن ؟)
ج : فى سنة ١٧٢٤ .
س : ماذا تفعل أسرتك ؟
ج : تتجول .
س : هل تتجول للترفيه أم للتجارة ؟
ج : للترفيه .
س : وأنت ماذا تعملين ؟
ج : اتجول أحياناً مع أسرتى ، وأحياناً أخرى أمكث مع والدى الطيبين .
س : وأين يقطن والداك الطيبان ؟
ج : فى مونبلييه Montpellier .
س : فى اى شارع ؟
ج : شارع سانت ايلير Saint Hylaire .
س : **هل يوجد رقم على المنزل ، أم ثمة أشجار أمامه ؟ ... أعطنا اية علامة حتى نتعرف عليه (١) .**
ج : **توجد اشجار أمامه .**
س : **ماذا تعملين ؟**
ج : **اتعلم التطريز والغناء .**
س : **هل تذكرين أيام شبابك ؟**
ج : **لا اذكرها جيداً .**

---

(١) أى هل كان منزلكم داخل المدينة ، أم خارجها فى الريف مثلا .

وفى هذه اللحظة بدا عليها مظهر البحث عن شىء ، وقالت انها تريد أن تعمل .

س : فى سن العاشرة ماذا كنت تعملين ؟

ج : ألعب مع رفاقى .

س : ما اسم والديك ؟

ج : بوليبه ، وهما متقدمان فى السن ، وجدتى بيضـاء تماماً ، وهم مرضى .

س : ماذا يعمل والداك ؟

ج : يجولان فى المدن الكبرى .

س : هل يعملان فى التجارة ؟

ج : يعملان فى التجارة قليلا ، وتجوالهم بالأكثر للترفيه ...

س : فى سن السادسة ماذا تعملين ؟

ج : الهو . وبدا عليهـا أنهـا تلقى شيئاً ، وتطلب أن يلقى لهـا « البالون » ، كما بدا عليها ضيق الصـدر والغضب عند التأخير . وفى سن الثالثة أخذت تطلب الحلوى بالحاح . وفى سن الواحدة أخذت تحطم كل شىء يعطى لها وبدا عليها سوء الطبع . وفى سن الستة أشهر أخذت فى البكاء ، وفى اتخاذ مظهر العناد . وفى رحم الأم أخذت وضع الجنين...

عن التجسد الثانى (للوراء)

س : ماذا تفعلين كروح ؟

ج : أنا أتنزه طيـلة الوقت ، وأرى أقاربى وأصـدقائى الذين لا يروننى (لأنهم لا يزالوا فى عالم المـادة) . كمـا أتمنى أن أرى خطيبى لويس الذى سبقنى الى عالم الروح لكننى لا أجده .

س : هل ترين جثمانك ؟

ج : اننى أرى جثمانى كآنسة فى مقبرة فى بريانسون Briancon

س : هل شاهدت نفسك فى لحظة الاحتضار ؟ (١)

ج : لقد رأيت نفسى بنفس الشكل .

س : أنت تغادرين جثمانك (عندئذ أخذت المنـوَّمة فى السـعال بكثرة ، ومرت بحالة الموت ، ومال الجسم للوراء ، وأصبح بارداً) .

س : أنت تعيشين من الناحية المـادية ، فما هو عمرك ؟

ج : ٢٥ عاماً .

س : فى اى عام أنتِ ؟

---

(١) الاشارة الى انسلاخ الجسـد الأثيرى من المـادى فى لحظة الاحتضار ، حيث قد يشاهد بعض المحتضرين أجسادهم المـادية .

جـ : ١٨٦٠ .
س : ما اسمك ؟
جـ : مرجريت ديشين Marguerite Duchesne .
س : فى اية سنة ولدت ؟
جـ : فى سنة ١٨٣٥ .
س : ما اسم أبيك ؟
جـ : لويس ديشين .
س : ماذا يعمل ؟
جـ : صاحب تجارة بقالة بشارع الثكنة .
ثم أخذت فى السعال ، وشكت من صدرها وقلبها .
س : ماذا يؤلمك ؟
جـ : أنا مريضة تماماً ، ويقولون ان داء الصدر قد يقضى علىَّ ، وانا فى عذاب .
س : أنت اذاً تتعذبين ، فما هى العلة ؟
جـ : كنت أحب جندياً شاباً لكنه توفى .
س : ما اسـمه ؟
جـ : لويس – جيل مارتان Louis - Jules Martin آه أيا لويسى العـزيز .
س : أين كان جندياً ؟
جـ : فى بريانسون .
س : هل كان من بريانسون ؟
جـ : كلا بل كان من مرسيليا .
س : أنت الآن لا تتجاوزين العشرين من عمرك ، فماذا تعملين ؟
جـ : أفكر فى لويس مارتان .
س : وفى الثامنة عشرة ماذا تعملين ؟
جـ : أساعد والدىَّ فى تجارة البقالة .
س : وفى الخامسة عشرة ماذا تعملين ؟
جـ : تركت مدرسة « راهبات الترينيتيه » التى أحبها كثيرا .
س : واين تقع هذه المدرسة ؟
جـ : بشارع جارجوى Gargouille (١) .
س : وفى سن الثامنة ماذا تعملين ؟

---

(١) يقول دى روشا انه اتضح فعلا أنه توجد فى بريانسون مدرسة للبنات الصغيرات تديرها راهبات الترينيتيه تقع بشارع جارجوى .

ج : أذهب الى راهبات شارع جارجوى ...
س : وفى سن الثانية ؟
ج : لا أريد أن أذهب الى شقيقتى ...
س : وفى سن الواحدة ماذا تعملين ؟
ج : أجلس على ركبتى والدتى تدللنى .

وبعدئذ عجزت المنـوّمة عن الاجابة ، فجعلها المنـوّم السيد بوفييه تسترد قـدرة الرؤية بدلاً من أن تعيش ماضيها ، وأخـذت فى الاجابة كانسان واعٍ تماماً لمـا يجرى فى طفولته .

س : ماذا تعملين فى سن ستة شهور ؟
ج : اننى مريضة تماماً ، وكان عندى تشنجات .
س : ما نوع هذه التشنجات ؟
ج : يقولون اننى أتلوى .

وهنـا يجعلهـا السيد بوفييه تتقـدم فى العمر الى سبعة شهور ويسألها : ماذا تعملين ؟

ج : يضعوننى فى المـاء لعلاجى ويقولون اننى عصبية تماماً .
س : وفى سن الشهرين ماذا تعملين ؟
ج : لقد وضعوا علىَّ غطاءً ثقيلاً ...
س : لا زلت جنيناً فى بطن أمك ؟
ج : الدنيا ظلام . وهنا أخذت المنـوّمة منظر الجنين الموجود فى بطن الأم ، وانطوت تماماً على نفسها . وبعد الايحاء اليها بتمام خمسة شهور من الحمل فردت نفسها قليلاً ، لكنها ظلت بلا حراك ، وذراعاها ساقطان الى جوارها ، ملقية ظهرها على « الفوتيل » وتبدو بلا حياة .

عن التجسد الثالث .

وهكذا تسير التجارب حتى تنتقل السيدة المنـوّمة الى حياة ثالثة لها فى سنة ١٧٨٠ كانت فيها رجلاً باسم جيل روبير **Jules Robert** ولد فى سـان بيير **Saint Pierre** بالقـرب من بريانسون وكان والده مزارعاً ، وتوفى فى سن الثانية والأربعين .

واعطى « هذا الرجل » بيانات دقيقة كثيرة منها اسم قس الناحية انطوان **Antoine** ، وصاحب المزرعة بارنو **Barnéoud** . وقال انه عمل فى صناعة الأحذية وفشل فيها ، ثم عمـل بائع جرائد . ولمـا سئل عن اسم الجريدة قال جريدة « الاستمرار » **La Durance** ، وقد اتضح فعلاً وجود جريدة محلية بهذا الاسم كانت تصدر فى «الألب العليا» فى وقت الاختيار . كما عمل فى بقالة فى بريانسون ، وعمل مساعداً لنحات معروف

فى ميلانو يدعى باولى Paoli كان يصقل له الرخام . ووصف بعض قطعه الفنية . وقال انه كان بائساً ، وتوفى فى ميلانو بمرض السل .

عن التجسد الرابع

وفى وجـوده الرابع يقول انه كان انثى من جديد ، واسمها جينى ليدوفيك Jenny Ludovic وانها تزوجت اوجست ليدوفيك Auguste Ludovic الذى كان يعمل حطّاباً فى بلورميل Plouermel وانهـا انجبت طفلين : اوجست ، وجان . ويبدو أن جينى هذه توفيت فى سنة ١٧٠٢ بسبب ولادة متعسرة وكانت فى الثلاثين من عمرها .

واعطت جينى تفصيلات كثيرة عن طفولتهـا قائلة انها لم تشـاهد والديها ، وكفلها عمها الذى كان يعمل عطاراً ... كما قالت ان زوجهـا كان أرملاً ، وله ولدان من زوجته الأولى آلان Alain وايفون Yvonne وقالت انها كانت تجمع النباتات والأزهار النادرة اللازمة لعطارة عمها .

عن التجسد الخامس

أما الوجود الخامس لهـذا الشخص فينتمى الى الذكورة باسـم ميشـيل بيرى Michel Berry . ويقـول انه ولد فى مونتمورانسى Montmorency فى سنة ١٤٩٣ . وانه منذ العاشرة من عمره عمل خادماً بالبلاط الملكى وروى عـدة تفاصيل عن عمله ، وقال انه فى العشرين من عمره حلم بأن سويسرياً طعنه طعنة قاتلة بخنجره .

وانه كان ازرق العينين ، اشقر الشعر ، جميل الملامح ، وموضع تودد النسـاء . كما روى مغامرات غرامية مع شارلوت دى مونتمورانسى ، وديان دى كوسى Diane de Coucy عندما كان يعمل فى خدمة والدها فى بلوا Blois . ثم انضـم الى حرس الملك ، واشترك فى حرب ضـد السويسريين تحقق فيهـا الحـلم الذى سبق أن رآه ، وكان عند ذاك فى الثانية والعشرين من عمره : —

س : وفى اى مكان اصبت بجرحك القاتل ؟
ج : فى مارينيان Marignan سنة ١٥١٥ .
س : وفى أى جانب كنت تحارب ؟
ج : مع الفرنسيين ، وتحت امرة فرانسوا Francois .
س : اى فرانسوا ؟
ج : فرانسوا سيدى ورئيسى ، وبحق الله ملك فرنسا .
س : وما اسمك ؟
ج : ميشيل بيرى .

س : ومن ذا تحارب ؟
ج : أولئك السويسريين الخنازير .

عن التجسد السادس

وبعدئذ يقوم دى روشا باحياء الوجـود السابق ، أى السادس فى هذا التسلق الزمنى المذهل ، فاذا بهذا الوجود متعلق بفتاة شابة تدعى ماريت مارتان Mariette Martin مرت على الأرض مروراً عابراً ، اذ توفيت فى العشرين من عمرها .

وقالت انهـا ولدت فى سنة ١٣٠٢ . وعند سؤالها عن اسم الملك المعاصر أجابت : « لا أعلم ، لكنهم يقولون أن اسمه فيليب الجميل » . وأعطت عن طفولتها بيانات قليلة ، منها أو والدها يصنع رسوماً لوضعها فى الغرف ، وأنه يعمل لحساب الملك . وأنها تذهب الى المدرسة ، وتعذر تماماً الحصـول منها على أية بيـانات عن الفترة من ١٢ الى ١٦ سنة ، وان كان يبدو أنها كانت تعانى من مرض خطير .

وفى الثامنة عشر تقول انها شابة وصيفة تقيم عند « الكونتيسة » جيز Guise التى عهدت اليها بتعليم أبناء شقيقها . وفى التاسعة عشر تلتقى بمن يدعى جاستون Gaston وتزمع الزواج منه ، لكن خطيبهـا يروح ضحية حادثة سقوطه من على ظهر فرسه . فتمضى عامها الأخير فى ڤان Vannes عند والدة جاستون كمعلمة ، وتقضى بعد معاناة آلام ضـخمة .

عن التجسد السابع

أما الوجود السـابع لهـذا الشخص فهو أغنى من هذا بالبيانات . واغرب ما فى الموضوع أنه عندما كان دى روشا يدفعه الى تخطى الحاجز بين هـذا الوجود وسابقه كان يبـدو عليه عدم التنبه الى أنه قد غادر جسده المـادى . ويقول انه يعمـل رئيسة دير ، وانها توفيت فى سنة ١٠١٠ ، وكانت فى السابع والثمانين من عمرها .

وعندما سئلت عما كانت تفعله فى سن السابع والسبعين قالت ان ذلك يقع فى سنة ١٠٠٠ ، وأن العرافين قد تنبأوا بقرب يوم القيـامة وبوفاة جميع البشر لذا كان الذعر عظيماً .

وتقول ان اسمها كان لويز دى ماراى Louise de Mareuil ، وانه

كفلها عمها الفيكونت دى ماراى . ودخلت الى دير ســان دنيز Saint Denis عندما كانت فى الثامنة عشر ، وترهبت فى العشرين وأصــبح اسمها الأخت مارتا Marthe . وكان رئيس الدير قس كهل يدعى الأب لوتى Lotty فى السبعين من عمره ...

وبعد عشرة أعوام أخرى لا تزال فى الدير ، وتصبح عشيقة للرئيس الجديد للدير الأب شوازيل Choiselles ، وتتحمل تأنيب الضمير بسبب ذلك .

وفى الستين تصبح رئيســة للدير ، وعليهــا الاشراف على فتيات شابات من أسر عريقــة وتحاول أن تضمهن للدير بكل السبل ، وبينهن بلانش من باريس التى تؤكد أنها أودعت فى الدير بأمر الملك نفسه .

س : اى ملك ؟
ج : الملك كابت Capet (١) .
س : ولمــاذا امر الملك بايداعها ؟
ج : حتى يستونى شقيقها روبير على كل مالها

ويبــدو من تأنيب ضميرها انهــا كانت سبباً فى آلام هاته الفتيات الشابات ، وانها كانت حارسة عليهن وتمنعهن من مغادرة الدير . وظلت كذلك الى أن توفيت .

س : هل تستطيعين أن تخبرينى عن اسم الملك ؟
ج : انه روبرت الثانى .
س : وحينما كنت فى السبعين من عمرك من كان الملك ؟
ج : كابت Capet .
س : وفى الستين ؟
ج : لويس الرابع .
س : وفى سن ٣٦ ؟
ج : لويس الرابع ، ويقولون انه رجل ليس جميل المنظر ، فهو سمين متورم ولم اره قط .
س : وحينما كنت فى سن ٢٤ فماذا كانت السنة ؟
ج : ٩٤٧ ميلادية .

---

(١) لقب الملك هيج Hugues ، وهو اول ملك من السلالة الثالثة ثم اصبح لقباً لكل ملوك هـذه السلالة التى انتهت بحـكم لويس السادس عشر الذى أعدم فى الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩ .

س : ومن كان الملك ؟
ج : لويس الرابع .
س : وحينما كنت فى سن الخامسة عشرة ؟
ج : هو نفسه لويس الرابع .

عن التجسد الثامن

وعندما يتابع دى روشا استكشافه لماضى هذا الشخص خلال حيواته المتعاقبة يصل الى وجوده الثامن على الأرض الذى يقع فى سنة ٤٤٩ . وعندئذ يفرك الشخص عينيه بعنف ويبدو متألماً منهما . وبسؤاله يبين أنه محارب متطوع اسمه كارلوميه Carlomée وانه وقع اسيراً فى قبضة اتيلا Attila فى معركة «شالون سير مارن» Chalons Sur Marne حيث أحرقوا عينيه .

وعندما سئل عن السبب اقتصر على القول بأن هذا هو ما أعجبهم مشيراً بذلك الى ملوك « الهون » (١) . وقال أيضاً أنه لم يكن محارباً بسيطاً ، بل قائداً ، ولذا نكلوا به . وأن رئيسه ماسويه Massoée كان بدوره مرؤوساً لمن يدعى ميروفيه Mérovée الذى كان قائداً للقواد .

فسأله دى روشا عما اذا كان يعرف الله ، فأجاب : « يوجد واحد فوق الجميع هو ثيوس Théos » .

س : كيف تعبدونه ؟
ج : يقدمون له الرجال الذين يحرقونهم أحياء ، وهذا جميل جداً !

وسئل عن سنى مراهقته وطفولته فكانت الاجابات عادية . وحدد اسم والدته بأنه لى كارلوميه Li Carlomée ، وأنه ولد فى البينو Albinos على نهر التورن Le Tourn .

عن التجسد التاسع

وعندما تبدأ استثارة الوجود التاسع يبدو على الشخص الألم الشديد ، وتبدو قبضتا يديه ــ اللتين وضعهما الواحدة فوق الأخرى ــ كما لو كانتا مقيدتين ، ويحاول الخروج من قيوده ، وعندما يسأل عن مصدر آلامه يقول انه يحترق ، وقد أصبحنا فى سنة ٢٧٩ .

---

(١) شعب همجى من أصل فنلندى أو تتارى قدم من شواطىء بحر قزوين ، وغزا بلاد الغال La Gaulle (فرنسا القديمة) بقيادة قائده اتيلا فى حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى .

ويقول ان اسمه ايزيوس Esius ، وان عمره اربعون عاماً ، ويقوم بحراسة الامبراطور بروباس Probus فى روميلوس Romulus (روما) . وكلمة فكلمة يروى تاريخه المحزن قائلاً انه ولد فى تورينو Tourino حيث كان ابواه يعملان فى الزراعة ، كما كان يعمل فيها مثلهما . وعندما يُسئل عما اذا كان قد تعلم القراءة والكتابة يجيبه بالايجاب .

س : كم عدد حروف الكتابة ؟

ج : خمس عشرة حرفاً .

س : ما هى ؟

ج : لا اذكرها جيداً ... ثم يذكر منها حرفاً .

ثم يتزوج فتاة صغيرة تدعى فلورينا Florina ثم يستنجد بالآلهة ، وعند سؤاله عن ماهيتها يجيب « انها هى التى تنبغى عبادتها ، وهى التى تتسبب فى قتل الناس ، ومع ذلك تقدم اليها التضحيات » .

س : وكيف تتم التضحية ؟

ج : بتقطيعها ارباً ارباً ... كم أتمنى أن اتمكن من الذهاب لانقاذ الضحايا .

وبعدئذ حدثت المأساة اذ حضر حرس الامبراطور بروتوميه Protomée الى تورينو وتحدثوا مع فلورينا عن القصر ، وعن الامبراطور ، واتفقوا معها على التوجه الى روميليس (روما) . ولما رفض ايزيوس التوجه معهم ، اختطفها الحرس . فاضطر ايزيوس الى اللحاق بهم فى روميليس . وبعد مسيرة خمس عشرة يوماً على الأقدام طلب من رئيس الحرس بيكيوس Pecius أن يدخل فى خدمة الامبراطور فقبل طلبه .

وعزم على الانتقام من الامبراطور الذى اخذ منه فتاته ، وهم بضربه بحربته عندما كان على وشك أن يغتصب فلورينا فأمسكوا به وأحرقوه ، وفلورينا معه ، لكن قبل أن يتمكن الامبراطور من اغتصابها بسبب محاولة ايزيوس : « وهكذا خرج الامبراطور من القصر وشعرت باننى قد ثارت لنفسى ، وان ثمة شيئاً يعزينى وهو أن فلورينا ماتت طاهرة » ... وهكذا مات ايزيوس فى لهيب المحرقة سنة ٢٧٩ ميلادية .

عن التجسد العاشر

اما الحياة العاشرة لهذا الشخص فقد كانت فى صورة امرأة تدعى ايريسيه Irisée . وبعد تردد قالت انها ولدت فى سنة مائة ميلادية فى بلاد تدعى ايموندو Imondo وتعيش مع شخص يدعى على يعمل

كاهناً . وتجمع له أزهاراً يقدمها الى آلهته ابراهيم وجوزيه . وهو يحرق الأزهار ويقدم عطرها للآلهة .

وفى سن الرابعة كانوا يضربونها كثيراً ، وتسببوا فى موت والدتها . وفى سن السادسة كانوا على وشك أن يضحوا بها فى سبيل الآلهة لولا أن انقذها جيوس Jéüs ، وهو حاكم بلاد ايموندو كلها ، وأخذها لتعيش عنده حتى بلغت الثامنة عشرة من عمرها .

وعند استيضاحها عن موقع بلاد ايموندو قالت انها قريبة من تريستا . وقالت أنها عندما بلغت التاسعة عشر وقع جيوس أسيراً فى معركة من المعارك ، فكانت تذهب وتقدم له الطعام حتى لا يموت جوعاً ، وحاولت أن تنقذه بالتوسل الى من أسره ، ويدعى جوانيم joanime .

وهكذا جرى مع اريسيه حوار طويل تضمن تفصيلات أخرى عن حياتها هذه التى انتهت عندما بلغت السادسة والعشرين .

عن التجسد الحادي عشر

أما الحياة الحادية عشرة فهى على جانب يسير من الأهمية : عبارة عن حياة طفل توفى فى الثامنة من عمره ، ولم يحرز اية اختبارات رغم انها تمثل مرحلة واحدة فى سلسلة من الحيوات التى تمتد الى ماضى الروح منذ زمن سحيق ، والتى كشفت عنها محاولة من محاولات استكشاف مجاهل اللاشعور ، تمت بأسلوب فريد ، وتكشفت عن نتائج تستوجب الحيرة ، بل الذهول الشديد .

وحسبما لاحظه دى روشا ان من المحال على خيال شخص خاضع للتنويم المغناطيسى أن ينتج هذا القدر الضخم من التفصيلات عن حيوات تبدو أنها قد تحققت بالفعل . واذا صح افتراض الخيال بالنسبة لحياة واحدة ، فما بالك اذا تعلق الأمر باحدى عشرة حياة متعاقبة .

وبالاضافة الى ذلك ، فان تكرار نفس الاختبارات مع نفس الشخص أدى الى نفس النتائج ، والى وقوع الشخص فى نفس الأخطاء المتعلقة بالذاكرة .

ومن ذلك مثلاً تلك المتعلقة بسنى حكم الملوك والقواد الذين أشارت اليهم هذه الشخصية المنوّمة . ذلك انه لما روجعت كتب التاريخ الخاصة بهذه الأزمنة كانت التواريخ كالآتى : -

فرانسو الأول : ١٥١٥ - ١٥٤٧ .

فيليب الجميل : ١٤٧٨ - ١٥٠٦ .

روبرت الثانى : ٩٩٦ — ١٠٣١ .
لويس الرابع : ٩٣٦ — ٩٥٤ .
اتيــلا : ٤٣٤ — ٤٥٣ .

وبمقارنة هذه التواريخ بتلك التى ذكرتها السيدة وهى واقعــة فى التنويم المغناطيسى اتضــح أنها تكاد تكون متطابقــة عدا حالة أو اثنتين فى حياتيها السادسة والسابعة ، فان التواريخ تختلف عن الواقع ببضــع سنين فقط ، وهذا أمر طبيعى اذا روعى البعد السحيق لهذه التجسدات عن الحياة الحالية .

كمــا أن تكرار نفس الاختبارات عــدة مرات كثيرة مــع الشخص الواحد أدى الى اعادة سرد نفس التجسدات بترتيبها الزمنى الذى سبق بيانه ، وهــو ما يتعــذر تعليله عند القول بأن هــذه الوقائع من محض الخيال . كما يتعذر تعليله أيضاً عند القول بأن هذه الشخصية — وهى فى غيبوبتها المغناطيسية — كانت واقعة تحت تأثير كائنات غير متجسدة تروى عن طريقها ذكرياتها الأرضية الخاصة .

ذلك أنه فى هذا الفرض الأخير — يكون تعاقب الأرواح كيفما اتفق ، ولا يتبع تسلسلا زمنياً معيناً . وعند تكرار التجربة يجىء تعاقب جديد بوقائع جديدة تماماً وهو ما لوحظ فى جلسات الغيبوبة الوساطية عندما يقع الوسيط أو الوسيطة تحت تأثير هيمنات مختلفة فى الجلسة الواحدة ، أو فى عدة جلسات متعاقبة حيث تتنوع الوقائع تنوعاً ضخماً ، ولا تتبع تسلسلا ثابتاً ، ولايمكن اعادة الوقائع بنفس تفاصيلها وترتيبهــا ، ولو كان الوسيط لم يتغير .

وذلك على عكس ما حدث فى الحالات التى قدمها دى روشا والتى بلغت ١٩ حالة روى بعضها لغاية أحد عشر وجوداً على الأرض على النحو الذى بينته ، وثبتت صحة العديد من البيانات عن العناوين ، والأسماء ، بوسائل التحقيق المــادى ، وان كان الخطأ هنا محتملاً أيضاً ، ولذا لم تثبت صحة البعض الآخر من البيــانات المملاة خصوصــاً ما تعلق منهــا بالتواريخ اذ غالباً توجد فيها أخطاء لسبب مفهوم وهو أن الانسان ينسى عادة حتى ما يتصــل بتواريخ وجــوده الحــالى فمــا بالك بحيــواته السابقة ؟ ! . . .

واذا أضيفت الى ذلك الثقة المستمدة من سمعة دى روشا كباحث ممتاز ذى نزعة علمية تماماً ، لتبين لمــاذا لا تزال لاختباراته ، ولنتائجها ،

قيمتها القصوى . وقد تابع آخرون نفس الأسلوب ، وحصلوا على نتائج مشابهة لتلك (١) .

وقد كانت تجارب دى روشا موضع عناية من « المؤتمر الروحى الدولى » الذى عقد بباريس سنة ١٩٠٠ . وقد أكد بعض المؤتمرين أنهم حصلوا على نتائج مشابهة لنتائجه منهم اثنان من المختبرين الأسبان هما فرنانديز كولافيدا Fernandez Colavida ، واستيفا ماراتا Esteva Marata (٢) .

كما تناولها بعض المعلقين بالتحليل العلمى بالعناية التى تستحقها أمثال هذه الظواهر النادرة التى قد يتصورها البعض بالنظر لندرتها « تافهة » مع أن لها أكبر القيمة فى محاولة استكشاف مجاهل اللاشعور ، وما أوعرها من مجاهل . ومن هؤلاء الأخيرين الدكتوران سولييه Sollier وكومار Comar فى « المجلة العلمية والأدبية للروحية » (٣) .

فلا ينبغى أبداً أن تهدر دراسة أية ظاهرة بحجة أنها نادرة أو تافهة متى ثبتت صحتها على وجه اليقين : ولمجرد الذكرى من كان يتصور منذ قرن واحد فقط أن ملاحظة ظاهرة « تافهة جداً » وتنجم عن احتكاك الكهرمان بالصوف يمكن أن تكون مصدراً لاكتشاف أعظم طاقة فى الوجود وهى الكهرباء ؟ ! ومن كان يتصور عندئذ أن هذه الكهرباء يمكن أن تستخدم على النحو الذى نلمسه حالياً ، وأنه بدونها تظلم جميع المدن ، وتتوقف جميع الصناعات ، وتنقطع جميع سبل المواصلات والارسال السلكى واللاسلكى ... ، وتزول أخطر معالم الحضارة المعاصرة كلها ؟ !

---

(١) وروى لنا أكثر من منوم مصرى أنه حصل فى تجاربه فى التنويم المغناطيسى على نتائج مشابهة لهذه ، لكنه لم يثبتها فى أوراقه ، أما فى الخارج فقد تعودا اثبات أمثال هذه الأمور الهامة بدقة تامة للتحقق منها ، وللرجوع اليها وقت اللزوم .

(٢) راجع اعمال هذا المؤتمر ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(٣) La Revue Scientifique et Morale du Spiritisme juillet et Aout 1904

المطلب الثانى

من اختبارات باحثين متعددين
فى موضوع ارجاع الذاكرة

تنويم مغناطيسى مع استحواذ وعودة التجسد

روى المنوِّم المغناطيسى بوفييه Bouvier الذى ساعد الكونت دى روشا فى تحقيقاته التى تحدثت عن بعضها فى المطلب السابق انه عثر على وسيطة ممتازة تدعى ايزيدور ل .Isidore L فكانت فى غيبوبتها تحدث ظواهر الطرح الروحى أو الخروج من الجسد بالاضافة الى ظواهر الخضوع لهيمنة كائن آخر لم ينفصل عن جسده المادى بعد .

ويقول بوفييه ان هذه الوسيطة كانت « مسكونة » — فى معنى ما — بشخصية أخرى كانت تعبِّر عن نفسها عن طريقها وكان المنوِّم يعتقد فى مبدأ الأمر أن الاستحواذ كان لشخصية « موفاة » ، لكن اتضح له أنه لامرأة لا تزال على قيد الحياة ، كانت تقرر أنها مريضة جدا ، وأنها تنتهز فرصة غيبوبتها المرضية لكى تغادر جسدها وتأتى الى جلسات التنويم المغناطيسى التى كان بوفييه يعقدها .

وكانت هذه الشخصية الأجنبية تظهر نفسها يومياً خلال شهر كامل ، وافصحت عن نفسها قائلة انها روح فتاة تدعى أنا ستازى ن . Anastasie N. ، وانها تقيم فى دير حددته ، منتظرة خلاصها الأخير من الأغلال القاسية التى تربطها بهذا العالم وكانت خلال هذا الشهر تروى ما يحدث لها ، قائلة ان نهايتها قد اقتربت مع ذلك . كما قالت له ان شقيقاً للوسيطة قد توفى حديثاً ورجته ألا يخبر شقيقته الوسيطة ، وهو ما تحقق حيث تلقت الوسيطة بعد بضعة أيام من تلك الحادثة ما يفيد نبأ وفاة شقيقها .

واخذ بوفييه يتحرى عن السيدة المريضة التى كانت تستحوذ وهى فى غيبوبتها على وسيطة التنويم المغناطيسى وهى فى غيبوبتها فاتضحت له صحتها ، وتوصل الى عنوان أسرة هذه السيدة بميدان لافاييت Lafayette بمدينة روان .

وبعد مضى شهر من الاتصالات اليومية اعلنت اناستازى ما يلى : « وقع الأمر ، وفى هذه المرة جئتكم وقد غادرت جسدى منذ فترة قصيرة ، ولم اجئكم قبل الأوان ، لأن العبء عندكم اكثر مما ينبغى ،

ولكننى لست مع ذلك حرة لوقت طويل ، لأننى ارى اننى سأعود قريباً للتجسد مرة أخرى ، وهذا أمر لا يرضينى ، لكنه ضرورى » .

وبعد مداولات طويلة مع الروح حول ظروف عودتها للميلاد وحول البيئة التى ستوجد فيها ، قالت انها ستولد من جديد بمدينة ليون حيث كانت تجرى تلك الاختبارات ، فى أسرة عيّنتها عنوانها ٢٠٤ شارع بوالو Boileau ، وفى نفس جنسها السابق ، وانها ستحيا فحسب لمدة بضعة شهور ستغادر الأرض بعدها لكيلا تعود اليها ثانية .

وكانت هذه الأقوال سبباً فى زعزعة بوفييه من شكوكه فأخذ يراقب الأسرة التى عيّنتها أناستازى . وفى جلسة معينة حددت أناستازى تاريخ عودتها للتجسد بأنها ستكون فى خلال ثلاثة شهور تقريباً ، وانها بالتالى ستولد فى حوالى عام مقبل ، وأن الأحداث ستتحقق الى الحد الذى سيتمكن بوفييه معه من التأكد من حدوثها .

وتوقفت الاتصالات مع تلك الروح بعد مضى حوالى ثلاثة شهور . وبعد خمسة أو ستة شهور لاحقة ، لاحظ بوفييه حدوث أعراض حمل لدى سيدة صغيرة فى نفس الأسرة التى عيّنتها أناستازى . وبعد مضى عام من التخلص من الجسد ، وتسعة شهور من الاتصالات الأخيرة مع اناستازى ، ولدت فى نفس الأسرة ، وفى نفس الظروف التى سبق الارشاد عنها طفلة صغيرة أودعها اهلها فى دار حضانة بمونتى Montluel عاشت فيها لمدة أربعة شهور ثم توفيت ، ومنذ تلك اللحظة اختفى كل اثر لتلك الشخصية ، ولم يسجل عنها شيئاً مطلقاً .

* * *

وليست هذه هى الحالة الوحيدة التى سجلها بوفييه من هذا النوع ، بل يقول انه حضر جلسة روحية مع بعض آنسات من جاراته ، وسجل فى احداها ان روحا اتصلت بهم بوصفها صديقة للوسيطة تدعى بولين ر. Pauline R. كانت تقيم معها فى بنسيون فى سالان Salins ، واعطت تفصيلات لم تدع اى شك فى صحة شخصيتها ، لكنها بطبيعة الحال لا تقنع خصوم الروحية ، اذ من الجائز ان يقال ان الوسيطة قد تخيلت تلك الوقائع بصورة شعورية أو لا شعورية .

والأمر الغريب فى الموضوع أن تلك الروح أعلنت انها ستعود للتجسد قريباً فى اسرة عيّنتها تعرفها الآنسات الحاضرات ، ولكنهن استغربن جدا ، لانه بحسب معلوماتهن لم يكن يوجد فى تلك الأسرة سوى

شاب صغير لم يكن يبدو عليه انه بسبيل الزواج . ومع ذلك أصرت الروح على أقوالها قائلة انها ستولد فى نفس جنسها السابق ، ولكن سيكون عليها أن تتألم كثيرا بسبب اعتبارات خاصة ، لم يجد بوفييه نفسه فى حل من نشرها علانية .

وبعد عدة شهور من ذلك الاتصال تزوج الشاب الآنف الاشارة اليه . وبعد عشرة شهور او أحد عشر شهرا ولدت له طفلة مصابة بالتهاب فى مفاصل الحوض . وعندما نشر بوفييه موضوع هذا الاتصال كانت المولودة قد أصبحت فتاة صغيرة مضعضعة الصحة ومصابة بداء خطير فى القلب (١) .

وعلى العموم لا ينبغى الخلط بين ظواهر ارجاع الذاكرة للوراء . واستحواذ كائن أجنبى على وعى الوسيط ، فبين الظاهرتين فروق واضحة سنعود الى بيانها فيما بعد ، كما سنعود الى موضوع الاتصالات الروحية وظاهرة العودة للتجسد ، والى موقف تلك الاتصالات من نفس الظاهرة أو بوجه خاص من ناحية آراء الباحثين الروحيين المعروفين والأرواح المراسلة الراقية .

اختبار له مغزاه لأميرين بولنديين

وروى أمير بولندى كان معنيا بالبحوث الروحية هو الأمير ويزنيسكى Wisznienwski أنه كان فى سياحة مع الأمير جاليتزين Galitzin وعند مرورهما بأحد شوارع مدينة .... قابلا امرأة تتسول وهى فى أسمال بالية ، ولاحظ جاليتزين ـ الذى كان يجيد التنويم المغناطيسى ـ نظرة غريبة فى عينيها اجتذبت انتباهه ، فدعاها لتناول العشاء ، وبعد ذلك دعاها للتوجه معهما الى الفندق .

وبمجرد تنويمها صرخت بأنها تملك اعترافاً خطيرا تريد الافضاء به ، وهى أنها كانت فى تجسدها السابق بايطاليا تدعى الكونتيسة .... بمدينة .... وتقطن قصرا ، وأنها كانت متغطرسة ، وقاسية ، وسيئة السلوك . وأن زوجها توفى فى نظر الناس جميعاً من « حادثة » ولكن فى الواقع تسلقت معه الى قمة جبل بحجة الرياضة ، ومنها دفعته فسقط فى سفح الجبل قتيلا محطماً . وأفلتت من العقاب ، لكنها عادت فتجسدت فى ظروف اليمة من التعاسة الشديدة بحيث لا تجد الآن قوت يومها الا بأحط السبل ، وباستثارة شفقة الناس نحوها .

---

(١) Pierre Neuville : Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vecues (1970) p 170 - 172.

ولما كانت هذه « المتسولة » قد قدمت بيانات محددة جدا ، توجه الأميران ومعهما المرأة المتسولة الى مسرح الواقعة التى روتها ، ولم يزودهما أحد بأية بيانات عنها ، وعندما كانا على وشك ركوب سيارتهما شاهدا مزارعا بلغ من العمر أرذله ، ولما سألاه عن الواقعة قرر لهما أنه عندما كان صبياً سمع الرواة يتناقلون هذه الواقعة ، وأرشدهما الى الصخرة التى سقط منها الكونت .... وأضاف أن أشخاصا عديدين ظنوا السوء بالكونتيسة وأخذوا يتقولون عليها ، لكن لم تقم عليها أية دعوى (١) . وهكذا قد يفلت الانسان من عدالة الأرض لمهارته فى اخفاء جريمته ، لكن هيهات أن يفلت من عدالة السماء ، ومهما طال به الأمد ....

من اختبارات بيير نوفيل

ومن البحاث المرموقين فى فرنسا حالياً بيير نوفيل Pierre Neuville (ولد بباريس فى سنة ١٩١٠) ، وهو عضو « بأكاديمية رابليه » Rabelais بدأ منذ أكثر من ثلاثين عاماً ، يجرى بحوثاً مثابرة فى الظواهر الروحية ذات طابع علمى وعملى ، مما جعل مؤلفاته غنية بالوثائق عن النتائج العملية التى حصل عليها بنفسه .

وانتهى نوفيل من بحوثه الى الاقتناع بأن الانسان يتجاوز ولا ريب نطاق الحدود الفيزيقية التى نعرفها عنه : فكل شىء يجرى كما لو أنه — خارج الحدود التحكمية للمكان وللزمان — فان للانسان امتدادات فى كون يتجاوز ما نطلق عليه نحن وصف « الكون » ، ولا يتفق معه فى شىء . والانسان كائن متطور فى أجواء مجهولة من عالمنا ذى الأبعاد الثلاثة ، المستقل عن الآراء « العقلية » عن الماضى ، والحاضر ، والمستقبل .

فهل من الجائز الوصول الى تلك الأجواء ، والاتصال بها ، والدخول فى علاقات مع الكائنات التى تتحرك فيها ؟ هذا هو التساؤل الذى يشغل بال نوفيل منذ شبابه الباكر ، والذى دفعته محاولة الاجابة عليه الى وضع مؤلفات قيمة عديدة فى البحوث الروحية ، منها مؤلفات خاصة بالعلاج الروحى أشرت اليها فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » (٢) :

ومنها مؤلفات أخرى : مثل « مستكشفو العالم الآخر : الوسطاء

---

(١) عن بيير نوفيل . المرجع السابق ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) فى ص ٨٣١ منه .

وحياتهم » (١) ، ومثل كتاب « مارى ليز غير منظورة وحاضرة » (٢) بالاشتراك مع جيرمين بوجيت Germaine Beauguitte ذلك بالاضافة الى عدد من المؤلفات فى ميادين ذات صلة بالطب وبالصحة العامة منها « قاموس طبى عملى صغير » (٣) .

ومن أحدث كتبه واحد عنوانه « تلك الحيوات الأخرى التى عشتها رغم ذلك » (٤) (١٩٧٠) وفيه لا يجزم بحصول عودة للتجسد ، لكنه يقدم محض النتائج التى وصل اليها عن طريق اختباراته الخاصة فى موضوع ارجاع الذاكرة للوراء .

وبعد أن يلخّص نوفيل النتائج التى تكشفت عنها تجارب دى روشا فى فرنسا ، ومورى برنشتين فى أمريكا ، يسرد بعض النتائج التى وصل اليها هو فى الفصل الخامس وعنوانه « الاستكشاف الأول فى العالم الآخر المجهول » .

وقد اشرف نوفيل بنفسه على تلك التجارب التى كان يجريها منوِّم مغناطيسى قدير يدعى اندريه ديبيل André Dupil وكان ينوِّم فتاة يشير اليها المؤلف باسم مستعار هو جيزلين Ghislaine كانت تروح فى سبات مغناطيسى بسرعة . ثم ظل المؤلف يستجوبها بالاشتراك مع المنوِّم خلال حوالى أربعين جلسة تنويم جرت فى المدة من يوليه الى نوفمبر ، أى حوالى خمسة أشهر متتالية .

ماذا قالت جيزلين ؟

واخذت جيزلين تسرد تفصيلات دقيقة كان من المحال عليها أن تعرف شيئاً عنها بالسبل العادية . وهذه التفصيلات متعلقة بأحداث جرت فى بلادها فى المدة من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٨٩٨ ، ويبدو أنها كانت هى نفسها بطلة هذه الأحداث .

ومن بين هذه الأحداث انها قالت انها تدعى ميراندا Miranda وانها وُلدت فى ١٧ يونية سنة ١٨٧٢ ، وتوفيت فى بلدة سواسون Soissons (بالقرب من باريس) عندما كانت فى السادسة والعشرين من عمرها . وانها عندما كانت فى الخامسة من عمرها تركوها فى ملجأ للأطفال ، وانها لا تذكر شيئاً عن أبويها ، لكنها تعرف سيدة تدعى جان ديمزنيل jeanne Dumesnil تبنتها من هذا الملجأ واصطحبتها الى

(١) Les Explorateurs De L'Au Délà.
(٢) Marie - Lise Invisible et Presente
(٣) Petit Dictionnaire Médical Pratique.
(٤) Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vecues.

منزلهـا بالقـرب من سواسون . وانها كانت مصابة بالشلل منذ هـذا التاريخ . ووصفت بالتفصيل المنزل الذى كانت تقطنه ، وكيف انها كانت محل رعاية من طبيب ذكرت له اسمين وهما ديبوا Dubois ، وكيلبك Quelbec .

وقالت انهـا فى الثامنة عشرة من عمرها كانت لا تستطيع الوقوف وكانت تشكو من داء عياء فى القلب . وكان الطبيب العجوز يعودها يومياً تقريباً . وفى سن الخامسة والعشرين كانت تقيم فى مستشفى فى باريس نقلوها اليه بسبب حالة قلبها . وفى سن السادسة والعشرين عادت الى منزل أمها بالتبنى حيث توفيت من أزمة قلبية .

وأخـذت تروى ذكريات محـددة عن أحداث ذلك العصر ، وعن الأسعار المنخفضة التى كانت تشترى بهـا السلع مثل ثمن الجريدة ، وثمن رغيف الخبز ، وعن سبل الاضاءة ، وسبل المواصلات . وذكرت اسم احدى جاراتها وهى السيدة ديهامل Duhamel . كما ذكرت اسمين لجـارتين لها كانتا ترقـدان الى جوارها بالمستشفى ، كل على فراشها الخـاص ، وهمـا مادلين Madeleine الى اليمين ، والسيدة بوارير Porière الى اليسار .

ووصفت نفسها بأنهـا كانت شـقراء الشعر ، خضراء العينين ، لا ترتدى ملابس ثمينة ، ووصفت زيهـا بمـا يتفق تماماً مع أزياء ذلك العصر . كمـا ذكرت أن عمـدة الناحية كان يدعى بارو Barrault وأن كنيستها كانت تحمل اسم سان برنار Saint Bernard .

ويقول المؤلف انه لاحظ أن هذه الفتاة كانت لا تتعارض مع نفسها أبداً عند تكرار توجيه نفس الأسئلة اليها فى جلســات متتالية لاحقـة ، وانهم كانوا يكررون توجيه نفس الأسئلة اليها للحصول منها على المزيد من التفصيلات . كما يقول انه حاول تحقيق صحة جميع البيانات التى أدلت بها الفتاة بالانتقـال الى سواسون لكنه تعذر عليه اجراء التحقيق على الوجه المطلوب بالنظر الى قـدم العهد بهذه الأحداث ولأن ملجـأ الأطفال الذى عينته رفض ذكر أية بيانات ، لأن التعليمات المتبعة فيـه تستلزم السرية المطلقـة عن اسماء الأطفال الذين كانوا يقيمون به وعن أسماء والديهم بالتبنى ، مهما تقادم العهد بهم .

مارى ليز غير منظورة وحاضرة

وفى الفصل السادس وعنوانه « مارى ليز Marie Lise غـير منظـورة وحاضرة » ، يروى نوفيل احداثاً اخطـر من هـذه وادق من

جلسات أخرى للتنويم المغناطيسى جرت تحت رقابته الخاصة ورقابة السيدة اندريه بوجيت André Beauguitte وهى قرينة وزير فرنسى . وكان المنوم هو نفسه اندريه ديبيل ، وكانوا يدونون عنها مضابط دقيقة ، فى حضور عدد من الشهود منهم طائفة من الأطباء الذين كانوا يشتركون احياناً فى استجواب الوسيطة المنوئمة . وكان التدليس محالاً وروح البحث المحايد عن الحقائق تسيطر على الجميع ، الذين لم يكن لأى واحد منهم اية مصلحة فى أن تجرى نتائج التحقيقات فى اتجاه معين أو فى آخر ، خصوصاً وكلهم من المنكرين للعودة للتجسد .

وكانت الوسيطة سيدة ريفية شابة من ناحية مو Meaux يشير اليها المؤلف باسم دنيز ك. Denise C. . وسردت هذه السيدة تفصيلات عديدة مذهلة عن حياة سابقة لها باسم مارى ليز كانت فيها ابنة لماريشال فرنسا فرانسوا جوزيف ليفيفر François - Joseph Lefebvre وهو أحد قواد الامبراطور نابليون الأول . وقالت أنه توفى فى سنة ١٨٢٠ عندما كانت هى فى السادسة عشرة من عمرها .

وقد ورد فى قاموس « لاروس العالمى » Larousse Vniversel من هذا الماريشال انه « دوق دانتزيج Dantzig وماريشال فرنسا . ولد فى روفاتش Rouffach وتوفى بباريس (١٧٥٥ — ١٨٢٠) . عمل فى الجيش الفرنسى وبرز فى فليريس Fleurus واستولى على دانتزيج ببراعة فى سنة ١٨٠٧ . وكان محتفظاً فى بلاط نابوليون باللهجة العامية لجندى ، لكن بصفات عالية من انكار الذات ومن الميول الانسانية ..

وكانت زوجته كاترين هيبشبه Catherine Hubscher أصلها غسالة ملابس من قريته ، لكنها امرأة شريفة تماماً ذات اسلوب نشط وصريح ، وقد ذاعت شهرتها فى الروايات باسم مدام سان جين « Madame Sans Gène » .

وظلت دنيز هذه السيدة الريفية موضع استجواب دقيق متواصل عن حياتها السابقة تلك — باسم مارى ليز — على مدى ستين جلسة متتابعة للتنويم المغناطيسى بين شهرى اغسطس واكتوبر من نفس العام ، فأعطت فيها ادق التفصيلات عن الحياة فى عصر نابليون ، وكان من المحال على هذه الريفية الساذجة ان تعرف شيئا عنها بالسبل العادية للادراك .

وقد تكشف الاستجواب الدقيق لها عن حقيقة رهيبة وهى أنها كانت فى ذلك التجسد السابق ابنة طبيعية لهذا الماريشال — الذى

اشترك فى بعض حروب نابليون — وثمـرة علاقة غير شرعيـة بينه وبين شقيقة جميلة لنابليون تدعى بولين بونابرت **Pauline Bonoparte** قيل عنها فى بعض كتب التاريخ أنهـا كانت مستهترة . ولهـا مغامرات عديدة مع أكثر من عشيق .

وقد ورد فى قاموس لاروس — الآنف الاشارة اليـه — عنها أنهـا « تدعى مارى بولين ، وانهـا ولدت فى أجاكسيو ، وتوفيت فى فلورنسا (١٧٨٠ — ١٨٢٥) وكانت ذات جمـال باهر ، وانهـا تزوجت الجنرال ليكلير **Leclerc** فى سنة ١٨٠١ ، وبعـد ترملها تزوجت الأمـير كامى بورجيز **Camille Borghèse** (١٨٠٣) فأصبحت دوقة جاستالا **Guastalla** ، ثم انفصلت عن زوجها كيما تعيش على هواها بباريس أو روما » .

وعلى أية حال فالظـاهر من الوقائع أن المـاريشال ليفيفر انشـأ علاقة غير شرعية مع مارى بولين هـذه ، وكانت الثمـرة هى تلك الفتاة مارى ليز ، التى أودعتها والدتها بمجرد ولادتها فى أحـد الأديرة وظلت بالدير فترة ما . وقد وصـفت فيها مارى ليز رئيسـة ذلك الدير الأم كلوتيلد **Clotilde** التى كانت تحـذرها من السـؤال عن مكان أمهـا فاعتقـدت أنهـا يتيمة الأم . كمـا وصفت صـديقة لهـا فى الدير كانت تدعى اليزابت .

وبعد فترة من اقامتها فى ذلك الدير ابتدأ المـاريشال يزورها هناك بملابسه المدنية . ولم تكن تعرف فى مبدأ الأمر انه والدها الى أن فهمت ذلك فيما بعد .. لكنـه كان يصر على زيارتها بملابسه المدنيـة الى أن طلبت منه هى أن تكون الزيارة بملابسـه العسـكرية حتى تفتخر به بين لداتها من الطالبات المقيمات فى الدير .

ثم طلبت منه أن يصطحبها الى خارج الدير فى أيام الأعياد والأجازات اسـوة بصـديقاتها ، فاسـتجاب لهـا واصطحبها الى قصر كومبـو **Combault** حيث كان يقيم مع زوجتـه « المـاريشالة » التى عرفت قصته وغفرت له علاقته الآثمـة مع بولين بونابرت لأن الماريشالة كانت طيبـة القلب بمقـدار ما كانت ذكيـة وحكيمـة بحسب وصف مارى ليز .

وقالت ان والدها الماريشال كان يروى لهـا قصص الحـروب التي خاضها مع نابليون ، وكان يشيد كثيرا بعبقريته الحربية . كما كانت زوجته الماريشالة تغـدق عليها الكثير من النصح الحكيم ، وكانت أقل حماسا لنابليون من زوجها .

وفى أكتوبر من نفس العـام عادت مارى ليز الى الدير ، لكن كانت فى جميع الأجازات والأعيـاد تغادره حيث تذهب لزيارة والدها فى قصر كامبو ، أو فى مقـره بباريس فى شارع « كونفنسيون » Convention . ثم يجـرى التاريخ فى مجـراه وتنهار امبراطورية نابليون ، ويعـود آل البوربون les Bourbons الى عرش فرنسا .

وفى يوم معين تخبرها رئيسة الدير ان والدها مريض فى خطر وانه ارسل يستدعيها لرؤيته ، فتوجهت الى مقره بباريس حيث وصلت قبيل الاحتضار لكنه أدرك وجودها الى جواره ، واخذ يزجى اليها نصائحه عن ضرورة التحلى بالطيبة ، وبالأمانة ، وبالبر ، وكانت تستمع اليه فى أسى، وفى انفعـال .

* * *

ويلاحظ نوفيل أن فكرة الزمان والمكان كما نتصورها تبدو غريبـة تماماً على أذهان الكائنات التى نسـتجوبها ، فلا ينبغى أن نعلق اهميـة اكثر مما ينبغى على التواريخ فى مثل هذا النوع من البحـوث ، لأنهـا تخطىء فيهـا كثيرا ، وهذا امر متوقع لأننا نخطىء كثيرا حتى فى التواريخ المتصلة بأحداث وثيقة مرت بنا فى حياتنا الراهنة .

ويقول ان المنوم اندريه ديبيل حاول فى احدى الجلسات أن ينصب فخـاً للوسيطة فى غيبوبتها لمـا بدأت تسرد قصـة حياتها عندما بلغت الثانية والعشرين من عمرها وانتقلت للاقامة عند الكونتيسة دى شفينيه de Chevigné فى قلعـة بورسو Borsault فى مقاطعة المـارن Marne وكان هـذا الفخ كالآتى : —

— عندما كنت تقيمين مع الكونتيسـة هل كانت تستخدم التليفون ومع من ؟

— الكونتيسة لم تكن تتكلم فى تليفون ... بل كانت ترسـل تابعا يحمل خطابا الى شخص يركب فرسا هو الذى كان يوصل خطاباتها .

وفى خلال جلسة اخـرى أعطت مارى ليز فى دقـة مذهلة أوصافا لقلعـة بورسو ، وجرى الحديث كالآتى : —

— انت تتحدثين عن بورسو ، فصفى لنـا القلعـة ، واذكرى لنـا السنة التى نعيش فيها (أى فى ذلك الوقت) .

— انهـا بجوار كنيسـة ... وكانت مملوكة لبـارون ... وهى قلعـة قديمة ، ومملوكة الى اسرة الدوقة آن Anne ، ولقد شاهدت قلعة أخرى تشيد فى الحديقة ... وكان ذلك فى سنة ١٨ .... ١٨٤٣ .... وقامت بتشييدها سـيدة ... كنت أراها أحيـانا ... كانت قادمة من ابرناى Epernay وسكنت فى القلعة الجميلة فى سنة... ٤٨ ... وقد وضعونى فى تلك القلعة لأنه لم يكن بمقدورى بعد ان اظـل بباريس .

— لـماذا ؟

— لا أعلم ... ولكن كان يتعين علىَّ الا اظـل بباريس .

— تحدثى الينا عن السيدة التى حضرت لرؤيتك .

— كانت تسمى كليكو Cliquot .. نعم ولقد أودعونى فى القلعـة ، وكان الحـارس بوارل Poirel هو الذى يحضر الىَّ الطعام ، ولم أكن أشاهد انساناً .

وبدأت فى البكاء الشديد فتعين ايقاظها .

* * *

وفى جلسة أخرى واصـل ديبيل استجوابها فى نفس هذا الموضوع على النحو الآتى : —

— لـماذا كنت تعيسة ؟

— لقد كنت تعيسة لأننى كنت أعلم ان لى اما على قيد الحيـاة ، وكنت أريد ان أراها بلهفة ، ولكن لم يكن بمقدورى ذلك .

— عندما عرفت أمك ألم تفكرى فى الكتابة اليها ؟

— لم يكن من حقى الكتـابة . نعم لم يكن من حقى الكتـابة ... (وبدا عليها الانفعال) ... وكنت أخشى الدوقة (من المؤكد انها تقصد الكونتيسة) ... وقالت لى اننى اذا حررت اليها فانهـا ستعتقلنى ... انهـا لم تكن ترغب ، وكانت تهـددنى . آه نعـم . آه نعـم لقـد كانت تحبنى بدافـع من مصـلحتها لأن والدتى كانت ثرية ، واعطتهـا الكثير .

ولكن عندما توفيت والدتى اخذت منها الدوقة ذلك المقـر العظيم الذى كان ينبغى أن يؤول الىَّ ، ولهـذا السبب كانت تحتفظ بى ... لقد سـمعت ذلك يقـال . وكان الدوق والدوقة يتحدثان فى هـذا الشأن فى المكتب ، فأنصتُّ اليهما . وفى يوم رفضت الدوقة أن تعطينى مالاً ، فقلت لهـا انها ينبغى عليها أن تعطينى هـذا المـال فأجابتنى عندئذ بأنها ليست مدينة لى بأى شىء . فقلت لهـا انهـا تقطن مقـر

والدتي فغضبت مني ... واتهمتني بالكذب مع انني كنت قد سمعتها تقول ذلك .

ــ ولماذا طلبت منها النقود ؟

ــ لانني كانت تراودني فكرة الهرب كيما أحيا حياة أفضل .

ــ هل كنت تعيسة الى هذا الحد ؟

ــ نعم ، لأنني لم اكن أملك حق الخروج ، ولم يكن بمقدوري أن افعل ما أشاء .

* * *

وفى المرحلة الثالثة من تاريخ حياتها يبدو أنها انتقلت للاقامة الى مقر آخر مملوك لنفس الأسرة يسمى « أوتيل بورجيز » Borghèse عنوانه رقم ٥ ، ٧ شارع لاشيز La Chaise بباريس وفيه دخلت فى مغامرة غرامية مع الماريشال هوراس سباستيانى Horace Sebastiani الذى كان فى نفس الوقت سفيرا لبلاده فى القسطنطينية، وخطيباً ، وديبلوماسيا من أبرز الدبلوماسيين فى أوروبا بعد سقوط نابليون (١) .

وقد ورد عن سباستيانى هذا فى قاموس « لاروس العالمى » ما يلى : « هو الكونت هوراس فرانسوا باستيان Horace - Francois - Bastien ماريشال فرنسا . ولد فى بورتا دامبينانو Porta - d'Ampugnano بجزيرة كورسيكا فى سنة ١٧٧٢ وتوفى فى باريس فى سنة ١٨٥١ . لمع فى معركة مارنجو Marengo وفيمابعد فى حملة فرنسا .

كان وزيراً للخارجية فى ظل « ملكية يوليه » Monarchie de juillet وفجع فى شيخوخته بمصرع ابنته الكونتيسة براسلان Praslin » . كما ورد عنه فى بعض كتب التاريخ أنه كان مغامرا و « دون جوان » لا يشق له غبار فى أموره العاطفية .

وقالت مارى ليز (أى الفلاحة دنيز) انها تعرفت عليه بمناسبة رقصة « فالس » وتناولت كأسا من الشمبانيا برفقته ، وقد أثر فيها بشخصيته القوية الى حد انه أصبح حلم حياتها ، وأصبحت تتحين الفرص للقائه . وتقول انه فى ذلك الوقت بالذات تقدم الكونته

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب للوى كامبى Louis Campi : عنوانه La Vie de Maréchal Sébastiani.

دى مورتمار de Mortemart لخطبة كلمنتين دى شيفينيه Clementine de Chevigné (ابنة الكونتيسة دى شيفينيه) . وكانت لقاءاتهما العاطفية تضاعف من آلام حرمانها ، عندما كانت تتخيل نفسها فى نفس الأوضاع بين ذراعى سباستيانى ! ...

ولم تكن تعرف عند ذاك حقيقة شخصيته ولا مكانته . وفى ذات مساء كانت تجلس وحيدة ضجرة فى المنزل عندما دخل عليها التابع جوزيف ليخبرها أن سيدا بالخارج يعمل سفيرا يريد مقابلة السيدة الكونتيسة ، وانه حضر من مكان بعيد . فشعرت مارى ليز بصدمة ، لأنها كانت تعلم أن سباستيانى يمارس عملا سياسيا رفيعا فى الخارج ، حتى لقد خشيت أن تنهار ، لكنها تمالكت نفسها وأشارت بادخاله .

واتضح فعلا أنه سباستيانى الذى لم يظهر عليه الضيق من تلك المفاجأة ... وبجمل لبقة قليلة أمكنه أن يقنع مارى ليز — بعد أن جلسا معاً على الأريكة — أنه لم يكف عن التفكير فيها حتى عندما كان يعمل على شاطىء البوسفور المكان الذى قدم منه ، وأن لقاءهما الأول ظل محفورا فى ذاكرته لما سببّه له من سعادة .

وطلب منها ميعادا للقاء آخر فى مكان هادىء ، فكان اللقاء فى غرفتها الخاصة بارشاد من جوستين Justine الوصيفة المخلصة لها ، وأيضا بعلم من التابع جوزيف الذى يبدو أن سباستيانى الدبلوماسى اللبق عرف كيف يكتسب مودته ، وفى غرفتها استسلمت له .

ثم أخذت مارى ليز تروى كيف كان سباستيانى يزورها متنكرا ، وكان يخفى عليها أنه كان زوجاً وأباً ، وكان فى ذلك الوقت قد أصبح سفيرا لبلاده فى لندن بعد القسطنطينية . وكانت ظروف الاقامة فى ذلك الوقت قد أصبحت تسمح بتكرار الزيارات لغياب الكونتيسة وسفر كريمتها مع زوجها الى الخارج بحيث لم يتبق معها فى المنزل بباريس سوى التابع جوزيف والوصيفة جوستين .

وهكذا أصبحت مارى ليز عشيقة طيّعة للدبلوماسى اللبق ، والجندى المقدام سباستيانى . ولم تكن تتصور أنه كان متزوجاً وأباً ، بل كان يدور بخلدها انه سيتقدم سريعاً الى خطبتها فتنجو من حياة الأسر والحرمان التى كانت تحياها حتى ذلك الوقت .

ثم تغير مكان اللقاء من « أوتيل بورجيز » الى مكان خاص يهوراس سباستيانى بضاحية أوتى Auteuil . وكانت مارى ليز تزعم انها تتردد على طبيب للفحص وللعلاج ، الى أن اشتبهت الكونتيسة فى أمرها . ثم تدخلت فى العلاقة بينها وبين سباستيانى شارحة له كيف

أن بولين بونابرت كانت قد عهدت اليها بابنتها الطبيعية مارى ليز ، لكى تكفلها وتربيها فى حياتها وبعد وفاتها .

وكان ذلك من ضمن الأسباب التى حملت سباستيانى على المزيد من التعلق بمارى ليز ، لأنه فيما يبدو كان — هو أيضاً — ابناً طبيعياً لوالديه ! ثم سافر سباستيانى الى مقر عمله الجديد بلندن فى الوقت الذى كانت مارى ليز تتصور فيه انه لا يزال سفيرا فى القسطنطينية .

كما روت مارى ليز كيف أن الكونت مورتمار صهر الكونتيسة دى شيفينيه — بعد أن رجع من رحلة شهر العسل مع عروسه — كان يحاول أن يلقى شباكه من حولها الى حد اضطرها أن تصارح عروسه كلمنتين بالموضوع . ولما علمت بذلك الكونتيسة الأم غضبت من تصرفها ولامتها على هذا الموقف الأحمق ، بالاضافة الى مواقفها مع سباستيانى . وحفظاً للسلام فى المنزل قررت الكونتيسة أن تتخلص من متاعبها باعادتها للاقامة فى قلعة بورسو طيلة العام .

* * *

وقد أمضت مارى ليز بقية حياتها فى تلك القلعة ، وكانت حياة مملة خالية من الذكريات العنيفة التى كان يصح أن تغذى اختبارات « ارجاع الذاكرة للوراء » ، والتى كان يمارسها أندريه ديبيل على هذه الفلاحة الساذجة دنيز .

وكان من ضمن الأحداث التى روتها أن الكاتب المعروف أونوريه دى بلزاك Honoré de Balzac كان يزور قلعة بورسو وتعرّفه الى مارى ليز ، فكان يروى لها أخبار متاعبه المالية رغم أن صيته كان قد بلغ شأواً كبيراً . وذكرت كيف أنه كان صديقاً للكونتيسة ، وكيف أنه وعدها بأن يرسل اليها نسخة من كتابه الجديد « مذكرات زوجين شابين » (١) .

* * *

وتمضى حياة مارى ليز فى سآمة وبلا أحداث تذكر ، الا أنها فوجئت ذات يوم بقدوم سباستيانى خصيصا للبحث عنها فى قلعة بورسو ، وكان قدومه على ظهر فرس ، ولقاؤهما فى حديقة القلعة ، وكانت سعادتها بهذا اللقاء المفاجىء لا توصف . واخذ يعتذر لها ، ويصارحها بالحقيقة وهى انه لم يتقدم لخطبتها لأنه كان زوجا وأباً لشابة كبيرة . فذهلت ولم يكن يعنيها اعتذار عاشقها لها ، بل لقد القت اللوم كله على القدر .

---

(١) Mémoires de deux jeunes mariés.

وكان سباستيانى فى ذلك الوقت قد أصبح كهـلا أرملا ، وهى فى الأربعين من عمرها . وروى لهـا مأساة اليمـة مرت به ، اذ أن ابنته الوحيدة تزوجت المـاركيز شوازيل براسـلان Choiseul - Praslin ثم فاجأته هذه فى موقف فاضح مع مربيـة الأولاد . ولمـا ثارت مشادة تخلص من الموقف بأن طعنها بخنجر كان عنده فأودت الطعنة بحياتها . وانتهت علاقة مارى ليز مع سباستيانى بزواجها منه وسـفرها للاقامة معه فى جزيرة كورسيكا Corse وهى موطنه الأصـلى ، وأمضت هناك حياة سعيدة هادئة .

لكنها كانت أحياناً تزور قلعة بورسو . ومن ذكرياتها الجديدة فيها أن لويس بونابرت Louis Bonaparte الذى أصـبح رئيسـاً للجمهورية الثالثة زار القلعـة فى أثنـاء زيارة له شـبه رسـمية الى شرقى فرنسا ، وكان موضع حفاوة أسرة الكونتيسة . وقالت انه كان فى ركب الرئيس الجنرال سانت أرنو Saint Arnaud بملابسـه الرسمية ، وفيليان دى برسينى Filian de Persigny ، وآخرون . وأن الكونتيسـة صارحتـه بتـاريخ مارى ليز وبقصـتها مع هـوراس سباستيانى فسألها الرئيس عن أخبار هـذا الأخير فأفهمته أن صحته أصبحت مضعضعة جدا تحت تأثير التقدم فى السن ، ومأساة كريمته مع زوجهـا .

وتوفى سباستيانى بتاريخ ٤ سبتمبر سنة ١٨٥١ ، واحتفل لويس بونابرت (نابليون الثالث) بتشييع جنازته احتفالا كبيرا ثم أصيبت مارى ليز بمتاعب فى معدتها ، وبآلام شديدة . وأقامت فى القلعة الجديدة فى بورسو طيـلة أيام شيخوختها وكانت تألف الجـلوس على كرسى طويل وتطل على الحديقة . وكانت كلمنتين دى مورتمار (الكونتيسـة الصغيرة) تحنو عليها كثيرا فى شيخوختها ، وتجلس بجوارها لـمدى ساعات طويلة ، بل كانت تقوم بتمريضها ، والتسرية عنها بأن تقرأ لهـا فى بعض الكتب .

وتقـول مارى ليز انها فى ظهيرة سعيدة من أيام الربيع أفلتت من اسار هذا العـالم ، حينما كانت كلمنتين الى جوارها ، وكذلك الخادمة المخلصة ، وتمت مراسيم دفنها فى هدوء .

الانتقال الى مسارح الأحداث

ويقول نوفيل انه اصطحب الوسيطـة دنيز الى نفس الأماكن التى عاشت فيها مارى ليز ، والى نفس المقبرة التى دفنت فيها والتى اندثرت معالمهـا ، ومعالم الكنيسـة التى بجـوارها ، ولم يبقَ قائما سـوى قلعـة بورسـو .

ويقول ان دينز اغمى عليها تلقائياً هناك ، وانها شعرت بكثير من الانقباض عند وصولها الى البقعة التى أرشدت انها — وهى فى غيبوبتها المغناطيسية — قد دفنت فيها . وأنه بداخل القلعة أوقعها ديبيل فى غيبوبة مغناطيسية حتى تروى أحداثها الأخيرة هناك .

وقالت انها فى الثامنة والخمسين من عمرها ، وانها تعيش فى سأم وفى آلام حادة من معدتها ، وانها عاجزة عن تناول الطعام . ثم قالت انها بلغت الواحد والستين من عمرها ، وأنها ترقد فى غرفتها عاجزة عن الحركة ، ثم روت واقعة « وفاتها » .

ثم تقول عما تلا ذلك من أحداث :

هأنذا بين الأحياء ، مع جميع الأشخاص الذين على الارض . اننى اطفو ... اطفو ... اننى أرى ... اننى أتحدث ولا يفهموننى . نعم اننى أرى كل الناس ... لكن أحدا لا يرانى ... أرى كل شىء ... أرى كل شىء ... وأفهم كل شىء .

— وماذا بعد ؟

— اننى بين السماء والأرض ، أذهب ، وأجىء ، وأميز الأشخاص ، وذلك يجرى عن بعد .

— هل تشاهدين أولئك الذين كنت تحبينهم ، وهل بمقدورك أن تفعلى لهم أى شىء ؟

— كلا اننى لا ارى ... لا أرى سباستيانى ، اننى ظل لكنه ظِلٌ يَرَى ، ظلٌ شفاف . ولكننى لا اتألم ، وارى جيدا حياتى الماضية ، ارى كل شىء ،

— اذاً من كانت مارى ليز ؟ ومن كان أبوها الحقيقى ؟

— الماريشال ليفيفر ، وأنا متأكدة من ذلك .

— وماذا اصبحت فيما بعد ؟

— لقد انتظرت ... انتظرت وقتا يبدو طويلا ثم أصبحت دنيز Denise C. .

— أريد أن اعرف ماذا صنعت عند وفاتك ومغادرة جسدك ؟ كيف تصرفت ؟

— ان هذا أمر يصعب شرحه .

— وماذا فعلت فى التربة ؟

— عند الموت نغادر جسدنا ، والجسد هو الذى يذهب الى التربة ، ولقد شاهدته وهو يوضع فيها ، شاهدت جسدى يوضع فى القبر ، انه جسدى فقط .

ـ هل كنت وحدك فى القبر ؟

ـ نعم كنت بمفردى ، وأزالوه عندما ارادوا توسيع الكنيسة ... وبه بعض عظام ... توجد به عظمتان فقط ...

ـ عندما تطفين هل تشاهدين ظلالا أخرى ؟

ـ نعم نحن عديدون ، وتوجد ظلال أخرى تطفو مثلى ، وهى تطفو وتتنزه ، ولا تتبادل الحديث ، ولا نعلم شيئاً .

ـ ومن الحاكم ؟

ـ لا يوجد شخص حاكم ، ونحن وحيدون لا نستشعر حرا ولا بردا ، بل هو دائما نفس الطقس ... والجو مضىء ، ولا نميز جيدا الضوء من الليل .

ـ وماذا تشبه تلك الظلال ؟

ـ تشبه أجسادا آدمية شفافة يخرج من وسطها شىء متميز تماماً ، وابيض كله ...

ـ هل عاقبك أحد ؟

ـ كلا ! لأننا كثيرون ... كثيرون ...

ـ وقبل أن تكونى مارى ليز ماذا كنتِ ؟ وأين ؟

ـ لقد كنت أطفو ... نعم لقد كنت شخصاً ... لا أرى جيدا ... آه نعم منذ زمن بعيد كنت ... اننى أرى من كان يقطن هذا الجسد . انه ظل ، واننى أراه ... لقد كنت أقطن جسدا آخر .

ـ ماذا كنتِ ؟ وفى أى عصر ؟

ـ فى سنة : ١٧٩٠ ... توفى هذا الانسان .

ـ ماذا كنتِ ؟

ـ كنت رجلا ... نعم ... نعم ، لكن رجلا كدَّ كثيراً حتى يتمكن من تربية كل أولاده .

ـ ما اسمه ؟

ـ نيسيز **Nicaise** ... نيسيز .... آه آه .

ثم شعرت دنيز بضيق اقتضى ايقاظها .

* * *

وهكذا يقدم بيير نوفيل النتائج الفريدة التى وصل اليها ويقول معلقاً عليها : « بأننى مقتنع بأن الباحثين الروحيين سيجدون فيها سندا كفيلا بتقدم « علم الانسان » سواء اتجه الى الروحية الصرف أم الى المادية البناءة ، وفى الحالين ينبغى ان يكون الهدف هو سعادة الانسانية » .

وانني اكون راضياً اذا امكن للمـادة التى جمعتها مع السـيدة جيرمين بوجيت ، واندريه ديبيل أن تستخدم فى هذا الشأن .

وقصة مارى ليز ليست اكثر من خطوة فى طريق الاستكشاف المثير الذى قمنا به للبحث عن الحقيقة . وفى هذا الميدان لا ينبغى للباحث أن يكون مسلحاً بأمر آخر سوى الارادة الطيبة ، والنية الحسنة . والايمان كما قال احدهم هو شجاعة الروح التى تسير نحو الأمام واثقة من العثور على الحقيقة . وهذا الايمان ليس عدوا للعقل ، بل هو شعلته المضيئة . وهو الشعلة التى أضاءت الطـريق امام كريستوفر كولمبس وجاليليو ، والتى تبحث عن الدليل ، والدليل المضاد ، وهذا هو الطريق الوحيـد الممكن الآن » (١) .

وهذا القول يبرز الحقيقة التى ذكرتها فى مناسبة سابقة ، وهى أن جل بحاث هذه الأمور ليسوا بالمرة من أرباب عقيدة العودة للتجسد ، أو حتى من المقتنعين بدوام حياة الانسان بعد الموت . بل هم بحاث يشعرون أن مهمتهم الوحيدة هى تجميع المـادة الخام لتشييد النتائج الصحيحة عليها بعد توسيع رقعتها واخضاعها لمتطلبات أسلوب التحليل العلمى . فهم ليسوا اذا أصحاب عقيدة مسبّقة أية كانت .

وهذا الاعتبار يضفى بذاته قيمة خاصة على نتائـج تحقيقاتهم فى امثال هـذه الظواهر التى تصدوا لتحقيقها وتسجيلها فى مثابرة ، ومهما كبّدتهم من عنـاء ومن مشقة الانتقال الى مسارح الأحداث للتحقق من مدى صحتها على النحو الذى فعله دى روشا ، ونوفيـل وغيرهما على ما سيرد تباعا فيما بعد سواء فى فرنسا ، أم فى أمريكا ، أم فى انجلترا ، أم فى المـانيا ، أم فى السويد ، أم فى غيرها ....

تعليق

واذا كان من ملحوظة تستحق التسجيل فى ختام تجارب بيير نوفيل مع هذه القروية الساذجة دنيز فهى عجز هذه القروية عن ان تتذكر شيئاً له قيمته عن حياتها السابقة فى الأثير رغم ايقاعها فى الغيبوبة المغناطيسية ، وقدرتها على أن تتذكر أحداثاً كثيرة محددة لها وزنها عن حياتها السابقة فى عالم المـادة .

وحتى حالات « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » التى سنعالجها فى المبحث المقبل تدور حول ذكريات محـددة عن أحداث وقعت فى عالم المـادة ، ولا تتضمن ذكريات لها وزنها عن أحداث محددة وقعت فى عالم الأثير سوى فى حالة واحدة أو اثنتين .

---

(١) عن بيير نوفيل . المرجع السابق طبعة ١٩٧٠ ص ٨٨ — ١٦٦ .

والظاهر أن جميع الذكريات السابقة تنزلق بالميلاد الجديد الى اللاشعور ، فلا تطفو منها الى الشعور سوى نسبة ضئيلة اذا توافرت شروط معينة ، اما فى غيبوبة التنويم المغناطيسى ، واما فى حالة اليقظة الكاملة خصوصاً فى الطفولة المبكرة . ولكن طفو الذكريات من اللاشعور الى الشعور عن حياة عالم المادة أيسر بكثير من طفوها عن الحياة السابقة فى عالم الأثير . وذلك يرجع — فى تصورنا — الى اعتبارات متعددة أهمها ما يلى : —

أولاً : أن المستوى الاهتزازى لعالم الأثير يعلو كثيراً عن المستوى الاهتزازى لعالم المادة . وتقارب ، أو اتحاد المستوى الاهتزازى للحياة الحاضرة مع الحياة السابقة فى المادة يجعل التذكر ايسر منالاً ، والصورة أكثر وضوحاً فى ذهن صاحبها من الفرض الآخر .

ثانياً : يبدو أن ذكريات حياة المادة تكون فى المعتاد أشد مرارة ، ولذا تحدث خدشاً أقوى أثراً فى الذاكرة الشعورية واللاشعورية معاً ، من ذكريات حياة الأثير ، التى يضيع فيها حتى الاحساس بالزمان وبالمكان ، والتى قد تقصر — بحسب مقاييسنا الأرضية — الى ايام قلائل أو تدوم الى قرون عديدة .

ثالثاً : أن أسلوب الذاكرة فى العمل فى الأثير بالعقل رأساً وبدون الاستعانة بجهاز المخ ، مغاير تماماً لأسلوبها فى العمل فى عالم المادة عن طريق المخ . ولذا فان ارتباط الذاكرة الأرضية بالمخ يجعلها اقدر على تذكر الماضى البعيد عندما كانت تعمل أيضاً عن طريق المخ السابق ، وهو واحد فى طبيعته .

رابعاً : أن العيش فى عالم المادة من جديد قد يساعد على تحريك الذكريات الدفينة فى اللاشعور ، والتى تتحرك فى بعض الأحيان لمجرد العودة لارتياد نفس مسارح الأحداث القديمة ، أو لمشاهدة بعض أحداث مماثلة قد تكون سبباً فى تحريك الذاكرة عن الأحداث المماثلة القديمة ، ولو بطريق تداعى المعانى ، كما يحدث أحياناً فى الأحلام .

ومن يدرى فلعل صعوبة تذكر الماضى الذى أمضته الروح فى عالم الأثير — بالمقارنة بتذكر الماضى الذى أمضته فى عالم المادة — هو الاعتبار الذى يقع خلف بعض المذاهب الهندوسية التى تتصور أن التجسد فى الأرض يحدث بعد الوفاة مباشرة ، أو حتى فى أثناء الاحتضار ؟ ! وانه بالتالى لا توجد فترات للراحة والاستجمام قد تمضيها الروح فى الأثير وقد تطول الى دهور ودهور ! ! ...

من اختبارات ادجار كايس وآرائه


ادجار كايس

وممن ارتبط اسمهم ارتباطاً وثيقاً بموضوع العودة للتجسد وسيط من أغرب وسطاء هذا العصر وأبعدهم صيتاً وهو ادجار كايس **Edgar Cayce** وقد كان صاحب عدة مؤلفات فى الموضوعات الروحية (١) ، كما كتبت عنه ولا تزال تكتب عدة مؤلفات أخرى (٢) . بل لقد نوقشت عن حياته وظواهره رسالة حصل بها مقدمها على « الدكتوراه فى الفلسفة » من جامعة شيكاغو فى شهر يونيه سنة ١٩٥٤ .

وقد ولد هذا الوسيط — الذى وصفه بعضهم بأنه أعجب شخصية فى أمريكا — فى ١٨ مارس سنة ١٨٧٧ وتوفى فى ٣ يناير سنة ١٩٤٥ وكانت اهم مواهبه التنبؤات الصحيحة ، والعلاج ، والتراسل الفكرى **Telepathy** ، والجلاء البصرى . وكان هذا الوسيط متديناً — الى حد أنه قرأ الانجيل ستة وخمسين مرة كما قال — وبدأ اختباراته منكراً نظرية العودة للتجسد ومعتقداً أنها تناقض عقيدته « كبروتستانتى » شديد التدين ، الى أن تبين له تدريجياً أنها عقيدة صحيحة ، وأنها تفسّر أموراً كثيرة كانت تبدو له غامضة فيما مضى ، وأن فى الانجيل اشارات كثيرة عنها بعهديه القديم والجديد ، وأن التناقض الذى تصوره لم يكن سوى سراب من صنع سوء الفهم والاذعان المطلق لما تلقنه فى الصغر .

وابتدأ هذا الوسيط يروح فى غيبوبة تلقائية مغناطيسية منذ سنة ١٩٠٠ فيقوم بانباء الشخص الجالس معه عن الكثير من أسرار حياته الخاصة الحاضرة بطريقة صحيحة دقيقة حيرت الناس ، وكتبت عنه

---

(١) يراجع ما ورد عنه فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص٣٤٩ .

(٢) منها : Thomas Sugrue : The Story of Edgar Cayce.
There is a River 1942.
Glenn. D. Kittler : Edgar Cayce : On the Dead Sea Scrolls 1970.
Harmon H. Bro : The Approach of Edgar Cayce 1971

الصحافة كثيراً منذ هذا التاريخ ، ووصفت طريقته بأنها « قراءات الحياة » Life Readings .

ولما ذاع صيته توافد عليه الآلاف فأخذ يستعين بزوجته بوصفها سكرتيرة اختزال عن طريق الآلة الكاتبة . وعندما توفى فى سنة ١٩٤٥ فى شاطىء فرجينيا ترك ما يتجاوز أربعة عشر الف تقرير دونت بمعرفة زوجته عن الحالات التى نجح فيها جلاؤه البصرى فى الكشف عن الأمور الغامضة . وقد جمعت هذه القراءات العجيبة عن الماضى بمعرفة جمعية اسمها « جمعية البحث والاستنارة » تأسست منذ سنة ١٩٣٢ خصيصاً للبحث فى الأمور الروحية وتحليلها (١) .

ويقول كايس عن نفسه ـ فى محاضرة له ألقاها فى سنة ١٩٣١ بمستشفى يحمل اسمه ـ أنه عند الوقوع فى الغيبوبة المغناطيسية التلقائية كان يشاهد نفسه خارج جسده ، ويرى كائنات من عالم آخر الى جواره (٢) وأن « اللاشعور » يكون عند ذاك قد استيقظ فيه على حساب « الشعور » وأنه اقترب الى حد ما من « عقله الأسمى » الذى أصبح بمقدوره استخدامه فى قراءة تاريخ حياة من يطلب هذه القراءة ، وذلك عن طريق محاولة ضبط لاشعوره الخاص بلاشعور من يطلب هذه القراءة ، فيجيئه الالهام متدفقاً وهو فى غيبوبته عن الشخص طالب القراءة . وكانت غيبوبة كايس تتفاوت فى عمقها ووصلت فى بعض الحالات الى التوقف الكامل لكل وظائفه الحيوية مثل النبض والتنفس الى حد أنه ظل فى هذه الحالة ذات مرة لمدة يومين فشخَّص الأطباء وفاته خطأ ، وكاد كايس المسكين أن يدفن حياً ، كما يحدث فى حالات أكثر ذيوعاً بكثير مما قد نتصور (٣) . وكان عندما يستيقظ من غيبوبته المغناطيسية التلقائية لا يذكر شيئاً مما يكون قد سرده .

وما يعنينا هنا بوجه خاص هو أن كايس كان لا يكتفى بقراءة الحياة الحاضرة للشخص الجالس معه ، بل كان يقرأ له أحياناً حياته الماضية ، بل عدة حيوات ماضية متتابعة وكان يساعده ـ عن هذا السبيل ـ فى تفهم متاعبه الحاضرة ، وأمراضه النفسية والجثمانية ، ولاستكشاف ملكاته ومواهبه الدفينة . وكان الكثيرون يؤمنون بصدق هذه القراءة لما يلمسونه بأنفسهم من صدق قراءاته لحياتهم الحاضرة ، وانبائه

---

(١) Association for Research and Enlightenment Inc P. O Box, Virginia Beach, Virginia 23451.

(٢) راجع ما ورد عن هذا الشأن فى « مفصل الانسان روح لا جسد » . الجزء الأول ص ٩٣٥ ـ ٩٥٩ . أو فى كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ١٩٧٥ ص ١١١ ـ ١٣٥ .

(٣) راجع ما ورد عن هذا الشأن فى المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٠٢٢ ـ ١٠٢٨ حيث تجد وقائع واحصائيات تثير الحيرة والذهول وتستوجب الاحتياط الشديد عند تشخيص الموت . وكذلك فى مؤلفنا «ظواهر الخروج من الجسد» ١٩٧٥ ص١٩٨ـ٢٠٤ .

الصحيح عن مشكلاتهم الراهنة ، بالاضافة الى ما عرف عنه من نزاهة واستقامة فى الخلق .

وكذلك كانت قراءاته عن الحيوات الماضية تنبىء عن معلومات غزيرة جداً عن أمكنة كثيرة فى العالم لم يزرها ، وعن حضارات ، وتقاليد ، وتواريخ ، وأحداث ، ومعتقدات ، وطقوس ، وأزياء ، وظروف جغرافية ، وطبيعية ... لم يعلم عنها شيئاً بالأساليب العادية . بل لقد كانت قراءاته ترجع بصاحبها أحياناً الى حضارات الرومان ، والاغريق ، والفرس ، والعرب ، والبابليين ، والفراعنة ، وقارة الأتلنتس أيضاً التى ترجع حضارتها الى ما قبل عشرة آلاف سنة قبل الميلاد (١) .

ولا يتسع المقام الحالى بطبيعة الحال لسرد بعض اختباراته المدونة فى عدد من المراجع التى كتبت عنه ، ولكنه ينبغى أن يتسع لسرد بعض النتائج التى وصل اليها هو عن مفهوم العودة للتجسد ، بحسب تقديره الخاص ، فانها نتائج لها وزنها لأنها ثمرة اختبارات عشرات من السنين على الآلاف من الأشخاص .

وهو يعتقد أن « الكارما » ناموس طبيعى للسبب والنتيجة من شأنه أن يزوّد الروح بفرص كثيرة للنمو الفيزيقى والعقلى . وكل روح أو كل كائن بحسب تعبيره عندما يعود من جديد الى المستوى الأرضى يكون له اتصال لا شعورى بما يكون قد حصل عليه من ملكات ومواهب وخصائص عقلية فى حيواته الماضية . وذلك رغم أنه يتعين على الكائن أن يناضل ضد التأثير السلبى الذى قد يجىء من ناحية الحيوات الماضية بسبب الانفعالات الضارة كالكراهية ، والخوف ، والقسوة ، والجشع ، مما يكون قد عاق تقدمه المطلوب .

وبالتالى فان رسالة الكائن على الأرض هى أن يستفيد من الميلادات المتكررة كيما يحدث توازناً بين عناصره الايجابية والسلبية « الكارمية » بأن يسيطر على دوافعه الأنانية ، وبأن يشجع تطلعاته الخلاقة . وان هذا يفسر علة التساؤل المنطقى الذى قد يثار عن الألم الذى « لا حاجة به » ، ومن أين جاء ؟ وكيف جاء ؟

ويقول كايس ان الحالات التى اكتشف فيها أن الشخص الجالس امامه لقراءة حياته يمثل تجسداً لشخصية تاريخية لها وزنها ... قليلة جداً . وهو يعتقد أن التجسد فى حياة متواضعة هادئة يتيح للروح فرصاً للتطور والارتقاء ، تتجاوز الفرص التى تتيحها له حياة تجرى « تحت الأضواء » بكل انفعالاتها الشديدة ، ومتاعبها الصاخبة ، ومصادر القلق والخوف التى تكتنفها .

---

(١) راجع ما ورد عنها فى المرجع السابق . الجزء الأول ص ٤٨٣ — ٤٨٤ .

وهــو يعتقــد أيضاً أن الجــولة الأخيرة لن يخوضها الانسان على الأرض ، بل ستحدث بين النفوس التى تغادر الأرض وتلك التى تحاول العودة اليها . أى بين النفوس التى تعود الى الله الذى هجرته يوماً ما ، وبين النفوس الضــائعة التى تنكر الله ، وتتمســك بكل قواها بالتردد على هــذا الكوكب الضائع بدوره . أو بحسب الاعتقاد الحرفى سيكون السجال بين « الموتى » لا بين الأحياء .

وهو يجعل الفارق بين أولئك الموتى والأحياء كالفارق بين الدودة والفراشة . وبالتالى فان النفوس التى ستخوض الجولة الأخيرة ستكون هى نفس الأرواح التى كانت منذ البداية ، ولم يتغير فيها شىء الا فى أن مستوى الوعى الذى أصبحت تشغله أصبح أفضل من مستواها القديم ، بارتفاعها عن تخوم المــادة الى المستوى الأبدى المعد لها منذ البداية (١) .

من اختبارات مورى برنشتين

ومن الباحثين المعاصرين فى موضوع العودة للتجسد باحث أمريكى يدعى مورى برنشتين **Morey Bernstein** ذهب الى ولاية فرجينيا بعد وفاة ادجار كايس فى سنة ١٩٤٥ بتصميم أكيد على أن يهاجم تجارب هذا الأخير وأن يتهمه بالتدليس .

وقــد كان برنشتين هــذا طبيباً نفسياً ومعنياً بدراســة التنويم المغناطيسى . فأخــذ يتردد على مقــر « جمعيــة البحث والاســتنارة » A. R. E التى اشرت اليهــا آنفاً لفحص الآلاف من مضابط « قراءات الحياة » التى كان يقوم بها ادجار كايس ، وانتهى برنشتين الى الاقتناع بأن ثمة رقعــاً أعمق من غيرها من العقــل غير الواعى يمكن أن تحتفظ بذكريات عن حيوات سابقة .

ثم قادته الظروف الى بلدة بولدر **Boulder** بمقاطعــة كولورادو **Colorado** حيث عثر فى ســنة ١٩٥٢ على سيدة تدعى روث سيمونز **Ruth Simmons** (ولدت فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٣) تصلح وسيطة ناجحة لاختبارات التنويم المغناطيسى . فنجح فى ارجاع ذاكرتها الى وجود سابق لها بوصفها فلاحة ايرلندية عاشت فى مدينتى بلفاست **Belfast** وكاونتى كورك فى النصف الأول من القرن التاسع عشر . ونشر فى سنة ١٩٥٦ عن تجاربه معها كتاباً عنوانه « البحث عن بريدى مورفى » (٢) ، وهو اسم هــذه السيدة فى وجودها السابق فى ايرلندا ، وقد كان لهذا الكتاب دوى شديد فى الصحافة وفى الرأى العام الأمريكى .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) **The Search For Bridey Murphy.**

وقـد روت الوسيطة ـ وهى فى تنويمهـا المغناطيسى ـ كثيراً من البيانات والتفصيلات عن حياتهـا السابقة ، التى يتعـذر اعتبارها من محض مبتكراتها : من بينهـا أسماء بعض المحـلات التجارية التى كانت موجودة فى ذلك العصر فى بلفاست ، وأسماء الصحف والمجلات الشائعة ، والعملات المتداولة .

وقالت أنها ولدت فى سنة ١٧٩٨ وتوفيت فى سنة ١٨٦٤ ، وذكرت أسـماء الأطعمـة الايرلندية التى كانت تتناولهـا ، والأدوات التى كانت تستخدمها باللغة الايرلندية الدارجة . كمـا عبَّرت عن رهبتها من الأب جورمان Gorman وهو كاهن الناحية الذى كان فيما يبدو صـاحب نفوذ كبير فيها .

وقالت بريدى مورفى انها فى وقت ما كانت زوجة لأحد المحامين فى المحاكم العليا اسمه بريان ماك كارثى Bryan Mc Carthy وكان عضواً فى هيئة أساتذة « كلية الملكة » فى بلفاست ورسمت خريطة أوضحت عليها ـ بدوائر صغيرة ـ موقع بيتها .

واضافت أنها توفيت عندما بلغت السادسة والستين ، وأنها خلعت جميع أسنانها . وكانت جميع أحاديثها باللهجة الايرلندية العامية التى كان يستخدمها دهمـاء القوم هناك ، وهى لهجة لم تعبر أبداً المحيط الأطلسى ولم يستخدمها أحد من الممثلين الأمريكيين .

وكل هـذا سجله برنشتين على أشرطة تسجيل الصوت التى كان يستخدمها فى اختباراته معهـا . وبطبيعة الحال لم تكن للوسيطه روث سيمونز أية صلة بهذه اللهجة ، ولا يمكنها تقليدها أو تمثيلهـا وهى فى صحوتها . وذلك الى حد أنه يمكن القول بأن أسلوب روث سيمونز فى سلوكها المسجل على الأشرطة يعد أكثر اقناعاً من جميع البيانات والأسماء والتفصيلات التى ذكرتها عن الحيـاة فى بلفـاست فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

وبالاضافة الى ذلك تبين بالتحقيق أن هناك سيدة تحمـل اسـم بريدى مورفى مكارثى عاشت بالفعـل فى المكان والزمان اللذين ذكرتهمـا السيدة الأمريكية وأنها مرت بالأحداث والظـروف التى وضحتها وهى فى غيبوبتها المغناطيسية .

هذا وقد عنى ك.جـ. ديكاس C. J. Ducasse أستاذ الفلسفة بجامعة براون بأمريكا بهـذه الحالة فى مؤلف له عنوانه « دراسة انتقادية

فى الاعتقاد فى دوام الحياة بعد الموت » (١) (١٩٦١) نخصص لها صفحات كافية من التحليل العلمى المحايد ، ودافع فيها عن برنشتين ، كما أيد فيها الوسيطة روث سيمونز نافياً عنها شبهة التدليس (٢) .

اختبارات لاحقة من نفس النوع

وهذه أيضاً اختبارات حديثة تتلخص وقائعها فى أن قساً أمريكياً يدعى كارول جاى Carroll Jay يعمل راعياً من مذهب الميثوديست بقرية تقع بوادى شناندوه Shenandoah Valley بالقرب من مدينة الكتون Elkton بالولايات المتحدة الأمريكية اتخذ التنويم المغناطيسى هواية له منذ سنة ١٩٥٤ ، وكان هدفه الأصلى منه مجرد المساعدة على علاج زوجته من الصداع ، ومن بعض آلام ظهرها .



القس « جاى »
يوقع زوجته فى الغيبوبة

ولذا أخذ هذا القس ينوّم زوجته دولوريس Dolores التى كانت عندئذ فى الحلقة الثالثة من عمرها والآن فى الثانية والخمسين . ثم دفعه حب الاستطلاع لأن يختبر ظاهرة ارجاع الذاكرة للوراء فاذا بها تسرد وقائع معينة يظهر منها أنها كانت فيما يبدو سيدة أمريكية تعيش فى ولاية انديانا Indiana وتوفيت بها فى سنة ١٩٢٢ .

وعندئذ بدأ يفكر فى التثبت من صحة تلك الوقائع التى وردت على لسانها وهى فى غيبوبتها المغناطيسية ، كما فعل العديد من الباحثين عندما بوغتوا بحدوث ظواهر مماثلة ، وذلك لمحاولة الوصول الى تعليل لها يروى الغليل .

وانتقل القس الى تلك الولاية حيث يقول انه حصل على بيانات جعلته يعتقد انها مطابقة لتلك التى وردت على لسان زوجته فى غيبوبتها ! وفى مرة سألها وهى نائمة عن الم ظهرها فأجابت سلباً باللغة الألمانية . وبعد ذلك رأى ضرورة تسجيل اجاباتها على شريط التسجيل ، وبدأت هذه الظاهرة بعد مضى ستة شهور تتبلور تدريجياً ، واخذت السيدة تجيب على جميع أسئلته بلغة أعتقد انها لابد أن تكون اللغة الألمانية .

---

(١) A Critical Examination of the Belief in a Life after Death

(٢) للمزيد راجع نويل لانجلى المرجع السابق ص ٢١٧ — ٢٢٩ .

وعندئذ حرر زوجها بياناً الى مجلة مهتمة بالوقائع الروحية ، فاتصل رئيس تحريرها بالدكتور أيان ستفنسون Ian Stevenson أستاذ الباراسيكولوجي بجامعة فرجينيا الذى أعطاها العناية المطلوبة ، فأخذ يواظب على حضور هذه الاختبارات منذ سنة ١٩٦٩ مصطحباً معه عدداً ممن يتقنون اللغة الألمانية وظل مثابراً على ذلك لمدى ثلاث سنوات حضر فيها ١٨ دورة للتحقيق والاختبار .

وفى هذه الجلسات أخذت دولوريس تسرد بيانات عديدة عن حياة سابقة لها كفتاة بروسية تدعى جريتشن جوتليب Gretchen Gottlieb وكان والدها يدعى هيرمان Herman وكان أشيب الشعر وعمدة لمدينة أبرسوالد Eberswalde تقع حالياً بألمانيا الشرقية . وكانت توجد عندهم طباخة تدعى فراو شيلدر Schilder أو شيللر Schiller وكان لديها طفلان يحملان اسم كارل Karl فى السابعة وكارين Karin فى التاسعة .

وقالت ان والدها وضع فى السجن بسبب صراع مذهبى عنيف نشب بين البروتستانت والكاثوليك فى تلك الأيام وانها بعد سجن والدها حاولت أن تهرب من المدينة مع عمها الذى كان يخفى بعض الخيول فى الغابة ، والظاهر انها لقيت مصرعها فى الغابة وأثناء محاولة الفرار ، وكانت فى السادسة عشر من عمرها فقط .

واتضح للدكتور ستفنسون أن أبرسوالد كانت مدينة تقع فى الشرق من الدولة البروسية ، وأن وصف جريتشن للصدام المذهبى العنيف الذى جرى مع ابداء مخاوفها من السناتو (مجلس الشيوخ) البروسى Bundersat يُرجع هذه الأحداث — بحسب الراجح — الى سنة ١٨٧٠ حين نشب تناحر مذهبى فى المنطقة أطلق عليه Kulturkampf (تحت حكم بسمارك) ، وكانت أبرسوالد ضمن مناطق هذا الصراع المذهبى الذى أثير فى وجه الكاثوليك ، وكانت تقع فى مركز اقليم تغطية الغابات .

وحسبما قرره الدكتور ستفنسون فى بيانه عن الوقائع كانت جريتشن تجيب بطريقة شخص تائه dazed بين الأحداث ، لكن كان الأسلوب مناسباً . بل كان بعض الكلمات الألمانية التى تستخدمها تنتمى احياناً الى لغة القوم فى بروسيا فى القرن التاسع عشر والمام جريتشن بالنحو الألمانى ضعيف جداً .

كما قرر أن اسرة « جاى » مكونة من أشخاص امناء جداً . ويبدو

أن الذاكرة تشبه صندوق مغلق به ملابس ، ولكن قد تظهر منه احياناً بعض أطراف هذه الملابس ، وليس كل شيء يناسب الغرض منه ، ولكن هذه حالة هامة » .

ويقصد ستفنسون بذلك انه يعتبر اللاشعور بمثابة مخزن لذكرياتنا السحيقة التى تختبيء فيه ، والتى هى ثمرة الاختبارات التى مرت بنا مهما كان مداها من القدم ، ولكن من المحتمل — تحت تأثير ظروف معينة — أن تبرز من ثقب أو آخر فى هذا المخزن بعض أطراف الذكريات التى لم يحكم العقل الواعى اغلاقه عليها ، عن طريق تجسده فى المخ ، الذى هو تجسد مؤقت لجانب فحسب من الوعى الانسانى الشامل . وهذه الأطراف قد تظهر فى الغيبوبة عن طريق التنويم المغناطيسى ، وقد تظهر فى اليقظة عن طريق تحقيق ظاهرتى « رؤى من قبل » أو « سمع من قبل » التىسنتناولها فىالمبحث التالى ، وبوجه خاص موقف ستفنسون منها .

وبلغ من حذر ستفنسون — فى تجاربه مع أسرة « جاى » هذه — أنه استخدم جهازاً لكشف الكذب detector ، فلم يسجل حدوث أى كذب من الأشخاص الذين أخضعهم للتحقيق الدقيق .

ويقول أيضاً انه مما يدعوه الى الاقتناع بالموضوع أن أحداً من أسرة « جاى » لم يتعلم اللغة الألمانية من قبل رغم أن الجدين البعيدين لها قدما من ألمانيا . وقد وقّع أقاربها وجيرانها اقرارات بأنهم لم يتبادلوا أى حديث بالألمانية . كما قرر القس كارول من جانبه بأنه يعتقد بأن جريتشن كانت فيما يبدو طفلة متخلفة عن عمرها فى الذكاء ، وربما لم تذهب الى المدرسة أبداً ، بل لقد قالت انها أمّية ، وهو يعتقد أنها بطيئة التعلم وجميع أحاديثها بالألمانية محفوظة على أشرطة تسجيل .

وبطبيعة الحال فان السيدة دولوريس لا تعرف شيئاً عن شخصيتها الأخرى الا من خلال هذه الأشرطة ، والمضابط التى تم تدوينها بمعرفة المحققين . ولم تكن أبداً ترحب بأن تقع فى الغيبوبة وأن تفقد نفسها فى شخصية جريتشن ، بل لقد حاولت مراراً أن توقف هذه الاختبارات لولا تمسك ستفنسون بتكرارها وبمواصلتها بالنظر لأهميتها الشديدة للتحقيق العلمى ، ولذا اصطدمت معه أكثر من مرة . وهى لا تؤمن بالعودة للتجسد ولا أفراد أسرتها كذلك .

وقد ناقش زوجها بعض الأشخاص فى هذا الموضوع ، وصرّح لمندوب مجلة « نيوزويك » Newsweek قائلاً « نحن لا نؤمن بالعودة للتجسد ، ولكننى لست خبيراً بالقدر الذى يسمح لى بأن أنفى أن تكون

الحالة حالة عودة للتجسد . وكل ما أعلمه هو أن هـذه الحالة صحيحة أياً كان التعليل » . كما قال أيضاً انه ينبغي الوصول الى هـذا التعليل من النواحي العلمية ، واللاهوتية ، والفلسفية .

وقد حاول بعض مندوبي جريدة الديلي ميل Daily Mail العثور على بيانات رسمية خاصة بمن يدعى هيرمان جوتليب وأسرته فلم يتمكنوا بالنظر الى ضياع جميع سجلات المواليد في المنطقة في الحرب العالمية الثانية، وفي الأحداث التي تلتها،والتي منها احتلال الحلفاء للمدينة في سنة١٩٤٥ .

* * *

وهـذه وقائع حديثة مماثلة أثبتها طبيب المـاني للأمراض النفسية يعمل في معهد « علم النفس غير المـألوف » (١) بمدينة ميونيخ Munich في تقرير رسمي له ، وهـو يدعى ثوروالد ديتهلفسـون Thorwald Dethelfson .

ويقول في تقريره انه قـد نوّم طالباً يدعى تيزنجر Teisinger تنويماً مغناطيسياً بقصد العلاج ، وانه أرجـع ذاكرته للوراء عندما كان عمره عامين فقط ، ثم عام واحد ، ثم الى تاريخ ولادته ، ثم الى ما قبل الولادة . وعندما حدد له عام ١٨٧٠ قال الطالب فجأة « انا في زنزانة » في ويسيمبورج Wissembourg بفرنسا .

واعطى اسـم الشـارع الذي يقيم فيـه وهـو شـارع كونتابل Connetable ، وقرر انه مسجون بسبب الحـرب مع البروسيين . وفي النهاية يقول الطبيب « وجدت نفسي أتبادل الحديث مع شاب فرنسي يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، يتحدث لغتين ، ويعيش خلال الحرب الفرنسية البروسية . وقال أن اسمه جويلافارجو Guilafargo وانه عاش من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٨٠ ، وتوفى بعتة عندما كان في السابع والعشرين ، أو الثامن والعشرين من عمره بسبب حادثة لم يشرحها » .

ويقول أيضاً أن هذا الطالب ــ وهو في يقظته لا يذكر أي شيء عن الأقوال التي تصـدر منه وهـو في غيبوبته المغناطيسية (٢) . وتحـوي اختبارات العديد من العلماء المدققين المئات من الحالات المماثلة .

متابعة لنفس الاختبارات

ومن التجارب التي أجـريت منذ وقت قريب تلك التي قام بهـا الدكتور لاند الأستاذ في جامعـة ابسـالا Upsala وقد اكتسبت هـذه

---

(١) The Institute of Extraordinary Psychology.

(٢) من جريدة « سايكك نيوز » العدد الآنف الاشارة اليه ص ٨ .

التجارب اهميتها من أن ذلك العالم السويدى جعل هذا الجانب من موضوع العودة للتجسد فى المتناول ووضعه فى مقدمة الموضوعات الهامة .

وعلى سبيل المثال سجل الدكتور لاند بحضور عدد من الشهود حالة سيدة فى الأربعين من عمرها بعد ان نوّمها مغناطيسياً ، وارجعها تحت هذا التأثير الى طفولتها المبكرة فتصرفت السيدة كطفلة صغيرة جداً تسلك سلوكاً حسناً .

بعد ذلك راح الدكتور يستدرج الطفلة الى ما قبل مولدها فتأتأت وفأفأت ، ثم أخذت وضعها كجنين . واستمر الدكتور فى تجربته عائداً بها القهقرى حتى سألها : « اين كنتِ قبل مولدك بخمس سنوات ؟ » . وهنا تغيَّر صوت السيدة فجأة ، وباتت نبراته خشنة وقالت :

الجو شديد الحرارة هنا .

س : ما اسمك ؟

ج : ايج كاريستروم .

س : ما هى مهنتك ؟

ج : فلاح من مجولبى .

س : هل لك أولاد ؟

ج : لى ثلاثة أولاد (وذكرت أسماءهم) .

وقد اتضح من نتيجة التحقيق ان مزارعاً بهذا الاسم كان يعيش فى مجولبى وتوفى قبل مولد هذه السيدة بأربعة أشهر تاركاً وراءه الأطفال الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم فى أثناء الغيبوبة المغناطيسية » (١) .

ويلاحظ هنا أن هذه السيدة لم تفصح عن ماضيها فى تجسدها السابق الا عندما أرجع المنوِّم ذاكرتها الى ما قبل مولدها بخمس سنوات ، فذكرت عندئذ اسمها القديم وبعض ظروف حياتها التى لا تزال عالقة بعقلها الباطن . وهذا الاعتبار يلتئم تماماً مع القول بأنها كانت تسرد تجسداً حقيقيا مر بها من قبل ، فلم تكن الحالة حالة تقمص أو استحواذ خارجى لأن هذا الفرض الأخير يحدث بمجرد الوقوع فى الغيبوبة الوساطية أو المغناطيسية ، ولا يحتاج لارجاع الذاكرة تدريجياً الى الوراء ، كما حدث فى كل الحالات المماثلة التى من نفس الفصيلة (فصيلة العودة للتجسد ، لا فصيلة الهيمنة أو الاستحواذ) .

---

(١) عن مجلة « الحوادث » اللبنانية عدد ٢٥ ابريل سنة ١٩٧٥ (رقم ٩٦٣ سنة ١٩) ص ٤٩ .

حالة هيلين سميث

ومن أكثر الحالات غرابة تلك التى لوحظت على فتـاة تدعى هيلين سميث . وقـد تولى دراستها ت. فلورنوى T Fleurnoy أستاذ علم النفس بجامعة جنيف ، والمشهور بعدائه لمبدأ واقعية الظواهر غير المألوفة ، لأنه كان ينسب كل شىء الى أحلام اليقظة ، وتناقل الأفكار (التلباثى) ومع ذلك اضطر البروفسور الى أن يعترف بأن بعض هذه الظواهر يجعله يشد شعره من الحيرة والعجز عن التفسير .

وهيلين سميث كانت تدعى فى الحقيقة كاترين اليز موللر وهى من مواليد مارتينى بمنطقـة فاليه بسويسرا فى ٩ ديسمبر سـنة ١٨٦١ ، وتوفيت فى جنيف فى ١٠ يونيه سنة ١٩٢٩ وكتب فلورنوى عنها قائلاً : —

« هذه الوسيطة التى أدعوها هيلين سميث كانت طويلة القـامة ، جميلة ، فى حوالى الثلاثين من عمرها ، شعرها أسـود تقريباً ، وكذلك عيناها . وجهها صبوح وذكى ، ونظراتها عميقة توحى بالثقة ، وصحتها كانت جيدة وتفكيرها سليما .

وكانت فى أثناء طفولتها تشاهد فى أحلامها مناطق ذات طابع شرقى جميل وفخم . وحدث فى سنة ١٨٩٢ أثناء جلسة روحية أن اكتشفت موهبتها الوساطية ، فطوّرتها بسرعة .

وفى التجـربة الأولى اقتصرت على تحـريك مائدة ، وعلى رؤى قصيرة ... وفى حوالى سنة ١٨٩٥ تمكنت هيلين من وساطتها وتوصلت الى مشـاهدة رؤى واضـحة وضـوحاً مدهشا . وأحياناً كانت ترى « سيمانوينى » الأميرة العربية التى كانت زوجـة مفضلة للأمير الهندى « سيفرو كاناياكا » التى حكمت منطقة « كانارا » وشيدت فى سنة ١٤٠١ قلعة « تشاندرا جيرى » .

والمدهش فى موضوعها هو اتجاه الدراسة التى قام بها فلورنوى الى أنها كانت متقمصة روح الأميرة سيمانوينى ، فكثيراً ما كانت وهى فى حالة حلم اليقظـة تتناقش مـع الفقير « كانجا » ومع خدمهـا « موجيـا » و « ميوزيا » و « كانجيا » أو « كانا » . وقد استعادت ذات مرة صورة موتها محترقة .

وفى احـدى الجلسـات عاملت البروفسـور فلورنوى كما لو كان متقمصا روح « سيفروكا » (أحـد معاصريها السابقين) فحيته باللغـة السنسكريتية بعبارة كانت شـائعة عندهم وقتذاك وهى « أحييك باسم جانا باتى » . وجانا باتى هو بحسب الأساطير اله هندى له رأس فيل !

وفى مرة أخرى غنّت هيلين بالسنسكريتية، وأمكن تسجيل نوتة للحن الأغنية ، الأمر الذى أوقع البروفسور فى حيرة ، فقال لعلها قرأت يوماً ما قواعد اللغة السنسكريتية دون أن يعلق شىء منها فى عقلها الواعى ! » .

وقد ازدادت حيرة فلورنوى عندما اتصل بالاخصائيين فى الدراسات الهندية حتى اكتشف كتاباً نشر فى سنة ١٨٢٨ وعثر فيه على المقطع التالى « كانارا هى المقاطعات المجاورة لمدينة دلهى ، ويمكن اعتبارها مثل جورجيا الهندستانية ، وكانت هذه المقاطعات مشهورة بنسائها الجميلات المحجبات عن الأجانب » . أما « تشاندراجيرى » التى تعنى « جبل القمر » فهى قلعة بناها الراجا سيفروكا ناياكا فى سنة ١٤٠١ .

ونظراً لأن فلورنوى ظل متمسكاً بآرائه فقد اكتفى بالقول بأن الوسيطة ربما تكون قد عرفت بأمر هذا الكتاب ثم نسيته ، الا أنه ما لبث أن أقر بأن هذا الافتراض فى غير محله لأنه لم يكن فى جنيف سوى نسختين فقط منه احداهما فى « جمعية القراء » وهى جمعية خاصة ، والثانية فى « المكتبة العامة » التى لم تطأها قدما هيلين .

ومن جهة أخرى أقر فلورنوى بدافع من ضميره أنه حتى لو كانت الوسيطة قد قرأت تلك الفقرة من الكتاب لتذكرتها حرفيا ، وهو ما لم يحدث ، ومع ذلك أضاف قائلا : « رغم كل شىء أفضل الأخذ بنظرية الامكانات الطبيعية على الملكات الروحية » (١) .

وفى الواقع يبدو أن جميع هذه الوقائع لا تمت بصلة واضحة الى طائفة ظواهر « رؤى من قبل » أو « سُمع من قبل » ، كما لا تمت أيضا الى طائفة ظواهر ارجاع الذاكرة الى الوراء فى غيبوبة التنويم المغناطيسى لأنه ــ فيما يبدو ــ لم تحدث أية محاولة هنا لارجاع ذاكرة هيلين سميث الى ما قبل حياتها الراهنة ، كما حدث فى الحالات المماثلة التى سبق سردها . بل هى أقرب فى رأينا الى أن تكون من ظواهر « الجلاء البصرى » و « الجلاء السمعى » مجتمعة معاً ، وهى كثيرا ما تتلازم معاً عند وسطاء عديدين ، وقد تكون مصحوبة بغيبوبة روحية وقد لا تكون .

وبالتالى فان هذه الحالة بالذات ، وبالوضع الذى وردت به فى المصدر الذى أطلعنا عليه ، لا تشير الى موضوع العودة للتجسد ، ولاهى مرتبطة به اثباتاً ولانفياً ، ومع ذلك فقدأوردناها هنا لمجرد تنبيه القارىء الى ضرورة التمييز بين كل طائفة من الظواهر الروحية والأخرى وعدم الخلط بينها ، وذلك لامكان الخروج منها بدلالاتها المنطقية السليمة .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٥٠ .

وشأن ظاهرتى الجلاء البصرى والسمعى فى هذا النطاق هو شأن ظاهرة الهيمنة الروحية المصحوبة بالغيبوبة ، فانها بذاتها ظاهرة محايدة لا يؤدى ثبوت صحتها الى ثبوت العودة للتجسد ولا الى نفيها .

ماذا يقول كولن ويلسون ؟

وفى شأن نتائج أمثال هذه الاختبارات يقول البحاثة الروحى كولن ويلسون Colin Wilson فى كتابه القيم عن « الغيب » (١٩٧٢) (١) « من المؤكد أن هذه الأرواح تحل فى أجساد اشخاص عديدين ، أو تعود الى الحياة فى اجساد أخرى ... ولكن من النادر أن تحتفظ هذه الأرواح بقوة ذاكرتها ... ومن الملاحظ أن الأرواح التى تحتفظ بذاكرتها تكون فى المعتاد قد ماتت فى ظروف عنيفة .



كولن ويلسون

والذين يعملون فى التنويم المغناطيسى يقابلون احيانا البعض منهذه الأحداث . فقد يحدث أن يطلب القائم بالتنويم الى الشخص المنوَّم أن يعود الى طفولته ، وأن يروى بعض ذكرياته ، فاذا بهذا المنوَّم يروى أحداثاً ترجع الى قرون مضت ، تبدو مستقلة عن ماضيه كل الاستقلال » .

ويؤكد المؤلف أن بداخل الانسان قوى خفية لا يدركها واضحة الآن ... وانها تؤدى الى حدوث ظواهر روحية متنوعة ، وأنها على اتصال بقوى أخرى ، وبأرواح غير منظورة . وكثيراً ما تكون هذه فى حالة تشبه الحمى ، أو الهلوسة ، أو فى حالة من العجز عن التمييز بين الواقع والخيال .

ولكن حدث فى حالات أخرى أن كشفت هذه الأرواح عن وضوح ملحوظ فى الذاكرة ، وأمكنها اعطاء بيانات دقيقة محددة ، وأرشدت عن معالم ، واحداث ، وذكريات معينة أمكن تحقيقها بوسائل التحقيق العادية كما سبق أن قلت .

وهكذا يبدو أن التفاوت بين الأرواح فى قوة الذاكرة ضخم ، كما هو ضخم الى أبعد مدى فى المواهب والملكات العقلية والخلقية . كما

(١) The Occult p. 523

يتضح بجلاء صحة ما ثبت تماماً من انتفاء الارتباط المحتوم بين العقل والمخ ، وبالتالى امكان استقلال الذاكرة الانسانية عن جهاز التـذكر فى حالات نادرة ، ولكن لها دلالتها البالغة فى التعرف على الطبيعة الروحية للانسان (١) .

وفى سنة ١٩٧٤ أصـــدر ويلســون كتاباً جديداً عن « الطاقات الغريبة » (٢) عالج فيه بعض الظواهر الوساطية التى صادفها منـــذ بدأت اهتماماته الروحية فى ســنة ١٩٥١ وكان لا يزال فى العشرين من عمـره . ويقول انه اتبع فى دراستها المبدأ الهـام الذى نادى به توماس هكسلى T. Huxley والذى يتطلب منا أن نجلس أمام الحقائق كأطفال صـغار حتى نتعلم منها ، ثم ندع هذه الحقائق تقود تفكيرنا حيثما تشـــاء .

وهو يرى أن اتباع هذا الأسلوب قد يقود الانسان الى انفعال من التصوف المتفتح المسالك ، والى عالم ملىء بالوقائع الغريبة التى تنتظر من يستوعبها ، ويتمثلها فى مملكة المعرفة الانسانية . كما يرى أن العلم يقوم بصفة أساسية على ملاحظة الوقائع التى تتكرر ، ســواء أكانت هذه الوقائع عبارة عن شروق الشمس فى فجر كل يوم ، أم دورة مجرة من المجرات كل مائة وخمسين عاماً .

كما يرى أن الطاقات الروحية تمثل مستوى جديداً من الطاقات الغريبة المتحررة التى تطلق العنان للحاســة الســادسة ، أو « للرادار الروحى » بحسب وصفه . وبمقدار ما يعنى الانسان بتنميتها فانه تنمو أيضا لديه حاسة الجـلاء البصرى أو « النظر الثانى » Second sight ، كما تنمو لديه ملكة التلباثى (أى التخاطر) ، والتخمين الصحيح ، والطرح الكوكبى (أى الخروج من الجسـد) . وهذه الملكات تمثل عنده نتائج طبيعية لتمتع أصحابها بالصحة النفسية . وقد تعرض هذا الكتاب أيضا لاختبارات الدكتور آرثر جيردهام Arthur Guirdham وهو من المقتنعين بالعودة للتجسد .

---

(١) راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « المفصل » ص ٩١ — ١٠٧ .

(٢) Strange Powers.

المطلب الثالث

عن التعليــل العلمى لظواهر ارجاع الذاكرة

من الطبيعى أن يثار التساؤل حول تعليل هذه الحالات . وثمة اجماع على أن هذه الظواهر التى تحـــدث أحياناً فى غيبـوبة التنويم المغناطيسى صحيحة لا شك فيها ، بالنظـر الى تكرار حدوثها فى بيئات كثيرة ، والى الروابط التى بينها ، والى السمعة النقية التى لاغبار عليها لمن قاموا باثباتها ، ولانتفاء كل مصلحة لهم فى الاثبـات أو فى النفى ، لأنهم جميعهم ليسوا من أرباب عقيدة العودة للتجسد ، ولا يعنيهم فى كثير أو فى قليل أن تكون هذه العقيدة صحيحة أو زائفة .

فمحور النقاش هو فى الواقع الوصول الى تعليل صحيح حاسـم لهــذه الظواهر . ولو حدثت هذه الظواهر فى بيئات تؤمن بالعـــودة للتجسد كعقيدة شائعة راسخة فى الأذهان كما فى الهند أو اليابان مثلا ، لكان التعليل بالعـودة للتجسد أوضـــح من أن يحتاج الى المزيد من البرهان ، أو لأن يثير اى قدر من النقاش .

ولكن فى بيئات لا تزال تنكر فى جملتها صحة هـــذه العقيدة من الناحية العلمية ، بل كانت تنكر حتى احتمال دوام الحياة بعد الموت ، كما كانت الحال فى البيئات العلمية فى الغرب كان من الطبيعى أن يثير تعليــل هذه الظواهر نقاشاً طويلا ، وأن يحتمل فى نظر الباحثين العلميين أكثر من افتراض .

وأول افتراض أثير للتعليـــل كان القــول بأن الشخص المنـــوِّم يتلقى جميع المعلومات التى يدلى بهـا عن طريق الايحاء Suggestion من المنوِّم شخصيا . ولكن هذا الافتراض سرعان ما ينهار اذا ما أدركنا أن هذه المعلومات نفسها غالبا ما تكون غريبة حتى عن عقل المنـوِّم الذى لا يعـرف عنها شيئا بالمرة . والتى قد يفاجأ بهــا كما قد يفاجأ بها اى شخص من الحاضرين . وقد يبذل المنـوِّم جهدا طويلا بعد الحصـول عليها للتثبت من صحتها كما سبق أن رأينا ... فكيف يقال ان عقـــل المنوِّم كان هو المستودع الوحيد لهذه المعلومات التى قد تكون بعيــدة كل البعد عن ثقافتــه مهما كان نوعها ، وعن نواحى اطـلاعه ؟ ! ومن الغريب ان هذا الافتراض غير العلمى وغير المطابق للوقائع الثابتة لا يزال يثار بمعرفة بعض المعترضين لدحض هـــذه التجارب ولنفى دلالتهــا الواضحة .

وبعد أن أخذ يتزايد الاقتناع بدوام الحياة بعد الموت وبامكان حصول استحواذ أو هيمنة روحية على عقل وسيط التنويم المغناطيسي اخذ يبرز تدريجياً افتراض آخر جديد لنفي احتمال العودة للتجسد : وهو أن وسيط التنويم المغناطيسي قد يستمد المعلومات الصحيحة الغزيرة التي قد يقدمها من عقول كائنات سابحة في الأثير تتابع الواحد بعد الآخر في الاستحواذ على وعيه ، لامداده بهذه المعلومات الغريبة من ذكريات محددة عن تجسدات سابقة في هذا العالم الأرضي .

وهذا الافتراض الثاني سرعان ما ينهار بدوره اذا ما لاحظنا أن تتابع عقول الكائنات السابحة في الأثير في الاستحواذ على وعي الوسيط من المحال أن يتكرر الواحد بعد الآخر دائماً بنفس الترتيب الزمني ، كلما أعيدت التجارب ولو لعشرات من المرات وعلى مدى سنين عديدة كما حدث في بحوث دي روشا ، وديرفيل ، وأندريه ديبيل ، وبيير نوفيل ، وموري برنشتين ، والكساندر كانون ، ... وغيرهم في انحاء كثيرة من العالم . فان الواحد منهم كان احيانا يوقع نفس الوسيط أو الوسيطة خمسين مرة أو أكثر فتتتابع المعلومات والوقائع بنفس الترتيب السابق سرده تماماً . ولا يتلقى وسيط التنويم من المنوِّم أكثر من الايحاء بارجاع الذاكرة للوراء ، أما نفس المعلومات والوقائع موضوع هذه الذاكرة فهو لا يعلم عنها شيئاً بالطبع بما في ذلك التواريخ العامة والخاصة ، وأسماء الشعوب والأشخاص ، والأمكنة ، والمدن ، والشوارع والأنهار ، والجبال ، والتقاليد ، والعادات ، والمعتقدات ، والأجهزة المستخدمة ، والمعالم الحضارية ...

ثم ان أي افتراض — حتى يكون مقبولا علمياً — ينبغي أن يلتئم مع سائر الظواهر الأخرى المشابهة ، والا ينبغي رفضه كافتراض صحيح . والمطلوب هنا هو الوصول الى تعليل شامل يلتئم مع ظواهر ارجاع الذاكرة في غيبوبة التنويم المغناطيسي بقدر التئامه مع الظواهر الأخرى المشابهة التي منها ظواهر « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » عندما تحدث وصاحبها في تمام يقظته ، ولنا اليها عودة فيما بعد ، ناهيك بظواهر أخرى حققها باحثون ثقات حدثت في غرف الجلسات الروحية ، ناهيك بحقائق العلم وكشوفه الأخرى عن التطور ، وعن العقل ، وعن الشعور واللاشعور ... على ما سيرد بيانه تباعاً فيما بعد . ولا يوجد حتى الآن تعليل يصلح لمواجهة كل هذه الأمور مجتمعة يضاهي في قوته التعليل البسيط الواضح بالعودة المحتملة للتجسد .

ثم يتبقى بعدئذ الافتراض الأخير الذي قد يثار ، وهو أن التنويم المغناطيسي يجعل المنوِّم على صلة بالعقل الباطن للوسيط وبالتالي يتمكن

عن اكتشاف محتوياته ، فكل المعلومات التى قد يدلى بها هذا الوسيط مستمدة من عقله الباطن الذى لا يزال لغزا مغلقا على علم النفس .

واذا سلمنا بذلك كان من حقنا أن نقول ان هذا الافتراض الأخير لا ينفى نظـــرية احتمال العودة للتجســـد ، ولا يتعارض معها ، ولذا استبقيناه حتى الآن ، لأنه يمثـل فى الواقع التحليـل الصـحيح بعد الوصول الى التعليل الذى أسلفناه ، فان العقـل الباطن أو اللاشـعور هو المستودع الوحيد لاختبارات المـاضى السحيق برمتها ، سواء أكانت هذه الاختبارات لا تزال تقبع فى هذا العقل كذكريات محددة واضـــحة يمكن اســترجاعها بتنويم أو بغـير تنويم ، أم كانت قد انمحت بمرور الأيام فلم يبق منها غير درجة التطور التى وصلت اليها الذات .

وكل هذا سنعالجه فيما بعد تفصيلا فى الفصـــل الثالث ، وانمـا يكفى أن نبادر من الآن الى القول بأن من البديهات التى يقـوم عليها علم النفس التقليدى أن كل ما ينزلق الى العقل الباطن من معلومات ينزلق اليه عن طريق المرور بالعقل الواعى أولا . فاذا كانت الحيـاة الراهنـة للمنوَّم مغناطيسيا تعجز — منذ الولادة حتى لحظة التنويم — عن اعطاء تعليل مقبول عن انزلاق هـذه المعـلومات الى عقله الباطن فلا بد اذاً من البحث عن مصدر آخر لتعليل وصول هذه المعلومات اليه .

وهـذا المصدر يكون اذاً هو التجسدات السابقة التى كان عقـل الوسيط فيها — غير الواعى الآن — واعياً لمـا يدور حوله من اختبارات واحـداث حلوة ومرة . وفى الأثير يحدث اندماج بين العقلين كمـا قلت أكثر من مرة . وعند العودة للتجســد يتجسد جانب أو شطر محــدود فحسب من وعى الانسان فيصبح هـذا الجانب وحده واعياً وما عداه غير واع ، وهكذا الى أن تتكامل الشخصية عن طريق التجسدات المتكررة، ببطء شديد وبعد أحقاب بعيدة (١) .

المبحث الثانى

عن ظاهرتىْ « رؤى من قبل » و « سُمع من قبل »

ثمة حالات نادرة عن عودة الذاكرة الواعية تلقائياً الى صاحبها عن أحـداث لا تمت بأية صلة الى حياته الحاضرة ، فيروى اموراً لا يعرف

---

(١) للمزيد راجع ما ورد فى الجزء الثانى من « مفصل الانسـان روح لا جسـد » ص ٢٩٤ — ٢٩٦ على لسـان الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهـد الدولى لمـا وراء الروح » بباريس .

احــد مصــدرها فى تسلـسل عمليــات عقله الواعى ويطلق عليها ظاهرة « رؤى من قبــل » (Seen before بالانكليزية او déjà vù بالفرنسية) .

أو قــد يروى أموراً لم يسمع عنها من قبل فى حياته الحاضرة ، ولا تمت بأية صلة الى هــذه الحياة ولكن قد يثبت فيمــا بعد صحتها بســبل التحقيق المــادية ، ويطلق عليهــا ظاهرة « سُمع من قبــل » heard before بالانكليزية أو déjà entendu بالفرنسيــة) .

وثمة حالات أخــرى قد يثبت بسبل التحقيق المــادية انها غــير صحيحة وبالتالى تنتمى الى تخيل موهوم للرؤى أو للسماع من قبــل ويطلق عليها عندئذ ظاهرة « ما وراء النسيان » Paramnesie ، بمعنى أن هــذه الأحداث لابد أن تكون قد مرت بصاحبها من قبــل فى حياته الحاضرة ، ثم ظلت قابعــة فى العقــل الباطن الى أن طفت من جديد الى العقل الواعى ، وذلك بتأثير الوجود فى مكان او فى ظروف معينة .

وهــذه الظواهر النادرة أصبحت موضــع اهتمام بالغ من الأبحاث الحــديثة فى الباراسيكولوجى التى تحــاول استكشــاف أغــوار الذات الانسانية بمــا فى ذلك أغوار العقلين الواعى والباطن ، سواء أفى غيبوبة التنويم المغناطيسى على النحــو الذى تعرضنا له فى المبحث السابق ، أم خارج الغيبوبة ، وهذا هو موضوع المبحث الحالى . والأمر الهــام ليس فحسب هو تسجيل هــذه الظواهر بدقة ، وعناية ، ومثابرة ، بل أيضاً تحليل هــذه الظواهر تحليلاً علمياً صحيحاً ، للخــروج منها بدلالاتهــا المحتومة .

* * *

وهذه الظواهر ليست حديثة ، بل هى قديمة قدم الانسان ، ولكن كان علم النفس القديم لا يعطيها ما تستحقه من عناية ، أو ينكر حدوثها بتاتاً . واذا سلم بحدوثها فذريعة العقل الباطن أمامه يستند اليها بالحق او الباطل . واذا لم تسعفه الملكات المسلَّم بها للعقل الباطن ، اذاً فليسبغ على هذا العقل الباطن ملكات متجددة شاذة لا حدود لها ، ولا يسلم بها نفس مفهوم العقل الباطن كما وصلوا اليه ، كما لا يسلم بهــا أى بحث موضوعى محايد عن موضع الانسان الحقيقى فى الأرض ، وعن تحــديد صلته بنواميس الكون المــادية أو الروحية .

ولكن كيف تتوقع بحثاً موضوعياً محايداً من علم كان قــد ارتبط ارتباطاً تاماً منــذ قرنين كاملين بالفلسفة المــادية عن الوجــود ، فجعل الفترة القصيرة الأليمة التى يقضيها الانســان على الأرض هى مبدأ حياته

ونهايتهـا ولا شيء غير ذلك ؟ وباصرار عجيب وعنـاد لا يقبل جدلاً ولا نقاشاً !؟

ولذا فاذا فرضنا أن طفلاً من الأطفال اخذ فى الحديث عن أحداث محددة يرويها على أنها حدثت له فعلاً ، وقد يختلط عليه الحاضر بالماضى ، فيأخذ مثلا فى البحث عن أم غير أمه ، وعن أب غير أبيه ، وينادى على أسماء ذويه ، ويعيّن معالم محددة لمدن ، وطرقات ، وأزياء ، وأطعمة ، وعادات ، وطقـوس ، وآراء ، وأهوال غريبـة كل الغرابة عن حيـاته الحاضرة ، فان التعليل الواضـح عند علم النفس القديم هـو أن العقل الباطن عند هذا الطفل يدور فى دوامة نشاط غير عادية ، فلا ينبغى أن نقلق له أو أن نتصور فى الأمر شيئاً هاماً ، أو أنه قد يخفى دلالات لها مغزاها عند من يبغون الوصول الى الحقائق .

ولكن من أين يستمد العقل الباطن هذه المعلومات ؟ وما هو المنبع الغريب المتدفق الذى ينبع منه مثل هذا العقل الباطن الذى يغلى وهو فى يقظة صاحبه بنشاط غير مألوف ؟ هذه هى المشكلة ، أو فى الواقع هذه هى عقدة العقد اذا ما سلمنا بصحة أمثال هذه الظواهر وبصحة وقوعها فى أماكن عديدة ، ومناسبات لا حصر لها . وفيمـا يلى نعالج فى مطلب أول طائفة من الوقائع والتحقيقات الموثوق فى قيمتهـا ، وفى مطلب ثان نعالج موضوع التعليل العلمى لهذه الظواهر .

المطلب الأول

طائفـة من الوقائع والتحقيقات

ماذا يقول لامارتين ؟

الوقائع التى من هـذا القبيل كثيرة وأكثر مما نتصـور ، وبعض رواتها كانوا من كبار العلماء أو الشعراء ، أو رجال الفكر الذين لا يهزلون ولا يتسرعون . ومن هؤلاء مثـلاً الشـاعر الفرنسى الكبير الفونس دى لامارتين A. de Lamartine الذى يقول فى كتاب له عنوانه « رحلة الى الشرق » (١) عن سياحة قام بها الى فلسطين : « لم يكن عندى انجيل ، ولا دليل سياحى ، ولا مرشد ، ومع ذلك لقد تعرفت تلقائياً على مواقع كثيرة ، منها الأرض التى حارب فيها شاؤول .

وعندما كنا فى الدير ، أيّد لى الآباء صحة أحاسيسى ، ولم يصدّق

---

(1) Voyage en Orient.

ذلك مرافقيَّ . وفى مكان ما أشرت الى تل من التلال وعينت اسمه ، وكان عليه أنقاض مبنى قلت انه من المحتمل أن يكون محل ميلاد السيدة العذراء . وفى اليوم التالى تعرفت على قبور المكابيين ، واشرت اليها بغير أن يرشدنى أحد .

وفيما عدا لبنان فاننى تقريباً لم أقابل فى أرض اليهودية مكاناً أو شيأ لم يحرك فىَّ تذكاراً ما . فهل نحن عشنا اذاً مرتين أم ألف مرة ؟ وهل ذاكرتنا ليست سوى صورة باهتة تحييها نسمة الاله ؟ » .

ويتعذر تعليل ذلك باطلاع لامارتين على الانجيل ، لأن الانجيل لا يعطى أية بيانات محددة عن هذه المعالم ، أو المناظر ، أو البقاع ، التى كانت مسرحاً للأحداث التاريخية . كما يتعذر تعليلها بنوع من الجلاء البصرى الذى يحدث فى الغيبوبة ، أو فى اليقظة النومية الحركية ، لأن لامارتين لم يكن فى حالة من هذه الحالات . كما يتعذر تعليلها بارشاد روحى لأن للارشاد الروحى دلائل وعلامات معينة . ثم لماذا تعرف لامارتين على معالم موجودة فى بقاع معينة ولم يتعرف على معالم غيرها كتلك الموجودة فى لبنان كما قال ... فهل عاش لامارتين هناك فى فلسطين فى حياة سابقة ؟ !

طائفة أخرى من « ذكريات » بعض الأعلام

وفى جريدة اسمها « الصحافة » La Presse نشر أحد الكتاب الفرنسيين ــ بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٨٦٨ ويدعى بونصون دى تيراى Ponson de Terrail ــ وكان مناهضاً للروحية ــ أنه يذكر انه عاش فى انجلترا تحت حكم هنرى الثالث وهنرى الرابع ، وأن الملك العظيم بحسب ذاكرته لم يكن يشبه فى شىء ذلك الذى كان يتحدث عنه والده .

ويقول ان تيوفيل جوتييه Théophile Gautier والكسندر ديماس Aléxander Dumas أكدا فى مناسبات عديدة اعتقادهما بأنهما قد مرا بحيوات سابقة استناداً الى ذكريات شخصية باقية لديهما منها .

* * *

كما يقول كاتب آخر فى « الجريدة الادبية » Journal Litttéraire الصادرة بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٦٤ فى مقالة عن تاريخ حياة الكاتب ميرى Méry انه كان يعتقد اعتقاداً جازماً انه سبق له أن عاش عدة مرات . وانه يذكر بعض الظروف الصغيرة المتعلقة بتلك الحيوات ، ومنها انه اشترك فى حرب اهل الغال وحارب فى المانيا تحت امرة جرمانيكوس

Germanicus . وانه تعرف على عدة مواقع سبق أن عسكر فيها ، وعلى بعض وديان حارب فيهـا وكان اسـمه عند ذاك يدعى مينيوس « Minius » .

وهنا واقعة هامة قد تبين ان هذه الذكريات ليست مجرد انعكاسات قادمة من الخيال : وهذه الواقعة هى انه فى يوم من أيام حياته الراهنة كان فى روما يزور مكتبة الفاتيكان وهناك قابله بعض السيدات والرهبان الذين تحدثوا معه بلغة لاتينية فصحى ...

وعندئذ بدا له ان غشـاوة ما قـد انقشعت من على عينيه ، فانه ـ رغم انه كان يعرف اللاتينية لكنه لم يتحدث بها مطلقاً ـ وتذكر عندئذ انه سبق له فيما مضى أن تحدث باللغة اللاتينية مع أصدقائه القدامى الذين كانوا يتحدثون بها ، فأخـذت الجمـل تتدفق من بين شفتيه باللاتينية وبمقدرة غريبة ، وعثر فجأة على أناقة العبارة وصحتها ، وتحـدث بهـا بطلاقة كما لو كان يتحدث بالفرنسية . وكل ذلك كان من المحال أن يحدث الا نتيجة تعليم ومران ، وانه ما لم يكن قد مر بهذه اللغة فيما مضى فانه كان من المحال عليه ان يحصل بغتة على قدرة كهذه .

ويقول صاحب المقال ان الحديث هنا لم يكن عبارة عن نطق بضع كلمات بلغـة أجنبية كما يحـدث أحياناً فى بعض حالات اليقظة النومية الحركية ، او فى حالات الحمى الشديدة ، حيث يتفـوه احياناً الانسـان ببضـع كلمات ، أو يروى بعض مشاهد تكون قـد مرت فعلاً فى حياته الراهنة ثم نسيها . كلا بل لقـد كان الأمر متعلقاً بحوار أجراه شخص متيقظ فى طلاقة بلغـة لم يستخدمها من قبل فى الحديث ، وبلا تردد ، او تعثر ، وباستخدام كامل لمواهبه الدفينة .

وهذا يعنى بحسب الظاهر ، بالنسبة للنطق ، وللتعبير عن الآراء استخدام قـدرة ظلت خامدة لأمد طويل ، لكنهـا استيقظت فى الوقت المناسب ، وبتأثير دَفعـة من جهوده الخاصـة . ولا يمكن لانسان أن يستحوذ بغتة على قدرة الحديث فى طلاقة بلغة ما حتى ولو كان يعرفه كلماتها ، وقواعدها النحوية .

ثم يتبقى الجانب الاخطر وهو التعبير عن الآراء فان ذلك يتوقفه على حسن استخدام عضلات الحنجرة ، وعلى الجهاز العصبى ، ولايمكن تحقيقه الا بالمران . فاذا أضيف الى البعث المباغت الذى حدث فى اللغة ،

الذكريات المحددة التى تحركت لديه عن الأماكن التى كان فيما مضى يسكنها ويرتادها ، فانه تتوافر قرائن قوية جداً لتقبل الحيوات المتعددة بوصفها تمثل أكثر التفسيرات قبولاً من الناحية المنطقية .

* * *

ويروى الجنرال الأمريكى جورج باتون George Button (١٨٨٥ — ١٩٤٥) عن نفسه أنه كان وسيطاً للجلاء البصرى . ويقول انه واجه موقفاً حرجاً فى الحرب العالمية الأولى عندما كان يقود جيشه فى فرنسا ثم شاهد أرواح بعض أقاربه المنتقلين ، فكان أن جاءه الالهام بالمبادرة الى الهجوم الفورى ، فنهض وقام بهجمة مباغتة حققت النصر لجيشه وأصيب فيها بجراح بليغة شفى منها فيما بعد .

كما يقول أنه شاهد روح والده مراراً عديدة ، وانه ظهر له بعد وفاته فى سنة ١٩٢٦ بسنة واحدة ، وانبأه بأنه سيشترك فى أكبر حرب فى التاريخ ، وقد تحققت النبوءة باشتراكه فى الحرب العالمية الثانية .

وكان الجنرال باتون يعتقد أيضاً فى صحة العودة للتجسد ، ويقول انه فى تجسد سابق له اشترك فى حروب طروادة ، ثم فى فرقة قيصر العاشرة ، ثم فى الحروب الصليبية .

وهو فى ذلك يشبه نابليون بونابرت الذى كان يعتقد انه هو نفسه الاسكندر الأكبر ، وقد عاد للتجسد من جديد . وكان نابليون يؤكد ذلك لبعض خلصائه الذين كانوا يحملون أقواله على محمل الدعابة لا الجد .

وبطبيعة الحال يتعذر اقامة الأدلة على صحة هذه الأقوال ، التى لا قيمة لها البتة فى مقام الدراسات العلمية ، وانما أوردناها هنا لبيان كيف أن عدداً من الشخصيات البارزة لم تجد غضاضة فى الحديث عن تجسدات سابقة لها ، تقول ان آثارها لا تزال عالقة بذاكرتها .

ولعل هذه الظاهرة تفسر ايضاً لماذا أن العدد الأكبر من كبار الوسطاء الروحيين يميل الى القول بصحة هذا الاعتقاد نقلاً عن بعض الأرواح المراسلة أو المرشدة ، ولنا فى مكان لاحق وقفة كافية عند هذا الموضوع ، وانما ينبغى الآن أن نسرد أولاً بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات متعددة فى بيئات وظروف متنوعة ، عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » .

بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات

وفيما يلى نقدم بعض نماذج من هذه الوقائع الفريدة التى تأيدت بتحقيقات مأخوذة من كتاب قيم لمؤلف يدعى جوفرى هدسون عنوانه « العودة الى الحياة وهل هى حقيقة أم خرافة » (١) ، وذلك عن الترجمة العربية (١٩٥٧) لصديقنا الأستاذ زكى عوض المحامى بالنقض . وفيه يقدم المؤلف عدة حالات محوطة بضمانات كافية ، ويقول فى تقديمها :

حالة صبية هندية

ولقد سجلت حالات عديدة عن تذكر الحوادث السابقة وكانت دلهى عاصمة الهند مسرحاً لاحداها ، حيث أفلحت صبية هندية فى الثامنة والنصف من عمرها فى اقتفاء اثر منزلها الغابر والتعرف على أقارب حياتها المنصرمة . وهذه القصة كما حققها بنفسه عضو بارز فى الجمعية الثيوصوفية قد نشرت بمجلة « الثيوصوفية فى الهند » (٢) بعدد يناير ــ فبراير سنة ١٩٣٦ ، فى وقت كانت فيه القصة ماثلة للأذهان .

وكانت الفتاة فى السنوات الثلاثة الأولى لطفولتها خرساء لاتنطق ، يشيع الاكتئاب فى محياها وتعكف على التأمل ، ولكنها منذ سنتها الرابعة شرعت تتحدث عن منزل لها فى بلدة ماثورا التى تبعد عن دلهى نحو ١٠٠ ميل . ولم يعرها ابواها ولا اقاربها آذاناً صاغية مع أن مربياتها وصفنها بالذكاء . وبعد نحو ثلاث سنوات أو أربع صمم جار للعائلة وهو محام على أن يبحث ويستقصى .

وقد اعتادت الفتاة أن تقول أن الحلوى والفاكهة والنقود كانت متوفرة فى منزلها القديم . ثم وصفت بالتفصيل أعمال زوجها ، وحددت موقع منزلها وتصميمه وطلاء جدرانه ، والمحت الى اقاربها . وحينما كان يرد ذكر زوجها كانت تحنى رأسها بايماءة الاحترام التقليدية . ولو أنها فاهت باسم صهرها ، الا انها طبقاً لعادة متأصلة لدى الهنود لم تنطق باسم زوجها ، بل قنعت بالقول بأنها كانت أماً لطفلين مات أولهما أثناء مقامها على الأرض ، ثم قضت هى بعد مولد طفلها الثانى بعشرة أيام .

وحتى يتسنى للمحامى صديق الأسرة مواصلة تحرياته فانه استدرج الفتاة الى أن تذكر اسم زوجها ، وطلب من الفتيات أترابها اللواتى كن يلهون معها أن يسألنها عن ذلك ، فخطت الفتاة لاحداهن على قطعة ورق

---

(١) Reincarnation Fact or Fallacy?

(٢) Theosophy In India.

اسم ك.ش. من ماثورا . وكان التأييد نصيب هذه المعلومات ، وأثناء ذلك كانت الفتاة دائمة الالحاح على والديها بأن يصحباها الى منزلها القديم بماثورا . وحدث أثناء تلقى أحد الدروس انها اخذت تبكى وتتوسل الى مربيتها أن تأخذها الى ماثورا ، وقد اجابتها المربية باستحالة ذلك ما لم تصرح باسم زوجها وعنوانه ، فخطت الفتاة مرة اخرى اسمه ك.ش. على قطعة من الورق وناولته لمربيتها . وهكذا اقتنع والداها بأن معلوماتها صادقة . وقد بعث المحامى الصديق بخطاب الى السيد ك.ش. يخبره بجلية الأمر دون أن يدرى أن التأييد كان فى طريقه اليه .

فبعد أيام قليلة أجاب السيد ك.ش. بأن حوادث حياته كما سردتها الفتاة تنطبق عليه ، واقترح عقد اجتماع بأخيه الذى كان يؤدى اذ ذاك عملا بدلهى . وقد تعرفت عليه الفتاة كأخ لزوجها . وتبين من الاستجواب الذى تلا ذلك أن أوصاف المنزل وظروف وفاة زوجة السيد ك.ش. كانت صحيحة جملة وتفصيلا ، وتشبثت الفتاة باصطحاب صهرها فى الحياة السابقة فى الذهاب الى ماثورا ، الا أنه نظراً لعدم وجود صداقة بين الأسرتين ، فقد تعذر تحقيق ذلك .

وبالطبع اهتم السيد ك.ش. بهذا الأمر وانتقل بعد قليل من ماثورا الى دلهى مع ابنه الذى ولد له من تلك الطفلة فى حياتها السابقة ، ليرى بعينيه الأم الصغيرة والتى انفجرت باكية حينما رأته ، واحنت له رأسها احتراماً . وحينما سئلت عن هوية ذينك الشخصين ، فانها لم تتردد فى القول بأن أحدهما كان زوجها والآخر ابنها . ثم سردت تفصيلات عما يهواه زوجها وعما يعافه . ووصفت بدقة الشامات والسمات الأخرى التى تميز جسم زوجها .

ولفرط اندهاش الأصدقاء والأقارب الذين كانوا مجتمعين بالمنزل فقد أيَّد السيد ك.ش. جميع ما قالته الفتاة . وعلى الفور توثقت عرى الصداقة بين الصبية والطفل وأصبحا مسرورين . وبهذا تقوَّى الدليل على ان الفتاة لابد أنها كانت الزوجة السابقة للسيد ك.ش. وأنها عادت للحياة بعد سنتين وثلاثة شهور من وفاتها .

ولتخفيف اثر الصدمة التى يحدثها الفراق المباغت فى ذهن الفتاة الصغيرة فقد اخذ المحامى فريق المجتمعين فى جولة فى أرجاء دلهى الجديدة ، حيث كانت الفتاة فى اثنائها تمرح مع الصبى اذ كانا سعيدين بعشرة احدهما للآخر . وفى الواقع قرر المحامى الصديق الذى كان يعرف الفتاة منذ طفولتها ، بأنه لم يرها اشد مرحاً مما رآها فى تلك المناسبة .

وهنــاك بيّنة اخرى ترقى الى مصاف الدليل على أن الفتاة كانت تجسداً ثانياً للزوجة السابقة . فقبل أن يقوم المجتمعون بالجولة أسَرت الفتاة الى أمها بأن تعدّ للضيوف ألواناً معينة من الطعام ، وأن تقدمهــا اليهم قبل رحيلهم . وحين عودة السيد ك.ش. من تجواله دهش ، بل انه صــدم فعــلا ، حينما رأى أمامه على المــائدة الوان الطعــام المحببة اليه ، والتى كانت زوجته المتوفاة تعدها له. وسلّم السيد ك.ش. بأنه مع زوجته السابقة كانا ، كما زعمت الفتاة الصغيرة ، زوجين هانئين ، وان تلك الزوجة كانت تكن له كل اخلاص .

دليل قضائى عن حياة سابقة

وهناك حالة أخرى تثبت جلياً حياة سابقة ، وقد نشرت فى كتاب « مغامرات عند العرب » (١) بقلم و.ب. سيبروك ، جاء به ما يلى :

« أن كل نفس قد مرت قبلا بتجسدات بشرية عديدة ... وأكثر هذه الحالات تشويقاً هى قصة سمعتها عن شخص يدعى منصور أطرش، ويجزم بصــدقها عشرات الناس فى جبل الدروز . وكان منصور أطرش هذا قد تزوج من صبية فى الثانية عشرة تدعى أم رمان ، وحدث أن قتل الزوج فى غارة منذ ثلاثين عاماً . وفى ذات الآونة التى لفظ فيها منصور اطرش أنفاســه الأخيرة ــ وهــو وقت تحققت صحته ، ولد لأسرة من الدروز فى أحد جبال لبنان يبعد مئات الأميال ، طفــل أطلق عليه اسم نجيب ابو فاراى . وقد شبّ الطفل حتى بلغ العشرين دون أن يغادر موطنه الجبلى ، ولكنه ما أن انتقــل بطريق الصــدفة الى جبل الدروز الموطن السابق لمنصور اطرش حتى هتف قائلا : « لابد أن أكون فى حلم ، فهــذه الأماكن شاهدتها قبلا ، وهى مألوفة لدىّ أكثر من جبالنــا » .

وحينما بلغ الصبى القرية التى كان منصور أطرش يعيش فيها قال : « ان هذه قريتى ويقع منزلى فى نهاية الشارع وفى ناحية معينة منه » . ثم سار رأسا فى الشوارع المتعرجة صوب منزل منصور اطرش ، واتجه الى مخبأ مسور وهدم جداراً وكشف عن كيس صغير به نقود تذكر أنه وضعه هناك فى حياته السابقة . وبعد ذلك ذهب الى كروم عائلة أطرش حيث كانت بها حدود متنازع عليها . وأشار الى الحدود وقرر أنه هو الذى وضعها حينما كان منصور اطرش فيما سبق . وبهذا القول المدعم بالدليل اخــذت محكمة للدروز . كما أنه بسبب الأدلة العــديدة التى ساقها على شخصيته ، فقد تعرف عليه منصور اطرش وسلموا بأن اباهم

---

(1) Adventures in Arabia

عاد الى الحياة . وقد تلقى من عائلة أطرش شحنة حبوب على قافلة من الجمال هدية له .

قوة الذاكرة تتعزز بأدلة مادية

فى عــدد مايو سنة ١٩٤٤ نشرت مجلة Life Digest مقالا بعنوان : « هذا الصبى عاش قبلا » (١) الحالة التالية لتذكر حياة سابقة :

« فى النصف الثانى من سنة ١٩٢٢ وفى مدينة باريللى بالهند أثار طفل هندى فى الثالثة يدعى « فشوانات » دهشــة والديه بأن سرد لهم تفاصيل دقيقة لمـا زعم أنه حياة سابقة له . وقد أرهق الطفل والديه بمعلومات عن مكان يدعى بيلبهيت وألح فى معرفة بعده عن باريللى . كما التمس من أبيــه أن يصحبه اليه . ولمـا كان والداه يعتقدان خطــأ أن الأطفال الذين تكون لهم مثل هذه الذاكرة يموتون صغاراً ، فانهما عملا ما فى طوقهما ليقلع الطفل عن أوهامه الغريبة . الا أن الطفل حينما شب زاد انشغاله بحياته السابقة مما اضطر الوالدين الى النزول على رغبته . فصحباه الى المدرســة الحكومية العليا فى بيلبهيت . ولكنــه صرح بأنه لا يعرف شيئاً عن تلك المدرسة . وفعلا اتضح أن المدرسة كانت حديثة البنــاء .

وقــد أدهش فشــوانات سامعيه بفيض من المعلومات عن حيــاته السابقة فى بيلبهيت ، فقال أن جاراً له يدعى « لافاسندرلال » كان يفخر ببوابة خضراء وسيف وبندقية ، وكان يحيى حفلات راقصة تقوم بهــا فتيات فى فناء منزله . وقال أن أباه كان حينذاك مالكاً لعقارات ، ومدمناً على الخمر ، ومولعاً بتناول سمك « روهو » وبالحفلات الراقصة . ثم أنه تلقى علومه فى المدرسة الحكومية ، ونجح فى اللغة الاردية والهندية والانجليزية ، وأنه بلغ الفصل السادس بها . وقد ثبت بعد ذلك صدق هذه الأقوال . ووصف الصبى محتويات المنزل الذى كان يعيش فيه . وحينما أخذ الى المبنى فقد وجد كل شىء مطابقاً لوصفه بما فى ذلك موقع درج السلم . وقد أشار الصبى بأصبعه الى شخص فى صورة فوتوغرافية وقال انه هار نارين . وفى النهاية توّج ذكرياته الغريبة لحياته السابقة بأن أشــار الى نفسه فى الصورة كصبى يجلس فى مقعد . وهذا الصبى الذى أشار اليه كان « لوكسمى نارين » ، ابن « بابوناى نارين » ، الذى توفى بذات الرئة فى الثانية والثلاثين بمدينة شاجهنبور فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٨ . ومن بين التفصيلات الأخرى التى سردها فشوانات بدقــة ، الموقع الصحيح للفصــل السادس بالمدرسة المحلية والمظهر الخارجى لأستاذه ، وأسماء

(١) نشرت القصة أصلا فى مجلة Answers بلندن .

الأماكن التى عمل بهـا ، واسم خادمه الخـاص . وقد أيّد خال الصبى العديد من هذه التفصيلات ، ومن بينها حقائق سها عنها الجميع » .

استرداد الذكرة والموهبة

أقسم هـ. فيلدنج هـول مؤلف كتاب عنوانه « روح شعب » (١) على صحة قصة فتاة صغيرة فى السابعة عن تجسدها السابق ، وجاء بهـا انها كانت رجلا ادار معرضاً للعرائس المتحركة . وانه للتأكد من مطابقة القصة للواقع ابتاع لها والدها عروسـة أو دمية ، فما كان منها الا أن امسكت على الفور خيوطها بيديها بكيفية صحيحة ، مع أنها لم تكن قد رأت عروسة متحركة من قبل وقالت : « لقد تزوجت بأربع نسوة ماتت منهن اثنتان وطلقت الثالثة ، وظلت الرابعـة على قيد الحياة حتى وفاتى ، ولا تزال حية ترزق . واننى كنت أحبها حباً جماً وأما التى طلقتها فانها كانت امراة سليطة . واذ أشارت الى ندبة على كتفها أضافت : « تطلع الى هذا ! انها امسكت بساطور وهوت به على كتفى » .

وقد أجرى فيلدنج هول بعض التحريات فتبين له أن علامة مميزة ولدت بهـا الطفلة تطابق تماماً علامة أحدثتهـا بالمـالك السابق لمعرض العرائس زوجته المطلقة والتى أمكنه العثور عليها . أما الزوجة المطلقـة والزوجة المحبوبة فقـد كانتا لا تزالان على قيد الحياة . وحينما سئلت الفتاة ، لمـاذا لا تذهب للاقامة مع الزوجة التى أحبتها كثيراً ، أجابت ببساطة الأطفال : « كيف ! لقد تم كل هذا فى حياة سابقة ! » . وفوق ذلك فانها وصفت بدقة أماكن وأناساً لم ترهم يعيشون فى بقاع نائية ، ولكنها عرفتهم فى حياتهم السابقة .

جندى يولد من جديد

نشرت الحالة التالية بمجلة American Magazine بنيويورك عدد يوليو سنة ١٩١٥ بقلم احدى الرسامات فى مينا بوليس . وتلك الرسامة كانت الأخت الكبرى للصـغيرة آن ، وحتى وقـوع الحادث لم تكن هى ولا أى فرد من أفراد اسرتها يعتقد ، أو يعلم شيئاً عن عقيدة العودة الى الحياة . قالت :

« كانت آن ، وهى أخت غير شقيقة تصغرنى بخمسة عشر عاماً ، فتاة غريبة الأطوار منذ نعومة أظفارها ، وهى لم تكن تشبه أحداً من أفراد الأسرة لأن لونها كان قاتماً فى حين كان الآخرون شقراً ، ينبثون بغير خطأ عن أسلافنا الارلنديين . وما أن شرعت الفتاة تنطق بعبارات مترابطة حتى

---

(1) The Soul of a People

اخـذت تسرد قصصـاً خياليـة ، وللتسلية كنت اخط بقلمى فى يوميتى العتيقة ، ما كانت تثرثر به . ولسبب مشغولية امى فقد كان أمر الفتاة موكلا الىَّ . وكنت فخورة بأختى ، ولم يكن نسيجها الفكرى من خيالات الأطفال المعتاد ، بل كان يتضمن شذرات من المعرفة يقصر الطفل عن الاحاطة بها ، أو ارتشافها بأية وسيلة .

وثمـة أمر آخـر عجيب ذلك أن كل ما كانت تأتيه آن كان يبدو أنه بطريق عادة متأصلة فى نفسها . وفعلا كان الحاحها قوياً ، ولو انهـا لم تستطع أبداً أن تفسر ما تقصده به . ولو كان قد اتيح للقارىء أن يرى الكيفية الصاخبة التى كانت ترفع بها الى فمها كوز اللبن ، حينما لم تكن قـد جـاوزت الثالثة فقط من عمـرها ، وكيف كانت تجرعه فى جرعة واحـدة ، لاَ غرق فى الضحك . وقد أزعج أمى هـذا الأمر فوبخت آن مراراً . وكانت الطفلة روحا طيبة ومطيعة ، فاذا ما أقدمت فى لحظة من شرود الذهن على عمل يسبب كمداً ، فانها تشرع فوراً فى الاعتذارات مرة بعد أخرى ، وتقول بنبرات الطفولة والدموع تترقرق فى مآقيها : « لست أستطيع غير ذلك يا أماه . لقد كنت أفعل ذلك بتلك الطريقة ! » .

وقـد بلغت تلك الحـركات الطفيفـة كعادتها فى الكلام والتفكير والتذكر من الكثرة حداً قررنا معه أن لا نعيرها اهتماماً . كما أنها هى ذاتها كانت غير واعية بأنها تختلف كثيراً عن أترابهـا . وحدث ذات يوم حينما كانت فى الرابعة أن غضبت مع أبى لأمر ما . وحينمـا جلست القرفصاء على أرض الغرفـة أمامنا كشفت عن نيتها فى الانطـلاق ومفارقتنا الى الأبد . . .

وأجابت الفتـاة بطريقة عرضية : « كلا . كلا . لقد كنت هنا على الأرض مرات عديدة . وأحياناً كنت رجلا ، وأحياناً أخرى امرأة ! » .

وكانت الفتاة رصينة فى حديثهـا حتى أن أبى ضحك ملء قلبه ، مما أثار غضب الفتاة لأنها كانت تمقت أن يسخر منها أحد » .

واكّدت الفتاة فى حنق : « نعم لقد كنت كذلك ! وحدث ذات مرة أن ذهبت الى كندا حيث كنت رجلا . اننى أتذكر اسمى جيداً حينذاك » .

وهـزأ بهـا الأب مستخفاً وقال : « ان بنـات الولايات المتحـدة لا يصبحن رجالا فى كندا ! لعمرى ماذا كان اسمك الذى تذكرينه جيداً ؟ » .

وصمتت الفتاة هنيهة ثم هتفت قائلة : «كان اسمى ليشس فابر» . ثم رددت الاسـم بقـوة أوفر « نعم كان اسمى ليشس فابر » . وقـد ربطت النبرات معاً بحيث لم أستجمع من اللفظ اكثر من ذلك . ولا يظل هذا الاسم فى يوميتى حتى الآن : ليشس فابر .

وابتدرها الأب بتلك الرزانة الساخرة التى تتلاءم مع تأكيداتها حتى يهدىء ثورة غضبها : « وماذا كانت مهمتك يا ليشس فابر فى تلك الأيام الخوالى ؟ » .

وأردفت الفتاة بلهجة الظفر قائلة : « لقد كنت جندياً واستوليت على الأبواب ! » .

وكان هذا ما سجلته بمفكرتى . وأذكر أننا حاولنا مرة بعد أخرى أن نستدرج الفتاة لكى تفسر لنا ما أغلق علينا فهمه من عباراتها الغريبة ، ولكنها لم تفعل أكثر من تكرار كلماتها . ثم حنقت منا لعدم فهمها اذ وقف خيالها عند هذا الحد . وكنا اذ ذاك نعيش فى أحضان بيئة مهذبة . ورغم أننى رويت القصة لأستعلم عن مغزاها ، كما يفعل المرء أحياناً فى سرد قصص الأطفال المحببين ، فان أحداً لم يجد لها تفسيراً .

على أن البعض استحثنى أن أسبر غور الأمر . ولمدى عام عكفت على دراسة كتب التاريخ التى وقعت تحت يدى عن كندا ، بحثاً عن معركة « استولى فيها شخص ما على الأبواب » ولكن دون جدوى . وأخيراً وبعد مرور عام فقدت فيه كل أمل فى الوقوف على دليل ، وجهنى بائع كتب الى مخطوط عتيق ومضحك تتشابه فيه رسوم الحروف وتتشابك . ولئن كان الكتاب عتيقاً وغريباً الا أنه كان بهياً وشيقاً فى سرده لكثير من القصص وقد استرعت انتباهى قطعة حجبت من ذهنى سائر ما عداها ، اذ كانت سرداً موجزاً لاستيلاء فرقة من الجنود قليلة العدد على مدينة صغيرة مسورة ، وهى مأثرة ممتازة من نوع معين ، ولكنها ليست بذات بال . ثم قفزت أمام عينى العبارة التالية : « وقد استولى على الأبواب ملازم ثان شاب مع فرقته القليلة العدد ، وكان اسم هذا الشاب ليشس فابر ! » ...

من تحقيقات ستفنسون

والحالات الحديثة التى تم تحقيقها جديا فى هذه الظاهرة الفريدة تعد الآن بالمئات وربما بالآلاف ، واعنى بها تلك التحقيقات الدقيقة التى قام بها بحاث يعرفون كيف يميزون تماماً بين الروايات أو الأساطير من جانب ، وبين الوقائع الصادقة التى لا تمت بأية صلة الى الرويات أو الأساطير من جانب آخر ، كما لا تمت بأية صلة الى الاقتناع السهل المبتسر .

وهذه التحقيقات آخذة فى التزايد المستمر بالنظر الى اتجاه اهتمام علماء الباراسيكولوجى فى بعض جامعات الغرب الى تجميع أكبر عدد منها لتوسيع رقعة البحث من جانب ، ولاستخلاص العنصر الثابت فيها طبقاً للأسلوب الرياضى ، لاستخدامه فى الكشف المثمر عن اغوار الذات الانسانية ، ويا لها من أغوار لا تنتهى أبداً ! !

ومن أبرز هذه الأخيرة تلك التحقيقات التى قام بهـا حديثاً الدكتور أيان ستيفنسون Ian Stevenson أستاذ التحليل النفسى حالياً بكليـة الطب بجامعـة شارلوتسـفيل بفرجينيـا Virginia بالولايات المتحدة الأمريكية والذى بعد أن جمـع حوالى ثلاثمائة حـالة منهـا اسـتبقى عشرين فقط بوصـفها جـادة تمـاماً وجـديرة بالاستبقاء، وبالتحليل العلمى التفصيلى وسردها فى كتـاب قيم له عنـوانه : « عشرون حـالة ترشـح لعـودة التجسـد » (١) (١٩٦٦) .



أيان ستفنسون

وهذه الحالات التى حققها ستيفنسون منها حالة وقعت فى لبنان ، وسبع فى الهنـد ، وثلاث فى سيلان ، وحالتين فى البرازيل ، وسبع فى جنوب آلاسكا بين هنود التلينجيت Tlingit Indians . وتحقيق كل حالة منها استغرق العشرات من الصفحات ، وجرى على نمط التحقيقات الجنائية الحذرة من ناحية ضرورة تقصى الحقائق كلها ؛ واستجواب أكبر عدد ممكن من الأشخاص المحيطين بالحالة ، واجراء أكبر عدد من المقارنات والمعاينات ووضع جميع الاختبارات الدقيقة اللازمة للاثبات أو للنفى قبل الحكم للحالة أو عليها .

حالة عماد الأعور

وكمثال أولى نقـدم فى ايجاز حالة منها وقعت فى لبنان والنتائج التى وصل اليها أيان ستيفنسون عندما زار لبنان فى سنة ١٩٦٤ خصيصاً لتحقيقها يرافقه ترجمانه الأمريكى وهو من أصل لبنانى . وهذه الحالة جرت أحداثها الأخيرة المذهلة فى قرية « قرنايل » ، وهى خاصـة بصبى لبنانى يدعى عماد الأعور كان عمره عندئذ ١٢ سنة .

ومنذ بلغ الثانية من عمره أخذ عماد هذا يروى لوالديه وقائع منوعة عن أسرة معينة كان يعيش بينها من قبل فى قرية بعيدة عن « قرنايل » تدعى « الخريبة » ، وبين أشـقاء وشقيقات ذكر اسمائهم . ثم أخـذ

---

(1) Twenty Cases Suggestive of Reincarnation.

يسرد ذكريات محددة عن سيارة نقل بضائع ، وعن « أوتوبيس » ، وعن كلب ، وعن فتاة كان يحبها ذكر اسمها وهو « جميلة » .

وعندما تمكن من السير على قدميه اظهر سروراً بالغاً ودهشة فريدة لقدرته على المشى ، واخذ يسرد قصة عن سيارة دهمت رجلاً كان يسير على قدميه ، الى حد أن والد عماد ظن أن ابنه عبارة عن تجسد روح انسان مات بسبب صدمة سيارة فى حياة سابقة !

فلما تولى ستفنسون تحقيق الموضوع اصطحب الغلام الى قرية « الخريبة » التى كان يشير اليها فى أحاديثة ، حيث تعـرّف هناك على بيته السابق ، وعلى شقيقته هدى التى بادرها بأن أخرج لها لسانه كما كان يفعل معها من قبل عندما كانا صغيرين فأجهشت بالبكاء ثم ميز باقى اشقاءه ، وناداهم بأسمائهم . ثم تعرف على بندقية كان يحوزها ، واخرجها من مخبئها !

واستطاع عماد أن يحدد الفراش الذى مات عليه . وقرر انهم قد غيّروا موضعه وابعدوه عن النافذة ، لأنه يذكر أنه فى أثناء مرضه الأخير قد عزلوه عن أشقائه مخافة العدوى فكان يحادثهم خلال النافذة . بل لقد تذكر الغلام ان اصبع أمه كانت قد « دهست » فى الباب فاتضح أن اصبعها كان لا يزال يحمل آثار هذا الحادث نفسه .

واتضح أن هذه الأسرة كان عندها شاب يدعى ابراهيم بشير ابو حمزة ، وانه توفى فى ١٨ يولية سنة ١٩٤٩ ، بعد أن أصيب بسل النخاع الشوكى ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره عند وفاته ، وقعيد الفراش عاجزاً عن المشى . وهو ما قد يفسر سلوك الطفل عماد الأعور عندما ابدى دهشته من قدرته على المشى فيما بعد .

وتبين أيضاً صحة حادثة السيارة التى دهمت شخصاً كان يسير على قدميه ، واتضح أن المصاب فيها هو ابن عم للغلام ابراهيم بشير ابو حمزة ، وان الغلام قد شاهد الحادث فحسب ، فلم يكن هو نفسه المجنى عليه فيه كما تصور والده الجديد . كما تبين صحة ما رواه هذا الغلام ذو الذاكرة العجيبة عن سيارة نقل البضائع ، وعن الأوتوبيس ، وعن جميلة الفتاة التى كان يحبها ، والتى اتضح أنها تزوجت وكانت لا تزال على قيد الحياة الأرضية ، وعما رواه عن الكلب أيضاً .

كما تعـرّف الغلام عماد الأعور على أحد جيرانه عندما كان يعيش فى حياته السابقة فى قرية الخريبة وكان فى الثالثة من عمره حينئذ . وقد شاهده فى قرية قرنايل وكان مرافقاً لجدته ، فركض نحوه وضمه اليه

بحرارة قائلاً له انت جارى فى الخريبة وهو ما اتضح صحته فيما بعد وقد شهد الأقارب والأصدقاء والجيران بصحة هذه الوقائع فى تحقيق استغرق تلخيصه حوالى خمسين صفحة .

كما تأكد ستفنسون من أنه لم تكن هناك اية رابطة ، أو اية صلة بين أسرة عماد الأعور التى تقيم فى قرية « قرنايل » ، وبين أسرة بشير أبى حمزة التى تقيم فى قرية « خريبة » وذلك مع أن الغلام الأعور كان يعيش بكل جوارحه وعواطفه مع أسرته السابقة الى حد انه اصر على تسمية احدى شقيقاته فى أسرته الجديدة باسم هدى وهو اسم شقيقته فى حياته السابقة .

ومما هو جدير بالذكر أن محررين فى مجلة « الحوادث » اللبنانية هما الأساذة غادة السمان ، والأستاذ غسان مكارم ، بعد أن اطلعا على كتاب العالم الأمريكى — الذى ارشدهما اليه الدكتور سامى مكارم الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت — قاما فى شهر فبراير سنة ١٩٧٣ بتحقيق جديد فى نفس هذه الوقائع الواردة به فتحققا من صحتها كلها بعد أن اتصلا بعماد الأعور الذى أصبح شاباً ، وقد جاوز العشرين من عمره ، وبأفراد أسرتيه الحالية والسابقة .

وقد ورد فى هذا التحقيق الصحفى القائم بذاته : « ها هو عماد الأعور لطيف ، وذكى ، وعيناه شفافتان . أكد الحكاية التى رواها الدكتوران سامى مكارم وستفنسون . تقول أمه انها سمعته فى طفولته مرات عديدة يتحدث مع نفسه ويقول : « أنا ابراهيم » . وانه كان يركب على « الديوان » (الكنبة) ويصفّ اخوته خلفه ليلعبوا لعبة «الأتوبيس» فقد كان فى حياته السابقة يملك واحداً منها ويحسن قيادته .

سألته : هل تعرف الآن قيادة السيارة ؟

قال : أجل اننى اقود أحياناً سيارة « فولكس فاجن » يملكها ابن عمى عفيفى .

— هل علمك قيادة السيارة ؟

— لا ، لا احد علمنى ، ما زلت اذكر كيف أقود السيارة .

وحدثنى عماد بأنه حزين لأن امه السابقة (أم ابراهيم بشير أبو حمزة) توفيت ، ولم يعلم بذلك الا مؤخراً (أى قبيل هذا التحقيق الصحفى الأخير) ... ودار بيننا حوار طويل ... المهم أن اللقاء بعماد يؤكد ان كل حرف قراته عنه كان صادقاً . خصوصاً وان الدكتور ستفنسون سبق واجرى له تحقيقاً اين منه التحقيقات الجنائية ؟ وتأكد من انه لم تكن هنالك اية علاقة او اية معرفة بين أسرة عماد الاعور وأسرة أبى حمزة قبل زيارة عماد معه للخريبة .



ومما لا يخلو من دلالة في هذا الشأن أن الغلام عماد الأعور الذى كان فى الثانية عشرة من عمره عندما جرى معه تحقيق العلامة ستفنسون ، والذى صار فى الواحد والعشرين عندما جرى معه هذا التحقيق الصحفى الأخير قد أصبح يشبه فى الملامح شبهاً واضحاً صورة الشاب المتوفى « المرحوم » ابراهيم بشير أبو حمزة ، وهى لا تزال معلقة فى منزل أسرته . وعندما التقطت صورة فوتوغرافية لعماد الأعور بجوار صورة « المرحوم » ابراهيم أبو حمزة ظهر هذا التشابه كما يتضح من الصورة (عن مجلة « الحوادث » عدد رقم ٨٥٢ فى ٩ مارس سنة ١٩٧٣) (١) .



(١) وبنفس العدد تفصيلات أخرى تؤكد صحة ما ورد فى تحقيق العالم الأمريكى وذلك بالاضافة الى سرد لحالات متعددة مماثلة جرت فى لبنان وفى خارجه عن ظاهرة « رؤى من قبل » من ناحية صلتها بموضوع العودة للتجسد .

ولعل هذه الصورة الفريدة تعد من أندر الصور التى تكشفت عنها التحقيقات الروحية فى أى بلد اذ انها تمثل صورة فوتوغرافية لشخص معين بجوار صورة له هو نفسه فى تجسد مباشر سابق ، وفى نفس المنزل، وفى نفس الجيل أيضاً ؛ وكم فى الكون من عجائب تفوق فى غرابتها كل قدرات التصور الانسانى !

من حالات هنود التلنجيت

وهذه حالات وقعت بين هنود التلنجيت Tlingit الذين يقطنون شمال شرقى أمريكا ، وهم من سلالات الهنود الحمر وأصحاب ديانة تقوم على مبدأ العودة للتجسد شأنهم شأن الاسكيمو الذين يقطنون شمال غربى آلاسكا ، والأليوتس Aleuts الذين يقطنون غربى أمريكا .

ويعتقد هنود التلنجيت أكثر من ذلك أن الأرواح تعود الى نفس أسرها القديمة مباشرة . وبين عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٥ زار الدكتور ستفنسون هنود التلنجيت أربع مرات فحص فيها ست وثلاثين حالة ادعاء بالعودة للتجسد ، ولم تكن مهمته شاقة بينهم لأنهم يتحدثون الانكليزية ، ولأن عدداً من أولئك « العائدين للتجسد » كان يحمل علامات تشير الى الأسلوب الذى انتهت به حياتهم السابقة .

فمثلاً من بينها حالة ظروفها أنه فى سنة ١٩٤٩ توفى صائد سمك من بينهم يدعى وليام جورج ، وقال لابنه ولزوجة ابنه قبيل وفاته فى الستين من عمره أنه سيعود اليهم بوصفه ابناً لهم . كما وعدهم بأنهم سيتعرفون عليه بعلامات معينة كانت موجودة فى جسمه ولد بها . كما سلمهم ساعته الذهبية للاحتفاظ بها له (الى حين عودته طبعاً) .

وبعد مضى بضعة أسابيع خرج للصيد فى قاربه كالمعتاد لكنه لم يعد ، واختفت كل آثاره . وبالكاد بعد تسعة اشهر اخرى وضعت زوجة ابنه مولوداً ذكراً يحمل بالضبط نفس العلامات الجثمانية التى كان يحملها جده المختفى وهى عبارة عن عدة « شامات » moles (مفردها شامة أو خال) سوداء على السطح الأعلى لكتفه اليسرى ، وكذلك على السطح الداخلى للعضد الأيسر بالضبط فى نفس المواضع التى حددها لهم قبل وفاته .

وبقدر نموه أخذ سلوك الابن سبلاً تشبه نفس سبل سلوك جده ، بما فى ذلك العرج فى السير بسبب اصابة كان الأخير قد اصيب بها اثناء ممارسته لعبة كرة السلة ! وقبل أن يبلغ الخامسة من عمره كان الولد قد تعرف على ساعته ، وأخرجها من تلقاء نفسه من صندوق

للمصـــوغات مملوك لأمه ، وتمسك بعناد بحقه فى تملكها ، وكان يتحدث عن أعمامه بوصفهم أولاده ، وعن عمته بوصفها شقيقته (كما كان الحال فى حياته السابقة) .

ويكتب ستفنسون عن هــذه الحالة قائلاً : « الولد يقــدم معرفة سابقة لأوانها عن الصيد وقوارب الصيد ، كما يظهر منه خوف من المـاء أكثر من المـألوف بالنسبة للأولاد الذين فى مثل سنه » (اذ الظاهر أنه عندما اختفت آثاره كان قد مات غرقاً) .

* * *

وحالة أخــرى بين هنود التلنجيت وقعت لمن يدعى فكتور فنسنت Victor Vincent الذى كان معروفاً فى القبيلة باسم كاهكودى Kahkody وتوفى فى سنة ١٩٤٦ . ولكنه فى سنة ١٩٤٥ أخبر ابنة شقيقه التى كان يعزها وتدعى كورليس شوتكين Corliss Chotkin وزوجها أنه سيعود بوصفه ابناً لهما . ووعدهما بأنهما سيتعرفان عليه بعلامتين كان يحمل احداهما فى جانب أنفه ، والأخرى على ظهره ، وهما من بقايا التئام عملية جراحية كانت لا تزال ظاهرة به .

وبعد ثمانية عشر شهراً لاحقاً وضعت السيدة شوتكين مولوداً ذكراً يحمل علامتين طبق الأصــل من العلامتين اللتين كانتا بجسم فنسنت . وعندما بلغ عمــره ١٣ شهراً كانت أمه تحــاول أن تعلمه كيفية النطق باسمه فقاطعها قائلاً لها : « الا تعرفيننى اننى أنا كاهكودى ! » .

وعندما بلغ العامين تعرف تعرفاً صحيحاً على كريمة زوجته السابقة سوزى Susie ، وعلى ابنه وليام ، وعلى أرملته . وظل يقــدم ذكريات تفصيلية عن حياته السابقة الى سن التاسعة ، ثم ابتدأت ذاكرته تخونه عن حياته السابقــة ، وتلاشت تماماً فى سن الخامسة عشرة . ومع ذلك فان ستفنسون لا يزعم أنه وصــل الى اثبات العودة للتجسد ، بل أنه فحسب يقدم نتائج تحقيقاته الدقيقة المفصلة بوصف أنها « ترشح » مجرد ترشيح لاحتمال العودة للتجسد .

حالة نيرمال براكاش

وهــذه حالة من الهند حقق وقائعهــا أيان ستفنسون فى مؤلفــه الآنف الاشارة اليه ، وهى حالة صبى هندى يدعى « نيرمال » Nirmal من قرية « كوزى كالان » Kosi Kalan بالقرب من ماثيورا Mathura توفى بالجــدرى فى شهر ابريل من عام ١٩٥٠ . وعندما كان يحتضر قال لأمه : « انك لست امى . انك أجنبية عنى وسأذهب الى امى » . ثم اشار

بيده فى اتجاه ماثيورا ومدينة اخرى اصغر منها فى نفس الاتجاه تدعى شاهاتا Chahatta .

وفى شهر أغسطس من عام ١٩٥١ ولد فى قرية « شاهاتا » مولود ذكر أطلقوا عليه اسم « براكاش » Prakash ولما بلغ الرابعة من عمره ظهرت عليه ظاهرة المشى أثناء النوم . وكان ينهض من فراشه ، وينزل الى الطريق العام ويسير فى اتجاه قرية « كوزى كالان » . فاذا أدركه أحد وأوقظه وعاد به الى البيت بكى قائلاً انه كان يريد العودة الى بيته السابق فى « كوزى كالان » . ولما بلغ « براكاش » الرابعة والنصف من عمره أخذ يسرد على والديه قصة حياته السابقة فى قرية « نيرمال » وحدد أسماء والديه ، وأشقائه ، وأصدقائه هناك .

وازاء الحاحه على الذهاب الى هناك اصطحبه عمه — للتخلص من هذا الالحاح — الى قرية أخرى ، لكن الصبى فطن الى الخدعة ونفى نفياً باتاً أن تكون هذه هى قريته السابقة . وعندئذ اضطر عمه الى اصطحابه بالسيارة الى قرية « كوزى كالان » الحقيقية حيث أرشده الى محل تجارى قائلا انه محل والده السابق . ولما كان هذا المحل مغلقا فى ذلك الوقت عاد به عمه من حيث أتيا .

ولما تحرت أسرته عن الوقائع التى كان يسردها الصبى ثبتت لها صحتها ، وتوصلت التحريات الى أسرته السابقة التى اتضح أنها تقيم فعلا فى قرية « كوزى كالان » ، وأنه كان لها ابن يدعى « نيرمال » توفى فى العاشرة من عمره فى التاريخ الذى بينته آنفاً . ولما اصطحبته أسرته الى هناك تعرف فورا على والده السابق ، وعلى والدته وذكّرها بما سبق أن قاله لها فى ساعة احتضاره من انه سيذهب الى أم أخرى.

كما تعرف « براكاش » على شقيقته الكبرى ، وجىء اليه بشقيقة فى زحمة من الأشخاص فتعرف عليه بسهولة وناداه باسمه . وتعرف ايضاً على جار لهم واقتادهم الى محله التجارى وارشد أسرته الى فراشه الذى مات عليه ، والذى نقل اليه عندما اشتدت عليه وطأة المرض . وشاهد سلسلة معلقة على الجدار فأشار اليها وقال انها خاصة بجده . ودخل احد الضيوف فأشار اليه وقال انه طبيب الأسرة . وشاهد ضيفاً آخر فقال انه هو محصل العوائد ... وهذا كله تبين صحته برمته الى حد أن أسرته السابقة اقتنعت بأن هذا هو بالفعل ابنهم السابق نيرمال وارادوا الاحتفاظ به بحجة تبنيه ، ولكن أسرته الجديدة تمسكت به بطبيعة الحال .

وهكذا نشب بين الأسرتين نزاع شديد ، تطور الى نزاع بين سائر اهل القريتين . ولما كان الدكتور ستفنسون موجوداً كادوا أن يفتكوا

به ، لأن الجميع تصوروا خطأ أنه هو الذى أقنع أسرة الصبى القديمة بأن تتبنى ولدها القديم وتتمسك به من جديد ...

ويقول المؤلف تعليقاً على المعلومات التى وصل اليها الطفل براكاش اننا اذا تركنا جانباً وبصفة مؤقتة العناصر الانفعالية فى سلوكه ، فاننا قد نساءل أنفسنا عن التماثل المتصور أن يكون بين المعلومات التى قد يحصل عليها بالطرق المألوفة فتى فى العاشرة من عمره ، وتلك التى قدمها عندما زارته أسرته السابقة لما قدمت الى شاهاتا ، وعندما قام هو بزيارة كوزى كالان .

فقد يفترض احد الأشخاص أن ثرثرة الجمهور الذى تجمع على طول الطريق من محطة الأوتوبيس الى كوزى كالان قادت الفتى الى المنزل . ولكن ليس لدينا دليل على ذلك ، بل بالعكس لدينا أدلة عن محاولات قامت بها شقيقته (فى حياته السابقة) لتضليله . ومن الصعب تعليل الاستعرافات الصحيحة التى توصل اليها الفتى على العديدين من أفراد أسرته القديمة (أسرة جين Jain) وجيرانهم مع ذكر أسمائهم ، وروابطهم الصحيحة ، أو بعض الأمارات الأخرى عنهم .

ومن هؤلاء الجيران اثنتان من النساء المحجبات تماماً التى تقضى تقاليدهن بألا يرفعن النقاب الا للأزواج والأولاد ، وأوثق الأقرباء . فلا يمكن للفتى أن يكون قد رآهما من قبل (فى حياته الراهنة) .

وبالاضافة الى ذلك فقد كان لدى براكاش بيانات صادقة عن غرف منزل آل جين ، وعن محتوياتها وعن استخداماتها . كما قدم فيما بعد معلومات عن المنزل وعن بعض « الدكاكين » صادقة بالنسبة للعصر الذى عاش فيه نيرمال ، وأصبحت بالية بالنسبة للوقت الذى قام فيه براكاش بزيارة كوزى كالان ... كل ذلك يرجح الحصول القديم على هذه المعلومات على احتمال الحصول الحديث عليها .

وهذا موجز يسير للتحقيقات التى تمت فى شأن براكاش . وقد روى المؤلف عنها تفصيلات أخرى كثيرة ، ووضع قائمة دقيقة عن الوقائع التى سردها والتى صمدت للتحقيق ، مع ذكر أسماء الأشخاص الذين استعان بهم فى هذا التحقيق ومع تحديد جميع المعالم الجغرافية التى ورد ذكرها على لسان الصبى لمضاهاتها بالمعالم الصحيحة [١] .

حالة ويجيراتن

ومن تلك الحالات التى حققها ستفنسون حالة ويجيراتن

---

(١) للمزيد راجع أيان ستفنسون . المرجع السابق ص ٢٠ — ٣٨ .

Wijeratne وهو طفل ولد بتاريخ ١٧ ينـاير سنة ١٩٤٧ بقرية أوجالكالتيتا Uggalkalteta بجزيرة سيلان وكان بالجانب الأيمن من صدره تشويه . وكان ذراعه الأيمن أقصر من ذراعه الايسر ببضع بوصات ويعادل فى نحافته نصف نحافة الذراع الأيسر ، والأصابع عاجزة وغير نامية .

وبعد أن جاوز عمره العامين بقليل ابتدأ يقول ان ذراعه الأيمن كان قصيرا لأنه طعن زوجته ، ومات مشنوقا من اجل جريمته ، ووصف كل ذلك تفصيلا . كما قال ان والده الراهن كان حينذاك هو شقيقه الأكبر . وعندما سمعت أمه هذه الوقائع سألت زوجها الذى يدعى تيلاراث هامى Tilarathe Hami عن هذا الموضوع فأجاب بأنه كان له شقيق متزوج يدعى راتران هامى Ratran Hami ولد فى سنة ١٩٠٤ ثم ترك زوجته مع والديه لفترة ما ، وعندما عاد لاصطحابها رفضت الذهاب معه ، فعاد الى منزله ثائرا وشحذ سكينا وطعنها بها بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٢٧ . وجرت محاكمته فى يونيه سنة ١٩٢٨ وحكم باعدامه شنقاً ، ونفذ الحكم فيه بعد شهر واحد من هذا التاريخ .

وعندما بلغ هذا الطفل الرابعة والنصف من عمره أخذ أناندا متريا Ananda Maitreya الذى هو أستاذ الفلسفة بجامعة كولومبو فى استجوابه ، فروى له كل التفصيلات حتى تلك الزكاة الدينية التى تبرع بها قبل تنفيذ حكم الاعدام فيه . وعندما بلغ الخامسة والنصف من عمره توقف عن الحديث عن تجسده السابق الا اذا سأله أحد الأشخاص عن هذا الموضوع ...

وعندما سأله عن ذراعه أجابه بأن هذه نتيجة « عقابية » (لجريمته السابقة) . كما درس نفس هذه الحالة السيد ف . ستورى F. Story فى يونيه سنة ١٩٦١ كتمهيد لزيارة ستفنسون التى جرت فى اغسطس من نفس العام .

كما تعرّف الطفل على حزام كان يملكه فيما مضى عندما شاهد أحد أبناء عمه مرتدياً اياه . وعندما كان أصغر سنا من ذلك تذكر أيضاً حياته فى « العالم الآخر » . وحرر ستفنسون كشفاً يحوى ٢٦ بياناً تفصيليا عن الأمور التى تذكّرها . ولما سأله ستفنسون — وكان الصبى قد بلغ من العمر عندئذ اربعة عشر عاماً ونصف — « كيف ستتصرف لو تكرر نفس الخلاف القديم ؟ » ، أجاب قائلا « اننى سأقتلها ثانية » . وقبيل تنفيذ الاعدام فيه بفترة قصيرة قال راتران

لشقيقه أنه يتمنى أن يولد من جديد ابناً له ، وحدثت هذه الواقعة منذ ثماني عشر عاما ونصف .

والعيوب الجثمانية في هذه الحالة تمثل نوعا من صنف خاص لأنه لا صلة لها بجروح حدثت في جسم الشخص السابق ، بل بالعكس ان تشويه الصدر يقابل موضع الجروح التي أحدثها هو بزوجته عندما طعنها بالسكين . وعدم النمو الكافي للذراع الأيمن هو الذي يمكن النظر اليه بوصفه عقاباً رمزياً له عن جريمته ، كما يمكن أن يعتقد الانسان .

ومن حسن الحظ أن هذه الحالة قد حدثت تماماً ، والا لكان ينبغي النظر اليها كما لو كانت قصة من قصص « الجنيات » . فان واتران تنبأ بأنه سيولد من جديد ابناً لشقيقه ، وربما كانت هذه مجرد رغبة .... وأحياناً يعترض أعداء قانون الكارما بأنه لا يصح لانسان أن يُعاقب بناء على وقائع قد نسيها ، لكن هنا حدث العقاب مع تذكر تلك الوقائع . فهذا المثال ذو قيمة تعليمية قصوى لأنه واضح فيه أن الشخص لم يغتفر لزوجته ، ولم يندم على قتله اياها . كما يلاحظ كارل موللر على نفس هذه الحالة أن تفسير صور التشويه المتعددة التي لازمت هذا الشخص بالوراثة تفسير محال ، حتى مع التسليم بالقرابة العائلية (١) .

حالة وارناسيري اديكاري

وهذه حالة اشترك في تحقيقها البحاثة ف. ستوري والعلامة ستفنسون ، ونشرا عنها مقالا بعنوان « حالة نموذجية للعودة للتجسد في سيلان » بعدد ابريل سنة ١٩٦٧ من جريدة « الجمعية الأمريكية للبحث الروحي » (٢) . وقد حقق صحة هذه الحالة ستوري في عامي ١٩٦٢ ، ١٩٦٥ ، ثم اشترك مع ستفنسون في اعادة تحقيقها في سنة ١٩٦٦ ، وظروفها كما يلي :

وُلد طفل يدعى وارناسيري Warnasiri بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٧ بقرية كيريكيتا Kirikitta التي تقع على بعد حوالي عشرين ميلا من كولومبو Colombo (عاصمة جزيرة سيلان) . وكانت أمه تدعى ب. أ. روزلين اديكاري B. A. Roslin Adikari وكانت في سنة ١٩٦٢ (أي عند اجراء أول تحقيق في الحالة) في الثلاثين

---

(١) عن كارل موللر المرجع السابق ص ٥٦ — ٥٧ .

(٢) Journal OF American Society For Psychical Research

وراجع ما ورد عنها في « المفصل » الجزء الأول ص ٣١١ — ٣١٤ .

من عمرها ، ولها ابن آخر أصغر من سابقه فى الثانية والنصف من عمره .

وعندما بلغ وارناسيرى الرابعة من عمره أخذ يحدث والده جوليس اديكارى Julis Adikari عن حياة سابقة له فى قرية كيمبولجودا Kimbulgoda على بعد ستة أميال من قريته الحالية حيث كان يعيش فى منزل أفضل من منزله الحالى ، وكان سقفه منقوشاً ، ونوافذه وأبوابه زرقاء اللون . وكانت أمه (السابقة) تعمل فى التدريس وهى أجمل وأسمن من أمه الحالية ثم توفى زوجها . وحدد موقع منزله السابق أنه كان قريبا من المدرسة ، ومن قناة مغطاة للمياه .

وعندما اقتادوه الى كيمبولجودا تعرَّف على طريقه تلقائيا الى مكان وقف فيه وقال : « ان المنزل لم يعد هنا » ، وتبين أنه فعلا قد هُدم حديثاً . كما أضاف أن شجرة « جوافة » ضخمة كانت موجودة أمام المنزل وهو أمر صحيح . كما تعرَّف على أمه وأخرجها من بين مجموعة من الناس رغم وجود عدد من النساء اللائى حاولن اجتذابه للتضليل . وقد اعترفت تلك السيدة أنها فعلا فقدت ابناً يدعى أناندا Ananda عندما كان فى الثلاثين من عمره بتاريخ ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٦ عقب ازمة قلبية . وأن زوجها توفى فى سنة ١٩٥٣ عندما كانت فى العشرين من عمرها . ومن رأيها أن شخصية وارناسيرى تطابق شخصية اناندا تطابقاً وثيقاً ، وقد اقتنعت بأنه هو ابنها نفسه وقد وُلد من جديد .

وقد سألها الطفل عن دراجته وعن لعبته (التى كانت تضرب الطبلة) . ولاحظ أن والدته فقدت أسنانها ، وتذكر شقيقاته وتعرف عليهن ، وذكر اسمين من أسماء التدليل التى كانوا ينادونه بها فى المنزل . وتذكر أنه كان يتناول فاكهة مع طعام الافطار ثم توفى بغتة . وكان حبه لأمه القديمة يتجاوز حبه لأمه الحالية واعتزم أن يصبح راهباً حتى لا يعود للتجسد من جديد ! .

كما قال أنه ولد بعدئذ بوصفه ابناً لأمه الحالية . وقال أيضاً انه فى حياة ثالثة سابقة كان يعيش فى قرية كيلانيا Kelaniya بالقرب من كولومبو وانقلب به قارب فى نهر كيلانى جانجا Kelani Ganga فغرق فيه ، وأنه كان يرتاد معبد القرية يومياً ويضع فيه زهوراً . وهذه التفصيلات الأخيرة لم يكن بعد قد تم تحقيقها .

وهذا النموذج هام من ناحية أن صاحبه يقول انه قد تذكر ثلاثة تجسدات سابقة ، منها تجسد توفى فيه بعد ساعة واحدة من ولادته ، وذلك فى نفس الشهر الذى توفى فيه بالغاً بقرية كيمبولجودا . وهنا

الأمر يفترض عودة مباشرة للميلاد ، أو حمل سبعة شهور كان خلالها الشخص السابق أناندا لا يزال حياً (١) . ولكن التجسد اللاحق الثانى فى كيمبولجيدا هو أكثرها وضوحاً لأن الغلام لم يذهب الى هناك اطلاقاً، ولم يسمع عن اسم المكان ، ولم تكن هناك أية رابطة بين الأسرتين ، ولم تعرف الفترة التى مضت بين هذه الحياة ، وحياته السابقة فى قرية كيلانيا . واذا كان هذا الشخص قد تذكر ثلاث حيوات فذلك ربما لأن حياته السابقة دامت لمدة ساعة واحدة ، وأن تلك التى سبقتها انتهت بمأساة غرقه وهو كل ما يذكره عنها مع تعوده اليومى على تقديم الزهور الى المعبد (٢) .

حالة جناناتيليكا

وهذه حالة جرت احداثها فى وسط جزيرة سيلان بجنوب الهند حيث ولدت فى ١٤ فبراير سنة ١٩٥٦ طفلة أطلقوا عليها اسم « جناناتيليكا » Gnanatilleka وكالمعتاد أخذت — منذ تعلمت الكلام — تسرد أحداثاً سابقة عاشتها من قبل فى قرية « تالاوواكيل » Talawakele عندما كانت صبياً يعيش فى أسرة ضخمة مكونة من أبوين وشقيقين من الذكور ، وبضع شقيقات من الاناث .

واهتم بأقوالها أحد رجال الدين فى قريتها ويدعى « بياداسى ثيرا » Piyadassi Thera الذى انتقل الى القرية التى عينتها الطفلة فعثر على أسرة تحمل نفس الأسماء التى كانت ترددها فى أقوالها ، وعلم منهم أن قد فقدوا صبياً فى عام ١٩٥٤ .

وسرعان ما جمعوا الطفلة بأفراد هذه الأسرة الأخيرة حيث ذهبت لزيارتهم فى قريتهم ، ولم تكن هناك أية معرفة سابقة . فتعرفت الى جميع أفرادها بمجرد رؤيتهم ، ونادتهم بأسمائهم ، وروت تفاصيل متنوعة عن حياتها معهم ، أكدوا صحتها . منها أن أمها تعودت أن تشترى الحطب بالمال على خلاف الحال فى قريتها الجديدة حيث يتوافر هذا الحطب مجانا . ومنها انها كانت تذهب الى المدرسة فى قطار يمر بنفق .

ومن هذه الذكريات أنها لم تكن على وئام مع شقيقيها السابقين . وأنها عندما كانت صبياً (فى حياتها السابقة) كانت تفضل اللعب مع

---

(١) يبدو ان حلول الروح فى الجنين لا يشترط أن يكون دائماً منذ مبدأ الحمل ، بل بعده بفترة تتراوح فى مداها ، وربما يحدث قبل الولادة بفترة قصيرة ، وهناك آراء متنوعة بهذا المعنى .

(٢) عن كارل موللر ـ المرجع السابق ص ٥٧ ـ ٥٨ .

الفتيات ، وكانت مولعة بالملابس الحريرية ، وبطلاء الأظافر ، وباللون الأزرق .

ومنها أنها كانت تتردد على مدارس معينة ، وتفضل أستاذا معيناً ، ولما شاهدته تعرفت عليه وركضت باكية نحوه . وتذكرت قصة خرافية للأطفال كان نفس هذا الأستاذ قد رواها على مسمعها . وهذه القصة أكد أفراد أسرتها الجديدة أنهم لم يسمعوا بها من قبل ، ولايعلمون من أين قد جاءت بها الصبية ! وكانت الصبية تستخدم أيضاً بعض ألفاظ غريبة ، وتراكيب صعبة يبدو أنها ترجع الى حياتها السابقة .

ومن هذه الذكريات التى تبين صحتها ما روته الطفلة من أنها فى حياتها السابقة شاهدت ملكة الجزيرة فى القطار أثناء مروره على قريتها السابقة « تالاواكيلى » . وأنها ذهبت مع رحلة مدرسية الى جبل من الجبال وتسلقت قمة معينة فى هذا الجبل تدعى قمة آدم .

وكانت الفتاة تفضل حياتها الجديدة فى الأنوثة على حياتها السابقة فى الذكورة . ويبدو أنها فى الجملة لم تكن سعيدة مع أسرتها السابقة ، ولذا لم تبدر منها رغبة ملحة فى تكرار العودة الى زيارة هذه الأسرة السابقة ، مكتفية بهذا اللقاء الوحيد بهم ، وبأستاذها المفضل .

والفتاة فى حياتها الجديدة لا تخشى الوحدة فى الظلام ، ولا تخاف من الحشرات ، ولكنها تخشى السقوط . وقد تبين أن الصبى السابق المتجسد فيها قد توفى اثر سقوطه على أم رأسه من مرتفع عالٍ .

ويعتقد الدكتور ستفنسون أن تغيير جنس هذا الصبى الى فتاة فى التجسد الجديد له صلة بحالته السابقة عندما كان يشعر بعدم السعادة لكونه صبياً ، ولأنه تربى فى جو نسائى ، ومال الى التخنث على ما شهدت به الأم السابقة . والظاهر أنه كان شديد الغيرة من شقيقاته البنات ، ويشعر بالنفور من شقيقيه الذكرين .

وعن تحقيقات هذه الحالة يسرد ستفنسون الكثير من التفصيلات الأخرى عن أسماء الأشخاص الذين عاونوه فى التحقيق ، وعن المعلومات التى سردتها الفتاة عن الوقائع ، وعن المعالم الجغرافية . ويضع جدولا التوضيح من ست صفحات غير باقى صفحات هذا التحقيق المثابر الدقيق كما هو الشأن فى باقى الحالات الأخرى التى عرضها بأسلوب مدقق يجتذب الانتباه حقاً بدقته ورصانته (١) .

---

(١) للمزيد راجع أيان ستفنسون . المرجع السابق ص ١١٨ — ١٣٤ .

المطلب الثانى

عن التعليل العلمى
لظاهرتى « رؤى أو سمع من قبـــل »

ليست تحقيقات ستفنسون هى الأولى أو الأخيرة فى ظاهرة رؤى أو ســمع من قبل بل ان ثمة تحقيقات مماثلة قام بها بحاث لهم مكانتهم فى عدة بلاد ، وانتهوا الى نتائج ايجابية منذ أوائل القرن الحالى لغـاية الآن .

ولكن تحقيقات ستفنسون — فيما نعلم — هى أدق التحقيقات التى جرت فى هذا المحيط ، وأغناها بالتفصيلات ، وأشدها تحفظاً ، وأكثرها ارتباطاً بمنهج التحليل الناقد . وقد اقتضت منه مشقة ضخمة فى التنقل المستمر — لحساب جامعة فيرجينا — بين أرجاء العالم المختلفة ، ناهيك بمشقة تجميع التفصيلات ، وعمل الجداول الكثيرة للتمكن من تأصيل هذه الأحداث وتحليلها .

وهو يقرر أن هذه الظواهر تحدث فى كل مكان ، لكنها تتكرر بوجه خاص فى البيئات التى تؤمن بعقيدة العودة للتجسد حيث تكون الأذهان متنبهة اليها ، وبالتالى مدفوعة الى ملاحظتها ، والى تتبع حدوثها على نحو أو آخر .

وهذه الأحداث هامة فى الكشف عن طبيعة الانسان ، وعن طبيعة صلته بالكون العجيب الذى يعيش فيه . وهى لم تكن تحظى بأية عناية من علم النفس القديم ، لكنها فى علم الروح الحديث تحظى بأجـل عناية من زاوية تحليلها العلمى الصحيح ، ومن شأن المثابرة فى تتبعها أن تلقى الكثير من الأضواء على بعض ألغاز النفس ، أو ان شئت الروح الانسانية ، التى لا تزال تحير الألبـاب فى كل مكان ، وتتكشف كل يوم عن أبعـاد جديدة من العمق والتركيب لم تكن تخطر على بال أى عالم .

ملحوظات مبدئية

١ — وهنا ملحوظة مبدئية عن نتائج الحـالات التى عرضـها أيان ستفنسون وغيره وهى أن العودة للتجسد لم تكن فورية ، أى بمجـرد الوفاة . وذلك يدحض بعض الاعتقادات التى تذهب هذا المذهب والتى لهـا أتباعها فى الشرق الأقصى . ففى جميع الحالات اتضح مضى فترة

تراوحت فى مداها قضتها الروح فى عالم الغيب محتفظة بشخصيتها وبذاكرتها — ولو على وجه من الوجوه — وهذه الفترة قد تمتد الى سنين وربما الى قرون وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح الراقية ، وبحوث الباحثين الجادين ، ومع مراعاة أن الزمن ، فى الطبيعة الأزلية للروح كلمة جوفاء لا معنى لها ولا سبيل لقياسها .

وبطبيعة الحال كلما كانت العودة للحياة الأرضية قريبة العهد بالتجسد السابق كلما كانت الذكريات عن ذلك التجسد اغزر وأوضح وكلما كان التحقق من صحتها أيسر منالا ، لأن معالم المكان والزمان تكون لا تزال موجودة بما فى ذلك بقاء بعض الأشخاص الذين يكونون قد عاصروا التجسدين السابق واللاحق .

وكلما كانت هذه العودة الى الحياة الأرضية بعيدة العهد بالتجسد السابق كلما كان التحقق من صحة التجسد السابق صعب المنال ، بل ربما صار متعذراً تماماً بالنظر الى تراجع الذكريات أو اختفائها وبالنظر الى زوال جميع معالم المكان والزمان . ولذا نجد أن جميع الحالات التى نجح العلامة ايان ستفنسون فى متابعتها وتحقيقها قريبة العهد جداً اذ لم يمض على غياب صاحب الحالة فى عالم الغيب سوى فترة تتراوح بين سنة واحدة وعشر سنوات فقط . ومجرد احتمال صحة التجسد القريب تحمل على الاعتقاد بامكان صحة المبدأ من الناحية العلمية — الفلسفية ، ولو تعذر التحقق القاطع لطول العهد بالماضى السحيق للانسان .

٢ — وثمة ملحوظة ثانية : وهى أن العودة للتجسد كانت دائماً فى صورة آدمية ، وربما قريبة — ولو على وجه ما — من صورتها السابقة مباشرة . فلم يثبت فى أية حالة من الحالات أن العودة يمكن أن تكون فى صورة حيوان ، أو طائر ، أو شجرة ... أو غير ذلك على نحو ما تذهب اليه بعض الأساطير خصوصاً فى الشرق الأقصى .

ولذا — كما سبق أن بينت — فان مبدأ « العودة للتجسد » أو « الميلاد من جديد » ينبغى أن يعتبر مبدأ متميزاً تماماً عن مذاهب « التناسخ » أو « التقمص » أو نحوهما — كما سبق أن قلت — وبالتالى عما داخل هذه المذاهب الأخيرة من خرافات كثيرة مستمدة — ولا ريب — من الغلو العقيدى ، هذا الغلو الذى أساء الى كل العقائد والمذاهب وفى كل مكان ، فنأى بهذه الاعتقادات فى كثير من الحالات عن النصوص الصريحة وعن المفاهيم الصحيحة للنصوص ، وما يرتبط بها من مدارس منوعة .

ووصف الغلو العقيدى يصدق على من أنكروا عالم الروح بسبب أيمانهم « بالتقمص الفورى » ، كما يصدق بنفس المقدار على من أنكروا « العودة للتجسد » رغم ايمانهم بعالم الروح ، ورغم النصوص الصريحة الحاسمة فى معنى هذه « العودة للتجسد أو للميلاد » . وذلك ربما بسبب اصرارهم على الخلود الفورى فى عالم الروح ، وربما أيضا على الاستئثار بمعاملة خاصة لا يصح أن يشاركهم فيها غيرهم من أرباب العقائد الأخرى .

وهكذا يجنى الغلو العقيدى دائماً على كل فهم نقى للايمان ولعلاقة الانسان بالكون وبأخيه الانسان ، بل على كل محاولة تبذل للوصول الى هذا الفهم الصحيح ، مهما كان أقرب الى الحق والى الاعتدال ، وأوسع أفقاً من كل ما عداه من مفاهيم الاغلاق والتزمت ، بل خصوصاً اذا توافر له ما ذكرنا من خصائص ...

فالاعتدال هو الوزر الذى لا يعادله وزر آخر فى مفاهيم الاغلاق والتزمت ، وما اخطرها على العقل ، وعلى العلم ، وعلى تطور الروح فى طريق الصفاء والنقاء ، والفهم النقى لحقائق الوجود .

ولا تقف الآن قوة فى الوجود فى وجه هذا الغلو العقيدى وما يرتبط به من ضيق فى الأفق ، وتزمت فى الحرف ، قدر قوة هذا البحث المحايد فى مصير الروح الانسانية . وهذا سبب واحد من أسباب كثيرة تعلل الحرب العوان التى يلاقيها هذا البحث المحايد من جهات متعددة تناضل بكل جوارحها دفاعاً عن الجهالة والجمود والاغلاق .

٣ — وثمة ملحوظة ثالثة عن جميع هذه الحالات وهى أن النفس العائدة للتجسد — مهما كانت عودتها قريبة — لا يمكن أن تتذكر أبدا كل ماضيها ، انها تتذكر فقط لمحات أو ومضات سريعة من هذا الماضى تكون قد ربضت قابعة فى عقلها الباطن فلا تطفو الا متى اتيحت لها فرصة الطفو على السطح من جديد .

ولذا فان امتحان هذه الروح العائدة للتجسد فى هذا الماضى امر لا يجدى شيئاً فى اثبات شخصيتها . بل يكفى فى هذا الشأن قدرتها على تذكر بعض الأحداث أو بعض الأسماء التى سبقت لها رؤيتها ، أوسماعها، والتحقق من صحة هذه وتلك للتعرف على مدى صحة الحالة .

وهذا أمر بديهى اذا روعى الاختبار الحيوى الهام الذى تعرضت له الروح مرتين : مرة عند انفصالها عن جسدها المادى ، وأخرى عند اتصالها بجسد مادى جديد فى رحم الأم ، وأثر ذلك كله فى ذاكرتها وفى وعيها .

وهذا هو نفس الوضع الذى يقابله كثيرا الباحثون الروحيون عند محاولة الاتصال بأى روح وهى خارج الجسد ، ثم عند رغبة تحقيق شخصيتها عن طريق اختبارها فى ذكرياتها الأرضية . فهذا الاختبار غير منتج فى المعتاد ، اذ ينبغى أن نترك للروح أن تعبر عن نفسها وأن تروى ذكرياتها على النحو الذى يتفق مع سليقتها والذى يتراءى لها ، والذى تقدر عليه هى بحسب حالتها الجديدة خصوصا بعد تغير كلى لظروفها ، وحدوث اندماج جزئى أو كلى بين الجانبين الواعى وغير الواعى للعقل أو بين الشعور واللاشعور ، وأثر ذلك فى الذاكرة أثر عميق ، وخطير ، ومتعدد الجوانب(١) .

ومن الملاحظ بوجه عام أن تذكر الروح العائدة للتجسد أحداث حياتها الماضية يكون باهتاً ضعيفاً ، وأضعف بكثير من تذكر الروح العائدة للتجسد عن طريق التنويم المغناطيسى الفنى لنفس هذه الأحداث . لأنه فى هذه الحالة الأخيرة يطفو العقل الباطن للروح الى مستوى الذاكرة الواعية لدرجة أن الروح قد تتذكر عدة حيوات لا حياة واحدة فحسب ، وهو ما لا يحدث الا عند التنويم المغناطيسى فيما بعد اذا توافرت اعتبارات معينة .

من تعليقات ستفنسون على نتائج تحقيقاته

ويقول ستفنسون انه يهمه أن يوجه نظر القارىء الى أن بعض الحالات التى حققها تنتمى الى بيئات لا تعرف شيئا عن العودة للتجسد ، وحدثت منها حالات عديدة فى الغرب فى أسر اما لم تسمع اطلاقا عن هذه العودة ، واما لا تعطى هذا الاعتقاد أى اعتبار ، بما فى ذلك بعض حالات فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، وانجلترا .

ففى هذه البلاد تجرى الثقافة فى مجرى الكراهية لعقيدة العودة للتجسد ، وكثير من الأشخاص لم يسمع حتى مجرد سماع عن هذه العقيدة ، أو سمع عنها ولكنه اعتبرها خرافة حمقاء يؤمن بها القوم هناك فى آسيا ... ويقول انه واثق من أن كل أسرة من تلك الأسر التى تحدث فيها أطفالها عن ذكريات معينة عن حياة سابقة تلقت تلك الأقوال بدهشة ، بل بعدم تصديق .

كما حدثت حالات مماثلة فى الهند فى أسر اسلامية لا تؤمن بالعودة للتجسد ، بل وتنكر صحتها . وقد يعترض بعض الأشخاص قائلا انه

(١) راجع ما ورد فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » من ٢٨٤ — ٢٨٥ .

توجد جيوب معزولة من الناس تميل الى الايمان بالعودة للتجسد حتى فى الغـرب ، وهو أمر صـحيح بلا ريب . أو قائلا ان ثمـة أسرة ما قد لا تؤمن بالعودة للتجسد ولكن قد يكون أفرادها مسئولين عن حديث أحد أطفالها عن حياة سابقـة له ، بغير أن يتعمدوا ذلك .

ومثل هذه التأويلات تدفعنى الى توسيع مفهوم التأثيرات الثقافية الى ما وراء ، بل الى ما يناقض الوقائع التى وصلت اليها والتى حدثت خارج اطار الثقافات الموالية للعـودة للتجسد ، ولا أعتقد أنه يتعين علينا أن نصوغ نظرياتنا لكى تلائم الاستثناءات ، بل أن نصوغها بحيث ندخل فيها تلك الحالات الاستثنائية أيضا .

واذا كان أحد الأشخاص بمقدوره أن يحوز بياناً يمكن تحقيقه عن حياة سابقة ، وهذا البيان ليس بمقدوره الحصول عليه عن طريق عادى ، بمقدار ما يمكننا القول ، واذا كان هذا الشخص يقـدم بيانه بوصف أنه اتصل به كذكرى من حياة سابقة ، فانه فى الواقع من الجائز فعلا أن يكون الأمر كذلك . فاذا كانت العودة للميلاد تحدث فعلا فان علينا أن نتوقع ذكر بيانات عن حياة سابقة على الحاضر كتذكارات عن المـاضى ، وعلينـا أن نستغرب اذا لم يكن الأمر كذلك .

وعلينا فى الواقع أن نتساءل ــ اذا كان ثمـة طفل يزعم وجود هذا البيـان عن شخصية سابقة له ــ عما اذا كان هـذا البيـان ينتمى الى شخص آخـر غير متجسد (أى الى روح) ؟ ولكن اذا كان هناك دليـل آخر يدعونا الى الاعتقاد بأنه يصف لنا شخصيته الخاصـة التى لا تزال مستمرة معه فلا مندوحة من الاعتقاد بصحة ذلك .

وهذا الافتراض يتحقق بشكل نموذجى عندما يحمل المولود حديثا علامات معينة ذات خصائص محددة عالية مشتركة بين شخصين (أحدهما سابق وثانيهما لاحق) كما حدث فى حالة كورليس شوتكين Corlis Chotkin . ولدىَّ حالات عديدة تحمل علامات حقيقية ، وقواعـد صحيحة للاقتناع بأن الطفل ما كان بمقدوره أن يحصل بالسبل العادية على البيانات التى قدمها عن شخصيته السابقة » ...

ثم يضيف ستفنسون بعد تحليـل وافٍ لهـذه الحـالات قائلا : ولقد عثرت على بيّنة قليلة على أن بعض أولئك يحوز قدرة خاصـة على الادراك خارج الحـواس بصرف النظـر عن دائرة الالمـام بشـخصيته السابقـة . وكانت البينـة عبارة عن معلومات قدمتها أسرهم مفادها أن أولئك الأطفال قد تنبأوا عن أحداث وقعت لأقارب أو لاصدقاء للأسرة ، قبل وقوعها ، أو كانوا بعيـدين عنهم . وكان ذلك فى أسر جنانا تيليكا

Gnantilleka ، وسوكلا Sukla ، ومارتا Marta
ولكن هناك أسر أخرى نفت حدوث أمور من هذا القبيل (١) .

* * *

وقوة تحديد شخصية الأشخاص الذين يدّعون تذكر حياة سابقة لهم بالمقارنة بشخصيتهم الحاضرة تتفاوت . فبعض أولئك الأطفال يستخدم صيغة الماضى لوصف الحياة السابقة فيقولون مثلا : « كنت أحمل اسم كذا وكذا » . لكنهم يتقبّلون أيضاً أسماءهم الحاضرة . أما البعض الآخر فهو يناضل ضد الشخصية الحاضرة ويقول مثلا « لا تنادونى يا فريد Fred لأن اسمى جون . وأنتم لستم أقاربى ، فان أبى وأمى يعيشان بعيدا عن هنا » .

بل أن ثمة أطفالا يحوزون تحديدا قوياً عن شخصية سابقة يمكنهم أن يميزوا أحداث الحياة السابقة بوصفها أحداثا ماضية . فيقول احدهم مثلا : « لقد حدث لى حادث كهذا عندما كنت كبيراً » . وهم فى المعتاد لا يعيشون الماضى من جديد كما لو كان يحدث الآن . وهذا يحدث أيضاً فى أحلام كثيرة اذا حدثت ايحاءات بوجود حياة سابقة .

وفى تلك الأحلام بالذات يشعر الانسان بأن له فى الحلم شخصية مغايرة كانت تعيش فى عصر ماضٍ ، وفى مكان مختلف . وطيلة الحلم ، وربما لمدة أطول من الحلم قليلا ، يشعر بنفسه كما لو كان شخصية أخرى . وبعضهم ينظر عند اليقظة فى مرآة حتى يتأكد أنه مثلا يملك لحية أو لا يملكها .

وتحدث أمور مماثلة لهذه فى حالات التنويم المغناطيسى عندما تؤدى الى ارجاع الذاكرة الى حياة سابقة . كما تحدث أيضا كثيرا فى بعض الحالات التى فيها يتذكر انسان وهو فى يقظته حادثة قديمة لكنه يشعر كما لو كان لا يزال يحيا فى مجرى الحادثة كما حدثت فى أصلها ، ويتصرف كما لو كانت هذه الحادثة لا تزال تجرى فى الحاضر (٢) .

* * *

ثم يتعرض ستفنسون لموضوع آخر دقيق ، وهو الى اى مدى يمكن للوالدين أن يفرضا على طفلهما سلوكا معينا ، خصوصا فيما يتعلق بتذكر حياة سابقة له ؟ وبعبارة أخرى الى أى مدى يمكن للوالدين ان يؤثرا فى

---

(١) عن ستفنسون : المرجع السابق ص ٢١٢ ـ ٣١٦ .
(٢) عن المرجع السابق ٣٢٠ ـ ٣٢١ .

شخصية طفلهما بما يدفعه مثلا الى القول بأنه كان فى حياة سابقة هذا الشخص أو ذاك ؟ !

ويقول ان هذا النوع من الأحداث مرَّ به الطفل الهندى رانجيث Ranjith الذى كان يعتقد اعتقادا جازماً أنه كان فى حياته السابقة شخصا يعيش فى انجلترا . والموضوع ليس موضوع تشابه فى الملامح بل موضوع احساس منه بأنه يمثل دوام حياة شخص آخر . وكان رانجيث يحس بذلك احساسا متدفقا الى حد أنه كان أحياناً يستخدم صيغة الحاضر للحديث عن الحياة السابقة فيقول : « ان لى أباً وأماً فى انجلترا » أو أن أمى تدعونى قائلة « يا عزيزى darling أو يا حبيب قلبى sweetheart » .

وللاجابة على التساؤل السابق فان بمقدورى أن أقول اننى فيما خلا حالات العودة للتجسد التى من هذا القبيل ، فاننى لم أسمع أبداً عن طفل يضع نفسه فى شخصية أخرى يزعم طويلا أنها تمثل شخصيته الخاصة كما يفعل أولئك الأطفال الذين يزعمون أنهم قد عاشوا من قبل .

وقد يحدث هذا عندالبالغين المرضى بمرض نفسى معين psychotic ، لكن هذا المرض نادر جدا عند الأطفال . وتشخيص الطفل نفسه تشخيصاً زائفاً بأنه شخص آخر اكثر ندرة . وقد ناقشت هذا الافتراض مع الاخصائيين فى علم التحليل النفسى للأطفال ، ولم يذكر لى أى واحد أنه سمع أبداً عن حالة يزعم فيها طفل ما أنه يمثل شخصاً آخر . ولم اكتشف فى كل اطلاعى فى « علم نفس الأطفال » حالة واحدة من هذا القبيل فيما عدا حالة لعب الأطفال مع الآخرين أو مع الحيوانات .

ثم يقول ان بعض أولئك الأطفال مثل براكاش ، وسكلا ، وبارمود ، وعماد كان يريد مغادرة والديه وقريته والذهاب الى أسرته الحقيقية فى قرية اخرى ، وان هذا السلوك هو آخر ما يفكر فيه الآباء ، أو آخر ما يمكن أن يعزى الى ايحاءاتهم أو الى تأثيراتهم فى أطفالهم (١) .

وينبغى ان نلاحظ عند تقدير هذه الآراء الخطيرة التى وصل اليها ستفنسون أنه قبل كل شىء آخر عالم نفسى ، وانه يعمل حاليا أستاذا للتحليل النفسى بجامعة فيرجينيا ، فهو يتكلم فى ميدان من صميم اختصاصه العلمى ، الذى يؤهله للحديث فيه عن دراية وخبرة كافيتين (٢) .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٣٣٣ — ٣٣٤ ، ٣٣٦ .

(٢) راجع ما ورد فى الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ .

من حديثين له مع جريدة بريطانية

ويجمل بى أن أشير فى هذا المقام الى حديث صحفى جرى بين أيان ستفنسون وبين محرر جريدة الأنباء الروحية Psychic News البريطانية عند زيارة ستفنسون لبريطانيا فى سنة ١٩٧٠ ، وكان مما ورد فيه : —

س (من المحرر) : ان معظم ما قرأته عنك أو ما قرأته لك يبحث فى العودة للتجسد ، فهل هذا الموضوع هو الذى اخترته لدراساتك والذى استغرق أكثر وقتك فى الباراسيكولوجى ؟

ج : قد يكون ذلك . وقد يكون على وجه التحديد شاغلا ٧٥٪ من وقتى . اننى أهتم أيضاً بالوساطة ، ولذلك بدأنا فى اعداد منهاج لدراسة الوسطاء فى جامعة فرجينيا . ان اهتمامى شديد بسلسلة الحالات التلقائية كلها : الأرواح ، والأحلام الكاشفة وغير ذلك ، وانى اشارك أيضا من وقت الى آخر فى القيام بتجارب أخرى أرى انها لا تبعدنى عن تركيز اهتمامى حول الموضوع الاساسى .

س : ألا يصلح التلباثى (انتقال الأفكار) لتحليل هذه الظواهر ؟

ج : اننى لا أوافق على هذا التفسير القاصر وغير المناسب لجميع الاتصالات الوساطية . ولكنه يعتبر دفعة الى الأمام يقوم بها المتشككون . ويمكن أن يحصل الانسان على حالات من العودة للتجسد فيها بالأقل سمات معينة لا يمكن تفسيرها على أساس التلباثى بين الأحياء .

وهناك نموذجان من الحالات . افرض أن رجلا قد اصيب بطعنة سكين قاتلة تركت علامة واضحة على جسمه ، فان طفلا قد يولد فيما بعد بعيدا عن مكان الحادث بخمسين ميلا أو مائة ميلا أو أكثر من ذلك ، وفى جسمه علامات مختلفة تشبه « الوحمة » متطابقة ومماثلة فى المظهر ونفس الموضع الذى أصيب فيه الرجل المتوفى ولم يسمع أهله شيئا عنها !

وأكثر من ذلك فان هذا الطفل قد يظهر معرفة خارقة يتعذر تعليلها عن الرجل المتوفى . أعتقد أن هذه بينة قوية على أن جسم الرجل المصاب قام بطريقة ما كنموذج (موديل) على جسم الطفل ، ولا يمكن أن يحدث هذا عن طريق التلباثى ...

س : انك بنيت قدرا كبيرا من الأهمية على المظاهر الخارجية الفيزيقية كعلامات الوحم .

ج : نعم أعتقد أن هـــذه السمات مؤثرة جـدا فى حالات الولادة الجديدة . لقد درست نحو مائة حالة من هذه الحالات وعندى كثير منها مزود بالصور ، وبعضها لا يتضـمن علامات على الجـلد فحسب ، ولكن تظهر عليه تشوهات وعاهات جسدية فعلية . وهناك حالات عديدة أعدها من الحالات القوية على طول الخط وسأضمَّها الى كتابى القادم ...

* * *

(ومن هذا القبيل روى ستفنسون لمحررة صحيفة « الحـوادث » اللبنانية واقعـة الصبى طليع سويد « فقد شاهدت بعينى أثر الرصاصة فى الخد الأيسر لهذا الصبى الذى لم يصب برصاصة فى حياته — كما علمت أن الشخص الذى تجسدته روحه وهو المرحوم سعيد أبو الحسن كان قد مات مقتولا برصاصة فى خـده الأيسر وفى الموضـع ذاته . وقد ازدادت دهشتى حين علمت من الذكتور سامى مكارم بصعوبات النطق التى يعانى منها طليع سويد ، والتى ترجع أسبابها الى الاصابة التى صرعت الجسد السابق لروحه) . ثم نستأنف تلخيص حديثه مع هذه الصحيفة اللبنانية فيما يلى :

س : هل تسلم بالعودة للتجسد ؟ وهـل تساعدك فى فهم أكثر من غيره للحيـاة .

ج : ان موقفى من هذه القضية هو انى اعتقد انها أحسن تفسـير لعدد معين من الحـالات التى لدينـا فى الوقت الحاضر . وعلى كل حال ربما أغير رأيى فى هذا غدا ، اذا قدَّم لنـا شـخص ما تفسيرات أفضل .

وانى لا اظن ان اية حالة فردية ، أو كل الحـالات جميعـاً تعطى البرهان الحاسم والنهائى ، ولكنها تبدو لى فرضيات مساعدة على العمل ومعقولة جداً ، ويمكن أن يعتمد عليها الانسان فى مباشرة تحقيقات أخرى . وان العودة للتجسـد اذا حدثت فهى كما يبدو لى تجعل للحيـاة معنى وطعماً ، ويجد فيهـا المضطهدون أملهم .. اننى أميل الى الاعتقاد بأن العودة للتجسد قائمة بعملها فعلا ...

نعم ان العودة للتجسد تحدث فى كل مكان، وانا الآن احضر كتاباً آخر عن العودة للتجسد فى أوروبا والولايات المتحدة ، وقد درست فيه ٣٠ حالة عودة تجسد اوروبية ، كما درست بعض حالات العودة للتجسد فى ألمانيا ، والولايات المتحدة ، واستراليا .

س : حينما نقول كلمة « عودة للتجسد » هل تفهمها انت بمفهومها التقليدى ؟ وهل يمكن أن يكون التجسد هو اللاوعى المتوارث جيلاً بعد جيـل ؟

ج : لا يوجد شيء اسمه المفهوم التقليدى . فالمفهوم يختلف بين قوم وقوم ، ولكن روح الفكرة تظل واحدة . وثمة علاقة بين شكل الايمان وشكل العودة للتجسد . مثلاً فى لبنان ، وهو أكثر بلدان العالم كثافة من حيث حالات العودة للتجسد ، لا توجد حالات تغيُّر جنس (أى أن الروح تتجسد أنثى بعد أن كانت فى جسد سابق ذكراً ، أو بالعكس) أما عند الهندوس فاننا نجد كثيراً من حالات تغير الجنس فى العودة للتجسد .

أما عن « اللاوعى المتوارث » فانه يفسر بعض حالات العودة للتجسد لا كلها (تذكرت هنا حكاية عن صبى انجليزى وُلد يتحدث اليابانية ، ويحمل عادات يابانية منها أكل السمك نيئاً ، وهو أمر يشمئز منه الانجليزى العادى . وهذه الحادثة لا يمكن تفسيرها باللاوعى المتوارث ، والعودة للتجسد وحدها تفسرها) .

س : هل أنت وحدك فى أمريكا مهتم بهذا الحقل ، أم أن هنالك أساتذة جامعيون سواك ؟

ج : فى أمريكا أعرف حوالى اثنى عشر أستاذاً فى الجامعات متفرغين لحقل الباراسيكولوجى ... بينهم ثلاثة مهتمون بقضايا الروح ، ولى زميل يدرس رؤى المحتضرين ، أى لحظة انفصال الروح عن الجسد المشحونة بطاقات عجيبة من الرؤيا ويقظة ما بعد الحواس ، والطرح الروحى (١) ، وهناك زملاء لى استطاعوا تصوير أفكار شخص بواسطة أجهزة فى غاية الحساسية ... (٢) .

عن التمييز بين « العودة للتجسد » والاستحواذ

وينبغى عدم الخلط بين العودة للتجسد ، وهى تبدو ناموساً طبيعياً للميلاد من جديد على هذا المستوى المادى من الكوكب الأرضى ، وبين الاستحواذ Possession الذى قد يحدث أحياناً من روح انسان منتقل على جسد انسان لا يزال يواصل حياته الأرضية ، والذى لا يعتبر ناموساً طبيعياً بمقدار ما قد يعتبر — فى غير حالات الهيمنة للارشاد ، أو للعلاج ، أو للاقناع ، أو للالهام ... — ظاهرة مرضية قد تدوم طويلاً أو قصيراً .

والأصل انه بمجرد زوال حالة الاستحواذ المرضى يعود المريض الى

---

(١) راجع الجزء الأول من « مفصل الانسان روح لا جسد » ص ٨٩٠ — ٩٣٤ . أو من كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ص ٦٦ — ١١٠ .

(٢) عن كتاب الأستاذ عبد العزيز جادو - المرجع السابع السابق ص ١٨٥—١٩٤ .

شخصيته السابقة تماماً . وقد عرضنا حالة من هذا القبيل خضعت لتحقيق دقيق هى حالة « معجزة واتيسكا » Watseka (١) . كما قابل بعض خبراء التنويم المغناطيسى حالات من استحواذ كائن أثيرى أو غيبى على جسد الوسيط أو الوسيطة فى الغيبوبة . وقد سلم الفيلسوف الأمريكى وليام جيمس W James بامكانية حدوث هذا الاستحواذ (٢) وايضاً عدد لا يستهان به من أبرز العلماء .

على أن ثمة صورة أخرى للاستحواذ صادفها بعض البحاث ، وهى استحواذ كائن وهو خارج جسده المادى على جسد انسان فى لحظة الوفاة ، اى فى نفس لحظة خروج صاحبه منه ، أو محاولته الخروج منه عند الاحتضار . ومن هذه الحالات الأخيرة حالة صادفها الدكتور أيان ستفنسون ، وكان ذلك بمناسبة اجراء بعض تحقيقاته الدقيقة فى حالات العودة للتجسد التى ذهب الى الهند خصيصاً لتحقيقها .

وهى حالة نقدمها فيما يلى لضرورة التمييز بين الاستحواذ من جانب والعودة للتجسد من جانب آخر . وهى تبرز فى نفس الوقت كيف أن تحقيقات ستفنسون فى الهند لم تكن أمراً سهلاً ، بل كلفته مشقات باللغة غير الانتقال والتفاهم بالترجمة ، وهى مشقة اقناع الناس بأنه لا يريد بهم شراً ، وأنه لا يريد التدخل فى عقائدهم وعلاقاتهم ، وراحة ارواح الأحياء أو « الأموات » منهم .

ومن تلك الحالات الغريبة التى صادفها حالة جاسبير Jasbir وهو طفل هندوسى فى الثالثة والنصف من عمره قيل أنه كان ضحية استحواذ كامل من روح شاب برهمى يدعى سوبهارام Sobharram توفى — أو ان شئت فقد جسده الأرضى — عندما كان فى الثانية والعشرين من عمره .

وهذا الطفل المدعو جاسبير كان من سكان قرية راسولبور Rasulpur واصيب فى ربيع سنة ١٩٥٤ بمرض الجدرى اصابة شديدة الى حد أن « توفى » أو بالأدق ظهرت عليه جميع الأعراض اللازمة « للجزم بالوفاة » . ولكن بعد بضعة أيام من « وفاته » استرد صحته بالكامل ، ثم احتاج الى بضعة أسابيع لكى يسترد قدرته الكاملة على النطق .

وعندئذ ظهر سلوكه شاذاً غريباً عما كان عليه قبل « وفاته » .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ، ٨٢٠ — ٨٢٧ .

(٢) راجع ما ورد فى المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

ومن ذلك أنه أصبح يصر على أنه برهمى لا هندوسى (كما كان من قبل) . وأنه يدعى سوبهارام ، وأنه ابن المدعو شانكار لال تياجى Shankar Lal Tyagi من سكان قرية فيهيدى Vehedi التى تبعد نحو ثلاثين ميلاً من قريته راسولبور Rasulpur .

وذات يوم زار هذه القرية الأخيرة مدرس من قرية فيهيدى (التى كان يعيش فيها سوبهارام) فتعرف عليه جاسبير على الفور ، كما أخذ فى الحديث عن قريته فيهيدى ومنزل « والده » هناك . فاستغرب جميع الموجودين وأخذوه الى فيهيدى — وكان عندئذ قد بلغ السابعة من عمره — حيث تعرف طريقه تلقائياً الى منزل أسرة شانكار ، وسرد تسعة وثلاثين بياناً محدداً عن حياة سوبهارام . كما تبين أن سوبهارام هذا وهو ابن شانكار كان قد تزوج وأنجب أولاداً وتوفى بغتة بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٤ ، أى بتاريخ معاصر لتاريخ هذا التحول العجيب الذى لحق شخصية الطفل « المتوفى » جاسبير .

وظل هذا الطفل يصر على أنه يدعى سوبهارام وأنه من البراهمة لا من الهندوس وكان بالتالى يرفض تناول أى طعام ما لم يكن معداً بالطريقة البرهمية التى لم تكن تعرف عنها شيئاً أسرته الهندوسية ، فتطوع جار برهمى للأسرة باعداد هذا الطعام . وكل من يعرف شيئاً عن صرامة تقاليد طائفة البراهما يفهم كيف أن البرهمى يفضل أن يموت جوعاً على ألا يتناول طعاماً برهمياً ، مهما كانت الأمور . وظل الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية عشر شهراً كاملاً .

ومن الصعوبة بمكان أيضاً أن نتصور كيف أن الطفل جاسبير وهو فى الثالثة والنصف من عمره تحول من سلوكه كطفل وديع الى سلوك انسان بالغ العمر يزيد عنه بحوالى ثمانية عشر عاماً . وفى هذا الشأن يكتب ستفنسون : « لقد لاحظت خلال اقامتى بسهولة كيف أن هذا الطفل أصبح يرفض اللعب مع باقى الأطفال ، بل ظل منعزلاً عنهم ووحيداً بينما كان يقبل راضياً على الحديث مع ترجمانى ، رغم أنه كان يحمل تعبيراً حزينا على وجهه الهادىء الذى يحمل علامات اصابته بالجدرى لكنه يبدو جميلا » .

وكانت أسرة الشاب البرهمى المتوفى سوبهارام تعامل الطفل جاسبير بروح العداء ، (لأنه من اسرة هندوسية ، وقد عز ذلك على الأسرة البرهمية التى تعتقد انها اسمى طبقة من الهندوس) ولذا أبت على هذا الطفل أن تزوره « ارملة » سوبهارام البرهمية التى تركها فى حياته السابقة على الأرض .

ويقول ستفنسون : « ان القراء يريدون طبعاً أن يعرفوا بيانات عن نوع الأحداث التي مرت بالطفل جاسبير منذ وفاة شخصية سوبهارام ، وظهور شخصيته فى جاسبير ، وعن ذكرياته منذ كان يدعى سوبهارام . وعلى هذه الأسئلة أجاب جاسبير فى سنة ١٩٦١ قائلا انه عندما توفى (بوصفه سوبهارام) قابل « هناك » شخصاً يعتقد أنه شيخ أو رئيس دينى Sadhu نصحه بأن يستحوذ على جسد الطفل جاسبير الذى كان فى حالة احتضار .

ورغم أن انتهاء شخصية جاسبير الظاهرة (باتخاذه شخصية سوبهارام) جدث فى الفترة من أبريل الى مايو سنة ١٩٥٤ وهو تاريخ معاصر لتاريخ وفاة سوبهارام ، الا أن التحول فى شخصية جاسبير لم يحدث مباشرة بعد تلك الليلة التى ظهر فيها كما لو كان قد توفى من الجدرى ، ثم عاد الى الحياة فجأة . بل لقد ظل جاسبير فى الأسابيع التالية مريضاً فى خطر الموت بالجدرى وكان يتناول طعامه بصعوبة ، وعاجزا عن ابراز أية معالم لشخصيته . ولذا فان تغيير الشخصية ربما حدث سراعاً أو تدريجيا خلال الأسابيع التى بدأت مباشرة بعد وفاة جاسبير (حين توقفت جميع وظائفه الحيوية كالنبض والتنفس بسبب مرضه بالجدرى فاعتقد الجميع أنه قد توفى) .

وعلى هذه الحالة الفريدة يعلق نويل لانجلى Noel Langley فى مؤلفه عن « العودة للتجسد بحسب ادجار كايس » (١) قائلا انها حالة فريدة ، لأنه فى معظم الحالات التى من هذا القبيل يعطى الروح وقتاً ما بعد مغادرة جسده الأرضى قبل أن يعود الى حمل جديد حتى فى حالات الموت المباغت .

والاشارة التى حدثت الى « الرئيس الدينى » الذى أشار على سوبهارام أن يتخذ له مسكنا من الجسد الميت أو المحتضر للطفل جاسبير تمثل حالة مروق أو خروج على النواميس العامة للخليقة . ولقد أقر ادجار كايس أنه تحدث فى بعض الأحيان أخطاء فى هذا الشأن ، ولو أنها نادرة . كما أقر بأن المستوى الأول من عالم الروح مستوى بدائى ، الى حد يجعله يشبه الى حد ما المستوى الأرضى ، ويمكن أن تقطنه « أشكالا عقلية » لأرواح متخلفة أو غير متطورة بمقدورها أن تتخذ كل صور الفخاخ أو الشراك التى تصادفنا فى « الكابوس » .

---

(١) Edgar Cayce On Reincarnation.

وبالتالى فلا يُستبعد أن يكون قد ظهر للشاب سوبهارام كائن حقود يكرهه لروابط « كارمية » متوارثة من حيوات قديمة ، وأنه أراد الانتقام منه ، وظل متحينا فرصة احتضاره لتصفية حسابه القديم معه . وذلك بأن ظهر له فى اللحظة التى كانت الأمور لا تزال مختلطة فى ذهن سوبهارام بسبب احتضاره ، ذلك الاختلاط الذى منعه من أن يدافع عن نفسه ، فظهر له عندئذ روح لطيف ، أو مراقب للأحداث ، فى صورة رئيس دينى Sadhu ، وأرشده الى المأوى الوحيد الذى قد يحميه من عدوه ، وهو القوقعة التى تركها الطفل الصغير .

ومن الجائز أن يكون ذلك بمثابة اجراء وقتى حتى يزول الخطر المباشر القادم من ناحية المستوى الكوكبى المنخفض ، ويتمكن سوبهارام من أن يتجه فى أمان الى مستوى أكثر ثقافة ، وأوفر حماية من ذلك المستوى المنخفض . ومن الجائز أيضا أنه بمجرد ما دلف سوبهارام الى جسد الطفل تعذر عليه أن ينسحب منه ثانية ، وبالتالى تعين عليه أن يظل ملازماً للأرض فى صورة جاسبير حتى يسدد ديونه الكارمية ، ولحسن الحظ ان ذاكرته عن حيواته السابقة ستتلاشى تدريجيا ، كما يحدث عادة .

وفيما بعد لنا حديث فى « الهيولى المحايدة » أو الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة كافتراض علمى له وجاهته فى تعليل ظاهرة حدوث الحمل عند العودة للتجسد ، وأيضاً فى تعليل ظاهرة الاستحواذ الروحى بوجه عام ، وهى لها الآن أسانيد لا تحصى وضعت بمعرفة علماء كبار مدققين الى آخر مدى .

المبحث الثالث

عن بعض النتائج العلمية الهامة التى خلص اليها الباحثون

بعد أن بينت فى المبحثين السابقين جانباً من الشواهد التى جمعها الباحثون عن طريق دراسة اختبارات ارجاع الذاكرة الى الوراء ، وظاهرتى « رؤى من قبل » و « سُمع من قبل » مع اخضاعها للتحليل العلمى يتعين ان أعالج فى المبحث الحالى بعض النتائج العلمية العامة التى خلص اليها الباحثون فى شأن احتمالات العودة للتجسد ، خصوصاً ما كان منها نافعاً لخدمة طب التحليل النفسى الذى يلاقى الآن ثورة جذرية فى العديد من مفاهيمه القديمة .

وسيكون اعتمادى — بالاضافة الى مراجع اخرى — على مؤلف

حديث لعالم معروف يدعى كارل موللر Karl Muller بذل جهداً ضخماً فى تجميع المئات من وقائع هذا الموضوع ، وفى تحليلها للخروج منها بدلالاتها المنطقية ، بالاضافة الى عدد آخر من النتائج الهامة التى خلص اليها غيره من الباحثين .



كارل موللر

وكارل موللر هذا (١٨٩٣ — ١٩٦٨) بحاثة روحى سويسرى له وزنه بدأ تحقيقاته الروحية مبكراً مع القاضى جورج سولزر George Sulzer الذى كان رئيساً لأكبر هيئة قضائية فى زيوريخ Zurich . أما موللر فقد كان مهندساً كهربائياً ناجحاً . وقد افادته خبرته هذه فى مواصلة تحقيقاته المثابرة فى دائرته الخاصة بمنزله فى زيوريخ حتى وصل الى تسجيل ظواهر التجسدات بكاميرا تعمل بالأشعة دون الحمراء ، وقد واصل هذه التحقيقات منذ بدأ نشاطه فى دائرته الروحية فى سنة ١٩٣٦ الى حين انتقاله الى عالم الروح فى سنة ١٩٦٨ .

واسس موللر جمعية للبحث الروحى فى زيوريخ وكان رئيساً لها ، كما اصبح فيما بعد رئيساً «للاتحاد الدولى للروحيين(١) » (I. S. F) وكان موللر مقتنعاً بصحة العودة للتجسد .

ماذا يقول موللر

ويقول موللر انه خلال تحقيقات متواصلة لمدى ثمانى سنوات جمع أكثر من سبعمائة حالة ، وقال فى شأنها « اننى مقتنع تماماً بأن دعوى العودة للتجسد قد ثبتت نهائياً ، كما ثبتت دعوى دوام الحياة بعد الموت . واذا تقبلت احداهما ستتقبل الأخرى » . كما يرى أنه كان يكون من المفارقات أن يتقبل العلم العودة للتجسد قبل أن يتقبل دوام الحياة بعد الموت .

---

(١) International Spiritualist Federation.

والحالات التى عنى موللر بتجميعها عن العودة للتجسد كلها من فصيلة حالات التذكر الواعى أى حالات « رؤى من قبل » ، و « سمع من قبل » التى عنى بتحقيق أمثالها أيان ستفنسون ، وغيره من أساتذة التحليل النفسى خصوصاً فى الولايات المتحدة الأمريكية وقد نشرها فى مؤلف حديث قيم عنوانه « العودة للتجسد مؤسسة على وقائع » (١) (١٩٧٠) .

ويتناول موللر هذه الحالات بالتحليل العلمى الذى يساعده فيه الملم كاف بدراسة الظواهر الروحية المتنوعة بما فيها « التلباثى » او التخاطر التى اقتنع بصحتها ، كما اقتنع بصحة سائر الظواهر العقلية ، ويقول فى شأنها : أنه يبدو أن عدد الأشخاص ذوى المواهب الروحية يتجاوز كثيراً عدد أولئك الذين يمكنهم أن يتذكروا بصورة واعية حياة سابقة لهم . ويمكن تقدير عدد أصحاب المواهب الروحية بواحد من كل عشرين واحد (أى بنسبة ٥٪) ويعتقد الدروز بجبل لبنان أنه فى كل عشرة آلاف شخص يوجد شخص واحد يمكنه أن يحوز ذكرى واضحة عن حياة سابقة له .

وحتى اذا قلنا ان هذه الأرقام تمثل مجرد رجم بالغيب فانها تبين أن الموهبة الروحية — وهى تنمو بالمران — اكثر شيوعاً من حالات التذكر الواعى ... بالاضافة الى ذلك فان حدوث انفعال ما ، أو ارتباط معين بحادثة خاصة قد يفتح الطريق الى تذكر القديم .

وقد يرى هذا الشخص رؤى معينة تشير الى ذكريات تنتمى الى وجود سابق ، بغير أن تحوز هذه الرؤى وضوحاً كافياً ، وبعض هذه الرؤى قد يكون رمزياً ، مما يؤدى الى زيادة الصعوبة فى تكملة الصورة عن الماضى ...

وعندما تصل ذاكرة معينة الى وضوح معين ، فلا يتبقى من بعد شك فى العقل أن هذه المناظر التى تم تذكرها تمثل تجارب شخصية . ويطلق أيان ستفنسون على هذه الظاهرة وصف التشخيص Personation . وبالاضافة الى ذلك فان انفعالا قوياً يصاحب عادة التذكر ، وقد يدفع بعض الأطفال الى المطالبة بالعودة الى آبائهم الأقدمين ، أو قد يدفع زوجة ما الى المطالبة بالعودة الى زوجها فى الحياة السابقة (٢) .

---

(١) Reincarnation Based On Facts 1970.

(٢) عن المرجع السابق ص ١٥٥ — ١٥٦ .

ويقـول ديون فورتيون Dion Fortune في مؤلفـه « الروح تدافع عن نفسها » (١) ان دخول المفاهيم الغيبية الى العقل الواعى قد يميل الى ايقاظ الذاكرة اللاشعورية عن اختبارات مماثلة فى حيوات سابقة . وان الانفعال الذى يحيط بتذكر معين قد يتحرك قبل أن تحدث الصورة الراهنة للحادثة القديمة . وهذه واحدة من أحسن الاختبارات عن صحة الذكريات المتعلقة بحيوات سابقة .

وهذا الانفعال الذى قد يجىء مبكرا قد يظـل معلقاً لفترة طويلة على عتبة الوعى قبل أن تتضح صور المـاضى بشكل كافٍ ومجسوس . وهكذا يبين أن الموضوع ليس فحسب موضوع العـلم بحوادث سابقة ، بل هو موضوع انفعال قد يكون هو الجزء الأمامى من الصورة برمتها قبل أن تخرج الى حيز الوجود .

وبعض الأحـداث الروحيـة مرتبط بذاكرة عن مكان معين ، قد تتحرك بلا سبب ظاهر عند زائر ما لهذا المكان . وسواء أكان « الظرف الكهربى للطقس » له صلة ما بتحـرك « الذكرى » أم ليست له صلة ما بذلك ، فان بمقدورنا أن نتفهم هذه المسألة بوصفها نوعاً من السيكومترى (اى قياس الأثر الروحى فى المكان أو فى الزمان) (٢) .

ويمكن أن نفترض أن هناك حالات تثـير الشـك فيما اذا كانت « الذكرى » ترجـع الى نفس المكان ، أم الى نفس الواقعة الخبيئة فى ذاكرة صاحبها . وينبغى أن يواجه الموضوع بدرجات الانفعال ، وبمدى وضوح الصورة ، وتركيزها فى ذهن صاحبها (٣) .

و « نضيف » الى ذلك أيضاً أن ثمـة حالات لاسترجاع ذاكـرة التجسد السابق حدثت بسبب ارتفـاع درجـة حرارة المريض فى أثناء الحمى ، أو بسبب التخدير الجراحى ، أو بسبب الغيبوبة عقب حادثة تصـادم . وهى حالات على حـدة اذ تتنبه فيها الذاكرة بغتـة ، ولكن بصورة مَرَضية .

وعلة هذا التنبه المباغت هى فيما يبـدو حدوث خروج جزئى من الجسد يسـهّل لصاحبه الاتصـال بعقله البـاطن وبالذكريات المخبوءة

---

(١) Psychic Self Defense p. 106.

(٢) راجع « المفصل » . الجزء الأول ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣) عن كارل موللر . المرجع السابق ص ١٥٦ — ١٥٧ .

فيه (١) . ولا توجد حالات كثيرة من هذا النوع ، لكنها لا تغاير كثيراً حالات استرجاع الذاكرة فى الظروف الأخرى . ومنها حالات النطق بكلمات من لغة أجنبية عن الشخص متى ثبت أنه لم يكن واقعاً تحت هيمنة روحية تتميز عادة بغيبوبة لها أوضاع وشروط معينة .

وبعض حالات المس الروحى والاستحواذ قد يكون ذا صلة أيضاً باسترجاع الذاكرة عن تجسد سابق ، لأن الروح الماسة او المستحوذة قد تكون ذات صلات عريقة بالانسان ضحية المس والاستحواذ ، بمعنى أن هذه الصلات قد يرجع العهد بها الى تجسد سابق ، لكنها لا تزال محفوظة فى ذاكرة صاحبها .

ويلاحظ موللر أيضاً أن تذكر حياة سابقة يحتمل أن يفترض نوعاً من الحساسية أو من الموهبة الروحية . ان قنطرة ما ينبغى أن توجد لتربط بين الذاكرة وبين العقل الواعى سواء أكان هذا الأخير يقع فى جانب من البنيان الروحى للانسان ، أم فى موقع آخر مثل «الذاكرة الكونية» .

والتعريف الشائع للوسيط يكون عن طريق قدرته على احضار معلومات مسلم بها الى عقله الواعى بطريقة مغايرة للمألوف ، اوالحصول عليها عن طريق بعض الأجهزة (مثل جهاز الكوميونجراف) (٢) . أو لوحة الحروف الهجائية (٣) .

عن موطن الذاكرة

والذاكرة موطنها بطبيعة الحال الجسد الأثيرى لا المخ (٤) . والجسد الأثيرى لايفنى بالموت كالمخ ، بل يظل حاملا وعى الانسان الشامل الذى كان يعمل جانب منه فقط عن طريق المخ وهو الجانب الشعورى والآخر كان يعمل عن غير طريق المخ وهو الجانب اللاشعورى ، وهو يمثل الجانب الأخطر ، والأعمق ، والاوسع من الوعى (٥) .

وبعد الوفاة بوقت يتراوح فى مداه يحدث اندماج تدريجى للجانبين الشعورى واللاشعورى من الوعى . وباندماجها معاً يبدو الوعى السليم العادى اكثر اشراقاً ، وانطلاقاً وصفاء ، وذكاء . وهذا هو الاتجاه السائد عند كبار الباحثين الروحيين وأوثقهم اتصالا بالبحث فى صلة

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الاول ص ٨٩٠ — ٩٥٩ ، ١٠١٠ — ١٠١٥ أو كتاب « ظواهر الخروج من الجسد » ص ٦٦ — ١١٠ ، ١٨٦ — ١٩١ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٨١ .

(٤) راجع ما ورد عن الجسد الأثيرى فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٤١ — ٨٨٢ .

(٥) راجع ما ورد عن العقل الباطن فى « المفصل » الجزء الثانى ص ١٠٨ — ١٢٢ .

العقل بالمخ ومنهم مايرز ، وبروض فى انجلترا ، وجيلى وأوستى فى فرنسا . ولنا عودة تفصيلية الى ذلك فيما بعد عندما نتحدث فى مصدر هذا الجانب غير الواعى وهو اللاشعور لنبين كيف أن نظرية العودة للتجسد تلقى على تعليل هذا المصدر أضواء لا تظفر بها محاولة التعليل عن اى طريق آخر .

والانسان العادى لا يتذكر أحداث حياته الماضية ، لكنه يمكن أن يكون خاضعاً لتأثيرها بدرجات مختلفة وبأساليب متنوعة ، بما فى ذلك الأمور التى قد يحبها أو يكرهها ، وربما لسبب غير ظاهر . ويقول كارل موللر أنه يبدو أن قوة هذه التأثيرات تتوقف على الطاقة الانفعالية التى لا تزال مرتبطة بجانب معين من التذكر . وسواءً كانت الانفعالات المكبوتة تعتبر مسئولة ، أم غيرها من صور الطاقة الروحية ، فان هذه الذكريات لها تأثيرها حتى فى احداث بعض الاضطرابات العقلية . ومن الصعوبة بمكان ان نعين اى التذكارات المتنوعة ينبغى بالتالى أن يعتبر مسئولا فى حالة أو فى أخرى ، ولماذا يتلقى هذا التذكار طاقة روحية تحركة دون غيره بدلا من أن يظل خاملا فى اللاشعور .

ومما يثير الحيرة العلامات التى فى أجسام بعض العائدين للتجسد ، والتى تتفق مع بعض الجروح أو التشوهات التى صادفتهم فى تجسد سابق لهم ، وتوجد عدة أمثلة لذلك (١) . لذا تجدنا مضطرين لأن نفترض أن نمو الجنين فى رحم امه لا يكون محكوماً بعوامل الوراثة وحدها ، لكنه قد يكون خاضعاً أيضاً لتأثير الروح التى على وشك أن تتجسد .

فمثلاً وجد ان الموت العنيف فى ظروف قاسية قد يحدث علامات مماثلة، وربما لأن ذاكرة التجسد الأثيرى تكون قد انفعلت بالطاقة العاطفية التى من شأنها أن تؤثر فى نمو الجنين . وعلم النفس المعاصر يتقبل التأثيرات الروحية ـ العضوية psychosomatic التى تسببها الانفعالات ومن بينها العلامات التى تظهر على البشرة تحت تأثير الايحاء فى أثناء التنويم المغناطيسى . وأيضاً قدرة بعض أتباع المذهب اليوجى على الدخول فى حالة تشبه حالة الموت (بما فى ذلك توقف النبض ودورة الدم والتنفس) (٢) .

واذ كنا نتقبل امكانية تأثير الذاكرة فى نمو الجنين ، فان العلامات الجثمانية لا تعكس فحسب ظروف التجسدات السابقة ، بل قد تظهر اشكالاً رمزية Symbolic Features .

---

(١) راجع ما سبق عنها مأخوذاً عن تحقيقات ستفنسون .

(٢) راجع ما ورد بهذا الشأن فى « المفصل » الجزء الأول ص ١٠٢٢ — ١٠٢٤ .

والجسد الأثيرى هو الذى يعطى الهالة لونها ، وهى الهالة التى يمكن لذوى الحساسية الخاصة مشاهدتها ، والتى أطلق عليها العالم الألمانى ريخنباخ Reichenback « الطاقة الشاذة » (١) . وهذه الهالة يُفترض أنها نصف مادية ، وأن لها بعض الوزن ، بالأقل قبلما تصبح فى مرحلة انعدام الوزن عند انفصالها عن الجسد المادى شأنها شأن سفينة الفضاء عندما تصبح فى حالة انعدام الوزن عند انطلاقها من جاذبية الأرض أو القمر . وأنها ذات اتصال وثيق بالوظائف الحيوية للجسد المادى ، ويتوقف عليها انتاج الاكتوبلازم والطاقة الروحية المسئولة عن ظواهر الوساطة الفيزيقية. ومنذ نشر العلامة ريخنباخ والبحاث الفرنسيون ومنهم بوجه خاص ديرفيل Durville كشوفهم فى هذا الشأن فانه يمكن العثور بعناء على تحقيقات لها قيمتها فى هذا الموضوع ...

ويلاحظ ستفنسون أن نطق الطفل بكلمات أجنبية عنه (كما حدث فى بعض حالات العودة للتجسد التى حققها بنفسه) يفترض الالمام السابق بهذه الكلمات ، كما يفترض قدرة خاصة على السيطرة أيضاً على أعصاب الحنجرة واللسان ، والشفاه ، والوجنتين ... فاذا ظهرت قدرة كهذه بدون تدريب سابق ، فيكون علينا أن نفترض أن هذه القدرة الخاصة أتى بها صاحبها من حياة سابقة ، وأنها تؤثر فى العضلات بطريقة مباشرة . وبعبارة أخرى أن هذه القدرة انتقلت عبر الجسد الأثيرى ...

ويقول موللر ان تأثير الذكريات القديمة يشاهد بدرجات كثيرة من الكثافة ، من مجرد الميول البسيطة الى النفور الذى قد يستوجب الاضطراب ، وهو تأثير غير مرتبط بأى فهم لمصدره ، خصوصاً عند الأطفال . وقد يقدم اللاشعور عندهم بعض تفسير لذلك ... وقد تكون الذكرى عن حياة ماضية ذكرى سريعة الهرب كما يظهر فى اختبارات ارجاع الذاكرة الى الوراء فى التنويم المغناطيسى عندما يصل المنوَّم مغناطيسياً الى حالة من الخروج من الجسد أو من النوم العميق فيفقد ذاكرته . ولذا كان الدكتور بجورخيم Bjorkhem يستخدم التنويم الخفيف ، وعندئذ كان الشخص المنوَّم يتمكن من تذكر الاختبار . وكثيراً ما كان هذا الأخير ينسى كل شىء بعد بضع دقائق (٢) .

عن تغيير الجنس

ويتحدث كارل موللر Karl Muller عن موضوع تغيير الجنس

(١) راجع عن الهالة ما ورد فى المرجع السابق ص ٨٧٤ — ٨٨٢ .

(٢) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨١ .

بسبب العودة للتجسد فيقول ان عدداً من الناس لا يستسيغ فكرة العودة للتجسد بسبب احتمال تغيير الجنس من الذكورة الى الأنوثة أو بالعكس.

ويرد على ذلك بأن الوقائع تثبت قيام هـذا الاحتمال : فقـد تبين بالنسبة للأطفال أن ١٦٪ من البنات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئاً عن حياتهن السابقة تذكرن تغيراً فى الجنس . وأن ٢٣٪ من النساء البالغات اللائى أمكنهن أن يتذكرن شيئاً عن تلك الحياة السابقة تحدثن عنها بوصف أنهن كن فيها رجالاً لا نساءً . وهو يرى أن الرقم الأول ربما يكون أقرب الى الاحتمال من الثانى ، وأنه بالتالى فى كل حالة من ست حالات للعودة الى التجسد تكون تلك العودة مصحوبة بتغير فى الجنس .

كما يقول ان الرجال الذين يتذكرون حياة سابقة لهم فى الجسد فى ظل الأنوثة أقـل بكثير من النسـاء اللائى يتذكرن حيـاة سـابقة لهن فى ظل الذكورة . وهـو يعتقد انه ربمـا تكون « سيكولوجية » الرجل من خصائصها أن تجعل تذكر الأنوثة السابقة أمراً صعب المنال .

وهو يقول انه من المؤسف أن تفصيلات قليلة عن تغيير الجنس وردت فى الحـالات الستمائة من عودة التجسـد التى فحصها الدكتور جـون بجـورخم John Pjorkhem وفى الحـالات الخمسمائة التى فحصها الدكتور الكسـاندر كانون A. Canon ، (١) وفى الحالات الخمسين التى فحصها آرنال بلوكسهام Arnall Bloxham .

والدكتور جون بجورخم الذى يتحـدث عنه موللر عالم سـويدى ذائع الصيت فى الطب النفسى Psychotherapist واستاذ بجامعة أوبسالا Upsala ، وكان يجرى تجاربه فى التنويم المغناطيسى على المئات من طلبة الجامعة وطالباتها ، وعرض نتائج هذه التجارب فى كتاب له عنوانه « تفوهات التنويم المغناطيسى » (استوكهلم ١٩٤٣) .

أما الدكتور آرنول بلوكسهام فهو طبيب نفسانى بريطانى له تجارب عديدة فى التنويم المغناطيسى ومحاولات ارجاع الذاكرة ، ولنا اليه عودة فيما بعد .

فكل هؤلاء الباحثين اشاروا الى حالات من تغير الجنس . ويعتقد بجورخم الذى كان يستخدم التنويم المغناطيسى لارجاع الذاكرة — مثل دى روشا — ان التنويم المغناطيسى قد تكون له مزية تحقيق هذا الهدف . وانه عند حدوث تغير فى الجنس ، فان الشخص المنوَّم كان يحاول مقاومة الكشف عن جنسـه السابق لكن ظاهرة تذكر القـديم تكون ذات طـابع

---

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق الجزء الأول ص ٤٢٩ .

تشنجى ، فكانت طبيعــة الجنس السابق تظهر رغم المقــاومة ، ويبدو الوعى الراهن عاجزاً عن التدخل لمنع كشف سر هذا الجنس السابق .

وان ذلك يثبت أن هناك « سيكولوجية آلية » تحمى طبيعة الجنس الراهن من تأثيرات الجنس العكسى عند حــدوث تغير فى الجنس بسبب العودة للتجسد . ويبدو أن هذا « العــازل السيكولوجى » عند الرجال أقوى منه عند النساء . ولذا فان الرجل قلما يتحدث عن انوثته السابقة مثلما تتحدث المرأة عن رجولتها السابقة .

ويخلص كارل موللر الى اننا اذا أدخلنا فى الاعتبار جميع الحــالات التى خضعت للبحث من حالات العودة للتجسد نجد أن النسب العــامة كالآتى : ٤٪ من الرجال غيَّروا جنسهم السابق ، ٢٤٪ من النساء غيرن جنسهن السابق ، وأن المتوسط ١٣٪ للجميع .

وأنه رغم صعوبة تفسير هــذه الأرقام تفسيراً صحيحاً فانه لم يعد اى شك فى أن تغيير الجنس أمر جائز الحدوث . وهــو يعتقد أن تغيير الجنس يبدو أقرب الى الاحتمال بعد اربعة تجسدات متتابعــة فى نفس الجنس . وأن تغيير الجنس ليس معضــلة ، كما أن تخنث الرجل ، أو استرجال المرأة فى الحيــاة الراهنة ليس هــو القــاعدة ، بل هــو أمر استثنائى (١) .

آفاق جديدة فى التحليل النفسى

ولا ريب أن هذه الكشوف التى أخذت تظهر فى تدفق شديد ، وفى ترابط يسترعى الانتباه ، وفى وضــوح وخطــورة تمثل ثورة ضخمة فى الكشف عن مجاهل النفس الانسانية وما أوعرها من مجاهل : وهى تلقى مسئوليات جديدة على علم التحليل النفسى فى طوره الراهن . وفى نفس الوقت تفتح أبواباً جــديدة للأمل فى العثور على مصــدر بعض الأمراض النفسية والعصبية ، كما أن الاقرار بامكان المس الروحى أو الاستحواذ يفتح أبواباً أخــرى جديدة لتشخيص بعض الأعراض العضوية والعقلية ولعلاجها أيضاً (٢) .

ومهمة المحلل النفسانى هنا ستصبح مهمة دقيقة للغاية لأنها تتطلب ايقاع المريض فى غيبوبة مغناطيسية ثم محاولة ارجاع ذاكرته الى الوراء

---

(١) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٢) راجع ما ورد فى « مفصل الانسان بروح لا جسد » الجزء الثانى ص ٨٢١ — ٨٢٧ .

الى ما هو أبعد من حياته الحالية ، وذلك على النحو الذى وصـل اليه الرائد العظيم دى روشـا de Rochas والذى وضحته ببعض أمثلة فيما سبق .

وعلى المحلل النفسانى أن يستعين بجهـاز لتسجيل كل ما يسرده مريضه فى هذا الشأن حتى اذا ما نجحت التجربة — يعيد على مسامعه — بعد يقظته — كل ما تفـوه به فى غيبوبته ، فقـد تسـاعد الاعادة المحلل النفسـانى على صحة التشخيص كمـا تساعد المريض على سرعة الشفاء عن طريق التعرف الواعى على مصدر ما قد يعانيه من آلام نفسية بسبب الكبت فى اللاشعور .

وقد يبدو هذا كله غريباً للمحلل النفسانى التقليدى ، لكن غرابته لا تنفى صحته ، لأن علم النفس الحديث أخذ يتحرر تدريجياً من الفلسفة المـادية عن الوجـود كما أشرت الى ذلك مراراً ، وأيدته بأسانيده (١) ، وأخـذ يتجه اتجاهاً صريحاً نحـو تقبل أخطر القضـايا ، أو ان شئت النظريات الروحية الواحدة بعد الأخرى .

وأما عن أثر التنويم المغناطيسى فى استكشاف مجاهل اللاشعور فهذا الآن أمر مسلّم به علمياً وفيه يقرر الدكتور أحمد عكاشه الأستاذ بكلية الطب بجامعة عين شمس « يؤكد علماء النفس أنّ حالة التنويم المغناطيسى هى أفضـل الحالات التى يمكن أثنـاءها استكشاف محتويات العقـل البـاطن ... واذا عرفنا أنه بين كل جلسـة تنويم وأخـرى لا يتذكر الشخص الأحداث التى مرت أثناء جلسة التنويم ، بينما أثناء جلسـة التنويم ذاتها يستطيع أن يتذكر ماجرى فى جلسة التنويم السابقة ، وذلك دليل على أن حالة التنويم تتيح فرصة الاتصال بالعقل الباطن . وكثير من ظواهر حـالة التنويم يمكن تفسـيرها بالقدرة على الاتصـال بالعقـل الباطن ... » (٢) .

فاذا صح أن كان للنفس حيـاة سابقة على حياتهـا الحاضرة وأن ذكريات العقل عن تلك الحياة السابقة قـد انزلقت الى اللاشعور ، فان التنويم المغناطيسى قد يكون اذاً من أفضـل السبل المؤدية الى استعادة بعض هذه الذكريات ، على النحو الذى بداه دى روشا ثم تابعه فيه علماء آخرون بدرجات متفاوتة من النجاح مما ساعدهم على تقبّل نظرية العودة

---

(١) راجع ما ورد فى المرجع السابق . الجزء الأول فى ص ٨٥٠ — ٨٥٣ ، وفى الجزء الثانى ص ٧٨ — ٩٠ ، ٩٩ — ١٠٦ ، ١٠٨ — ١٢٠ .

(٢) من مؤلفه فى « التشريح الوظيفى للنفس . علم النفس الفسيولوجى » طبعة ١٩٧٤ . ص ٢٦٨ .

للتجسد كأمر صحيح تؤيده الآن أدلة كثيرة معملية وفلسفية ، وتحقيقات متتابعة جاءت — كلها الى جانب صحة هذا الاحتمال .

ومما ساعد على تقبل نظرية العودة للتجسد بالذات أن كثيراً من الأمراض النفسية قد يستعصى تعليله بأحداث معينة يكون قد مر بها المريض فى حياته الراهنة منذ الولادة حتى اصابته بالمرض ، أو بالأدق حتى ظهور أعراض المرض النفسانى أو العصبى عليه . وكذلك أن بعض تفسيرات فرويد بالاصابة أثناء عملية الولادة بالذات أخذ يظهر ساذجاً وقاصراً عن مواجهة غالبية هذه الحالات ، ناهيك بمحاولة انقاذ المريض من آلامه .

ومن ذلك مثلاً مرض الخوف الذى لا مبرر له Phobia ، كالخوف من المبانى الشاهقة ، أو من النار ، أو من حيوان أليف ، أو من لون معين ، أو من وسيلة مواصلات معينة ، أو من مادة معينة ، أو من موضوع مألوف ... وهو مرض عصبى شائع فانه قد يكون ذا صلة باختبارات مريرة مرّ بها المريض فى حياة سابقة له ، وقد انزلقت بطبيعة الحال فى اللاشعور : مثل وفاته فى حياته السابقة من سقوطه من مبنى شاهق ، أو من احتراقه بالنار ، أو وفاته فى حادثة ما بوسيلة مواصلات معينة ... وغير ذلك مما يدعو بعض المحللين النفسيين المعروفين الى الا يستبعد تماماً أن يكون ثمة جانباً من سلوك الفرد العصبى أو النفسى قد بدأ فى حياة ماضية له .

ومن هؤلاء مثلاً الدكتور دنيز كلزى Denys Kelsey وهو عضو فى « الكلية الملكية للأطباء » (١) وقد ناقش هذا الموضوع فى مؤلف له عنوانه « حيوات متعددة » (٢) فى فصل عن « العودة للتجسد والعلاج النفسى » وفيه يقرر أن اسهام العودة للتجسد فى العلاج يجىء عن طريق الاعتراف بأن بعض العناصر النفسية كثيراً ما يبرز من الشخصية المبكرة للانسان . وأنه عندما وسّع من نطاق مفهومه ابتدأ يدرك النقطة الأساسية وهى ان الانسان يتجسد بالطبع الذى يكون قد حصل عليه خلال تاريخه الطويل .

كما يقول ان هذا الطبع لم يرثه الانسان كله ، ولم يتشكل كله تحت ضغط البيئة لكنه قد تشكل عن طريق استخدام الانسان لحريته فى الاختيار . وان الضغوط الخارجية لا تتسبب فى ان يغيّر الانسان من سلوكه ، بل ان التغير يحدث عندما يمكنه هو ان يغير من نواياه . وان هذا المبدأ يقع الآن فى الأساس من مواجهته للأمراض العصبية التى تعزى الى

---

(١) Royal College of Physicians.

(٢) Many Lifetimes.

طبع معيب فى الشخص . كما يعتقد أن كل شخص يمكنه أن يغيِّر من نواياه عندما يصمم على ذلك .

وكل شخص يتجه فى تقدير الدكتور كلزى اما الى العزلة واما بعيداً عنهـا ، لأن الحب الذى لا يجد اشباعاً نقياً يتحول الى عـدم اكتراث ، واحتمالا الى كراهية . وأثر العودة للتجسد هـو تحديد هـذا الاحتمال الأخير ، لأن انتهاء الحياة الارضية لا يعنى بالضرورة وضع حد لنموذج معين من نماذج الانفعال . ومن ثم فان الاقتراب الى العزلة بسبب الجفاء الذى قد يلاقيه الانسان قـد يعبِّر عن نفسه فى صورة قلق قـد يعطى أنواعاً متباينة من الأعراض العصابية .

ولكن اذا أمكن تبصير المريض عن أوجـه طباعه التى تقوده نحـو العزلة ، وأمكن اقناعه اقناعاً كاملاً برغبة تغييرها فان التغيير سيبدأ ، وستبدأ الأعراض فى التراجع .

* * *

ويراعى — فى تقدير كل ذلك — أن النسيان وظيفة بيولوجية تختلف تماماً عما نعرفه عنها . فالنسيان بمعنى المحـو التام لا وجود له ، لأنه لا يمكن محـو أى شىء من الطبيعـة ، أو من الذاكرة التى تسجل دواماً الاختبارات الطبيعية التى تمر بهـا ، سواءً أكانت سـارة أم اليمة ، أم محايدة اذا صح مرور أحداث محايدة بعقل الانسان .

أما النسيان بمعناه الصحيح فهو مجرد انزلاق الحادثة من الشعور الى اللاشعور . وهى قد تنزلق حتى فى أثناء وجود أرضى واحد بعد مضى فترة معينة عليها ، كما تنزلق جميع أحداث المـاضى القريب والبعيد الى اللاشعور — بحسب الأصل الذى يحتمل بعض الشذوذ — عند العـودة للتجسد ، وذلك من باب رحمة الطبيعة لنا ، وحماية لذاكرتنا من الأهوال الجسام التى تكون قد مرت بها .

أما درجـة التطور التى تكون الذات قد بلغتهـا عن طريق معاناة هـذه الأهوال نفسها فهى حـق مكتسب لها . وأما الدرس الذى تكون الذات قد وعته عن طريق هذه الأهوال فهو مخبوء فى اللاشعور ، يؤدى دوره فى تنبيه الضمير الى عـدم الوقوع فى نفس أخطاء المـاضى ، بدرجة تتفاوت فى مداها بمقدار تطور الذات وبمقدار يقظة هذا الشعور الداخلى الدفين الذى نعبر عنه بوصف الضمير . والذى هو حصيلة دروس الماضى منذ أبعد ابعاده لكى يساعد الذات على شق طريقها فى المستقبل الى أبعد مداه ، مع القابلية الدائمة للنمو وللتطور ، لأن التطور لا تُعرف له نهاية ، كما لم تعرف له بداءة بعد .

ولذا فلا محل مطلقاً للاعتراض على مبدأ العـودة للتجسد بنسيان أحـداث المـاضى ، لأن النسيان لم يحدث انما تحققت مجـرد وظيفـة بيولوجية محددة وهى انزلاق اختبارات الماضى من الشعور الى اللاشعور ، لكى نجنى من المـاضى أزهاره ، ولا نتضـار بأشواكه ، واهـواله ، وذلك بالنسبة للانسان العادى ، وفيما عدا بعض الحالات غير المـأوفة أو فوق المـألوفة ، ومنها بعض الحالات المرضية أيضاً .

وقد نجح علم النفس الحديث فى اكتشاف وجود العقل الباطن أو اللاشعور ، ولكنه لم ينجح لغاية الآن فى اكتشاف مجاهل هذا اللاشعور ، أو فى رسم حدود واضحة بين الشعور واللاشعور .

واذا صحَّ اعتبار هذا اللاشعور مخزناً لاختبارات المـاضى السحيق للانسان خلال صراعه المرير المستمر مع تجسداته وكان يحمل خلاصـة أو ثمرة ما مر به من اختبارات سعيدة واليمة ، فانه يكون على العلم أن يسلم بأن نظرية الوجود السبقى للانسان تصبح على هذا الوضع اجـدر النظريات بأن تفسر هذا اللاشعور على نحو منطقى وبسيط ، يتحدى فى وضوحه وفى ترابطه كل التفسيرات الأخـرى التى تريد ان تبدأ الوجود الانسانى منذ ولادة الانسان فى حياته الراهنة فحسب ، أو منذ صيرورته جنيناً فى بطن أمه .

خصوصاً وأن وجود هـذا اللاشعور قـد ثبت تماماً لدى الانسان العاقل الناطق ، ولم يثبت وجوده لدى الكائنات الحية الأخـرى سواء أكانت من الفقريات أم غير الفقريات . ولا أعلم عالمـاً واحـداً يسلم مثلاً بأن الحصان أو الكلب — وهما من أرقى الحيوانات الفقرية — يملك عقلاً باطناً أو لا شعوراً . وانه بالتالى عرضة لان يصـاب — مثل الانسان — بجنون العظمة ، أو الاضطهاد ، أو بمركبات النقص المختلفة أو بالمخاوف التى لا مبرر لها ، أو بانفصـام الشخصية ... بالمفهوم العلمى لهـذه الأوصـاف .

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار ما ثبت من أن القدر الأكبر من حوافز الانسان ودوافعه الحقيقية مختبىء فى هذا اللاشعور ، بحيث يمكن القول بأن عقل الانسان ينظر اليه كأنه جبل من الثلج يطفو عشره فقط فى الشعور ويختبىء تسعة أعشـاره تحت المـاء فى اللاشعور . فمن اين جاء هـذا اللاشعور الحافل بأكداس متراكمة من الحوافز والدوافع المرتبطة بداهة بالتجارب والاختبارات الحلوة والمرة المـاضية وما اكثرها ، وما أعمق اثرها ؟ !

من آراء دوك اندرسون

وكان دوك اندرسون Doc Anderson — وهو وسيط أمريكى للادراك خارج الحواس وللغيبوبة وللعلاج ينادى بصحة العودة للتجسد ، وبامكان اعادة الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسى للتعرف على أسرار الحياة السابقة لبعض المرضى النفسيين كوسيلة فعالة لعلاجهم من امراضهم .

وقد قام بسرد بعض تجاربه وتلخيص بعض آرائه زميل له فى بعض تجاربه يدعى روبرت سميث Robert E. Smith وجمعها فى مؤلف له عنوانه « نحن نحيا حيوات متعددة » (١) (مايو ١٩٧١) .

وقد وصل فيه الى أن هذا الموضوع يحتاج الى مواصلة البحث فيه ، وأنه عندما « اختلس » المحللون النفسيون الشيطان من رجال الدين اعتقلوا « رهينتهم » داخل العقل الباطن للانسان . ومنذ هذا التاريخ حصروا اختباراتنا وفحوصنا ، وتنقيبنا فى المكونات الفيزيقية والعقلية للانسان ، ودفعونا الى اهمال البحث فى التكوين الروحى واستكشاف جوهر ذواتنا ...

ان العودة للتجسد شأنها شأن كل نظرية أخرى : اما أن تكون صادقة واما أن تكون كاذبة ، لكن الشواهد الى جانبها ، حتى وان كانت غير حاسمة . ومع ذلك فان التعرف على الحيوات السابقة ذو طاقة حيوية فى التخفيف من حدة التوتر الانفعالى .

ويقول البحاثة روبرت سميث فى مؤلفه الآنف الاشارة اليه ان دوك أندرسون تعرف مثلاً على التجسد السابق لرجل أمريكى ، واتضح له انه كان متجسداً فى انجلترا فى صدر القرن التاسع عشر باسم هنرى هاركنز Henry Harkins وأنه كان يعمل مديراً لأحد المصانع فى ولاية لانكاستر Lancaster بالريف البريطانى . وكان يستغل سلطته على بعض العاملات الجميلات الفقيرات لكى يفرض عليهن الرضوخ لرغباته وشهواته .

ويقول ان هذا الشخص مات قتيلاً فى نفس المصنع بطعنة سكين فى ظهره من فتاة ذات شعر أحمر ، وقد سرقت بعد مقتله ساعته الذهبية ونقوده . وقد سرد الوسيط على هذا الشخص ذلك الجانب الخفى من حياته السابقة كوسيلة لانقاذه من متاعبه ومخاوفه المجهولة المصدر التى كانت

---

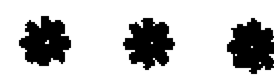
(١) We Live Many Lives

تطارده فى حياته الراهنة (١) .

وبعد أن تحسنت حالته عن ذى قبل أرسل هذا الشخص خطاباً الى دوك أندرسون يقول له فيه : « لقد ابتدأت أتفهم تدريجياً مصدر حبى للأدب الانجليزى فى صدر القرن التاسع عشر ، اذ أن حبى يرجع الى رابطة تربطنى بذلك العصر . كما تبين لى وجود أشياء أخرى كثيرة يتعذر تفسيرها « بالمصادفة » . لقد كنت أكره السكاكين بصفة منتظمة ، كما كنت أشعر بالضيق من أى مصنع قديم ، أو من أى مبنى معدن مُصنع ما . وابتدأت تضاف الى ذلك كمية من أمور أخرى صغيرة .

كما حدث تحسن اعجازى فى حياتى الجنسية ، واننى مدين ومقر بذلك . كما أنا مدين لتغير شخصيتى وبدأت أرى كيف أن قدرة الله قدرة صديقة لنا لأنها تسمح لأولاد الله أن يتعلموا عن طريق استخدام حريتهم فى الاختيار ، وهكذا تقوى اعتقادى الدينى . وانا الآن بكل بساطة أكثر دعة واطمئناناً من ذى قبل ، ولا أفقد هدوئى فى المنزل أو فى المكتب . ان ثمة وقتاً ومكاناً لأجل كل شيء ، وتبدو لى الحياة الآن أكثر من مجرد لحظات عابرة سريعة تضيع هباءً .

لقد قرأت فى مكان ما أن اختبار المعجزة الحقيقية يكون عندما يتمكن أى اختبار من تغيير حياتك نحو الأفضل ، وهذا ما قد تم انجازه بالنسبة لى . وبعد بضع سنوات سأخبركم ما اذا كان هذا التغير نهائيا أم لا » (٢) .



ويتساءل روبرت سميث فى مكان لاحق قائلا : هل ستصبح نظرية « العودة للتجسد » حقيقة ثابتة فى يوم من الأيام ؟ ثم يجيب قائلا : ربما سيتمكن الانسان فى يوم مستقبل من رفع النقاب الكثيف الذى يغطى الموت ، وسيتعلم الكثير من الحقائق الخطيرة الأزلية عن الحياة الروحية . والعودة للتجسد هى العنصر الخالد لوجودنا وقد تصبح حقيقة مطلقة ومثلها دورة الموت والميلاد الثانى ، وهذا التحول التاريخى الخطير يمكن أن يتحقق خلال اختبارات ثابتة عن الاتصال بين الانسان المتجسد والانسان غير المتجسد . كما يمكن ان يتحقق خلال بعض

(١) قد يعترض أحد المعترضين قائلا : وهل هذا هو كل جزاء هذا الشخص عن أفعاله السيئة فى حياته الماضية ؟ والجواب هو : وهل نعلم كيف أمضى هذا الشخص أيامه فى الأثير فى الفترة بين التجسدين السابق والحالى ؟ أوليس من الجائز أنه أمضاها أشد قلقا واضطرابا مما هو الآن ؟

(٢) عن المرجع السابق ص ٧٠ — ٨٠ .

اختبارات ارجاع الذاكرة عن طريق التنويم المغناطيسى الى الحيوات السابقة عندما تقدم أدلة لا تقبل الجدل .

وأدلة كهذه « ينبغى أن تخضع للمتطلبات الصارمة التى يتطلبها أسلوب التحقيق العلمى — بحسب رأى روك اندرسون — وأن تكون من النوع الذى يصمد لأقسى صور الفحص . ان العقل الباطن لهو من طراز فريد ، ويمكنه أن يقوم بأدوار من تزيين لأمور تضلل المنوِّم والمنوَّم معاً .

ثم ما هو الأمر الذى يمكنه أن يقيم بينة قوية لمصلحة العودة للتجسد ؟ لقد حاول دوك أندرسون وأنا أن نحصل على معلومات عن موضع سلعة يكون المريض قد أخفاها فى مكان ما (فى حياته السابقة) ولا يعلم عنها أحد شيئاً (١) . ولذا ففى كل تجاربنا المغناطيسية توجد أسئلة حول موضع سلعة ما لا يعرفه الا الشخص المنوَّم .. ان العلوم الخفية اهملت أو الغيت خلال قرون ، وجيلنا الحاضر يحاول أن يشيد قلعة من الوقائع عن هذه الموضوعات ..

لقد أخبرنا عدد وفير من المنوَّمين مغناطيسياً عن تجسدات فى العصور الغابرة ، ولا توجد لدينا سجلات قديمة لتحقيق صحة هذه الحيوات ، وحتى الحيوات التى قيل أن أصحابها امضوها فى الولايات المتحدة خلال القرن الماضى وجدنا أن بحثها وتحقيقها من أصعب الأمور . ولم تبدأ حكومتنا فى العناية بحفظ سجلات صحيحة عن المواطنين الا منذ عهد قريب . وفى بلاد اخرى لا توجد — حتى فى العصر الحاضر — سوى الأقوال الشفهية . وهكذا يمضى كل جيل ومعه تاريخ الانسان العادى » (٢) .

ماذا يقول ارنول بلوكسهام ؟

وفى هذا الشأن أيضاً يقول أرنول بلوكسهام Arnall Bloxham وهو دكتور فى العلوم النفسية اتخذ العلاج بالتنويم مهنة له — انه استطاع أن يشفى خلال ربع قرن حالات كثيرة ، وانه منذ سنة ١٩٥٦ ابتدأ يكون اقتناعه بالعودة للتجسد ، وأنه سجل العديد من حالات تذكر الحيوات السابقة على أشرطة التسجيل بمساعدة زوجته دولشى التى توفيت فى سنة ١٩٧٠ .

---

(١) عنى العالم الامريكى المشهر ايان ستفنسون بتسجيل بعض الوقائع من نفس هذا النوع ونجح فى بعضها على ما سبق . ولم يكن ذلك عن طريق التنويم المغناطيسى ، بل من طريق ذكريات « العائدين الى التجسد » وهم فى كامل يقظتهم .

(٢) عن المرجع السابق ص ٨٧ ، ٨٨ .

وقد استطاع بلوكسهام أن يكوِّن مكتبة صوتية غريبة يحار امامها العقل فى صورة حوار مع الماضى مدته مائتا ساعة !! بل لقد سجل مع زوجته حقائق عديدة تاريخية وجغرافية كما كانت عليه اصلا . ولكل شريط ملف خاص يتضمن دراسة دقيقة للأدلة العلمية التى تؤكده . ومعظم الأشرطة تتعدى بالطبع الوقائع التاريخية الشائعة وتزودها باضافات فريدة . وهو يرى أن تشخيص مرض عصبى ما يمكن أن يكون أدق كثيراً عند تفهم خصائص المريض الشخصية فى ضوء تجسداته السابقة .

كما يرى ان خصائص المرء التى اكتسبها فى أعماره السابقة تظل معا فى حيواته التالية ، وان كان بعض المواهب يصبح ثانويا . وان تفاعل الحيوات السابقة قد يجعل المرء أحيانا فى انحدار مستمر . وان ثمة مواهب كثيرة تكمن فينا جميعاً ، لكن قلما يوجد الشخص الذى يستطيع استثمارها كلها .

ولذا فهو يأخذ بنظرية « الكارما » القائلة بأن قدر الانسان يلاحقه حتى بعد وفاته ، ولكنه يرى أن تفهم الانسان لقدراته ، ومعرفته لامكانياته الدفينة ، امور كفيلة بأن تغير وجه العالم (١) .

المبحث الرابع

بعض اختبارات فريدة
فى الأحلام وفى الاتصالات الروحية

بالاضافة الى الأدلة الوضعية الكثيرة التى قدمها الباحثون العصريون ، والتى قد تؤيد احتمال صحة دعوى « العودة للتجسد » ، ثمة طائفة أخرى من الأدلة لها طابع خاص فريد . وهى عبارة عن مجرد تنبؤات بقرب عودة انسان معين بالذات للتجسد ابديت فى « الجلسات الروحية » عن طريق « الطرقات المسموعة » ، أو « تفوهات الغيبوبة » ، أو « لوحة الحروف الهجائية » .. أو غيرها من طرق التراسل بين العالمين ، وقد تحقق بعضها على وجه قوى أو ضعيف .

حالة كانت موضوع رسالة دكتوراه فى الطب

ومن هذه الطائفة من الوقائع الفريدة التى خضعت للتمحيص

---

(١) للمزيد عنه راجع الاستاذ عبد العزيز جادو . المرجع السابق ص ٢٧٠ — ٢٧٣ .

الدقيق ما نشر فى مجلة « فلسفة العلم » (١) التى كان يصدرها فى Palermo بايطاليا الدكتور اينوسنزو كالدرونى Innocenzo Calderone وما هى التفصيلات نقلا عن كتاب « الحياة اللاحقة » La Vie Posthume العالم الروحى شارل لانسلان Charles Lancelin وقد أخذها من رسالة حصل بها صاحبها على درجة دكتوراه فى الطب من « كلية طب بالرمو » وهو الدكتور كارملو سامونا Carmelo Samona وعنوان الرسالة « ألغاز الروح » (٢) . ويحسن أن نبدأ فى سرد تلك الأحداث الهامة بالخطاب الآتى :

عزيزى كالدرونى :

رغم الصفة الشخصية تماماً للوقائع التى سبقت ولادة طفلتى، فاننى لا أتردد ـ خدمة للعلم ـ فى تقديمها للنشر فى مجلتكم المحترمة الواسعة الانتشار ، وبغير أن أتكتم أسماء الأشخاص المتنوعين الذين يعرفونها ، وبقدر اتصالهم بها . واذا كنت أمتنع أنا عن مناقشتها ، فاننى أرى مع ذلك ضرورة كشف النقاب عنها ، حتى يناقشها الآخرون .

ولا يمكن لأى علم أن يتقدم خطوة اذا كان يتجاهل الوقائع . واذا كان كل انسان يخشى السخرية ، أو لأى سبب آخر ، يحتفظ لنفسه بالوقائع التى تقع فى منطقة « ما وراء الروح » والتى تتفاوت فى مدى ندرة تحققها ، اذاً فالوداع لكل أمل فى التقدم !

ولذا فهأنذا أرسل اليك بياناً مفصلا صادقاً بصفة مطلقة عن الوقائع كما حدثت ، وبدون أدنى مناقشة من جانبى للمشكلات الهامة التى تثيرها .. وها هو البيان :

بتاريخ ١٥ مارس سنة ١٩١٠ توفيت طفلتى المحبوبة الكسندرين Alexandrine البالغة من العمر خمس سنوات اثر اصابتها بالتهاب سحائى خطير . وكان ألمى عميقا وكذلك ألم زوجتى ، الى حد كادت معه أن تفقد صوابها . وبعد ثلاثة أيام من وفاتها حلمت بها زوجتى ، وبدا لها أنها تراها كما لو كانت حية وسمعتها تقول لها : « لا تبكِ يا ماما ، فاننى لم افترق عنك، بل ابتعدت عنك فحسب . وترقبى بالأكثر عودتى اليك صغيرة على هذا النحو » . ثم ظهرت لها كما لو كانت قد أصبحت جنيناً صغيراً كاملا . ثم أضافت قائلة : « وبالتالى فانك ستبدأين فى التألم من جديد بسببى».

---

(١) Filosofia della Scienza

(٢) Psyche Mysteriosa.

وبعد ثلاثة أيام تكرر لها الحلم مرة أخرى . وعنـدما علمت احدى صديقاتها بذلك حاولت أن تقنعها — اما عن اقتناع شخصي ، واما لمجرد تعزيتها — باحتمال عودة ابنتها الى الحياة من طريق ولادة جـديدة .. قائلة لها ان حلماً كهذا يصح أن يكون اشعاراً لها من ابنتها بأنها تستعد للولادة من جديد عن طريقها . ولكى تنجح فى اقناعها بامكان حدوث واقعة كهذه أحضرت اليها كتاباً لليون دنيز Léon Denis يعالج فيه موضوع « العودة الى التجسد » . لكن شيئاً لم ينجح فى تخفيف آلامها لا الاحلام ولا هـذا التفسير ، ولا قراءة كتاب دنيز .

كما ظلت لا تصدق احتمال أن تصبح أماً من جديد ، خصوصاً وانه كان قد حدث لها حمل زائف fausse couche اقتضى تدخلا جراحياً لها بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٩ أعقبه نزيف متكرر ، فاصبحت تقريباً متيقنة من انها لا يمكن ان تحمل مرة أخرى .

وفى ساعة مبكرة من صبيحة احد الأيام بعد موت طفلتها ، وكانت زوجتى تبكى كعادتها ، قالت لى وهى غير مصدقة : « انني لا أرى أمامى سوى الحقيقة الرهيبة ، وهى انني فقدت ملاكى الحبيب الصغير ، وهذا الفقد قاس أكثر مما ينبغى ، ورهيب الى حد انني لا يمكن أن اتعلق بخيط أمل مستند الى مجرد احـلام كتلك التى مرت بى ، فاومن بحادثة غير متصورة وهى عودة ابنتى الحبيبة الى الحياة عن طريقى ، خصوصاً عندما اتمثل فى ذهنى حالتى الصحية الراهنة .

وبغتة عندما كانت تندب حظها العاثر بطريقة مرة ويائسة ، وكنت من جانبى أجاهد لتعزيتها ، سمعنا ثلاث طرقات خشنة وقوية على باب الغرفة ، كما لو كانت صادرة من مفاصل أصـابع اشخاص يبغـون ان ينبهونا الى رغبتهم فى الدخول . وقد اشترك معنا فى الاستماع اليهـا أولادنا الثلاثة الصغار الذين كانوا معنا فى نفس الغرفة ، ولم يكن هناك — لدهشتنا العظمى — اى شخص يريد الدخول كما توقعنا ..

وفى نفس الليلة عزمنا على أن نبدأ فى عقد جلسات وساطية عن طريق « الطرقات المسموعة » Typtologie (١) وواظبنا عليها لمدة ثلاثة شهور بالأقل . وقد حضرها زوجتى ، وحماتى ، وأنا ، وأحياناً ولديّ الكبيران . ومنذ الجلسة الأولى اتصل بنا كائنان ، زعم أحدهما انه ابنتى ، والآخر انه شقيقة لى كانت قد توفيت منذ زمن طويل عندما كانت فى الخامسة

---

(١) بحسب قاموس « لاروس العالمى » Larousse Universel يشير هذا التعبير — عند أنصار الروحية — الى الرسائل الواردة من الأرواح عن طريق طرقات الموائد الدائرة Tables Tournantes ، أو الطرقات على جسم ما .

عشرة من عمرها، والتى كانت بحسب أقوالها تقوم بدور المرشدة للصغيرة الكسندرين .

وكان أسلوب هذه الأخيرة يبدو هو نفس أسلوبها الطفلى الذى كانت تستخدمه عندما كانت لا تزال حية . اما الأخرى فكان اسلوبها صحيحاً ، وكانت تتدخل فى الحديث اما لكى تشرح بعض عبارات الكائن الصغير ، التى كانت تبدو أحيانا غير مفهومة ، وأما لكى تحمل زوجتى على تصديق التأكيدات الصادرة من ابنتها .

وفى الجلسة الأولى أضافت ألكسندرين — بعد اذ قالت انهـــا هى بشخصها التى ظهرت فى الحلم لأمها ، وان الطرقات التى سمعت فى ذلك اليوم احدثت للاشارة الى وجودها ، ولمحاولة تعزية والدتها بأساليب اشد من غيرها تأثيراً — أضافت قائلة : « يا أمى الصغيرة لا تبك بعـــد الآن لاننى سأولد من جديد عن طريقك ، وقبل عيد الميلاد سأكون معكم » . ثم استمرت فى الحديث قائلة : «يا أبى العزيز اننى عائدة اليكم، يا أشقائى الصغار اننى عائدة، يا جدتى اننى عائدة . قولوا لأقربائى الآخرين وللعمة كاترين Catherine اننى سأكون قد رجعت اليكم قبل عيد الميلاد» . . وهكذا ظلت تكرر القول الى جميع الأقارب والمعارف الآخرين الذين كانت تربطها بهم احسن الصلات فى اثناء وجودها القصير .

ويكون من الممل ان نورد جميع الرسائل التى حصلنا عليها منها خلال ثلاثة شهور تقريباً ، لاننا اذا تركنا جانباً بعض العبارات الرقيقـــة الموجهة الى بعض اعزائها ، فان هذه الرسائل تتحدث — دائماً تقريباً — وبتكرار ثابت وممل عن ايذان بقرب عودتها الينا قبـــل عيد الميلاد وهى موجهة — كما هى الحال منذ أول جلسة — الى كل واحد من أقاربها ومعارفها .

ولقد حاولنا عدة مرات أن نوقف هذا التكرار المحير ، بأن نؤكد لهذه الروح الصغيرة بأننا سنعنى بأن نبلّغ الى الجميـــع نبـــأ عودتها ، او بالأدق نبأ ميلادها من جديد قبل عيد الميلاد وبغير أن ننسى أى انسان ، لكن بغير جدوى ، لأنها كانت تصر على عدم التوقف الا بعد أن تفرغ من سرد أسماء جميع معارفها .. ومنذ البداية أعلنتنا بأنها لن تتمكن من الاتصـــال بنا الا خلال ثلاثة شهور تقريباً ، لأنها فيما بعـــد ستكون — تدريجياً — أوثق اتصالا بالمـادة ، وأنها ستنام فيها تماماً .

وفى ١٠ أبريل كان لدى زوجتى أولى دلائل الحمل . وفى ٤ مايو كنا فى مدينة فنيتيكو Venetico من اعمال مقاطعة مسينا ، فتلقينـــا نبأ جديدا عن قرب عودتها ، واضافت الروح قائلة : « يا ماما توجـــد

فى احشائك فتاة أخرى أيضاً » . ولما لم نفهم هذه العبارة الأخيرة واعتقدنا أن ثمة خطأ قد وقع تدخلت الروح الأخرى (العمة جان Jeanne) قائلة : « ان البنيّة لم تخطىء ، لكنها لم تحسن التعبير تماماً ، اذ أنها تريد أن تقول ان كائناً آخر يطوف من حولك ، أيتها العزيزة آديل Adèle ويريد أيضاً العودة الى هذه الأرض » .

ومنذ ذلك اليوم أخذت الكسندرين تؤكد فى كل رسائلها ، باضطراد وباصرار ، بأنها ستعود مصحوبة بشقيقة صغيرة ، وبأنها ستكون — بحسب أسلوب حديثها — سعيدة بذلك . وبدلا من أن يكون هذا القول سبباً فى تشجيع زوجتى وتعزيتها كان سبباً فى ازدياد شكوكها وقلقها ، خصوصاً بعد هذه الرسالة الجديدة الفريدة ، وبدا لها أن كل شىء سينتهى بخيبة أمل عظمى .

وفى الواقع كان ينبغى تحقق وقائع كثيرة بعد هذه الرسائل حتى يكون ما فيها صحيحاً — وهى : ١ — أن تصبح زوجتى حاملا فعلا . ٢ — ألا يكون هذا الحمل سبباً فى اجهاضها كما حدث من قبل . ٣ — أن تضع توأمين ، وهو ما لم يحدث من قبل لا لها ، ولا لأى واحد من أسلافها ولا من أسلافى ٤ — ان تضع مولودين انثيين ، لا ذكرين ، ولا ذكر وأنثى » .

ويضاف الى ذلك — فى تقديرنا — اعتبار خامس هام ، وهو أن الولادة حدثت فعلا قبل عيد الميلاد المقبل حسبما ورد فى رسائل الروح ، مع أن الحمل لم يكن قد حدث وقت املاء اول رسالة . كما ينبغى أن يضاف اعتبار سادس ، وهو المشابهة — ولو الى حد ما — بين ملامح الطفلة فى تجسدها السابق واللاحق ، وهو ما نبأت به أيضاً الروح المراسلة وما تحقق بدوره فعلا ، على ما سيرد فيما بعد . ومن المحال رياضياً أن يقال — اذا كانت هذه الوقائع ثابتة — ان تحقق هذه الأمور كلها كان محض صدف عشواء ، أو محض رجم بالغيب وقد تحقق كله مع ذلك !! . .

ثم يقول الدكتور سامونا انه فى جلسة من الجلسات الأخيرة عبّرت زوجته عن الصعوبة التى تجدها فى الاقتناع بعودة الكسندرين ، لأنه من الصعب أن يكون شكل الطفلة القادمة مماثلا تماماً لشكل الطفلة التى فقدتها . وعندئذ بادرت الروح جان الى الاجابة قائلة « ستكونين يا آديل راضية من هذه الناحية ، لأنها ستولد مشابهة تماماً للأولى ، وان لم تفقها جمالا بكثير ، فانها ستكون أجمل منها قليلا » .

وفى الشهر الخامس من الحمل ، كنا فى شهر أغسطس فى سبادافورا Spadafora ، وفحص زوجتى عالم فى الولادة هو الدكتور فنسنزو كوردارو Vincenzo Cordaro الذى قرر لها من تلقاء نفسه : « اننى لا يمكننى أن أؤكد بصفة قاطعة ، ولكن لدىَّ عدة أسباب تحملنى على الاعتقاد بوجود حمل بتوامين » . وكان لهذه العبارة على زوجتى تأثير السحر ، وبدات بارقة امل تلمع فى روحها التى كان الألم قد أضناها وهدَّها ..

وبمجرد الدخول فى شهرها السابع أصيبت زوجتى بآلام مباغتة فى الكلى ، وبأعراض اخرى لمدة خمسة أيام جعلتنا قلقين عليها من لحظة الى أخرى ، وخائفين من حدوث ولادة قبل الميعاد لا يتيسر معها للمولود أو للمولودين أن يعيشوا نظراً لأن الحمل لم يتم سبعة أشهر كاملة . وقد تدخل الدكتور كوردارو لمعاونتها ، وأمكن لحسن الحظ درء الخطر على خلاف جميع التوقعات . وعندما استعادت صحتها تماماً ، وكانت قد انقضت على الحمل سبعة شهور كاملة عدنا الى مدينة بالرمو حيث قام بفحصها طبيب الولادة المعروف الدكتور جيجليو Giglio الذى قرر وجود توامين ..

وفى ٢٢ نوفمبر وضعت زوجتى توأمين عبارة عن طفلتين . أما عن تشابه الملامح ، فان تحقيقه يقتضى بطبيعة الحال زمناً ما ، ويتطلب مراقبة الطفلتين فى أثناء نموهما . ومع ذلك فمن الغريب أنه ظهرت بعض علامات مميزة تؤكد صحة النبوءة ، وتشجع على متابعة الملاحظة ، وتسمح لنا بالاعتقاد بأنه حتى من هذه الناحية لقد تحققت صحة الرسائل حرفياً .

وفى هذه اللحظة لا تتشابه الطفلتان التوأمتان أبداً ، بل ان كل واحدة منهما تختلف عن الأخرى فى الطول ، وفى اللون ، وفى الشكل ، لكن القصيرة منهما تبدو صورة طبق الأصل من « المتوفاة » . اى صورة طبق الأصل من الكسندرين فى لحظة ولادتها الأولى . ومن العجيب أنها تحمل ثلاث خصائص مميزة مشتركة بينهما وهى : احتقان فى العين اليسرى ، وافراز دهنى خفيف فى الأذن اليمنى ، وانتفاء خفيف لتوافق نصفى الوجه asymétrie مماثل تماماً لذلك الذى كان لدى الكسندرين عند ولادتها السابقة » .

التوقيع : الدكتور كارملو سامونا

بعض شهود الحالة

ومع تقريره الخاص قدم الدكتور سامونا عدة تقارير مفصلة من جميع شهود هذه الجلسات الروحيـــة الذين أيدوا صحة الوقائع كما وردت بتقريره الخاص . وروى كل واحد منهم التفصيلات المطابقة التى شاهدها بنفسه ، وهم :

أولاً : شقيقته السيدة كاترين سامونا جارديني C. S. Gardini

ثانياً : الآنســـة آديل ميركانتيني Adèle Mercantini كريمة البروفسور الكبير ميركانتيني .

ثالثاً : البروفســـور رافايل فيجلى Raphael Wigley وهو رجل دين .

رابعاً : المركيز جوزيف ناتولى Joseph Natoli وهو أديب معروف

خامساً : الأمـيرة دى نيسيمى De Niscemi والــدة الدوق ديـــل آرينيلا Dell Arenella عضـــو مجلس النواب الايطالى .

سادساً : الكونت فرديناند مونروى Ferdinand Monroy وهو أديب وسياسى معروف .

رالى هـــذه السلسلة من الشـهادات يضيف الدكتور اينوسننرو كالدرونى رئيس تحرير مجلة « فلسفة العلم » الاعتبارات الآتية :

« ان هذه الحالة جديرة بالتأكيد بأن تنشر فى جميع التقـــاويم الخاصة بالظواهر العليا ، وبأن تدرس بعناية قصوى بمعرفـة راويهـــا الدكتور كلرميلو سامونا الذى يعتبر اسمه نفسه ضمانة كبرى على صحة الوقائع ، وعلى كفاءة الالمـام بها . ولقد نشر فى هذا الشأن مؤلفـــاً هاماً عنوانه « الغاز الروح » الذى حصل به على درجة دكتور من كلية الطب بجامعـة بالرمو ، والذى نال تقريظـاً ضخماً من الصحافة على تنوع اتجاهاتها . كما نال اهتماماً من عدد من العلمـاء الكبار من أمثـال البروفسور شارل ريشيه (١) Charles Richet وغيره .

وقد قال فيه ريشيه « ان هذا الكتاب مصيره أن يصبح كتـــاباً تقليدياً فى العلم الجـــديد » . كما أثار اهتمام العلماء دى روشا (٢)

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٦٣١ — ٦٦٠ .

(٢) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

de Rochas ، وفلورنوا Flournoy ، وبوزانوا (١) Bozzano واجابيتى Agabiti وغيرهم من الأعلام .

ويضيق المقام بطبيعة الحال عن سرد جميع هذه التقارير والآراء ، ناهيك عن النظريات المختلفة عن مصدر الحمل بوجه عام وصلة الجنين به . ومن يريد المزيد فليرجع الى مؤلف العلامة شارل لانسلان عن « الحياة اللاحقة » ، فقد خصص لموضوع الكسندرين مكاناً فسيحاً فيه . كما سرد بعض حالات أخرى قد تعزز صحة هذا الأسلوب فى تحقيق نظرية « العودة للتجسد » ، وهو أسلوب «الاتصالات الروحية»، الى جانب سائر الأساليب الأخرى التى تناولنا بعضها فيما سبق .

وشيد المؤلف على كل ذلك مفهوماً محدداً عن نطاق الادراك بشطريه الواعى وغير الواعى ، وعن صلة الشطرين معاً باللاشعور المطلق ، أو بالوعى غير الشخصى le non moi .ولنا عودة الى ذلك عند معالجة التطور من اللاشعور الى الشعور ، وصلة ذلك بتكوين « الأنا » بحسب آراء جوستاف جيلى .

صور للمقارنة

وفيما يلى نقدم بعض صور الكسندرين فى حياتها السابقة واللاحقة للمضاهاة ، مأخوذة عن نفس هذا المرجع ، الذى لم يشك أحد فى قيمته ، وفى نزاهة الروح العلمية التى هيمنت على وضعه ..



الكسندرين السابقة فى سن ثلاث سنوات وثمانية شهور



الكسندرين اللاحقة فى سن عامين واربعة شهور

(١) راجع ما ورد عنه فى المرجع السابق ص ٦٦١ — ٦٩٠ .



الى اليسار الكسندرين اللاحقة ، والى اليمين شقيقتها التوام
مارى باتش M. Pace وهما فى سن السنتين من عمرهما

* * *

وهذه الوقائع التى حصل بها محققهــــا على اجازة الدكتوراه فى الطب من جامعة بالرمو وايدتها تقارير دقيقة ، وشهد بصحتها الدكتور كالدرون الذى كان ذا سمعة ضخمة فى ايطاليا ، كان لها دويهـا الذى تجاوز الأوساط المهتمة بأمثال هذه الموضوعات . وقد أعقبتها مقالة اخرى للدكتور سامونا ظهرت فى نفس المجلة وهى « فلسفة العلم » فى عددى مايو ويونية سنة ١٩١٣ وقد حلل فيهـــا الدكتور سامـــونا الطفلتين التوامتين تحليلا فيزيقياً ونفسياً . وكان مما ورد فى هــــذا التحليـــل الجـــديد :

ان التفاوت فى الشكل بين التوامتين آخـــذ فى التزايد ، وكذلك التفاوت فى النفسية . ولقد اردت توضيح هذا التفاوت الذى لم يظهر لى مهماً فى مبدأ الأمر ، لكن قيمته ظهرت فيما بعد من زاوية انه يبرز بصورة أوضح من غيرها الشبه الشديد بين الكســـندرين الحاليـــة والكسندرين السابقة ، ومن جهة أخرى من شأنه أن يستبعد من احتمال التـــأثير الايحائى من جانب الأم فى النمو الجثمانى والنفسانى للطفلة الكسندرين الحـــالية ..

فالكسندرين الحالية لا تزال مستمرة فى ابراز تشـــابه كامل مـــع الأخرى التى توفيت .. وعلى اية حال يمكننى ان اؤكد بطريقة مطلقة ان التشابه لا يزال تاماً . وان سلوكها من الناحية النفسية هو نفس سلوك الكسندرين المتوفاة . وبمجرد ما بدات حياة التوامتين فى الدخـول فى صلات مع العالم الخارجى فان اتجاه كل منهما كان مغايراً للأخرى بحيث يمكننا أن نقرر ان كلا منهما تمثل طبيعة متميزة تماماً عن زميلتها .

وهكذا يسرد والد الطفلتين العديد من التفصيلات عن هذا السلوك، ويبين الى اى مدى يوجد شبه صارخ بين سلوك الكسندرين فى حياتيهما السابقة واللاحقة ، حين يوجد تفاوت صارخ بين سلوكها وسلوك التوأم الآخر ، وهو امر غير مألوف بالنسبة للتوائم العادية (١) .

اختبارات اخرى عن طريق الاتصالات الروحية

وهناك حالات مماثلة عن عودات للتجسد كانت متوقعة الحدوث — قبل حدوثها — عن طريق رسائل أو اتصالات روحية محددة :

— ومنها حالة دونها الأمير اميل ف . بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٨٧٤ بمدينة فيفيه Vevey بسويسرا فى رسالة منه الى « المجلة الروحية » (٢) التى تصدر بباريس يخبرها فيها عن حالة طريفة من حالات العودة للتجسد، وهى خاصة بابنه الذى كان يبلغ عندئذ من العمر ثلاث سنوات . وقد ذكر فيها انه قبيل ولادته بقليل تلقى من الأرواح المراسلة معلومات عنه ، وعن أنه سيحوز ملكات شعورية نامية ، لأنه فى حياته السابقة التى امضاها فى انجلترا كان معنياً بتنمية هذه الملكات باتباع طقوس سرية Esotérique .

ومنذ بضعة أسابيع كان ابنى هذا يلعب ويثرثر فى مكتبى وسمعته يتحدث عن انجلترا ، التى لم يتحدث اى انسان أمامه عنها مطلقاً . فسألته قائلا : هل تعرف ما هى انجلترا ؟ .. فأجابنى قائلا : « نعم انها بلادى التى عشت فيها منذ مدة طويلة ، تماماً » ثم دار الحوار بيننا على هذا النحو :

س : هل كنت فيها صغيراً كما انت الآن ؟

ج : كلا بل كنت اكبر منك سناً ، وكانت لدى لحية طويلة .

س : وهل كانت ماما وانا كما نحن الآن ؟

ج : كلا لقد كان لى بابا وماما آخرين .

س : وماذا كنت تفعل ؟

ج : كنت اقوم كثيراً باشعال النار ، وذات مرة أصبت بحروق وتوفيت بسببها » (٣) .

---

(١) للمزيد يراجع شارل لانسلان . المرجع السابق ص ٣٠٩ —٣٦٣ . كما تجد فيه وقائع اخرى مماثلة .

(٢) سنة ١٨٧٥ ص ٤٨

(٣) يبدو أن اشعال النار كان من ضمن الطقوس السرية التى كان هذا الشخص يمارسها فى تجسده السابق بانجلترا .

ـ وثمة حالة أخرى وردت فى « المجلة العلمية والخلقية للروحية » (١) وكانت مدونة فى مضبطة جلسة روحية عقدت بمدينة ليون بفرنسا وفيها قرر أحد الوسطاء ان طفلة ما ستولد فى أسرة معينة ، وسيكون فى جبهتها أثر جرح ملتئم بالنظر الى أحداث معينة مرت بها فى حياتها السابقة . وقد ولدت فعلا الطفلة بتلك العلامة المميزة .

ـ وثلاث حالات أخرى أوردتها مجلة « التقدم الروحى » (٢) فى عددى ٥ فبراير و ٢٠ مارس سنة ١٨٩٨ تبين أن الأرواح تعود الى الأرض ، وهى متعلقة بوسطاء لاحداث « الطرقات الكاتبة » أو « للكتابة التلقائية » وقد أعطوا تنبؤات صادقة عن عودات لتجسدات معينة .

اختبار آخر

وهذا اختبار فريد أورده الأسقف ك. و. ليدبيتر C.W. Leadbeater فى أحد مؤلفاته وهو « الجانب الآخر للموت » (٣) . وهو خاص بسيدة فى السادسة عشر من عمرها تزوجت منذ عام ، وتجهل كل شىء عن الوساطة ، وعن الروحية ، وعن العودة للتجسد ، ولم تسمع أحداً يتحدث أمامها عن هذه الأمور .

وبمجرد احساسها بالحمل روت لأمها انها تشعر بأن كائناً غير منظور يلازمها كظلها ويراقب عن كثب كل حركاتها ، وأفكارها . وقالت انها تعتقد أن هذا الكائن عبارة عن كائن ثانوى له مظهر سيدة تكبرها بعدد وافر من السنين ، وهذا الوجود أصبح تدريجياً أكثر كثافة . وبعد مضى ثلاثة شهور من احساسها الأول بوجود هذا الكائن قالت انها بدات تتلقى بالالهام بعض رسائل مطولة مما وصفته بأنه « مقابل » لها .

واظهر هذا الكائن بكل وضوح اهتمامه وقلقه على سعادتها ، واخذ يتبادل معها محاورات طويلة . واعطى لها اسمه ، وأصله ، وتفصيلات عديدة عن حياته السابقة . وظهرت عليه لهفة شديدة على أن يكون معروفاً ومحبوباً من امه المستقبلة ، وبذل جهداً ضخماً لكى يبدو لها ظاهراً ، واخيراً نجح فى ذلك . وكان يكفى لهذه السيدة الشابة أن تجعل الغرفة فى حالة نصف ظلام لكى يظهر هذا الكائن وجوده أمامها .

---

(١) LaPevue Scientfique et Moiale du Spiritisme
عدد ابريل سنة ١٩٨٥ .

(٢) Le Progrès Spirite

(٣) L'Autre Coté de La Mort.

والى هذا الحد كان المعتقد ان الحالة لا تخرج عن نطاق الحالات النفسية المرضية ، ولكن قبل أسبوعين أو ثلاثة من الولادة اخذت هذه الروح تظهر لأمها المستقبلة أن السبب الرئيسى لوجودها هو رغبتها فى أن تشغل الشكل الجديد لولادتها حتى تكمل اختبارها الأرضى الذى انتهى قبل الاوان . واعترفت السيدة الصغيرة بأنها لم تفهم جيداً فى تلك اللحظة ماذا كان يريد هذا الكائن أن يقوله ، لكنها رغم ذلك لم تكن مضطربة .

وفى الليلة السابقة على ولادة طفلتها الصغيرة ، شاهدت « تلك الصديقة » للمرة الأخيرة ، وقالت لها هذه الأخيرة : « اقتربت اللحظة ، فكونى شجاعة وسيسير كل شىء على ما يرام » .. ومنذ ولادتها قالت الأم الصغيرة انهاترى فىملامح طفلتها صورة كاملة ودقيقة للروح التى اختفت ، وفى نفس الوقت لم تكن الطفلة تشبه أى فرد فى الأسرة .

وبعد مضى عدة سنوات ، وكانت تفصيلات هذا الاختبار المذهل قد نسيت تقريباً ، وقع بصر الأم مصادفة على كتاب قديم يتضمن سرداً تفصيلياً لحياة المراة التى عاشت فيها . وكانت أحداث حياتها مطابقة للأحداث التى روتها الى أمها الصغيرة فى خلال شهور الحمل .. ولما كانت تلك الأم الصغيرة تخشى الافضاء بما جرى للآخرين ظلت تحتفظ به لفترة طويلة . وعندما بلغت ابنتها الخامسة عشرة من عمرها روت الأم الواقعة لأحد الحاضرين وحددت اسم الكائن الذى كان يلازمها، وعندئذ حولت الابنة وجهها ناحية الأم قائلة لها « الم يكن أبى يسمينى بهذا الاسم فيما مضى » ؟ وذلك مع أن والدها كان قد توفى عندما كانت فى السنة الأولى من عمرها !!

ولما نفت لها الأم ان والدها كان يسميها بهذا الاسم أجابتها قائلة: « ولكننى متأكدة من أننى اذكر ان شخصاً ما كان ينادينى بهذا الاسم » . وقد حرر الأسقف ليدبيتر هذه الوقائع فى خطابه الى رئيس تحرير مجلة « المفكر المتقدم » (١) ، نقلا عن خطاب تلقاه من نيومكسيكو .

ولا يمكن بطبيعة الحال الجزم بصحتها ، ولكن تسلسل الوقائع يلتئم التئاماً غريباً مع مبدأ العودة للتجسد ، ويتعذر ابتكارها الا من شخص ملم بالكثير من جوانب هذا الموضوع ، الذى اخذت تترى التحقيقات اللاحقة الى جانب اثباته لا الى جانب نفيه .

---

(1) The Progressive Thinker.

متابعة

وهذا اختبار آخر روته مجلة « العالمين » Two Worlds وهى مجلة متخصصة فى الموضوعات الروحية وتصدر بانتظام منذ ثمانية وثمانين عاماً ، وعرف عنها الاعتدال ، مع الصدق ، ومقتضاه ان دائرة روحية كانت تعقد بانتظام ، وكانت تتلقى رسائل من روح يدى داود .. وفى ذات يوم أعلن داود انه لن يتمكن من العودة ثانية الى هذه الدائرة لأنه على وشك أن يعود للتجسد على الأرض ، وبعد ذلك انقطعت اخباره عن الدائرة لمدة عامين .

وبعدئذ عاد من جديد للهيمنة على وسيطة الغيبوبة فسألته هذه قائلة : « لكنك قلت انك كنت على وشك العودة للتجسد على الارض فماذا جرى ؟ » . فكان جوابه « نعم لقد تجسدت فى أثيوبيا ، ومت بعد مضى عام واحد بسبب سوء التغذية ! » .

ويبدو أن داود هذا كان روحا متطورة ، ولم يكن بحاجة لأكثر من المكوث لمدة عام واحد فى بقاء اليم على الأرض الى أن تحرر من جسده الأرضى من جديد بسبب سوء التغذية . ويمكن بحسب رأى مجلة « العالمين » هذه القول بأن عودة داود للظهور على الأرض فى صورة طفل تعيس كانت عودة قصيرة الى حد أن فردية داود لم تستحوذ على المركبة الفيزيقية الجديدة الا استحواذاً جزئياً ، ثم سرعان ما توفى بسبب سوء التغذية . وبعد هذه الاقامة القصيرة استرجع فوراً شخصيته القديمة (١) .

ويقول محرر هذا المقال انه فى دائرته المنزلية الخاصة قرر الروح المهيمن على الوسيطة كاترين Catherine انه لن يمكنه العودة الى هذه الدائرة لأنه كان على وشك العودة للتجسد . كما قال هذا الروح للوسيطة انه كان شقيقاً لها فى تجسد سابق بجبال الهملايا . ويقول محرر المقال ان هذا الروح عندما كان يتحدث عن طريق وسيطته أحاديثاً مسجلة على شريط التسجيل ، ابدى دهشته مما يجرى الآن فى القرن العشرين ، واخذ يوجه النقد الى اسلوب الحياة الحاضرة !.

كما قال أيضا انه قد سبق له التجسد — كما سبق لوسيطته التجسد أيضاً — بعد تلك المرة التى تجسدا فيها معاً منذ زمن بعيد بوصفهما

---

(١) بحسب بعض رسائل الارواح لا يكون اندماج الكائن المتجسد فى جسده الفيزيقى اندماجا تاما الا بعد سن العشرين فى المتوسط . وأحيانا يظل الاندماج سطحيا جدا ، وقد يعطى هذا الاندماج الجزئى السطحى بعض الاعراض النفسية أو العصبية التى لا يجدى فيها العلاج .

شقيقاً وشقيقة ، لكنه الآن يعود اليها بوصفه راساماندا سRasamandas وهو اسمه فى تجسده القديم .

ويلاحظ محرر المقال ان المعلمين الروحيين يتحدثون على الدوام عن الأرواح العريقة والأرواح الشــابة ، فماذا يعنى ذلك ؟ انه يعنى أن الأرواح العريقة هى تلك التى قطعت طريق التطور فى الاختبار من داخل ومن خارج رداء المــادة لمدى أزمان بعيدة . اما الأرواح الشابة فقــد بدأت منذ زمن قريب رحلتها فى تكوين فرديتهـــا فى استقلال عن روح الجماعة . وغنى عن القول انها كلها تمثل شعلات من الجوهر المقــدس تنجز ـ خلال اختباراتها ـ تطور وعيها الخاص .

فهل بمقدور اى انسان ان يكون جاداً عندما يتصور انه عنــدما يتجسد كائن على الأرض لمدة بضع ساعات ، أو شهور ، أو سنوات فى حالة الطفولة ، يمكنه أبداً أن تتاح له فرصة اختبار الدروس التى لايمكن أن تختبر الا اذا ارتدى الكائن صورة فيزيقية ؟!.

وهل بمقدور اى انسان أن يكون جاداً عندما يتصــور أن ملايين الكائنات التى تبدأ تطورها فى بطون امهاتها ، ثم تطرد منهـــا عن طريق الاجهاض ، يتعذر عليها أبداً ان تبدأ طريقها من جديد ؟ وهل هذا يعكس فى شىء العدل الالهى ؟ ! (١) .

اختبارات لها دلالتها فى تجسدات الأرواح .

ومن الاختبارات الخطيرة التى لها دلالتها ايضاً ما حدث فى بعض غرف الجلسات الروحية فى أثنــاء تحقيق ظواهر تجســدات الأرواح فى ظروف مؤاتية . فقد تجســدت أرواح تجســداً تاماً أو جزئيـــاً ، ولكن ليس فى صورتها كما كانت فى حياتها الأخيرة ، وهذا هو الوضــع المألوف الذى يحدث عادة ، بل فى الصورة التى كانت عليها فى حيــاة سابقة لها ، اذا ما عادت اليها ذاكرة هذه الحياة السابقة واضحة . ومن المعروف ان اساس التجسد هو قدرة ذاكرة الروح على التــأثير فى مادة الاكتوبلازم المنبثقة عن الوسيط (٢) .

فكما أن الروح تفضل عادة ان تتجسد فى شكلها الأخير حتى يتعرفه عليها الحاضرون ، رغم انها قد تكون استعادت شبابها تدريجياً فى عالم الأثير ، فكذلك يمكنها أن تتجســد ـ بحكم تأثير ذاكرتها فى الاكتوبلازم فى صورة اخرى كانت لها فى حياة سابقة لتجسدها الأخير .

---

(١) عن مجلة « العالمين » عدد فبراير ١٩٧٥ ص ٣٦ — ٣٨ .

(٢) راجع « مفصل الانسان روح لا جسد » الجزء الأول ص ١٧٧ .. ٢٠٨ .

وقد سجل حدوث عدة تجسدات من هذا النوع الأخير بحاث لهم مكانتهم : منهم القس مارتن لجبلاد **Martin Liljeblad** (١٨٧٣ — ١٩٥١) (١) الأسقف السويدى الذى يقول انه حضر فى سنة ١٩٣٨ عدة جلسات تجسد مع الوسيط الدانيمركى المعروف انير نيلزن **Einer Nielsen** (١٨٩٤ — ١٩٦٥) (٢) فى كوبنهاجن ، وشاهد هذه الظاهرة عند تجسد روح القس توماس كنجو **Thomas Kingo** (١٦٣٤ — ١٧٠٣) الذى روى له أن له تجسداً آخر لاحقاً كعامل فى حقل عنب بألمانيا .

وثمة أمثلة أخرى فى التجسدات التى قدمها العلامة الألمانى المعاصر فى الباراسيكولوجى هانز جيرلوف **Hans Gerloff** (٣) والسيدة نويجرات **Noeggerath** (٤) تؤكد انه قد يمكن للروح أحياناً أن تظهر خلال أساليب متعددة من الوساطة ، ليس فحسب فى صورة تجسدها الأخير ، بل فى صورة بعض تجسدات سابقة .

واذا تركنا جانباً المفاهيم القلقة المرتبطة بكلمة « نفس » و « روح » فان هذا يعنى — بحسب رأى البحاثة كارل موللر — أن شطراً فحسب من روح الانسان الكلية يكون نشطاً خلال التجسد الواحد (٥) .

وكثير من البحاث يؤكد هذا المعنى الذى أشرت اليه فى أكثر من موضع سابق ، وهو وجود وعى للانسان وهو خارج الجسد أسمى وأوسع نطاقاً عن وعيه وهو معتقل فى الجسد ، وهذا الوعى الأسمى قد تظهر بعض ومضات منه حتى قبل التحرر من الجسد المادى بالوفاة وهو صاحب الفضل الأول فى ظواهر الالهام ، وغيره من ظواهر الادراك عن غير طريق الحواس **E. S. P.** (٦) . فلماذا لا يلعب هذا الوعى الأسمى دوره فى التجسدات أيضاً ، وهى لا تخرج عن كونها من الظواهر الروحية الخاضعة لتأثير العقل فى المادة تأثيراً مباشراً ؟ ! ...

---

(١) المرجع السابق . ص ٦١٧ — ٦١٨ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٦٤ — ٢٦٥ ، ٦١٨ — ٦١٩ .

(٣) عن المرجع السابق . ص ٦٠٨ — ٦٠٩ .

(٤) هى السيدة روفينا نويجرات **Ruffina Noeggerath** ولها كتاب عن « دوام الحياة بعد الموت » **Survie** (باريس ١٨٩٧ وله طبعة ألمانية فى سنة ١٩٠٤) وقد تناولت شرح تجارب عديدة لها فى هذا الشأن .

(٥) عن كارل موللر : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٦) راجع ما ورد فى « الفصل » . الجزء الثانى ص ١١٢ — ١٢١ ، ٤٥٣—٤٩٢ .

اعتبارات ينبغى ان تراعى

وبالاضافة الى ما تقدم فان عدداً كبيراً من أصحاب المواهب الوساطية المتنوعة قدم بيانات محددة كثيرة عن تجسدات معينة له مستعيناً بذاكرته الواعية ، أو بارشادات يقال انها منسوبة الى أرواح مراسلة ، واحياناً قد تكون مؤيدة ببيانات محددة ، أو برسوم ، أو بصور ، أو بأصوات مباشرة ، أو بتفوهات غيبوبة ، أو بتنبؤات معينة .

ولا ينبغى تقبل جميع البيانات على علاتها ، فقد تكون مشوبة بجانب قليل أو جسيم من الوهم ، أو من الخطأ ، أو من الايحاء ، أو من التسرع فى الاستنتاج من جانب الوسيط ، أو من جانب روحه المرشد أو المراسل . وينبغى دائماً أن نضع فى الاعتبار أن الأرواح المراسلة فيها حشد هائل من محبى الهزل ، والكذب ، والادعاء . وفيها من يزعم كذباً الاطلاع على حقائق الأمور ، أو الالمام بخفايا الوجود . بل فيها من ينتحل لنفسه صفة النبوة ، بل الألوهية أيضاً . وفيها حشد هائل من أصحاب العقليات المضطربة ، أو الأخلاق الضعيفة ، أو المعلومات الخاطئة .

فينبغى اذا أن نخضع كل قول وكل زعم لأسلوب التحليل الناقد والتمحيص الدقيق ، كما هى الحال ــ بالضبط ــ بالنسبة لأقوال سكان الأرض ومزاعمهم ، ففيهم أيضاً خليط لا ينتهى من كل المستويات والأصناف والاتجاهات كما نعلم جميعاً . وعندما يأتى الارشاد الروحى من مصدر أهل للثقة فهو يأتى عادة لمساعدة انسان فى التغلب على بعض الصعوبات الراهنة التى قد يواجهها عن طريق الكشف عن بعض جوانب ماضيه السحيق ، أو لمساعدته فى محاولة الحصول على المزيد من التطور الروحى .

كما ينبغى أن نضع فى الاعتبار أن الوعى الانسان لا يتجسد بكامله فى التجسد الواحد ، بل ان اغلبه يظل خارج نطاق التجسد ، وبالتالى مخبوءاً فى اللاشعور ، وهو أمر قد يفسر فى حالات عديدة عدم وضوح التطابق المتوقع بين شخصية الانسان فى حاضره وشخصيته فى ذلك الماضى السحيق . بل ظهور تفاوت أو تناقض جلى فى بعض الأحايين . وعلى أية حال فان كل اعتبار ينبغى أن يوزن وزناً دقيقاً ــ ومعه كل احتمال متصور ــ عند دراسة اية بيانات للحكم لها أو عليها .

وينبغى أن نضع فى الاعتبار أيضا أن ظواهر تجسد الأرواح ، وهى ظواهر قد خضعت لتحقيقات جادة كثيرة تحت ادق صور الرقابة العلمية[١] ، هى فى حقيقة الأمر ظواهر عودة للتجسد أيضاً ، لأن جميع

---

(١) راجع ما ورد فى هذا الشأن فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٥٢٧ ـ ٦٣٠ ، ٦٣٤ ـ ٦٤٩ ، ٦٥٢ ـ ٦٥٥ ، ٦٦٤ ـ ٦٨٠ .

الأرواح التي ثبت تجسدها عن طريق استعارتها لمادة الاكتوبلازم من جسم الوسيط أو الوسيطة انما هي أرواح سبق لها العيش على الكوكب الأرضي لفترات تتفاوت في مداها .

فاذا كان بمقدور الروح أن تعود للتجسد لمدة بضع دقائق أو لحظات عن طريق استعارة عنصر معين من دم الوسيط أو الوسيطة ، فان عودتها للتجسد لبضع سنوات عن طريق استعارة جسم آدمي من أحشاء الأم ، يصبح أمرا متصورا من الناحية البيولوجية .

ويتقوى هذا الاحتمال اذا روعي أن هذه التجسدات تأخذ أحجاما واشكالا متنوعة . وانها تمر بمراحل مختلفة بحسب قدرة الروح ، وطاقة الوسيط ، وكثافة الاكتوبلازم المنبعث منه ، وطول المثابرة ، والخضوع للمران الكافي . وهذه كلها أمور غريبة على أذهاننا الآن ، لكن حققها علماء مدققون كبار وتثبتوا من صحتها بكل السبل . ولعل ما سيرد فيما بعد عن « الهيولى المحايدة » التي ليست هي بعقل ولابمادة ، أو بالأدق هي بين العقل والمادة ، أي تجمع بين خصائص الاثنين معاً ، ما قد يلقي أضواء لها قيمتها على تفسير هذه الظواهر المفرطة في أهميتها .

المبحث الخامس

آراء بعض الأرواح
في شأن العودة للتجسد

عن موقف الأرواح بوجه عام

مما يسترعي الانتباه أن الأرواح التي تنادي بصحة العودة للتجسد ، والتي تقيم شطرا هاماً من فلسفتها عن علاقة الانسان بالكون على هذه العودة هي ابرز الأرواح المعلمة ذات التعاليم الراقية : ومنها مثلا هوايت ايجل White Eagte (أي النسر الأبيض) ، وسيلفر بيرش Silver Birch (أي الغصن الفضي) ، وهوايت راي White Ray (أي الشعاع الأبيض) ، ورد كلاود Red Cloud (أي الغيم الأحمر) ، وأجاشا Agasha ، وفلتشر Fletcher ، وزودياك Zcdiac ، وجوهانز Johannes ... وغيرهم كثيرون .

وبطبيعة الحال ليس مجرد اصرار الأرواح الراقية على القول بالعودة للتجسد معناه صحة هذا الاعتقاد ، خصوصا وأنها تسلم بصعوبة اثباته معمليا في جميع الحالات نظرا لأن الأصل هو نسيان كل وجود

ارضى سابق للانسان ، وانزلاق هذا الوجود الى اللاشعور بوصفه مجرد لبنة خفية فى بنيان ما تعودنا أن نصفه بأنه « التكوين الفطرى الروحى للانسان » بما له وما عليه ، ولكن فى الواقع انهـا تستند الى أسانيـد لهـا وجاهتها ، ولا يصح المنصف الا أن يوليها حقها من العناية . وهذه الأسانيد بعضها يغلب عليه الطابعان الفلسفى والنظرى ، وبعضها الآخر ذو طابع يقبل التحقيق العملى .

وغنى عن البيان أن هذا الاعتقاد فى العودة للتجسد مرتبط وثيـق ارتباط بمبدأ حرية الارادة الانسانية ، وبالتالى بمسئولية الانسان الخلقية عن افعاله . وفى الواقع اننى لم أقـرأ أن روحا واحدا انكر مبدأ هـذه المسئولية الخلقية المتوقفة على مدى ما يتمتع به صاحبها من حرية الختيار مهما كانت مقيدة ، أو تبدو مقيدة بقيود الميراث ، والبيئة ، والعصر .

وليس معنى ذلك بالمرة أن ثمـة اجماعا من الأرواح على صحة مبدأ العودة للتجسد ، فالاجمـاع محال بين البشر هنـا أو هنـاك فى الأمور المعنوية المتصلة بتكوين الروح وبماضيها السحيق فى مستوى المـادة أو مستوى الأثير .

ولذا فان ثمة ارواحا عادية سئلت عن العودة الى التجسد فنفتها . ويقول الفيلسوف آلان كاردك Allan Kardec فى هذا الشـأن ان الأرواح التى تتصل بنا فى فرنسا من أنصار العـودة للتجسد كمـا لو كانوا من براهمة الهند ، أو من فقهـاء الكنيسة الأوائل مثل سانته أوريجـين Origène الذين نادوا بالوجود السبقى للروح على الحياة الارضية . والذين نظروا الى التجسد بوصفه وسيلة لتطهير الروح فى المـاضى وفى المستقبل حتى تعلو الروح الى « أجواء الأرواح النقية » ، وهو تعبير يوجد فى مؤلفـات كاردك كما يوجد فى كتابات البراهمة .

اما الأرواح التى تتصل فى امريكا وانجلترا فمنها عدد يسير كان ينفى احتمال العودة للتجسد وهـذا التعارض يفسره كاردك نفسه بأن الأرواح التى تتصـل بنا كثيرا ما تكون ارواحاً دنيا ، وهذا اعتبار يجعلنا نفهم لمـاذا ان الرسائل كثـيرا ما تكون تافهـة ، أو مضـللة ، أو حتى منافية للآداب .

ولأن الانجلو سكسون فى غالبيتهم ينتقلون الى العـالم الآخر على رفض مبدأ العـودة للتجسد ، فانهم عندما يتصلون بالأرضيين يصرون على هذا الرفض ، خصوصا وأن التجسد الجديد قد يعود بهم فى شعب ملون وهذا ما لا يطيقه شعورهم بأنهم أسمى من الملونين كثيرا ! ! لذا

لا ينبغى التعويل فى هـذا الموضوع على اقوال الأرواح العـادية بل على اقوال الأرواح المتطورة التى ارتقت كثيرا . والتى نلمس رقيها من عمـق أفكارها وترابطها ، والتى تدافع فى كل مكان عن مبـدأ العودة للتجسـد هذا ، وتقدم له أسانيد فلسفية ووضعية ضخمة يتعذر رفضها جملة ، خصوصا اذا جاءت متسقة مع الكثير من الحقائق العـامة عن التطـور والعقل ، واللاشعور ، والأحلام ... على ما سيرد فيما بعد .

واضيف الى ذلك أن الآراء المعترضة على مبدأ العودة للتجسـد اخذت فى التراجع الواضح حتى عند الأنجلو سكسون ، الى حد اننى لا اجد فى مراجعهم الحديثة سوى تأييـد متزايد لهـذا المبـدا . وهو تأييد منسوب — فى الكثـير من الأحيـــان — الى اقوال نفس ارواحهم المراسلة ، سواء منها تلك التى تنشرها المراجع المختلفـة ، أم تلك التى تنشرها النشرات والصحف الروحية التى يصلنى بعضها بانتظام .

كما أضيف اعتبارا آخر سجله شو دزموند Shaw Desmond مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن عندما قال « انه يحدث فى معظم جلســات الاتصــال بالأرواح أن يؤثر فـكر الوسـيط وكذلك فكر الحاضرين قليـــلا ، وكثيرا بطريقـة غير مباشرة ، فى الرســالة الأصلية ... وكثير من الوسطاء لا يؤمن بالعودة للتجسد على الرغم من ايمـان الأرواح المرشدة به ، ويمكننى القول بأن جميع المرشدين البارزين يعتقدون تماما فى العـودة للتجسد لاكتســاب الخبرة فى الأرض التى تقوم بدور المدرسة ... » (١) .

من حوار بين كاردك ولفيف من الأرواح الراقية

وقد اجـرى آلان كاردك محاورات طـويلة مع لفيف من الأرواح الراقيـة حول هذا الموضوع أوردها مفصلة فى « كتاب الأرواح » (٢) ، وهى محاورات قيمة ، ولا يتسع هذا المقـام لايرادها كلها ، خصوصا لان كثيرا من المعـانى المستفادة منها قد ورد فى مواضـع أخرى سابقـة ولاحقة ، وانما نكتفى بايراد بعض أجزاء منها عن طبعة سنة ١٩٤٧ من هذا الكتاب : —

— كيف يتأتى للروح التى لم تبلغ حـد الكمال على الاطــلاق فى اثنـــاء حياة الجسد أن تكمل تطهرها ؟

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٣٨ .

(٢) Le Livre des Esprits.

وراجع ما ورد عن آلان كاردك فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٦٨ — ٤٦٩ . وفى باب « الثواب والعقاب » من الجزء الثالث .

ـ يتحمل محنة تجسد جديد .

ـ كيف يتأتى للروح أن تنفذ هـذا التجسد الجديد ؟ هل بتطورها كروح ؟

ـ ان الروح بلا ريب تتطور عند تطهرها ، ولهـذا الاعتبار بالذات تلزمها محنة العيش الجثمانى .

ـ اذا فللروح عدة وجودات جثمانية ؟

ـ نعم فلجميعنا وجودات متعددة . وأولئك الذين يقولون لكم عكس ذلك يرغبون فى الابقـاء عليكم فى نفس الجهالة التى يعيشون فيها هم انفسهم . فهذه هى رغبتهم .

ـ يبدو كنتيجة لهـذا المبدأ ان الروح بعـد أن تغـادر جسدها المـادى قد تتخذ لها جسدا آخر ، أو بعبارة أخرى أنها تعود للتجسد فى جسد جديد ، فهل هذا هو المفهوم ؟

ـ ان هذا أمر واضح .

ـ ما هو هدف العودة للتجسد ؟

ـ التكفير ، والتقدم التدريجى للانسانية ، وبغير ذلك أين كانت ستوجد العدالة ؟

ـ هل عدد مرات التجسد محدد ، أم أن الروح تعود للتجسد الى ما لا نهـاية ؟

ـ فى كل وجود جديد تخطو الروح خطوة جديدة فى طريق التقدم ، وعندما تتخلص من كل أوجه قصورها ، لا تعد بها حاجة لمعـاناة محن الحيـاة الأرضية .

ـ هل عدد مرات التجسدات واحد للجميع ؟

ـ كلا : ان من يتقدم سريعا يوفر على نفسه المحن . وكل هـذه التجسدات المتتابعة دائما متعددة جدا ، لأن التقـدم يبـدو تقـريبا بلا حدود .

ـ وماذا تصبح الروح بعد تجسدها الأخير ؟

ـ روح سعيدة تماما ، لأنها روح نقية .

ـ ما هو أساس عقيدة العودة للتجسد ؟

ـ عدالة الله ، والكشف عنه ، لأننا نكرر بلا توقف القول بأن الأب الصالح يدع الباب دائما مفتوحا لأولاده لكى يندموا . ألا يقول لك المنطق

انه يكون من الظلم أن يحرم نهائيا من السعادة النهائية ، وبلا رجعة ، كل أولئك الذين لم يكن فى وسعهم التقدم ؟ أليس جميع البشر أولاد الله ؟ ان الرجال الانانيين فقط هم الذين نجد لديهم الظلم ، والحقد الغشوم ، والعقوبات التى لا تغتفر للآخرين » .

ويعلق كاردك على هذه الاجابات قائلا : —

« ان جميع الأرواح تميل نحو التقدم ، ولقد زودها الله بالوسائل عن طريق اختبارات الحياة الجسدية . لكنه فى عدالته يترك لها أن تنجز فى وجودات جديدة ما عجزت عن تحقيقه أو انجازه فى اختبار سابق .

وليس من العدل ولا من الرحمة الالهية أن يعاقب نهائيا اولئك الذين يكونون قد صادفوا عقبات خارجة عن ارادتهم حالت دون تقدمهم ، وفى نفس البيئة التى عاشوا فيها . واذا كان مصير الانسان محددا بعد الموت بطريقة لا تقبل التعديل ، فان الميزان الالهى لن يكون واحدا بالنسبة لجميع البشر ، ولن يكون خلوا من التحيز .

ان فقه العودة للتجسد ، أى ذلك الفقه الذى يتقبل عدة وجودات متتابعة للانسان هو الفقه الوحيد الذى يلتئم مع الفكرة التى لدينا عن عدالة الله بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون فى مستوى معنوى أدنى من غيرهم ، وهى الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر لنا المستقبل ، والتى تستقر عليها آمالنا ، لأنها تتيح لنا الوسيلة التى بها نمحو أخطاءنا عن طريق اختباراتنا المتجددة . فالعقل يقودنا اليها ، كما ان الأرواح تنادى بها .

والانسان الذى يشعر بأنه أدنى من غيره يجد فيها أملا معزياً ، فانه اذا كان يؤمن بعدل الله ، فليس له أن يؤمل فى ان يصبح مساوياً الى الأبد لأولئك الذين كانوا فى سلوكهم أفضل منه . والاعتقاد بأن هذه الصفة لن تحرمه الى الابد من الحصول على الخير الأسمى ، وأنه سيتمكن من الحصول على هذا الخير عن طريق بذل جهود جديدة ، هذا الاعتقاد سيكون من شأنه تقويته وتشجيعه .

وكذلك ما شأن الانسان الذى يحصل فى نهاية حياته الأرضية على خبرة متأخرة لن يتمكن من الافادة منها ؟ ان هذه الخبرة التى جاءت متأخرة لن تفقد أبدا ، بل ستكون مصدر نفع له فى حياة جديدة » .
(ينتهى تعليق كاردك) .

— هل جميع وجوداتنا الجسدية تتم كلها على الأرض ؟

— كلا ليست كلها ، بل فى العوالم المختلفة . والحياة على الأرض

ليست هى الأولى ولا الأخيرة ، بل هى من أكثف صور الحياة المـادية ، ومن ابعدها عن الكمال .

ــ هل تمر الروح فى كل تجسد جديد من عالم الى آخـر ، أم أن بمقدورها أن تمر بعـدة تجسدات فى نفس الكرة ؟ .

ــ بمقدورها أن تحيا مرات متعددة على نفس الكرة ، ما لم تحصل على تقدم أوفر مما يتيح لهـا المرور الى عالم أسمى .

ــ اذا فنحن بمقدورنا أن نظهر عدة مرات على الأرض ؟

ــ يقيناً .

ــ رهل بمقدورنا أن نعود اليها بعد أن نكون قد عشـنا فى عوالم أخرى ؟

ــ بلا ريب انه سـبق لكم العيش اما بعيدا عن الأرض واما عليها .

ــ وهل من الضرورى العودة للعيش على الأرض ؟

ــ كلا ، ولكن اذا عجزتم عن التقدم عليها فمن الجائز أن تذهبوا الى عالم آخر ليس أفضل منها ، بل قد يكون أسوأ .

ــ وهل ثمة ميزة من العودة للسكنى على الأرض ؟

ــ لا توجد ميزة خاصة ، ما لم تكن العودة لتحقيق مهمة معينة ، وعندئذ يتقدم الانسان فيها كما يتقدم فى غيرها .

ــ ألا يكون الانسان أوفر سعادة اذا ظل روحا ؟

ــ كلا ، كلا ، لأن الانسان سيتوقف عن التقدم ، مع انه يرغب فى التقدم نحو الله .

ــ هل يمكن للأرواح بعد أن تكون قد تجسدت فى عوالم أخرى أن تتجسد على الأرض مع انها لم تظهر عليها أبدا من قبل ؟

ــ نعم كشأن تجسدكم انتم فى العوالم الأخرى ، فان جميع العوالم متضامنة ، وما لا يتم انجازه فى عالم معين يتم انجازه فى عالم آخر .

ــ اذا فقد يوجد على الأرض أشخاص متجسدون للمرة الأولى ؟

ــ يوجد كثيرون ، وفى درجات متفاوتة .

ــ هل يمكن بوسيلة ما التعرف على الروح التى تظهر متجسـدة لأول مرة على الأرض ؟

ــ ان ذلك سيكون عديم الجدوى .

— هل يلزم للوصول الى الكمال والى السعادة القصوى التى هى الهدف النهائى لجميع الأشخاص المرور بالتجسد فى جميع العوالم الموجودة بالكون ؟

— كلا لأنه توجد عوالم كثيرة فى نفس المستوى ولن تتعلم فيها الروح شيئا جديدا .

— اذاً فكيف نفسر تعدد الوجودات على نفس الكرة ؟

— ان الروح يمكنها فى كل مرة أن تجد نفسها فى مراكز متفاوتة تماما ، فتمثل لها — بنفس المقدار — فرصا متنوعة للحصول على الاختبار .

— هل بمقدور الأرواح أن تحيا جثمانيا فى عالم ادنى نسبيا من العالم الذى سبق لها العيش فيه ؟

— نعم ، عندما يكون عليها ان تؤدى مهمة للمساعدة فى تحقيق التقدم ، وعندئذ تتقبل بسرور متاعب هذا الوجود ، لأنه يتيح لها سبيلا للمزيد من التقدم .

— أليس من الجائز أن يحدث ذلك للتكفير ، وان يرسل الله الأرواح المتمردة الى عوالم ادنى ؟

— بمقدور الأرواح أن تظل متوقفة عن التقدم ، لكن ليس بمقدورها التقهقر للوراء ، وعقابها يكون عن توقفها عن التقدم ، ويتعين عليها أن تستعيد الوجودات التى أساءت استخدامها ، وذلك بما يناسب طبيعتها .

— ما هى الأرواح التى يتعين عليها أن تستعيد نفس الوجود ؟

— هى تلك التى فشلت فى مهمتها ، أو فى اختبارها .

— وهل الأرواح التى تقطن عالما مشتركا وصلت كلها الى نفس درجة التقدم ؟

— كلا ، بل توجد أرواح متفاوتة فى تقدمها ، كما هى الحال على الأرض .

— عند المرور من هذا العالم الى عالم آخر هل تحتفظ الروح بنفس الذكاء الذى كان لها هنا ؟

— الذكاء بلا ريب لا يفقد لكن من الجائز انه لن يملك نفس الوسائل للتعبير عن نفسه ، وذلك يتوقف على مدى تفوقها ، وعلى حالة الجسم الذى سيكون لها (لأن الجسم يؤثر فى الذكاء ، كما أن الذكاء يؤثر فى الجسم) ...

— هل عند العبور من عالم الى آخر يلزم أن تمر الروح دائما بطفولة جديدة (عندما ترتدى جسدا ماديا جديدا) ؟

— الطفولة انتقال ضرورى ، لكن لا يلزم أن تكون الطفولة حمقاء فى كل عالم بمقدار حماقتها عندكم .

— هل تختار الروح عالمها الجديد الذى يتعين عليها أن تقطنه (عند العودة للتجسد) ؟

— ليس دائما ، لكن بمقدورها أن تطلب هذا العالم الجديد ، ويمكنها أن تحصل عليه اذا كانت تستحقه ، لأن العوالم غير متاحة للأرواح الا بحسب مدى تطورها .

— واذا لم تطلب الروح شيئا ، فما الذى يحدد لها ذلك العالم الذى ستتجسد فيه ؟

— درجة تطورها .

— هل الحالة الجثمانية والمعنوية للكائنات الحية تظل كما هى فى كل كرة ؟

— كلا لأن العوالم نفسها خاضعة لقانون التطور ، وكلها بدأت مثل عالمكم فى حالة دنيا ، والأرض نفسها سيلحقها تحول مماثل ، وعندما يصبح الناس عندكم طيبين ستتحول الحياة عندكم الى جنة ارضية » .

ويعلق كاردك على هذا القول بأن الأجناس التى تعمر الأرض حاليا ستختفى يوما ، وستحل محلها كائنات أخرى أرقى منها ، وتلك الأجناس المتطورة ستخلف الجنس الحالى ، كما أن الجنس الحالى حل محل اجناس أخرى أكثر بدائية منه .

— هل توجد عوالم تعيش فيها الأرواح بلا أجساد مادية ، ولايغلفها سوى الجسم الأثيرى ؟

— نعم ، وحتى هذا الجسم الأثيرى قد يصبح رقيقا الى حد ان يبدو كما لو لم يكن له وجود بعد ، وتلك هى حالة الأرواح النقية .

— اذا فلا يوجد حد فاصل بين حالة التجسدات الأخيرة وحالة الروح النقية ؟

— هذا الحد الفاصل لا وجود له ، والفارق يمحى تدريجيا ويصبح غير محسوس ، كما يمحى الليل تدريجيا فى أضواء الفجر الأولى(١) .

---

(١) من آلان كاردك . المرجع السابق ص ١٤٧ — ١٥٥ . ويلى ذلك مناقشات مستفيضة مع الارواح انتهت فى نتائجها الى نتائج تتسم تماما مع تلك المبينة بسائر إجزاء هذا البحث لذا تحاشينا ايرادها منعا للتكرار . ومن يريد المزيد فليرجع الى هذا المرجع القيم جدا ص ١٥٥ — ١٨٥ .

من حوار بين سوافر وسيلر بيرش

وقد ناقش هانن سوافر H. Swaffer نقيب الصحافة البريطانية — وهو لايعتقد بهذا المبدأ — الروح سيلفر بيرش Silver Birch وهو ابرز روح مراسل فى العالم ، بل فى تاريخ الروحية(١) عن هذا الموضوع الخطير مناقشات كثيرة فتمسك سيلفر بيرش بصحة العودة للتجسد واعطى عنها تحليلات كثيرة لها وزنها . وقد جرى الحوار على النحو الآتى : —



سيلفر بيرش
من عمل الرسام الفرنسى
المعروف مارسيل بونسان
Marcel Poncin

— لماذا لم يعطنا عالم الروح اثباتا للعودة للتجسد ؟

— ماذا يمكن أن يكون اثباتا للعودة للتجسد التى لا يمكنك أن تفسرها عن طريق ضبط الروح والسيطرة عليها ؟ انك ستتقبلها فقط عندما يكون وعيك معدا لذلك . . عندما يكون واضحا لك انها القانون . . وهذا هو السبب فى أن هناك كثيرين فى عالمى يقولون ان هذا لا يحدث . . . لأنهم لم يصلوا بعد الى مرحلة الوعى التى يعرفون عندها أن هذا يحدث . . هل يمكن أن يفسر الصوفى مذهبه الباطنى لرجل من رجال الأعمال ؟ هل يمكن أن يفسر الفنان شيئا عن الهامه لهؤلاء الذين لم يوهبوا رقة احساسه ورهافة شعوره أو شيئا عن افكاره الموحاة ؟ انه لا يستطيع . . . انهم فى مستويات عقلية مختلفة .

— هل تعرف الروح متى تكون على وشك أن تتجسد ؟

— الروح تعرف ، ولكنها لا تستطيع أن تعبّر عن ذاتها من خلال العقل ، والروح التى هى الروح العظمى انما تعبر عن ذاتها عن طريق الخلود ، بالتدريج خطوة فخطوة . وهناك عند اية مرحلة لا يزال يوجد جزء عظيم غير واضح لم يعبّر عنه بعد .

— اذن هل الروح تتجسد لاشعوريا ؟

(١) راجع ما ورد عنه فى « المنصل » . الجزء الأول ص ٤٤٣ — ٤٤٤ ، ٧٧١—٧٦٣ .

— يتوقف هذا على حالة تطور تلك الروح . هناك كثير من الأرواح التى تعرف أنها قد تجسدت من قبل ، وهناك أرواح أخرى لا تعرف . ان نفوسها ربما تعرف ، وادراكها ربما يعرف ولكنها ربما لا تكون معروفة لدى العقل (الواعى) . انك على صلة بأعظم أسرار الحياة . وانا اجـد انه من الصعب جدا أن أحصـل على كلمـات فى اللغـة الانكليزية لكى أعبّر بهـا عن الحالات العـامة للروح .

— اذا كانت الحياة فى تغير وتطورمستمرين ، وكانت العودة للتجسد حقيقة ، فكيف يمكننا أن نتحقق من لقـاء أحبائنا بعد وفاتنا والاستمتاع بحياة النعيم التى وُعدنا بها ؟ !

— ان الحب سوف يميّز ويعرف دائما من يقره ويعترف به ، لأن الحب اعظم قوة فى الكون كلـه . الحب سوف يجتذب محبيه دائمـا ، والمحب سـوف يلتقى دائما بمن يحبه .. فليس هناك أى شىء يمكن أن يحول دون الاتحاد بين أولئك الذين يتحابون .

— ولكن مع العودة للتجسد سيكون هناك انفصال مستمر ، فهل هـذا يتلاءم مع فكرة النعيم الأبدى ؟

— ان فكرتك عن النعيم الأبدى لا تتـواءم مع فـكرتى عن النعيم الأبدى . انما الكون وما فيه من القوانين كائن وقائم كما صنعه الخـالق لا كما صنعه الخلق ، والانسان العاقل هو ذلك الذى يغيّر تفكيره عندما يواجه الحقائق الجديدة ، لأنه يعرف تماما انه لا يمكنه أن يبدّل الحقائق لكى يرضى هواه .

اذا كان حقا ما يقال من أننا كنا موجودين خلال حيوات لا عدّ لها قبل هذه الحياة ، فلماذا اذن لم نكن أكثر تقدما وارتقاء ، وأكثر مثالية مما نحن عليه الآن ؟

— انت يمكنك أن توجد فى عالم المـادة وتكون قديسا ، ويمكنـك أن تكون فى العالم المـادى أحط من الانحطاط واتفه من التفاهة . وهذا لا يتوقف على المستوى الأرضى ، بل يتوقف على تطور الروح .

— ألا يزال أمامنا عدد غير متناهٍ من حيوات النضال والكفاح والألم والعذاب علينا أن نجتازها فى المستقبل كتلك التى كابدناها فى المـاضى ؟

— نعم .. عدد غير متناه .. كفاح ومعاناة .. معاناة تجعل الروح بداخلك قادرة على البزوغ نقية ، مطهرة ، معززة ، مؤيدة ، مهـذبة ، مصفاة ، مثـل الذهب ينبثق من الجوهر الخـام بالتحطيم والصـقل والتهذيب الى أن يتكشف أصله عن طريق تلك العمليات .

— اذا كان الأمر كذلك ، فما جدوى فكرة دار البقاء بعد الموت ؟

— ان ما تعتبره اليوم نعيما مقيما لن تعتبره كذلك غدا ، لأن السعادة تكمن فى الكفاح والجهاد . الجهاد دائما لأن الاعلى والأرقى وراء ذلك .

— اذا تجسدت الروح فهل تعود الى نفس الجنسية كما كانت فى آخر تجسد ؟

— ليس ضروريا . انها ستختار المدينة ، والأمة ، والسلالة ، والأسرة ، التى تراها ضرورية لظهورها الجديد .

— هل ينطبق نفس الشىء على مسألة الجنس Sex ؟

— نعم ليس من الضرورى أن تعود الروح بنفس الجنس الذى كانت عليه من قبل .

— هل يمكن أن يكون صحيحا أننا نعاقب على ذنوبنا فى حياة اخرى على الأرض ، كما أننا يجب أن نكفّر عن خطايانا قبل أن نرتقى فى عالم الروح ؟ هل يعاقبنا الله مرتين عن نفس المعصية ؟

— ليست المسألة مسألة عقاب .. وانما هى مسألة ارتقاء . واجب يلزم أن يؤدى .. درس يجب أن يتعلّم ويستذكر .. حلقة اخرى يجب ان تنصهر وتطرق وتدخل فى سلسلة تهذيب الروح وتثقيفها واعلائها والسمو بها . ان العودة للتجسد لا تعنى دائماً انك يجب أن تعاقب .. انها تعنى فى الغالب أن ثمة فجوات أو فراغ ينبغى أن يملأ .. وهذا يمكن أن يكون فى بعض الأحيان تأديباً وتهذيباً للأفراد ، وقد يكون فى احيان اخرى دروساً لم تعرف بعد .. هذا لا يعنى دائماً العقاب .. وانت لا يمكن أن تعاقب مرتين . وحين تكون على علم ودراية « بالقانون » فستعجب من كماله ، لأنه لا يطفف الكيل ولا يخسّر الميزان . القانون كامل ، والشريعة كاملة ، والكمال صفة من صفات الله (١) .

من حوار بين هوايت راى ووسيطته

ونوقش أيضاً الروح المرشد الراقى الذى يرمز لنفسه باسم هوايت راى white ray (الشعاع الأبيض) فى موضوع العودة للميلاد فأيدها ، ملقياً عليها بعض أضواء جديدة . وجرى الحوار الآتى :

— هل من الممكن لمولود حديث انتقل اليكم بعد قضاء بضعة أيام فقط

---

(١) للمزيد راجع الأستاذ عبد العزيز جادو « العودة للتجسد فى المفهوم العلمى الحديث » ص ٢٨١ — ٢٩٥ .

أن يعود فيولد من جديد لنفس الأم اذا حملت جنيناً من نفس الجنس بعد ذلك بفترة قصيرة ؟

— يبدو أن ذلك يحدث بالأكثر اذا أرادت ذلك صاحبة الشأن ، لكنني يؤسفني أن أقول ان ذلك لا يمثل لها حقاً مكتسباً ، ولكن توجد امكانية للأرواح التي كانت لها حيوات سابقة على الأرض أن تعود ثانية اليها في تجسد آخر

واذا كان من الممكن لروح تكون قد عاشت الى مرحلة النضج ، أو الى أبعد منها ، أن تعود الى التجسد ، فان هذه العودة للطفل المولود حديثاً ، الذى توفى ولما يمض عليه على الأرض سوى فترة قصيرة ، تكون أبعد منالاً ، لأن معنى الوفاة بعد فترة قصيرة على الأرض هو أن هذه الروح تكون قد استوفت الدروس التى كان يمكن لعالمكم البشرى أن يزودها بها ، ولكن يلزمها فحسب فرصة اضافية لمدى بضعة أسابيع من الارتباط المباشر بالأرض (عن طريق التجسد) .

وقد يمكنكم أن تقدروا أنه من الطبيعي للانسان الذى استكمل حياة طويلة على الأرض ، ومع ذلك يجد أنه ينبغى أن يعود ثانية لتمضية فترة أخرى عليها ، أن يسمح له بالعودة . ولتفكروا ، ولتتحققوا — كما أخبرناكم من قبل — أن ثمة خطة كاملة وراء ذلك . . . واذا ما تحققتم من كمال الخطط الروحية ، فان عديداً من الوقائع التى تحدث على الأرض ، والتى لا زلتم تصفونها بأنها غير عادلة ، قد يبدو مفهوماً . ولا قيمة لموضوع الجنس Sex عند العودة للتجسد .

— اذاً فمن الصدق القول بأن الأخيار هم الذين يموتون صغاراً ؟

— فى مثل تلك المناسبات أقول نعم ، اذا كانت الاقامة عندكم لفترة قصيرة جداً ، لكن لا يمكننى أن أقرر أن ذلك صحيح بالنسبة لمن ينتقلون مبكراً فى حياتهم الناضجة (أى فى الرجولة مثلاً) .

ولكننى سبق أن أشرت الى أنه اذا كانت العودة للتجسد أمراً صحيحاً ، فانكم لم تمنحوا الشعور بها فى عالمكم لسبب وجيه . فليس من الاختبار العادل أن تعرفوا مقدماً نوع الدروس التى عليكم أن تحصلوها . بل ان عليكم أن تتعلموا أولاً ، وبعدئذ أن تبحثوا فيما اذا كان بمقدوركم اجتياز الامتحان . فليس الأمر عبارة عن مجرد التخصص فى تحصيل الدرس الذى سبق رسوبكم فيه .

وموضوع العودة للتجسد وصل فى أرضكم الى عقول كثيرة ، وحرك عقولاً أخرى أيضاً ، وخلق قضايا عديدة . واذا كان بعض العقول قد تقبل صحة العودة ، فان البعض الآخر ينكرها لأنه ليس بمقدوره أن يجد

اية بينة عليها . وهذا البعض الآخر عليه أن يتفكر فى أمور كثيرة لم يكن هناك اى دليل على صحتها منذ سنوات قليلة ، ومع ذلك ثبتت بعدئذ صحتها لفرط دهشتهم ويأسهم . ومن ذلك مثلاً كشوف العلم الخطيرة التى صنعت لتدمير عالم البشر ، فليرجع أولئك اذاً بذاكرتهم الى الوراء الى الوقت الذى لم تكن فيه هناك اية نية على صحة ذلك .

وانه لأمر حق اننا نقول لكم دائماً من جانبنا أن تؤمنوا فحسب بما لا يرفضه العقل ، ولكن فلتتعلموا مع ذلك أن تكونوا متسامحين فلا تقبلوا أمراً ما دمتم غير مؤمنين به ، ولكن لا تنظروا الى غيركم كما لو كانوا ذوى عقول قاصرة لمجرد انه حدث لكم أن آمنتم بأمر مغاير لهم .

ولا ترفضوا أى شىء لمجرد عجزكم عن تقبله ، فان الله قد خلق العقل كجهاز مفرط فى تزمته وتعقيده ، وهو يستجيب فى أوقات مختلفة الى دوافع متباينة ، ومع ذلك اذا رجعتم بذاكرتكم الى بضع سنوات خلت ستجدون أن عقلياتكم كانت مختلفة تماماً عما هى عليه الآن . وتطور العقلية أمر مستديم أبداً . لأنه بدون استكشاف أسس جديدة للتفكير فان العقل يضحى راكداً ، وعندئذ فان عمل العقل الأعظم يضيع هباء ، وهذا ما لا يمكن أن يكون .

— قلت انه من الجائز للأرواح أن تعود للتجسد بضعة اسابيع فقط لمجرد اتمام تطورها عن طريق ذلك الارتباط المباشر بالأرض ، فبأى أسلوب ، وكيف يتأتى لتلك الروح أن تفيد من اقامة لمدى بضعة أسابيع فحسب ، بوصفها طفلاً حديث الولادة ؟

— ليس من الضرورى أن يكون الاختبار قد اعطى للروح التى عادت للتجسد باقامة مداها بضعة أسابيع ، بل ان هذا قد يكون لتطور الشخصين اللذين تم اختيارهما بوصفهما والدين لهذا الطفل . وهذه العودة تؤدى الى تحقيق الارتباط بين الوالدين والطفل ، أو بالأدق بينهما وبين الروح التى قد عبّرت عن وجودها بوصفها طفلاً .

وعندما تعود تلك الروح الى عالم الروح من جديد قد تجلب — بسبب ارتباطها القصير بالأرض — مساعدة وارشاداً من عالم الروح الى الوالدين . فهذه وسيلة لانشاء ارتباط أوثق مما كان بعالم الروح ، ارتباط قد يعجز عن انشائه الروح المرشد . وهو ارتباط هام جداً حتى ولو كان الوالدين غير متنبهين له .

— هل من الحق أن يقال ان الاختبار الذى قد تحصل عليه الروح عن طريق عودتها للتجسد ، ليس محدوداً بهذه الأرض ، بل

انه يتعين عليها ان تحصل على الاختبار أيضاً من المستويات المتنوعة التي قد تذهب اليها بعد مغادرتها الأرض ، وان الاقامة لمدى بضعة أسابيع على الأرض قد تكون ضرورية لبدأ دورة جديدة فى الحياة ؟

— ان هذا غير ضرورى . وثمة مناطق يمكننا الوصول اليها بطريقة فعالة فحسب عن طريق خدمة عالمكم . ولكن الروح المحتاجة للاختبار يمكنها أن تذهب فى مهمة تطوعية ، بل تذهب خلال الأجواء بدون العيش ابتداءً مرة أخرى على الأرض . وتفهم طريقة الميلاد على الأرض قد يكون احد الأسباب ، لأن علينا ان نتعلم ذلك قبل ان نجيء الى الأرض . ولقد ثبت لنا — من جانبنا — أنه فى المعتاد عندما ترتبط روح بالأرض لفترة قصيرة ، فانها بالأكثر تنسى نفسها ، وترغب فحسب فى خدمة ترقى أولئك المحتاجين للمرور باختبار الظفر بطفل ثم فقده بعد ذلك بأسابيع .

— هل تعرفون أسلوب العودة للتجسد ؟

— اسلوب العودة للتجسد بسيط للغاية ولكنه لا يحدث على نفس الوتيرة فى كل حالة . فهناك أرواح تجيء الى جانبنا تعبّر عن رغبتها فى العودة ثانية الى الأرض ، وتبدى أسباباً وجيهة لها ، فيسمح لها بالعودة . ويكون لها احساس كامل بقرب الولادة حتى تجيء اللحظة التى تدخل فيها الى الحمل الجديد ، ومنذ تلك اللحظة يتوقف احساسها الايجابى بعودتها الى الأرض ويظل هذا التوقف قائماً طيلة حياتها الأرضية . وعندما تعود الى عالم الروح من جديد قد تسترد احساسها بتجسداتها على الأرض .

ولكن هذا لا يحدث لكل انسان ، بل ينبغى أن تعرفوا أنكم لستم كلكم أرواحاً عائدة للتجسد ، وان كنتم كلكم أرواحاً متجسدة . فعديدون منكم لم يسبق لهم فى الماضى العودة للتجسد ، وان جاز أن يعودوا مستقبلاً ، اذا تبين أن العودة ضرورية لتطورهم أو لتطور الآخرين . فالعودة للتجسد كثيراً ما تكون لخدمة تطور الآخرين ، كما تمثل فرصة تمنح الى أولئك الذين نالوا فرصاً عديدة على ارضكم لكنهم أضاعوها . فهؤلاء عندما يدركون فشلهم ويعبرون عن رغبتهم فى التكفير عن هذا الفشل يسمح لهم بالعودة ثانية الى الأرض لكى يثبتوا لأنفسهم انهم بحاجة الى اتمام فهمهم للنواميس .

— هل يشبه ذلك ملحقاً ثانياً لامتحان مدرسى ؟

— نعم اذا شئت أن تنظر للعودة هذه النظرة التى نعبر تماماً عن المغزى . وهكذا ترى انه من الحق أن بعض الكائنات كان على الأرض

شريراً جداً ، ولكن ليس من الصواب الا يمنح هـذا البعض اية فرصة ثانية للخدمة . وبشرط الا تستخدم هـذه الفرصة لتعظيم الذات ، بل بالأقرب لانكار الذات ولتحقيق حاجة البعض للحصول على تفهم مغزى اخوة الآخرين ، هذا التفهم الذى فشلوا فى منحه للآخرين عندما كانوا على الأرض .

وهنـاك أولئك الذين ينعمون بالفهم المقـدس ، وبانكار الذات ، وبالأخلاص . وهم ينعمون بانكار الذات الى حد أنهم قد يفكرون فى العودة الى الأرض متطوعين بغير أن يفكروا فى أنفسهم . لكنهم لا يعودون بوصفهم « شخصيات عظيمة » ولا تكون لديهم أية معرفة عما كانوا عليه من قبل ، وعادة لا يذكرون ماضيهم ، لأنهم لا يرغبون فى تذكر انجازاتهم السابقة . كلا بل أنهم يعودون للأرض فى تواضع ، وفى فهم رزين لقيود الانسان ، وللمصادر غير المحدودة التى تغذى الروح ، وهـذا هو الأسلوب الذى يسمح لهم بالعودة الى الأرض فيه (١) .

ماذا يقول هوايت ايجل ؟

« فالعودة للتجسد تعنى اذاً فى الواقع — كما يقول الروح هوايت ايجل — أن الحياة فى الجسد المـادى تشبه فصلاً فى مدرسـة . ونحن نعود اليها ثانية بدروس معينة علينا أن نتعلمها ، وبملكات معينة علينا أن ننميها . وفى خاتمة الفصل الدراسى نعود الى منازلنا ثانية ، أى نتحـول الى حالة أرق من الوجود الداخلى ، فى أرض يمكن أن تسمى بأرض الضوء لفترة من الراحة والانتعاش .

وخلال هذه الفترة يمكن للروح أن تستعيد ما ربحته وما خسرته ، فى حياة انتهت الا من نتائجها الكارمية **Karmic results** (اى العلية الروحية) ويمكنها أن تخطط لخطواتها التالية عندما ترى أن الوقت قد أزف كيما تحاول من جديد . وهذا الأسلوب فى الانتقال من الجهـد الى الراحة ومن الراحة الى الجهد يستمر الى ان تنتهى دورة الحيـاة على الأرض ...

وتحت قانون دقيق لا مفر منه نولد من جديد طبقـاً لعدالة الاله السامية فى البيئة التى نقابل فيها من جديد أولئك الذين اخطأنا اليهم ، أو اخطأوا الينا ، أو أولئك الذين ساعدناهم فى المـاضى أو ساعدونا . فنحن نعود للتجسد مع أولئك الذين كرهناهم أو اسـأنا اليهم ، وذلك الى أن

---

(١) عن كتاب « فلسفة هوايت راى » **The Philosophy of White Ray** لوسيطة الغيبوبة السيدة بوليت أوستن **Paulette Austin** ص ٨٥ ـ ٨٨ .

تصحح جميع الأخطاء ، وتغتفر جميع الاساءات ، والى أن تتحول الكراهية الى حب .

ونحن نعود للتجسد أيضاً مع أولئك الذين أحببناهم والذين احبونا ، وهو ما يجلب السعادة الى حياتنا . وبفضل الله قد يمكننا أن نحول كل ما يؤلمنا من أمور الى مصدر قوة لنا ، ونستخدم أفعالنا السيئة الماضية فى رفع مستوانا من الاختبار . وهكذا نصنع من كل من فكر وعمل لنا قيود مستقبلنا وفرصه » (١) .

ماذا يقول روح فون ليست ؟

وفى هذا الاتجاه يقول روح فون ليست Von Liszt الموسيقار المعروف فى بعض رسائله للوسيطة روزمارى براون Rosemary Brown — بعد أن اثبت شخصيته بسمفونيات وقطع موسيقية عديدة أملاها عليها تحمل بشهادة كبار النقاد كل خصائص موسيقاه — (٢) : « فى الواقع ان جانباً فقط منكم هو الذى يظهر على الأرض عن طريق الجسد الفيزيقى والمخ ، أما الباقى فيظل جنيناً فى الروح ، ويكون كلاً لا يتجزأ معكم . وان هذا واحد من الأشياء التى نريد أن نساعدكم فى أن تنموها وأن تنفهموها كيما يحاول الأفراد اثناء اقامتهم على الأرض أن يعبّروا عن انفسهم بطريقة أكمل من غيرها ، وعلى مستوى أرفع من غيره » .

كما شرح لها كيف أن الشخص الواحد لا يعود أبداً بذاته وبكل مميزاته مرتين على الأرض ، فان هذا أمر محال بالنظر الى تغير الآباء ، والأجداد ، والمخ ، والجسد . وفى الجملة فان كل ما فى الانسان سيتغير ، ولكن جانبا من الذات سيندمج أو سيتداخل فى كائن جديد . وعندما يتوقف الجسد الفيزيقى عن العمل فى تلك اللحظة التى نسميها « موتا » فان هذا الجانب الرئيسى الذى اندمج فى الجسد يعود الى أصله الكلى . وعلى هذا النحو توجد فى معنى من المعانى « عودة للتجسد » ، لكن لا يوجد تكرار لنفس الشخص ، وبالتالى فان الحديث عن هذه العودة للتجسد يعنى بوجه عام مجرد امكانية للكائن فى أن يولد من جديد على الأرض .

كما يقول ان تبسيط فهم عملية العودة للتجسد قد أساء اليها . وبحسب رأيه فاننا لانمضى أوقاتنا فى الذهاب والاياب بين عالمين بلانهاية.

---

(١) من كتاب « لماذا على الأرض » Why On Earth ? للوسيطة جون كوك Joan Cooke ١٩٦٤ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) راجع ما ورد عنها فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٢٣٢ — ٢٣٦ .

بل اننا قد لا تمكننا العودة الى الأرض سوى عدد محـدود من المرات ؛ وتوجد احتمالات أخرى لا حصر لهـا ، كما لا توجد اية قاعدة مضطردة .

وجميع مرات العودة اختيارية بصفة مطلقـة ، فلا يلقى اى انسان الى الأرض رغم أنفـه ، ولا يرغم على الذهاب اليها ، وفى هـذا تكمن العدالة . كما شرح لهـا أن العودة قد يكون من اهدافها أن نتلقى درسا جديدا أو آخر ، ولكن بمجرد وجودنا هنا ننسى علة مجيئنا ، وفى الواقع لا يوجد منا سوى جانب فقط جاء الى الأرض هو ذلك الجانب الذى قبل طائعا المجيء اليها .

وقد يقاسى الانسان بسبب تعصبه لجنس أو للون أو لدين معين .. وهـذا التعصب يمكن أن يعـود الى التجسد فى نفس الجنس أو اللون أو الدين الذى كان يكرهه فيما مضى والذى كان يناضل ضده . وعلى هذا النحو يمكن أن يفهم الدرس القائل بأن جميع البشر هم على قـدم المساواة فى عين الله .

ويشبّه فون ليست تكوين الروح الانسانية من عناصر متعددة بالذرة التى تتكون من بروتونات ونيوترونات تتفاعل معا فى تكوين النـواة التى تحيط بهـا الالكترونات . وهكذا الروح الانسانية فان أجزاءها المنفصلة تتجمع معا فى نواتها ، لكن كل جـزا منها يمكن ان ينفصـل عن باقيها ، وهذا الجزأ القابل للانفصال هو ذلك الذى يمكنـه ان يظهر فى عالمكم فى صور شخصيات متنوعة .

وبالتالى فانه يوجد ما يطلق عليه دعاة العودة للتجسد « تجسدات متنوعة » لكنها كلها تنتمى الى روح واحدة بمقدورها ان تتخير اى جانب فريد منها ينبغى أن تكون له الأفضليـة فيها . ولنفترض مثـلا أن روحا كانت لهـا صلات بمصر ، ثم وضعت فى مكان آخر ولنفترض انه اليونان ؛ فان هذه الروح يمكن أن تظهر كمصرية أو كيونانيـة بحسب الزى الذى ستختاره لنفسها ، وسيكون شأنها شأن الممثل الذى يقوم بأداء عدة ادوار مختلفة . فالممثل يظـل على حاله ، لكن دوره المسرحى هو الذى يجعله يتخذ شكلا مغايرا ، أما حياته الخاصة فلا تتغير (١) .

---

(١) عن كتاب « على اتصال بالعالم الآخر » للوسيطة البريطانية روز مارى براون . الترجمة الفرنسية :

Florent Peiré : En Communication Avec L'Au - Delà, Paris 1971 P. 129 - 132.

ماذا يقول روح آرثر فورد ؟

تحدثت فى الجــزء الأول من كتاب « المفصـــل » عن آرثر فورد Arthur Ford بوصــفه وسيطاً روحياً قــوياً صــمدت وساطته لبحوث عدد من كبار الباحثين ، كما كان هو نفسه مؤلفا وباحثا له عــدة مؤلفات معروفة(١) . والآن أتحدث عنه بوصــفه روحا مراسلا بعد انتقاله الى عالم الروح فى أوائل يناير من سنة ١٩٧١ .



آرثر فورد

وقد تمكن فورد بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٧١ ـ أى قبل مضى ثلاثة أسابيع على انتقاله من الاتصال بسيدة أمريكية تعمل وسيطة هاوية « للتلباثى » أو « للتراسل الفــكرى » تدعى روث مونتجــومرى Ruth Montgomery كانت على صلة وثيقة به حال حياته الأرضية وبدأ فى املاء عدة رسائل « بالتلباثى » أخذت تدونها على الآلة الكاتبة ، وذلك كما تفعل كل سكرتيرة تجيد استخدامها عندما يملى عليها رئيســها ما يرغب فى املائه عليها . وقد نشرت هـــذه السيدة جميع الرسائل المملاة عليها من روح آرثر فورد فى كتاب حديث تحت عنوان « عالم تالٍ » (٢) (١٩٧٢) .

وقد تناول الروح ـ من ضمن ما تناوله ـ موضوع العودة للتجسد فى فصلين منه عنــوان أولهما ـ وهو الفصــل السابع « بين الحيــوات الأرضية » قال فيه ـ بتاريخ ٣ مارس ســنة ١٩٧١ ـ : « أننا ننمــو ، ونعيش ، ونحب أن نعود فى دورات لا تنتهى الىَ أن نتخلص من أوجــه النقص التى تلصــق بنــا خلال الطريق فنصبح صــالحين للاندماج فى الله تعــالى نفسه .

ولمــاذا يوجد خطاة كثيرون من بيننا الى هذا الحد ؟ ! لأن الكثيرين منا يضعون المتعــة فوق الخدمة ، وهذا هو التعليل بكل بساطة ، فلو أن عدداً اكبر منا وجد متعته الحقيقية فى خدمة الآخرين لتقدمنا أسرع بكثير مما نفعل الآن ، لأن التقدم يعنى الربط بين المنفعة والمتعة .

(١) راجع ما ورد عنه فى ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٢) A World Beyond.

ولكن الطريق السهل الممهد الذى تسلكه غالبيتنا هو اضاعة الوقت فى تفاهات ، والجرى وراء مطالب لا تنفع الآخرين ولا تنفعنا نحن أنفسنا. وهذا هو ما نطلق عليه « الطبيعة البشرية » ، أى طبيعة النفس عندما تشغل شكلا جثمانيا . فشهوات الجسد ، والتسويف بلا داعٍ ، والأساليب الأنانية ، واتخام الذات ، كل هذا يساعد على تكوين ما نتصور أنه يمثل « الطبيعة البشرية » . وبعضه يستمر على هذا الجانب الحالى من الحياة فى الروح بنفس المنوال .

فالبعض يتأمل نفسه فى مرآة من صنع تفكيره الخاص مرتديا ملابسا أنيقة ، كان يتمنى أن تكون هى ملابسه الحقيقية ، ومصففاً شعره الذى لا وجود له الا فى ذهنه ، ويحيا فى منازل لطيفة خلقتها اللهفة على العظمة ... ولكن كل هذه أشكال فكرية ليست حقيقية الا بالنسبة لمن يؤمن بها . وقد يكون وقع هذا القول مضحكا ، لكن ليس بمقدورنا أن نصطدم كثيرا مع أوهام الناس التى تستمر حتى هنا ، لأن كل ذات تتخلف عن التقدم تجر وراءها كل الجنس البشرى ، أو كما يقال كل أرواح البشر .

فلنذكرى يا روث Ruth أن كل خطأ يقترفه اى واحد منا يسىء الى الآخرين ، وأن تقدم كل الجنس البشرى هو النقطة الهامة التى ينبغى أن نتذكر ضرورتها (١) » .

ماذا عن أسلوب العودة ؟

وفى موضع آخر من هذا الكتاب يقول روح آرثر فورد : لقد تطلبت معرفة معلومات أوسع من الأسلوب الذى به تعود الروح لاتخاذ جسد فيزيقى فقيل لى أن فرصة العودة للتجسد تأزف فى المعتاد بعد أن تكون قد أتيحت للروح مهلة واسعة كيما تتأمل فى نوع الديون الكارمية Karmic debts ، التى ينبغى أن تسددها ، وفى نوع الصفات التى تلزمها أكثر من غيرها فى تطورها المستقبل .

وبعد أن تختار الروح هذه العودة فانها تحتاج الى العثور على المركز

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٣ — ١٣٤ .

والاشارة هنا الى حالة بعض الأرواح التى تظل تحلم وتحلم حتى فى بعض المستويات المنخفضة من عالم الروح ، ولا تريد أن تحيا فى أرض الواقع الخلقى والاجتماعى والوجدانى . كذلك الى ناموس التضامن الاجتماعى الذى يسود الكون فى كل مكان والذى أشرت اليه فى عدة مواضع ، وهو ناموس طبيعى مسلم بصحته فى جميع العلوم الانسانية حتى على مستوى الحياة المادية .

الذى يبدو انه يحقق لها الاختبارات التى تنمى شخصيتها وطباعها بحيث تتمكن من سداد ديونها الكارمية ومن تحقيق تقـدمها . فاذا كان يلزمها تعلم الصبر فانها ستحاول التجسد فى مركز يحتاج الى اختبار متواصل للأعصاب . واذا كان يلزمها تعلم الحب فانه سيكون عليها أن تختار مركزا لا يكون فيه الحب متدفقا تدفقا عظيما ، حتى تناضل فى وجه أولئـك الذين لم يتعلموا هم انفسهم كيف يمنحون الحب الى الآخـرين . وهكذا تسـير الأمور .

واذا كانت الروح قد حصلت على حق تخير أبويها ، فانهـا تبـدأ فى البحث عن أولئـك الذين ربمـا تكون قد عرفتهم فى حيوات سابقة فى الجسد . أى أولئك الذين تربطها بهم ثمـة روابط « كارمية » سليمة او سقيمة ...

وعندما يتحدد اختيارها فان الروح تأخذ فى التجـوال بالقرب من ابويها المنتظرين لفترة ما حتى تتأكد من قبولهـا العـودة الى اتخـاذ جسـد فيزيقى عن طريقهما . وعنـدما يتكون الجنين تدلف الى هـذا الجسد الجـديد وذلك فى المعتـاد فى وقت مقارب للولادة . واذا ترددت طويلا ، فان المولود لا يعيش (١) .

وفى فصل لاحق عنوانه « أمثلة من العودات للتجسد » يقـول نفس الروح ، وهو ما يعنينا هنا بوجه خاص : « ان تخير الموقع الجغـرافى الذى تتجسد فيه مسألة من أدق المسائل . ولكننا نختار ما يبـدو لنـا أفضل مكان نعمل فيه بحسب قانون الكارما (أى ارتباط الحياة الراهنة بسلوكها المـاضى) ، وننمى فيه صـفاتنا نحو ما هو أسمى . فاذا كنـا فى حياتنا السابقة متعصبين ضد أقليـة معينة فقد نعود للتجسد فى نفس هذه الأقليـة ، حتى نسدد الدين المـاضى ونتحـرر من رذيلة التعصب ضـدها .

فكل واحد منا يقابل ذاته فى الجسد ، وايضا فى هذا المستوى الذى يبدو مألوفا أكثر من غيره من الناحيـة الروحية . ونحن قضـاة أنفسنا العدول : والخطايا التى نحب أن نتصور — ونحن فى الجسد — أنها خطايا تافهـة هى وحدها الخطايا الحقيقية عندما ننظر اليهـا من على الجانب الحالى . فنحن نسائل أنفسنا : الى من أسأنا بأفعالنا على الأرض ؟ وهـل كانت هذه الأفعال لتعظيم الذات ، ولمتعة الجسد ، أم كانت فى الحقيقة نتـاج تفكيرنا فى شـخص آخر ورغبتنا فى عـدم الاساءة الى هـذا الشخص الآخر ؟

---

(١) عن المرجع السابق ص ٤٣ — ٤٥ .

ان انكار الذات فضيلة من أعظم الفضائل لأنها تعلمنا كيف نضع محبة الآخرين فوق محبتنا لأنفسنا . وضبط النفس مفيد للروح ، ونحن نحتاج اليه دائما ، لكن فرصنا لتطبيقه هنا قليلة الى حد اننا نعود للتجسد مرارا وتكرارا حتى نزيح جانبا نواحى ضعفنا ونطبق انكار الذات » .

كما يملى فورد عن سر اخفاقنا فى تذكر حيواتنا الماضية ما يلى : « اننا فى كثير من الأحيان نجلب معنا فى العقل الفيزيقى (المخ) بعض الذكريات عن حياة الروح ، وأحيانا ومضات عن بعض حيواتنا السابقة . وذلك بالأكثر اذا ما كنا قد عقدنا العزم الأكيد على التذكر ، وصممنا على ان نواصل السير فى نفس الطريق الذى سلكناه فى تجسد سابق .

فان هذه الأفكار تؤثر فى أفعالنا وفى آرائنا عندما نكون هناك (على الأرض) ، وتظهر منها ومضات باهتة أحيانا فى احلامنا عندما نكون فى حالة معلقة من النشاط الفيزيقى . فتلك الأحلام كثيرا ما تكون عبارة عن روابط بالماضى ، واذا كنا نلتفت اليها جيدا فقد يكون التقدم أيسر لنا . فهى ليست « هذاءات » لا ضابط لها ، بل مجرى مستقر من الوعى يقف الى جانبنا خلال الأبدية . أو الى أن تمحى أخطاء الماضى عن طريق أفعال التعويض عن هذه الأخطاء واصلاحها ، فنحن نتطلع مثلكم للوصول الى اكتمال الروح . ونحن نشاهد أرواحا صقلها الكمال الى حد اننا نتطلع الى ان نصوغ انفسنا مثلها .

ومع ذلك فمجرد تقليد الآخرين ليس هو سبيل النهوض والاشراق ، لأن بداخل كل روح توجد معرفة الخير والشر . وكل واحد منا يخضع لتأثير اغراءات الشر والخير . وبالتالى فعلى الرغم من اننا نمثّل كلنا جزءاً من الكل الأسمى ، الا أن كل واحد منا مختلف عن الآخر مثل اختلاف بصمات الأصابع الواحدة عن الأخرى ...

ودعينى أؤكد لك انه لا يوجد ارغام على اى انسان أن يعود الى الشكل الفيزيقى . واذا تخيَّرنا الاقامة هنا سمح لنا أن نظل هنا للأبد ، ولو أن التقدم يكون أكثر مشقة ، لكن أولئك الذين يعودون الى الأجساد المادية سريعاً وينتهزون أية فرصة تسنح لهم ، ويمضون أياماً صعبة فى دور الأرض ، يتقدمون سريعاً بالنسبة الى اولئك الذين يظلون هنا ، ولا يجعلون من أهدافهم اتمام دورة فيزيقية أخرى » .

ثم يقول : « نحن على هذا الجانب فى وطننا . وفى هذا الوطن بدأنا المغامرة ، وتقدمنا الى مسالك متعددة باحثين عن فرص التقدم الروحى . الا ما احلى الوعود المشرقة التى تقدّم هنا ، والقرارات المحددة بالتقدم السريع التى تتخذ ، والتى سرعان ما تعوقها قوى الأرض واغراءاتها !

للأسف ان الأرواح كثيراً ما تعـود الى هنـا وهى تجـرر أذيال الخيبة والهزيمة عندما تدرك انها لم تحقق التقدم الذى كانت قد صممت على تحقيقه وفى مبدأ الأمر تحاول أن تلقى التبعة على الظروف ، أو على شخص آخر بوصفه مسئولاً عن اعاقة تقدمها . ولكن بمضى الوقت ، وعندما تكرس الروح نفسها على هذا الجانب للتأمل اليقظ فيما جرى ، تبدأ فى ادراك انها هى بذاتها مصدر فشلها لاصرارها على خصالها الرديئة القديمة .

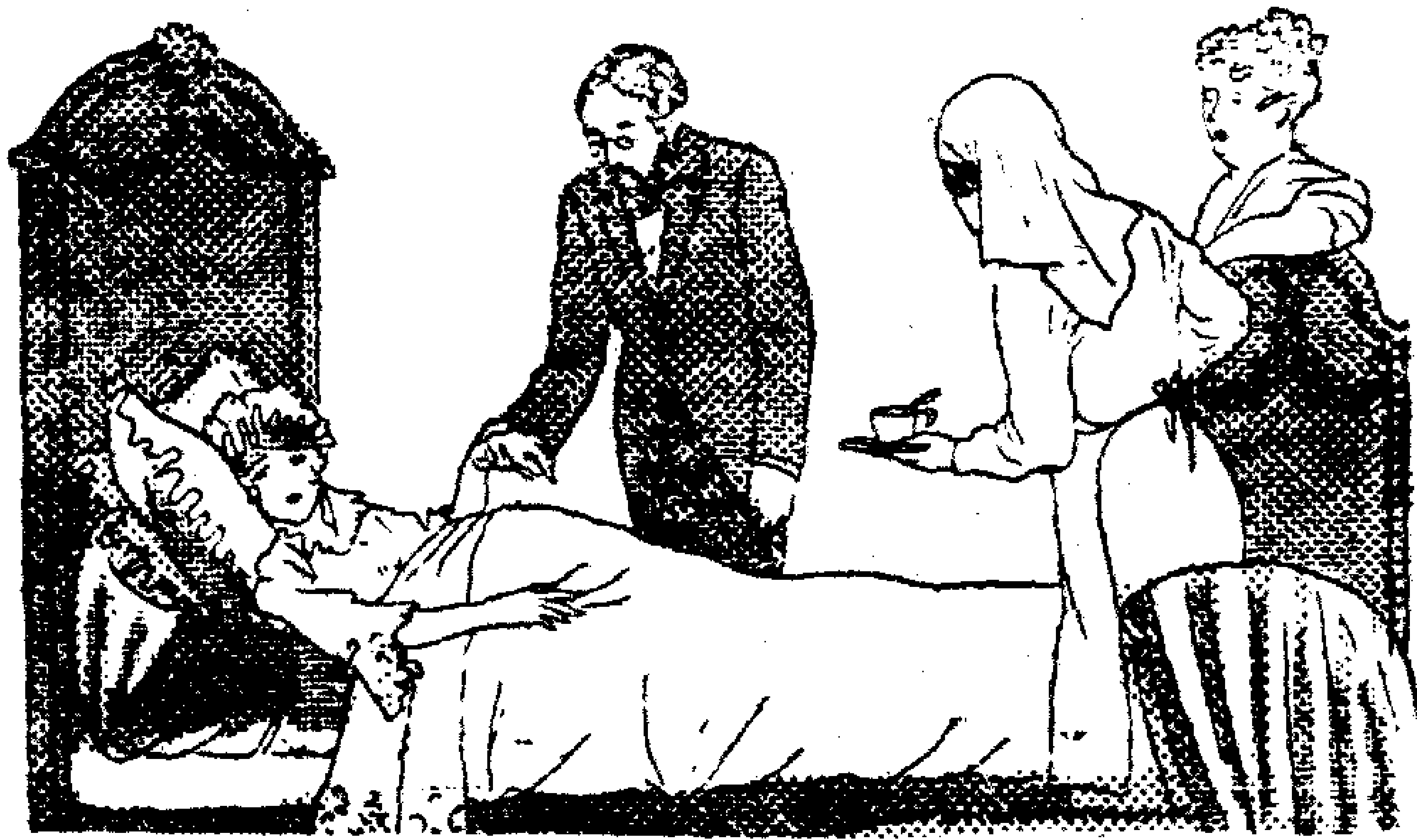
وعندئذ ماذا تفعل الروح ؟ انها تعتزم أن تراجع باخلاص كل خطأ اقترفته عندما كانت لا تزال فى جسدها الفيزيقى . فراجعوا بيقظة أنفسكم وأنتم فى عالمكم قبلما تراجعوها عند وصولكم الى هـذا الجانب . ولتتم المراجعـة عندما تكون الفرصـة لا تزال سانحة لتغيير اتجاه الطريق ، وللارتفاع الى مستويات أعلى . لأن كل ما تملك الروح أن تفعله هنا هـو أن تراجع نفسها ، وأن تلزم نفسها بالسداد ، وأن تدرس ، وأن تعـد نفسها للدورة القادمة فى حياة الجسد . وهكذا فأنتم لا تزالون أصحاب فرصة لكى تنفذوا مهمتكم الأصلية ، أو بالأقل لكى تضيئوا الطريق أمام الآخرين ، وهو ما يمنحكم فرصاً اضافية مجانية مضمونة للفائدة » (١) .

وفى مواضـع أخـرى يقرر فورد أنه لا يوجـد ميعاد محدد للعودة للميلاد فقد تكون بعد ساعات من الموت ، أو أيام ، أو شهور ، أو دهور ، او قد لا تكون اصـلاً . وأن الأمر متوقف على رغبة الروح ، وعلى مدى نضجها ، وحكمتها ، ولهفتها على التقدم الروحى الحقيقى . كما يتوقف أيضا على نوع الأهـوال التى تكون الروح قد عانتها أثناء تجسـدها على الأرض ، وعلى نوع الحياة التى تحياها فى الأثير ومدى رضائها عنها .

---

(١) عن المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٥١ .





لحظـة نزول الروح من عـالم الأثير الى بطن الأم (اى الموت الكوكبى) كما تخيلها احد الرسامين ، ويكون النزول طبعا بين أسى الروح والأقربين هناك .

الفصل الثالث

فى بعض المعلومات والحقائق العامة بقدر اتصالها « بالعودة للتجسد »

عالجت فى الفصلين السابقين موضوع العودة للتجسد من زاوية الاعتقاد والفلسفة ابتداءً ، ثم من زاوية العديد من التحقيقات الموضوعية المثابرة بعد ذلك . والآن ينبغى أن أتناول نفس الموضوع من زاوية بعض المعلومات والحقائق العامة المرتبطة به ، وبقدر هذا الارتباط ، والتى قد تلقى أضواء لها قيمتها على عدة جوانب متساندة من هذا الموضوع المتعدد الجوانب ، وذلك فى خمسة مباحث متتابعة على النحو الآتى : ـ

المبحث الأول : عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات ، بقدر اتصالها بالعودة للتجسد .

المبحث الثانى : عن نظرية التطور بقدر اتصالها بالعودة المحتملة للتجسد .

المبحث الثالث : عن التطور من اللاشعور الى الشعور بحسب آراء جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس .

المبحث الرابع : ماذا عن قانون الكارما أو الجزاء من جنس العمل ؟

المبحث الخامس : عن « العودة للتجسد » فى بعض نتائجها العامة بحسب آراء شو دزموند مؤسس « المعهد الدولى » للبحث الروحى بلندن.

المبحث الأول

عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات بقدر اتصالها بالعودة للتجسد

عن بعض المبادىء الطبيعية العامة

ابتداء ـ وقبل الدخول فى الصميم ـ يلاحظ أ.د. والكر E D Walker ان القول بأن الروح تخلق بغتة لكى تقدم الى هذا العالم يتنافر مع كل مبادىء العلوم ، فالطبيعة تسلك دائماً أدق السبل الاقتصادية ، ولا يضيع فيها شىء ، ولا يضاف فيها شىء . وكل ما قد يظهر فى فصل الربيع بغتة الى الوجود انما هو مشتق من عامل كاف كان

موجوداً من قبل رغم أنه غير منظور منا ، شأنه شأن البخار الذى يغذى الغيوم، .

وهناك رأى متفق عليه سواء بين الروحيين أم بين الماديين ، وهو ان كمية الطاقة والمادة تظل ثابتة ، وقانون حفظ الطاقة يعمل فى نطاق الروح مثلما يعمل فى نطاق المادة . ورصيد الطاقة فى الكون رصيد ثابت . فلا ينقص ولا يزيد لكنه يتغير .

وتطور التكوينات العضوية الذى يشاهد متداخلا فى موكب الحياة يشير الى أن الكائنات الحديثة متطورة من كائنات قديمة طبقا لأسباب غير مستحدث لكنه أزلى . ولا يسمح العلم بالقول بحصول معجزة مثل بعث الحياة من العدم ، التى تنافى كل اختبار . لكنه يسمح بوجود بعث عام للحياة خلال كل ظواهر الطبيعة ، وهذا أمر خاضع للمشاهدات الشائعة والنظر الى الروح بوصفها كائنا أزليا مستمرا خلال حقب من التجسدات نظر يلتئم مع روح العلم الحديث .

ومما له قيمة خاصة هنا قانون السبب والنتيجة ، وهو يمثل محور الوجود . ولا يوجد تفسير ملائم آخر لظاهرة الحياة مثل القول — كما يقول العلم الخالص — بأن ثمة أسباباً تشبه تلك الأسباب التى تعمل الآن أمام ناظرينا ، وهى المسئولة عن النتائج التى نشاهدها .

وخصائص كل شخصية نراها تحتاج الى اختبارات سابقة فى حياة فيزيقية تكون قد ولدتها . وكل الحواس الخصصبة للطبيعة الانسانية تشير الى اختبار أرضى طويل بوصفه مصدرا لها . والشهوات الجسدية التى لم تشبع للروح تحتاج الى سلسلة من الوجودات المادية حتى تتغلب عليها ...

ويقول علماء الفسيولوجيا ان البنيان العضوى العجيب للانسان لا يمكن أن يجيء عن طريق محض مادة ، بل لابد له من مبدأ روحى موجود من قبل يجمع من حوله الشروط العضوية اللازمة للوجود الفيزيقى ، ويرغم العناصر المادية على أن تتبع التخطيط الذى وضعه . وهذا العامل الديناميكى أو الروح لا بد أن يكون موجودا من قبل ، ومستقلا عن الجسد . اى قبل اعداد الوعاء اللازم له .

وقد عنى بابراز الوجود السابق للروح على الجسد عدد من علماء الفسيولوجيا منهم بوييه Bouiller ، وموللر Muller ، وهارتمان Hartmann ، وستاهل Stahl . وأن لهذه الروح طاقة قابلة للتشكيل تشيد بطريقة لا شعورية جثمانها العضوى

الخاص . كما تحدث عن هذا المعنى الاغريق وبعض اللاحقين منهم فشتة Fichte ولوتز Lotze .

وكما يشيد العصفور عشه بطريقة غريزية وبمهارة خرافية ، كذلك تقوم الروح لا شعوريا بصناعة جسدها مستخدمة القوانين المناسبة لها . ويعترف غالبية العلماء بوجود هذه الطاقة اللاشعورية للعقل أو للغريزة التى تقوم باصلاح الجسم ، وشفاء جروحه ، وكسور عظامه ، وهى التى تشرف على نموه . وتحدث عن هذا المعنى أيضا أفلاطون ، وجيوردانو برينو Giordano Bruno .

ويقول الأخير ان النفس ليست فى موضع محدد من الجسم ، بل انها تشبه شكلها الداخلى ، والنموذج (أو التمثال) الذى صنعته من الخارج . اى انها تشبه الشكل الذى يصنع الأعضاء ، ويشكل الكل من الداخل ومن الخارج . ومن ثم فان الجسم يكون فى النفس ، والنفس تكون فى العقل (أو فى الروح) .

وهذا الفهم من شأنه تخطئة المذهب المادى الذى يقصر طاقات الفرد على تعقيدات الآلة . وهذه القدرة للنفس المستقلة على صنع شكل خارجى لها هى تلك التى دفعت أفلاطون الى أن يفترض أن تكون للنفس قوة طبيعية يمكن الامساك بها ، وتخضع لولادات متكررة .

ولما كانت الذات أعرق من الجسد ، ولما كانت هى التى تشيد الجسد بحسب ذوقها وامكانياتها ، ولما كانت أهداف مسكنها الجسدى لا يمكن تحقيقها فى حياة عابرة واحدة ، لذا يتعين عليها أن تستعيد نفس الاختبار ، محاولة دائما أن تصوغ جسدها بما يناسب ملكاتها النامية ، وذلك حتى تستغنى عن حياتها فى المادة . ولذا انفصل منظر الانسان الحديث عن منظره فى ماضيه السحيق ...

ثم ان الذات الواعية لا يمكن أن تشعر بأنه كان لها بداية ما ، ولا تشعر بالفناء . والاحساس بالبقاء عندها يتخطى كل انقطاعات النسيان والنوم ، وكل حواجز المادة . وهذا الاحساس الذى لا يتوقف بالذات يثير فكرة استقلالها عن الجسد المتغير الذى هو سجنها المؤقت . وعندئذ ترد الى الخاطر فكرة أن النفس اذا كانت قد ظهرت مرة فى شكل انسانى ، فلا بد أنها قد تعود للظهور فى أشكال أخرى . وشخصية الذات لا ترتبط — بيقين — بتذكرها كل ماضيها ، فنحن دائما ننسى ، ثم نستيقظ من جديد الى المعرفة ، ولكن الاحساس بالذات يتخطى كل ذلك. وبنفس الطريقة يبدو لنا وجودنا الراهن كما لو كان عبارة عن يقظة نومية حركية دفعنا اليها من حياة سابقة ، كما يبدو لنا اننا سنخرج يوما من

هذا النوم الى اليقظة (١) .

كما يلاحظ والكر أن فلسفة « الأفكار الفطرية » فى الانسان لم تعد مقبولة فى الحاضر ، بل تنتمى الى العصور الماضية . وانصار فلسفة الحَدس أو الالهام intuitionalists ينظرون الى مفاهيم العلة ، والمادة ، والزمان والمكان ، كما لو كانت توجد فى العقل مستقلة عن الاختبار . ولكن أنصار فلسفة الاحساس sensationalists ينسبون هذه المفاهيم كلها الى الاختبار ، أو الى الاحساس بها .

أما التطوريون من أنصار سبنسر Spencer فيتخذون موقفاً وسطاً ويعتبرون هذه المفاهيم ارثاً عقلياً ناجماً عن اختبارات السلالة برمتها . وهذا الخلاف كله لا يمكن حله — كما لاحظ ادجار فاوسيت Edgar Fawcett — عن طريق علم النفس الغربى .

ويثور باكل Buckle على هذه الأنظمة المتضاربة لأنها القت بدراسة العقل الى اضطراب يماثل الاضطراب الذى وصل اليه الاعتقاد بسبب خلافات رجال اللاهوت . ويرثى جورج هنرى لوبز G. H. Lewes فى مؤلفه عن « تاريخ الفلسفة » (٢) هذا الوضع المحيّر فيما وراء الطبيعة .

وحل المشكلة يجىء عن طريق العودة للتجسد كما يعرفها الشرقيون الذين يؤكدون أن الفكرة الصحيحة للنفس يمكن اكتشافها عن طريق تربية ملكاتها فوق المدركة super - sensuous Faculties .

وبالتالى فهم يعتقدون أن كل مدرسة متطرفة تحوى شطرا من الحقيقة فحسب . وأن الاكتساب الأول لهذه المفاهيم كان عن طريق الاحساس ، لكنها الآن أصبحت بمثابة افكار فطرية فى عقل الطفل . فهى الآن عبارة عن اختبارات أصبحت عامة عن وجودات سابقة طفت فى العقل من جديد .

وان عدم الاستقرار الذى تشعر به نفوسنا يشير الى عادات قديمة فينا ذات تأثير متغير . وثمة اشارة الى ماضينا أكثر وضوحا من ذلك ، وهى تنوع الطبع فى الشخص الواحد . فهذا التردد بين عوامل القلق والاضطراب بداخل كل واحد منا ، وهو متلهف للسيطرة عليها ،

---

(١) راجع : Reincarnation : A Study of Forgotten Truth 1919 p. 25 - 28.

(٢) History of Philosophy.

وعاجز عن ذلك مهما كان ثبات عاداته الحاضرة ، من شأنه أن يجعل أفضل من فينا خاضعا للمغريات ، وأقوى من فينا متخاذلا بين طباع عديدة . والطريق الرئيسى لطبائعنا كثيرا ما يكون مقيدا بطرقنا القديمة التى نسيناها ....

والتكوين الخلقى للأطفال يشير الى ذلك ، خصوصا صدور أفعال شريرة منهم قبل أن يتأثروا بالبيئة . وقد دفعت هذه الظاهرة المراقبين اليقظين الى القول بأن الروح الانسانية قد تخيرت الطريق الى الشر فى مستوى مماثل لهذا المستوى سابق على الولادة فيه . وكل من يعرف الأطفال يرفض نظرية البراءة الفطرية فيهم . لأنهم بمجرد حيازتهم القدرة على الخطأ يرتكبون الخطأ كأمر طبيعى لا يحتاج الى تعليم .

والميل القوى للخطأ عند الطفل الذى لم يتأثر بالبيئة بعد ، ليس بمقدوره ان يخفى الخير الذى عنده ، لكنه يشير فحسب الى توافر عادات سقيمة سابقة تحاول أن تعاود نشاطها . والمجرم الأثيم فى المعتاد يرى اثمه عندما تجرى الخطيئة فى مجراها ، ويصبح ملتفتا اليها الى حد أنه قد يحاول ان يغيِّر من سلوكه فيما تبقى له من حياة . وهكذا يبدو الشر مصدرا للخير ، وتبدو الرذيلة بمثابة فضيلة بحاجة الى تقوية .

وتثور فى كل انسان ، فى مرحلة من مراحل نموه ، حاسة التعرف على الخطيئة بداخله ، ويكون متأكدا أنها حقيقية الى حد أنها تتجاوز للوراء كل حياته الراهنة . وعقلنا الداخلى يلتئم مع الحاسة العامة الموجودة لدى الانسان بأنه وحده مسئول عن اتجاهات ميوله الخاطئة (١) .

عن « النظرية المركبة » العقل

ولا ريب أن علم العقل يحظى من العلماء فى العصر الحاضر بعناية عظمى لم يسبق له أن حظى بها من قبل نظرا للاعتقاد الذى كان سائدا من ان العقل — كالروح — يعلو على كل محاولة لاستكشافه ، أو لسبر بعض اغواره . اما الآن فقد تغير هذا النظر تماما ، وابتدأ يرسى قواعده علم ناشىء هو « علم العقل » يقوم فى جوهره على دراسة الادراك عن طريق الحواس ، وعن غير طريقها .

---

(١) راجع ولكر . المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٤ .

ولا ريب أن الظواهر العقلية للوساطة تلعب الدور الأكبر فى كشف بعض أسرار العقـــل ، التى هى فى نفس الوقت أسرار للروح ، ما دام لا يمكن الفصل بين الروح وبين العقل الواعى أو غير الواعى ، وهو الطاقة الموجهة لسلوك الروح أيا كان نوعه .

وقد كثرت النظريات الحديثة فى العقل وتنوعت بما يضيق المقـــام عن تفصيله ونحن فى صدد « العودة للتجسد » (١) . الا أنه مما هو جدير بالذكر هنا أن بعض هذه النظريات الحديثة قد يلتئم مع نظرية التجسدات المتكررة . ومن ذلك مثلا تلك النظرية المركبة **The Compourd Theory** عن العقل ، والتى مقتضاها أن العقــل الانسانى مركب من عدة مراحل مندمجة معاً . فبحسب هذه النظرية يقول تشارلى برود **Charlie D. Broad** — أبرز الفلاســـفة البريطانيين المعــاصرين ، وأســـتاذ « الفلسفة الأدبية » بجامعة كامبريدج منذ ســـنة ١٩٣٣ وهو عضـــو فى « الجمعية الملكية » البريطانية منذ سنة ١٩٢٦ ، وفى « الأكاديمية الملكية » بالســـويد ، وفى « جمعية البحث الروحى » بلنـــدن (٢) ، ومن المقتنعين بصحتها عن طريق بحوث معمليـــة مثابرة فى الغيبوبة وفى الهيمنة الروحية وأصلها لأكثر من خمسين عاماً . « يمكننا أن نفترض أن العامل الروحى **psychic factor** يمكن أن يســـتمر بالأقل الى فترة ما بعد تحطم الأعضاء التى كان مرتبطا بها (اى بعد الموت) لكى يكون المركب الذى يدعى عقل « جون جونز » (٣) .

وهذا العامل الروحى لا يمثل بذاته عقلا ، ولكنه يمكن أن يخضـــع لتغييرات بسبب الاختبارات التى حدثت لصاحبها عندما كان حياً . ويمكن مؤقتا أن يرتبط بأعضـــاء وسيط فى غيبوبته . واذا كان الأمر كذلك فانه يكون بالتالى عقل مؤقت ، وهذا العقل المؤقت يحتوى على نفس العامل الروحى الذى كان « لجون جونز » ، وبالتـــالى فليس من المستغرب أن يبرز بعض الخصائص المميزة « لجون جونز » ، وبعض ذكريات الحوادث التى مرت به أثنـــاء حياته الأرضية .

وبما أن العنصر الجسدى لهـــذا العقـــل المؤقت عبارة عن اعضـــاء الوسيط المعـــدة **adapted** للعامل الروحى للوسيط لا « لجـــون

---

(١) راجع ما ورد عن بعض موضوعات العقل المتصلة بالروح فى « المفصـــل » الجزء الثانى ص ١٠٨ — ١٢٤ .

(٢) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٤٦ — ٤٤٧ ، وفى الجـــزء الثانى ص ٨٤ — ٩٠ .

(٣) كناية عن اى شخص مجهول مثل قولنا بالعربية « زيد » أو « عمرو » ..

جونز » فليس من المستغرب اذا كان هذا العقل يبرز مميزات كثيرة من خصائص الوسيط ... وتظل هذه الحالة قائمة طالما ظل الوسيط في الغيبوبة » .

ويضيف العلامة بروض في نهاية تحليله لهذه النظرية التي لها أسانيدها التجريبية الوفيرة أن « لها مزايا معينة في جانب نظرية التجسدات المتكررة ... فبدلا من أن يكون ثمة عقل واحد هو الذي يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء فانه يوجد ثمة عامل روحي واحد يرتبط بهذه الحلقات المتتابعة من الأعضاء كيما يكون حلقات متتابعة من العقول .



تشارلي بروض

ولا بد أن توجد فترات يظل خلالها هذا العامل الروحي الذي انفصل من الجهاز العضوي الذي مات ، والذي لم يدخل بعد في ارتباط بجهاز عضوي آخر على وشك أن يولد .

وخلال هذه الفترات فان هذا العامل الروحي هو الذي يحدث هذه الظواهر غير العادية التي يأخذها الانسان الروحي العادي مأخذ البينة على دوام حياة عقل الانسان . ولا أعلم وقائع معينة تحسم هذه التجسدات المتكررة لكنها نظرية ممكنة ، ولها مزية تفسير « مصدر » العقل أثناء الحمل « ونهاية » العقل عند الموت . وتبدو لي مقبولة أكثر بكثير عندما تصاغ في تعبير العامل الروحي الباقي الذي ليس بعقل ، عنها عندما تصاغ في صيغة عقل باق يهب الحياة لحلقات متتابعة من الأعضاء » (١) .

ويراعى أن « النظرية المركبة » عن العقل تقوم على وجوب التمييز بين العقل والروح ولو انهما متلازمان دائما ، ولازمان معاً لتكوين الشخصية الانسانية ، لزوم ارتباطهما بجسد عضوي مادي أو أثيري .

---

(١) عن كتاب الدكتور بروض « العقل ومكانه في الطبيعة » **The Mind And Its Place In Nature** ، وقد ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٢٥ ، والثامنة في سنة ١٩٦٨ . وعن الفصل الثاني عشر منها وعنوانه « الحجج التجريبية لحياة الانسان بعد الموت » أخذنا هذه الاحالة (راجع بوجه خاص ٥٤٠ — ٥٤١ ، ٥٥١) .

وهذا الجسد الأثيرى يلتئم تماما مع ما ذهب اليه برجسون من أن الوظيفة هى أصل العضو ، وليس العضو هو أصل الوظيفة . والجسد الأثيرى باجماع آراء الباحثين يحمل وظائف الانسان لا أعضائه . ولذا فان بمقدوره النظر ، والشم ، واللمس ، والسمع ، والذوق . وهو ما يفسر ما تقوله الأرواح التى كانت فى حياتها على الأرض لا تبصر أو لا تسمع من أنها أصبحت بعد الموت تحوز القدرة الكاملة على البصر أو السمع بعد تحررها من أعضائها المادية العاجزة وانتقالها للعيش فى الأثير بأعضاء غير مادية ، ولكن بقدرات فطرية فيها (١) .

وهذا الاعتبار نفسه يفسر كيف أنه عند العودة للتجسد تعود هذه القدرات الكامنة فى الجسد الأثيرى لكى تعمل عن طريق الأعضاء المادية للجنين بعد الولادة محكومة بالحالة الجديدة لهذا المولود . وهى حالة محكومة بدورها بقوانين طبيعية متنوعة يمت بعضها الى الوراثة من الأبوين والأجداد ، ويمت بعضها الآخر الى وراثة الذات من تطورها العريق ، ومن اختباراتها الماضية فى تجسداتها السابقة .

فاذا كانت هذه القوانين تقتضى أن يولد الجنين أعمى ، فهو لن يمكنه استخدام حاسة النظر التى تظل خامدة فى الجسد الأثيرى ، فلا يرى الا فى الأحلام التى تمر به فى النوم ، أما فى اليقظة فيتعذر عليه ذلك الى أن يتحرر هذا التعيس — بعد فترة طويلة او قصيرة — من ربقة هذا العضو المادى العاجز عجزا تاما أو جزئيا الذى ارتبط به بحكم قوانين المادة متفاعلة مع قوانين الروح وهى قوانين بيولوجية خلقية يكمل بعضها البعض الآخر .

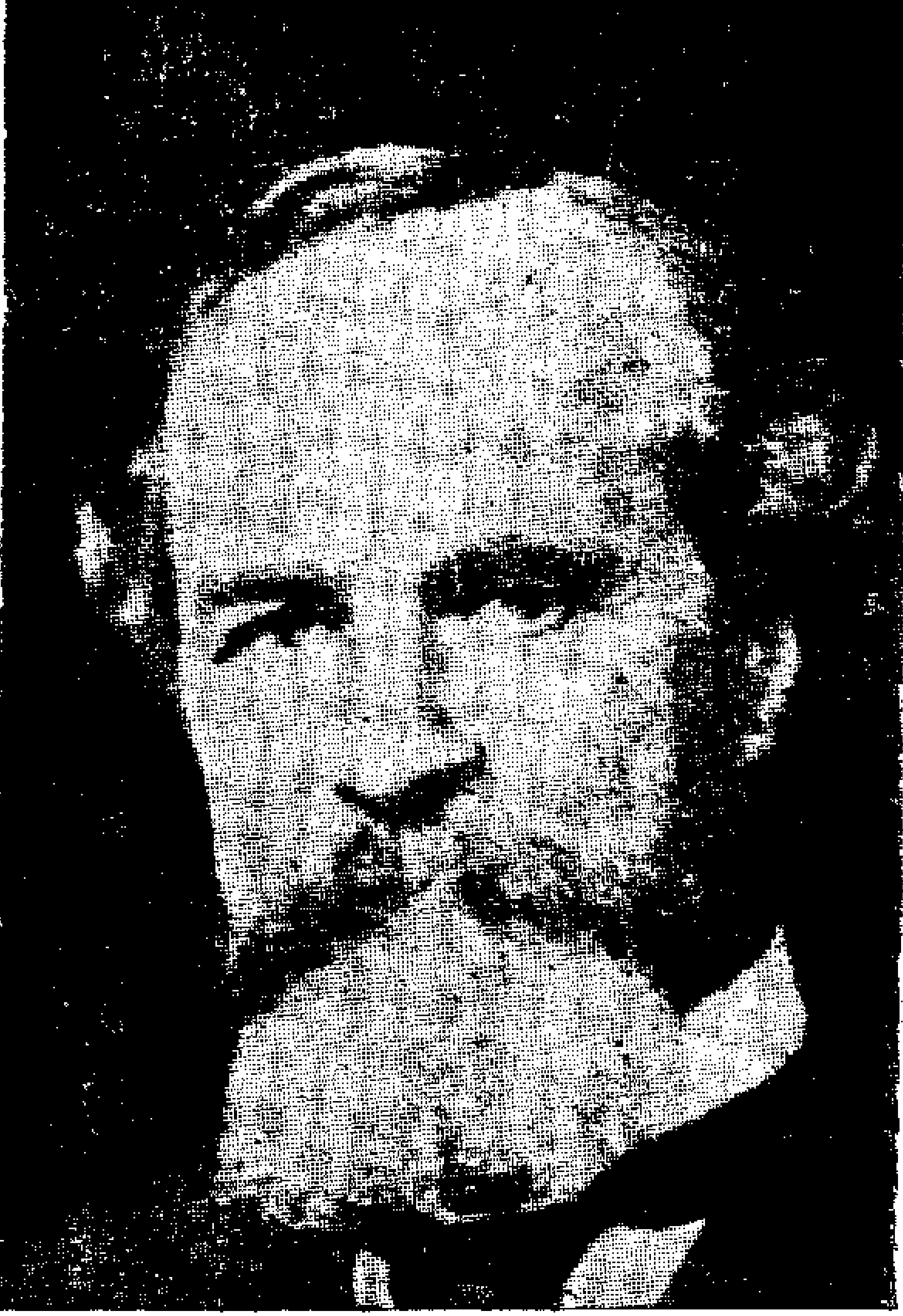
عن الهيولى المحايدة

والجسد الأثيرى أو الهيولى جسد خاضع للذاكرة مباشرة كما ذكرت فيما سبق . وهو رقيق ومرن الى حد يفوق قدرات تصورنا وهو رباعى الأبعاد ومن ثم فانه يمكن أن يوجد وأن يختفى عن الأبصار وعن الحس بحسب حالة الذاكرة ، وبحسب « مستوى الوجود » ايضا (٢) .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٥٨ — ٨٧٠ ، والثانى ص ٣٧ ، ٣٠١ — ٣٠٤ .

(٢) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٨٧ — ٨٩ ، ١١٧ — ١٢١ .


وليام جيمس

واقــرب وصف له هو ما ذهب اليــه الفيلســـوف الرياضى برتراند راســل B. Rassell عنــدما قال ان وليــام جيمس (الفيلسوف الأمريكى المعروف) قد أصاب فى رفضه الشعور باعتباره كائنــاً قائمــاً بذاته . وأن الواقعيين الأمريكيين (أنصار المذهب البراجمــاطى) قد أصــابوا بعض الصواب فى اعتبارهم العقــل والمــادة كليهما مؤلفــين من هيــولى محايدة : لا هى بالعقليـــة ولا هى بالمـادية اذا عزلناها وحدها (وهــذا القول يلتئم تماما مع القول بأنها رباعية الأبعاد) .

ويمضى راسل فى توضيح وجهة نظره فيقول ان هذه الهيولى المحايدة قد تتخذ وصفاً يبيح لنــا أن نسميها عقلا ، وقد تتخذ وصفاً آخر يبيح لنا أن نسميها طبيعة مادية ، وقد تكون فى وضع آخر يجــوز فيه الوصفان ، فاحساساتنا من مرئى ومســموع ... الخ من الصنف الثالث ، لأنك قد تنظر اليها من زاوية فاذا هى تابعة لعلم النفس ، أو تنظر اليها من زاوية أخرى فاذا هى تابعة لعلم الطبيعة » ...

وعلى هذا الأساس أقام راســل نظــرية « الواحدية المحايدة » أو « الهيولى المحايدة » مستوحيا اياها من المقــال المشهور الذى كتبه وليــام جيمس بعنوان « هل للوعى وجود ؟ » . فالواحدية المحايدة نظرية مؤداها ـــ كما سبق أن قلت ـــ أن العقل والمــادة ليسا ضربين من الموجــودات مختلفين اختلافا جوهريا ، بل العقل والمــادة كلاهما مشتق من هيــولى محايدة لا هى عقل ولا هى مادة (١) . وفى ضوء هذا الفهم الصحيح للعقل وللمــادة يمكن أن تجد نظرية العودة للتجسد عن طريق الجســد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة ، بل « هيولى محايدة » بحسب وصف وليام جيمس (٢) تأصيلها الفلسفى والرياضى الذى كانت تفتقر اليه فيما مضى .

وقيمة هذا التأصيل تتحصل فى انه قد وصل اليه أبرز فيلســوف

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٨ ـــ ٢٢٨ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٣١٢ ـــ ٣١٩ والثانى ص ٢٢ ـــ ٣٧ .

براجماطى اتصل بالظواهر الوساطية اتصالا وثيقا وهو وليام جيمس ، وأيده فيه أبرز فيلسوف رياضى لم يتصل أى اتصال بالظواهر الوساطية هو برتراند راسل ، كما أيدهما فيه آخرون على نحو أو آخر عندما ذهبوا الى أن المادة واحدة تستخدمها الروح .

وهذا المفهوم الحديث للعقل وللمادة ولعدم وجود حواجز بينهما ، بل ولا اختلاف جوهرى فى تحليلهما الأخير ، يعطى تأصيلا لأمور كثيرة منها بوجه خاص ما يلى :

أولا : ظاهرة الحمل أى حلول العقل فى الجنين عندما يصبح الجنين صالحا لاستقبال عقل دخيل قادم من مستوى آخر للوجود ، فى صورة حقل مترابط ومعزول عما سواه من الطاقة المغناطيسية الكهربية التى تحوى كل خصائص الانسان .

ثانيا : ظاهرة نمو هذا الجنين بتأثير العقل الذى حل به الى أن تتكامل أشهر الحمل التى لا تتجاوز ــ فى المعتاد ــ تسعة أشهر .

ثالثاً : ظاهرة نمو الطفل منذ الولادة الى الوفاة عن طريق تجدد الأنسجة والخلايا وهى عملية بيولوجية ــ عقلية عبارة عن محض تأثير مباشر للعقل فى المادة .

رابعاً : دوام هذا العقل حتى بعد انفصاله بالوفاة عن الجسد المادى لسبب أو لآخر ، وبعد فترة قصيرة أو طويلة يقضيها فى الجسد المادى .

خامساً : الظواهر الروحية فى صيغها العديدة . تستوى فى ذلك بعض ظواهرها الفيزيقية مثل التجسدات ، مع بعض ظواهر العقلية مثل الادراك خارج الحواس (١) ، والخروج من الجسد .

سادسا : كما يقدم هذا القول « بالهيولى المحايدة » تفسيرا للخلاف الذى ينشب أحيانا بين الباحثين الروحيين حول طبيعة بعض الظواهر ، وهل نعتبرها ظواهر محض عقلية ؟ أم فيزيقية ؟ أم مركباً من النوعين معاً ؟ وقد قابلنا نموذجا واضحا لمثل هذا النقاش فى علاجنا لاختبارات « الخروج من الجسد » Out of Body Experiences (٢) .

سابعاً : ويقدم ايضاً تفسيراً للمعلومات التى ترد عن ظروف الحياة

---

(١) المرجع السابق . الجزء الأول ص ١٧٧ — ٢١١ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٩٩٣ — ١٠٠٩ . وفى كتاب مستقل عنوانه « ظواهر الخروج من الجسد » ١٩٧٥ ص ١٦٩ — ١٨٥ .

بعد موت الجسد المادى ، والأوصاف المتعددة التى ترد عن هذه الحياة خصوصاً ما اتصل منها بتأثير العقل المباشر فى « مادة الأثير » . وما اتصل منها بجسد الروح أو بالجسد الأثيرى ، أو المرن أو الهيولى ، وبالملابس التى ترتديها الأرواح وكيف أنهــا تكوِّن جزءاً من أجساد أصحابها ، لأن الأجساد والملابس معا من صنع العقل ، ومن نفس طبيعته الهيولية المحايدة التى قد تكون عقلا من زاوية ومادة من زاوية أخرى (١) .

ثامناً : وهــــذا الجسد الهيــولى الذى لا هو عقــل ولا هو مادة ، أو بالأدق هو عقل لامادى فى بعض حالاته ومادة عقلية فى بعضها الآخــر يفسر أيضاً بعض حالات المس الروحى والاستحواذ حيث قد يكون المريض ضحية أعراض نفسية أو عضوية من جراء هيمنــة مثل هــذا العقل غير المتجســد الذى قد لا يشــعر بوجــوده ، ولا بما قد يسببه من أضرار لضحيته حين قد يشعر هذا العقل أحيانا أخرى بوجــوده وبهيمنته على كائن آخر هو الوسيط أو الوسيطة .

تاسعاً : كما قد يفسر أيضا احتمال وجـــود عــدة أرواح ماســة أو مهيمنة على جسم الوسيط أو الوسيطة فى وقت واحد وقد لا يشــعر أى واحد منها بوجود الآخر . وقد سجل بعض الباحثين الروحيين حالات عديدة بهذا المعنى ، وتحدثت عنها مراجع عديدة لها وزنها .

ومما هو جدير بالذكر أنه يبدو أن الروح المــاسة بمجرد اختراقها هالة الوسيط ـــ تفقد تجسدها الأثيرى المــرن الخاضع خضــوعا مباشرا للعقل أو للروح ، فلا تظهر أمام وسطاء الجلاء البصرى الا كضوء شــمعة مشتعلة من ناحية الحجم والمظهر العــام كما أكــده بعض هؤلاء الوسطاء . ويكون شأن الروح المــاسة عندئذ شأن عصفور صغير وجد شقا فى جــدار مكشوف فاتخذه مسكنا له يأبى مغادرته الا بعناء شديد .

والظاهر ان هــذه الشــعلة الصــغيرة المضيئة هى بذاتهــا الكتلة الكهربية ـــ المغناطيسية واهبة الحياة للانسان وحاملة كل صفاته وملكاته وذكرياته الشعورية واللاشعورية . وصغر الحجم لا ينبغى أن يروِّعنا أو يثير اعتراضنا وذلك اذا ما لاحظنا ان أخطر الغدد التى تتحكم فى مصير الانسان صغيرة الحجم جداً ومنها مثلاً الغدة الصنوبرية التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى لا يزيد حجمها عن حبــة الفول السودانى ومثلهــا الغــدة النخامية . فهل هذه الشعلة الكونية الصغيرة هى تلك التى تتجسد وتعود للتجسد وهكذا فى صــورة آدمية حتى يتكامل نضجها وتطورها فتصبح جديرة بالاندماج فى المجرى العام للحياة الكونية ؟ ! ...

---

(١) المرجع السابق . الجزء الثانى . ص ٣٠٤ ـــ ٣٠٧ .

عاشراً : وهـذه الأمور كلها لا يفسرها مجتمعة مجرد القول بوجود جسد أثيرى لكل انسان متداخل فى جسده المادى، ومطابق له فى تكوينه الذرى ومنسوجه الجزيئى ، وهو الذى ينسلخ من الجسد المادى بالوفاة كيما يحيا فى صورة مادية فى عالم الأثير .

فان هذا التفسير الأخير يتضمن تبسيطاً أكثر مما ينبغى لطبيعة هذا الجسد الأثيرى ولمصدره وبالأخص من زاوية صلته بالعقل ، وبارتباطه بالذاكرة ارتباطاً عميقاً ومباشراً بوصفه موطناً لهذه الذاكرة وحارساً أميناً لها (١) وذلك بالأقل الى حين حدوث ميلاد جديد على المستوى الأرضى أو عودة للتجسد لتحقيق المزيد من النضج ومن التطور .

حادى عشر : وقد يفسر هذا الكشف أيضاً ظاهرة سجلها الكثيرون من الباحثين الروحيين وهى وجود عدة أرواح فى غرفة الجلسات فى وقت واحد ، وقد لا يشعر أحدها بالآخر مطلقاً . أو قد يتم الشعور عن طريق مجهود ارادى ضخم ، حين قد يشعر الجميع بالجسد المادى للوسيط أو للوسيطة بسبب الانبعاثات الضوئية الصادرة من الهالة (٢) .

ثانى عشر : كما يفسر نفس هذا الكشف وهو كشف « الهيولى المحايدة » قيمة « الاحساس بالذات » كميزة عقلية ـ خلقية ، أو بالأدق كميزة روحية قد تقف سدا فى وجه بعض التداخلات غير المرغوب فيها من جانب العالم غير المرئى . وبالتالى قد تقف سداً فى وجه طائفة من الاضطرابات العصبية والنفسية التى قد يتعرض لها بعض الأشخاص عندما يفقدون هذا « الاحساس بالذات » . وقد يكون ذلك من مقدمات الاضطراب العصبى أو من آثاره ، وقد يكون هذا الفقد تاماً أو جزئياً ، وهو أمر غير مرغوب فيه عندما يكون الانسان فى تمام صحوته ، وكامل صحته النفسية والجثمانية .

عن النبوغ المبكر

ولا ريب ان كل هذه الكشوف العلمية عن حقيقة الذاكرة الشعورية واللاشعورية وعن موطنها فى الجسد الأثيرى الذى لا هو عقل ولا هو مادة تقدم تفسيراً كان العلم والفلسفة معاً يبحثان عنه منذ زمن بعيد عن علة ما يوجد

---

(١) ولعل هذا الاعتبار هو الذى حدا ببعض الباحثين الى الحديث لا عن الجسد الأثيرى فحسب ، بل عن الجسد العقلى أيضاً باعتباره أسمى من الجسد الأثيرى وأعمق ارتياداً فى الدراسات الروحية . راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٩٤٢ عن بعض الاختبارات فى التنويم المغناطيسى أو فى ص ٩٦١ منه عن موقف الفقه الثيوصوفى منه.

(٢) المرجع السابق . الجزء الأول ص ٨٧٩ ـ ٨٨٢ ، والجزء الثانى ص ٣٠١ ـ ٣٠٤ ، ٣٣٧ ـ ٣٤١ .

فى البشر من تفاوت ضخم فى المواهب وفى الملكات العقلية ، والخلقية ، والروحية . وهو تفاوت لا يتناسب فى مداه مطلقاً مع سنى الحياة الارضية القصيرة وما يحدث أثناءها من تطور ضيق النطاق محدود المدى . بل ان هذا التفاوت قد يظهر منذ سنى الحياة الأولى على الأرض ، فمنذ الطفولة المبكرة قد تظهر على طفل معين مخايل الذكاء بل العبقرية ، وجمال الأخلاق أيضاً ، حين قد تظهر على طفل آخر — وقد يكون شقيقاً له — مخايل البلاهة ، أو الغباوة ، أو شراسة الطباع .

والنبوغ المبكر عند بعض الأطفال ظاهرة مسلم بصحتها ، وتسبب أحياناً الحيرة والذهول ، وقد ضربنا أمثلة عديدة منها فى الجزء الثانى من « المفصل » (١) . وفى حالات عديدة يكون دور الالهام من عالم آخر واضحاً كل الوضوح . وقد ثبتت حالات منه بالاتصالات الروحية مثل حالة الطفل الموسيقار فلوريزل فون روتير Florizel Von Reuter الذى تبين من تحقيقات هانن سوافر Hannen Swaffer نقيب الصحافة البريطانية انه كان ملهماً من روح الموسيقار الايطالى نيكولو باجانينى Nicolo Paganini (٢) .

والقول بحصول الهام من كائن منظور لا ينبغى أن يعارض مع التعليل الآخر وهو العودة للتجسد ، لأن ملكة تلقى الالهام الراقى تحتاج بطبيعتها الى روح متطورة تطوراً كافياً ، وفى اتجاه معين دون آخر هو الذى انتهى بهذه الروح بالوصول الى شفافية تلقى الالهام فى ناحية دون غيرها من نواحى الموسيقى ، أو الرسم ، أو الشعر ، أو الرياضيات ، أو اللغات ، أو الأدب ، أو العلوم .. الخ .

فلا تعارض البتة فى تعليل النبوغ المبكر عند بعض الأطفال بين القول بالالهام والقول بالعودة للتجسد ، بل ان كل تعليل منهما يكمل الآخر ويتكامل به .

وهذا هو ما انتهيت اليه عند معالجة موضوع الالهام فى نهاية الجزء الثانى من « المفصل » . أما فى المواهب العادية أو المتوسطة فان أحد التعليلين قد يغنى عن الآخر . ويتعذر وضع قاعدة عامة ، بل لابد من دراسة تاريخ كل حالة على حدة ، وكافة ملابساتها ، لاعطاء رأى له وزنه فى تعليل مصدر تلك الموهبة ، وتحديد موضعها بين الالهام ، أو بين الخبرة

---

(١) راجع ما ورد فيه فى ص ٤٩٠ — ٤٩٣ .

(٢) راجع ما ورد فى كتاب « قصتى العظمى » الترجمة العربية بمعرفتنا ١٩٧٢ ص ٣٢٧ — ٣٢٩ .

الدفينة فى اللاشعور . أو بين الاكتساب المألوف خلال سنى الحياة الراهنة لصاحبها .

عن وحدة ((الليبيدو))

كما تقدم هذه الكشوف نفسها تعليلا لما قد يبدو على بعض الذكور من عراقة فى الذكورة ، وعلى بعض الاناث من عراقة فى الأنوثة ، وعلى البعض الثالث من حالة قد تجمع الى صلابة الرجولة واعتدادها برايها قدرا من رقة الأنوثة ولين عريكتها ، وعلى البعض الرابع من انحراف نحو نفس الجنس . فيقولون ان ذلك كله راجع الى التجسد المتكرر فى أحد النوعين دون الآخر ، أو فيهما معاً مرة بعد مرة . ويحاول بعض الروحيين تفسير بعض صور الشذوذ بأنها قد تتضمن نوعاً من الحنين غير الواعى للماضى السحيق فى صورة أو فى أخرى .

ثم ان كل جسد مذكر يحوى أطلالا من الأنوثة كالثديين لا استعمال لهما عند الرجل ، كما أن كل جسد مؤنث يحمل أطلالا من الذكورة يعرفها علما التشريح والبيولوجيا . ووجود هذه الأطلال أمر لا تخفى دلالته عن الباحثين عن العلة والسبب فى كل أمر من أمور الحياة . بل من الناحية البيولوجية ان كل كائن بشرى يخرج الى الوجود حاملا معالم الجنسيين معاً بطريقة ثنائية ، ثم ما يلبث أن يتغلب أحدهما على الآخر بتأثير الهورمونات . وبعبارة أخرى أن الليبيدو Libido وهو الطاقة الحيوية ، أو الجانب العقلى للغريزة الجنسية واحد بين الذكور والاناث ، ولا يوجد أى فارق بينهما فى هذا الجانب رغم اختلاف الجانب البيولوجى الفسيولوجى .

ولذا كتب فرويد فى « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » (١٩٠٥) يقول « اننا لا نجد فى أى كائن بشرى — لا بالمعنى السيكولوجى ولا بالمعنى البيولوجى — رجولة خالصة أو أنوثة خالصة ، ففى كل فرد يتجلى بالحرى مزيج من الخصائص البيولوجية الجنسية الخاصة به مع قسمات بيولوجية من الجنس الآخر » . كما كتب فى مؤلفه « محاضرات جديدة فى التحليل النفسى » (١٩٣٥) يقول « لا يوجد غير ليبيدو واحد يعمل فى خدمة الوظيفة الجنسية المذكورة والمؤنثة على حد سواء » (١) .

---

(١) وهذه الثنائية الجنسية تظهر دائما بصورة سيكولوجية وهذا هو الوضع المألوف . انما قد تظهر بصورة عضوية ايضا فى حالات الخنوثة hermaphroditism ويذهب فرويد أيضاً الى أن عقدة أوديب الكاملة انما ترجع الى وجود الثنائية الجنسية فى طبيعة كل طفل (راجع « الذات والغرائز » تأليف سيجموند فرويد ترجمة د. محمد عثمان نجاتى طبعة ١٩٦١ ص ٦٤ — ٦٨) .

وقد سار الفريد آدلر Alfred Adler تلميذ فرويد والعالم النفسي المعروف في نفس الاتجاه أيضاً ، وسلّم بهذه الحقائق ودلل عليها في عدة مواضع من مؤلفاته قائلاً ان الازدواج الجنسي موجود في الناس كافة . ويذكر أن لاكير كشف أن هرمونات الجنس الآخر توجد في بول الناس جميعاً ... هذا الى ما ذكره من أن دراسة التوائم قد تؤدي يوماً الى التثبت من الاشتراك في خصائص الجنس الآخر وتعين على فهم تلك الحقيقة (١) .

كما ذهب آدلر الى أبعد من فرويد عندما سلم بأن الشعور الجنسي ليس هو المحرك الخفي الذي يوجه نوازع النفس الانسانية وأهم ميولها ومخاوفها ، بل ان حب الحركة لتحقيق الذات هو هذا المحرك الخفي الاصيل في كل انسان ، لأن الذات أوثق صلة به من جنسه . ولأن — وهذا هو المهم — « الأنا » في الانسان أسبق من الذكورة والأنوثة معاً وأعرق . وهكذا ابتعد آدلر عن أستاذه فرويد واقترب اقتراباً واضحاً من نتائج البحوث الحديثة عن الذات . وكيف أنها أسبق من الذكورة والأنوثة معاً ، ومستقلة عنهما ولو على نحو ما .

ومن المسلّم به أيضاً أن المرحلة الجنينية هي مرحلة تذبذب بين المؤنث والمذكر ، وهو تذبذب يرجع الى الجنسية الثنائية الأصلية في الكائن البشري حتى ولو كانت نهاية الصراع بين الجنسيتين في الكائن الواحد محددة من قبل ، فما علة هذه الجنسية الثنائية ومن أين جاءت ؟ ! ...

ويقال أيضاً انه اذا كان التجسد على المستوى الأرضي مفيداً في نضج الروح ونمو ملكاتها ومواهبها عن طريق الالم فان التجسد لمرة واحدة قد لا يكون كافياً ، خصوصاً اذا كانت فترة التجسد الأرضي قصيرة بسبب حلول الأجل المحتوم في طور الطفولة أو حتى في الشباب . وان تعدد مرات التجسد على هذا المستوى يفسح للروح مجالا أكبر للحصول على مزيد من المعرفة والاختبار ، ومن تناسق الشخصية ، وبالتالي على مكانة أسمى في العالم الذي تستحقه الروح — بحسب مرحلة تطورها — من عوالم ما وراء المادة .

وفي الجملة يقولون ان موضوع التطور عن طريق العودة للتجسد هو انه يعطي للانسان فرصاً متعددة كيما يمر خلال فصول متعددة من مدرسة الحياة الأرضية العجيبة هذه ، وبالتالي كيما يحصل على مزيد

---

(١) للمزيد راجع كتاب « علم النفس الفردي . أصوله وتطبيقه » للدكتور رمزي اسحق ١٩٦١ ص ١٠٢ — ١٠٨ .

من التطور والتناسق فى العقل والعاطفة عن طريق المزيد من الاختبار فى الألم والنضال الشاق فى هذا المستوى الأرضى الذى يتطلب نضالاً لا ينقطع وألماً لا يتوقف .

فمثلا تجسد الروح فى الرجولة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم فى صفات الرجولة الطيبة ، مثل الشجاعة ، والعزيمة ، والاقدام ، والحكمة ، والتواضع ، والصدق ، والتسامح . وتجسدها فى الأنوثة يعطيها فرصة أو أكثر للتقدم فى الصفات الطيبة للأنوثة مثل قوة الاحتمال ، ورقة الشعور ، وعمق العاطفة، والتضحية، والحنان ، والحياء. كما قد تكون الأنوثة ترويضاً للروح على العفة وضبط النفس ، وهكذا حتى تتكامل الفضائل المطلوبة فى الروح فلا تعود بعد بحاجة للتجسد على المستوى الأرضى ومعاناة دروسه وأهواله ، بل تستحق مستوى راقيا من مستويات الأثير .

عن بعض ألغاز شخصية الانسان

ولا ريب أن نظرية رجعة الروح هذه من شأنها أن تفسر هذه الحقيقة التى يمكن لأى انسان أن يكتشفها بنفسه ، وهى أن الانسان يطوى غالباً بين جنبيه عدة شخصيات ، بدلاً من شخصية واحدة متناسقة ومتكاملة . فاذا ما حاول الانسان أن يسبر أغوار أى صديق له لتبين له أنه يصادق فيه أكثر من انسان ، وأن هذه الشخصيات المتعددة فيه قد تتصارع فيما بينها وقد تتآلف كما قد تتصارع وتتآلف فى علاقتها مع مجموع الشخصيات التى تحيط بها .

فلا تحاولن اذاً أن تسبر أغوار أية شخصية ، حتى شخصيتك الخاصة ، لأنه يبدو أنه قد كتب على الانسان أن يحيا غريباً حتى عن نفسه ، عاجزاً عن أن يتفهم شيئاً جدياً عن أغوار طبيعته الخاصة ، فما بالك بطبائع الآخرين ؟ ! . وكلما اعتقد الانسان أنه قد وصل بالفعل الى معرفة شىء ذى بال عن نفسه أو عن نفس غيره كلما كان فى واقع الأمر أبعد ما يكون عن الوصول الى هذا الهدف البعيد المنال .

ثم ان ثمة حقيقة قد ثبتت ثبوتاً كافياً ، وهى اننا نتصرف فى حياتنا بما قد ينبعث من داخلنا من مشاعر ورثناها عن ماضينا ، وعن تراث التجارب المسجلة فى اللاشعور ، أو ان شئنا فى عقلنا الباطن . فهذه وتلك هى الحوافز الحقيقية التى توجه ارادتنا وتتحكم فى موقفنا من أحداث الزمان حلوها ومرها معاً ، أما مشاعر الآخرين فقد تكون لنا بمثابة السدود الحكيمة التى وضعتها الطبيعة كيما نعيد النظر فى احكامنا وتصرفاتنا فنكتسب لأنفسنا سلسلة تجارب متجددة ، وبالتالى ذخيرة مخبوءة ، وأيضاً لتكييف علاقتنا على نحو افضل بأنفسنا وبنواميس الحياة

الصحيحة التى يلزمنا الاتساق الصحيح معها حتى نحصل على قدر أكبر من تناسق الشخصية ، وبالتالى من السعادة الداخلية التى هى حقاً مملكة السماء فى الانسان . فنحن فى الواقع قد نستفيد من الاختبارات التى قد ننساها قدر فائدتنا من الاختبارات التى قد نذكرها. فلماذا النسيان اذا . وما هو هدف الطبيعة منه ؟

هـذا النسيان يحصل كما لاحظ الباحثون الروحيون لحكمة الهية سامية ، وهى دفـع عجلة التطـور للأمام ، وحتى لا يكون ماضى الروح السحيق عائقاً يعوقها فى تقدمها ، بما قد يكون فيه من أخطاء ، ووصمات ، وآلام ، وأهوال . فهـو رد اعتبار من الطبيعة للروح يسلبها مخازيهـا السابقة ، ولا يسلب النفس حقها فى الاحتفاظ بالمرحلة التى وصلت اليها فى التطـور عن طريق الألم والاختبار المتكررين ، ولنا عودة تفصيلية الى ذلك فيما بعد على لسان الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لمـا وراء الروح » بباريس .

ومما هـو جدير بالذكر أنه قد حدثت اتصالات وساطية بعدد من الأرواح التى أمكنها أن تتذكر — استثناء من ذلك — شطراً ولو غامضاً من ذكريات حياته سابقة لها أو أكثر طفت الى السطح — بعد الموت — من عقلها الباطن الى عقلها الواعى ، وأن تربط بين ذكرى هذه الحياة السابقة وصنوف التجارب القاسية التى تعرضت لهـا فى حياتها الأخيرة للتكفير — فى صـور شتى — عن ذنوب اقترفتها فى حياة سابقة لها على الأرض ، وكتب آلان كاردك A. Kardec — وهـو أبرز اسم فى الفلسفة الروحية لغاية الآن — مليئة بالعشرات من هذه الحالات ، وبوجه خاص كتابه عن « الجنة والنار » (١) .

وهناك أيضاً حقيقة علمية سـائدة الآن حتى فى علم النفس ، وهى ان اللاشـعور أعمق وأعم من الشعور . فهذا الأخير ليس سوى جـزء ضئيل من العقل يطفو على سطح المـاء ، حين يختفى الجزء الأكبر منه وهو العقل الباطن تحت السطح ، بالأقل طيلة الحياة الارضية . ويقول عدد من الروحيين ان علة ذلك هى أن الوعى الانسـانى لا يتجسد كله فى المرة الواحدة ، فلا يتجسد منه فى المرة الواحدة سوى جانب يسير عن طريق المخ الذى يتحكم بدوره فى الجهاز العصبى للانسان. ومقتضى ذلك بالضرورة هو تعدد عدد المرات التى ينبغى أن يتجسد فيها الوعى للحصول على النمو المطلوب ، وعلى التناسق الكافى بين شتى أجزائه ، وهذا التناسق هـو الذى يحقق للانسان قدراً أوفر من السعادة ومن الاطمئنان النفسى بعـد الشقاء والقلق .

---

(١) Le Ciel et L' Enfer

وقد أيدت أرواح متعددة أخرى صحة هذا النظر ، بل منها من علل بعض الأمراض العقلية بعدم حدوث التجسد الارضى على النحو الطبيعى . فاذا لم يكن الجانب المتجسد من الوعى كافياً كيما يحقق السيطرة المطلوبة للمخ — ومن ورائه العقل — فقد المخ سيطرته على وظائف الأعضاء ، وبدا صاحبه ناقص الادراك عديم الاتزان فى حركاته وسكناته .

ومثل هذا المرض العقلى — الذى تعودنا أن نصفه بالبله أو بالعته أو غير ذلك من أوصاف — يختفى تدريجياً بعد الانتقال عندما يندمج الجزء الضئيل الذى كان متجسداً فى باقى أجزاء الوعى فيبدو الانسان « المعتوه سابقاً » انساناً طبيعياً فى ذكائه ، وأحياناً انساناً على درجة ممتازة من الذكاء أو الألمعية مؤدياً على أتم وجه وظائف حياته الجديدة ، وهذا اعتبار هام تنبغى مراعاته عند تحقيق شخصية أرواح بعض المنتقلين (١) .

وقد فتح علم الروح بذلك آفاقا جديدة فى دراسة أسباب الأمراض العقلية لم تكن معروفة من قبل ، بجانب الآفاق التى نتحها من ناحية التسليم بامكانية ظاهرة المس والاستحواذ الروحى obsession and possession التى تصدى لبحثها الفيلسوف المعروف وليام جيمس William James (٢) ، وأخضعها أيضا للبحث المعملى الدقيق لمدى عشرات من السنين الدكتور تيتوس بول (٣) Titus Bull، ثم كارل وبكلاند (٤) Carl Wickland عضو المجمع العلمى الأمريكى — ووصلوا فى بحوثهم الى نتائج ايجابية محددة واضحة فى دلالتها .

ويلاحظ أيضا أن تجسد أرواح بعض المنتقلين تجسدا تاماً أو جزئياً تحت أدق صور الرقابة العلمية ، على ما بينته بأسانيده فى « المفصل »(٥)، هو فى حقيقته عودة للتجسد . واذا كانت العودة هنا وساطية ومرهونة بلحظات قصيرة فليس ما يمنع من أن تكون لهـا صورة أخرى طبيعية عن طريق الميلاد وأن تكون بالتالى لمـدة الحيـاة الدنيوية التى تتفاوت طولا وقصراً .

هذا وقد أمكن — كما قلت لعدد ملحوظ من الأرواح التى ترتاد غرف الجلسات الروحية — متجسدة أو غير متجسدة — أن تتذكر شـطراً من

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « المفصل » الجزء الأول ص ٢٨٤ — ٢٨٩ ، ٨٢١ — ٨٢٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٣١٤ — ٣٢٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٢١ .

(٤) المرجع السابق ص ٣٢٨ — ٣٣٠ .

(٥) المرجع السابق ص ١٧٧ — ٢٠٨ ، ٥١٧ — ٦٨٠ .

حياة سابقة لها أو أكثر . ذلك أنه بحسب الأصل تفقد الروح ذاكرة حياتها السابقة بمجرد الالتصاق بجسد الجنين فى بطن أمه ، فلا يتبقى لهـا من هذه الذاكرة سوى درجة التطور التى وصلت اليها النفس ، والتى تنزلق الى اللاشعور كيما تمهّد لهـا طـريقها فى حياتها المسـتقبلة ، ولذا كان العقل الباطن ــ أو اللاشعور ــ مخزناً لدروس المـاضى السحيق وخبراته. وهو مخزن ملىء بصنوف التجربة التى أصبحت ــ بحسب الظاهر ــ فى طى النسيان الكامل .

عن أحلام الأجنة ومشاعرها

ومن الكشوف الجديدة الجديرة بالذكر هنـا أن العلم الحديث فى دراسته لعمل المخ مع الاستعانة بالرسام الكهربائى قد وصل الى حقـائق هامة عن نشاط المخ فى أثنـاء النـوم ، وعن تأثره بالأحلام . ووصـل العلمـاء الى الجزم بأن الجنين فى بطن أمه يحلم ، وأمكن صنع رسومات كثيرة لتسجيل نشاط مـخ الجنين فى أثنـاء أحلامه ... فبماذا يحـلم الجنين ؟ وما هى الصور التى يشاهدها أو الأصـوات التى يسـمعها ، أو الأشياء التى يلمسها مع أنه بحسب المذهب المـادى لا يكون قد اكتسب بعد شيئاً من الحواس ، أو من قدرة الاحساس ، أو من الوعى ، أو من الذكريات الشعورية أو غير الشعورية التى تصنع الأحلام عند كل كائن حى ؟

أما من الناحية الروحية فمن المتصور أن تكون الذكريات السابقة للجنين ، التى انزلقت اليه من اقامته فى عالم المـادة أو الروح هى صانعة هذه الأحلام ، وهى المسئولة الوحيدة عنها بعـد اذ انزلقت من الشعور الى اللاشعور فى لحظة ارتباط الروح « بالمعتقل » المـادى المعـد لهـا فى رحم الأم بحكم نواميس التطور والارتقاء .

وهذا الموضوع وثيق صلة بموضـوع آخر وهو مشاعر الأجنـة وأحاسيسـها وهى فى بطون أمهاتها . فانه يكاد يكون من المسلم به الآن أن حياة الجنين الشعورية تبدأ قبل الولادة ، لا منذ الولادة فحسب كمـا كان يقال فيما مضى .

وبالتالى فان حب الأم للجنين أو كراهيتها له (كما فى حالة الحمـل غير المرغوب فيه ، أو فى ظروف المشاحنات الزوجية والطلاق) قد يكون له أثره فى طباع هذا الجنين بعد الولادة . ومثل ذلك قسوة الأب فى معاملة الأم أو كراهيته لهـا فى فترة الحمل لاعتبار أو لآخر ، فقد تترك هـذه أو تلك بصماتها فى نفسية الجنين ، ولا تظهر هذه البصمات بطبيعة الحال الا فيما بعـد الولادة ، وقد تحتاج فى بعض الأحيـان الى تدخل المحلل

النفسانى فى الطفولة أو فى المراهقة (١) .

وقد يؤيد ذلك ما ذكره بعض الصحف حديثاً وها هو نصه كما ورد بجريدة الأخبارالصادرة بتاريخ الثلاثاء ٥ نوفمبرسنة١٩٧٤ : «أعلن الدكتور السير وليام لايلى الأستاذ بجامعة أوكلاند بنيوزيلاند فى محاضرة بلندن أمس أن الطفل الذى لم يولد بعد يشعر بالألم ، بل قد يشعر بالملل الشديد أثناء وجوده بالرحم .

وقال ان الرحم ليس بالمكان المظلم المتلىء بالصمت ، وأن الطفل يتعلم فيه الرضاعة والشرب واستخدام رئتيه استعدادا للانتقال الى العالم . ويشعر أيضا بالبرد والصوت والضوء ، بل ويتذوق السائل المخصص لتغذيته ويشرب كمية أقل اذا كان مذاقه غير طيب ، ويصاب بالزغطة ، ويمص اصبعه ، ويستغرق فى النوم ويستيقظ » .

وبعبارة أخرى ان حواس الجنين تعمل قبل أن يخرج الجنين الى عالم الاحساس ، وقبل أن تتكامل حتى أدوات الاحساس الخمس المعروفة ، مما يدل على استقلال الشعور عن أدوات الاحساس وهو ما يلتئم مع المذهب الروحى للحمل وللولادة ، ويتعارض بداهة مع المذهب المادى الذى يربط بين الاحساس كوظيفة ، وبين أدوات الاحساس كوسيلة ، كما يربط بين الشعور والتفكير وبين اكتمال نمو المخ بوصفه المسيطر الأول والأخير على الجهاز العصبى للانسان .

أما بحسب التحقيقات الروحية فان مصدر الاحساس هو الشعلة المقدسة التى تهب الحياة للجسد المادى والتىتنزلق الىالرحم بعدحدوث الحمل — بفترة ما — حاملة معها العقل فى صورته اللاشعورية ، وهو العقل الذى يحتمل سبق ارتباطه بحياة المادة فيما مضى ، وهذه هى بعينها نظرية « العودة للتجسد » .

---

(١) للمزيد راجع : J. G. Bennett : A. Spiritiual Psychology 1964 p 51.

وثمة أبحاث حديثة تشير الى أن بمقدور النبات أن يتألم وأن يشعر بالعاطفة (راجع اشارة عنها فى جريدة الأخبار عدد ١٩٧٤/٧/٢٠ وهى تتحدث عن أبحاث للعالم السوفيتى كريستوفر والأمريكى تومى كينز) . فاذا صح جدلا أنه كان بمقدور النبات الذى يتغذى من الأرض والهواء أن يشعر بالألم أفلا يكون ذلك بمقدور الجنين وهو فى بطن أمه ؟ ! ...

المبحث الثانى

عن « نظرية التطور »
بقدر اتصالها بالعودة للتجسد

هل تتطور الحياة حقيقة أم لا ؟ يبدو أن العلم المادى قد حسم هذا التساؤل بالايجاب منذ زمن كافٍ ، وان كان البحث لا يزال مثاراً فيما يتعلق ببداية التطور ، وبتعليل هذا التطور ، مع محاولة التعرف على أهدافه الصحيحة . وفى هذه الأمور كلها تعددت المدارس التى يضيق عنها هذا المقام . وفى نطاق المادة هناك اجماع أيضا على أنها فى حالة تطور مستمر من البسيط الى المركب .

التطور حقيقة علمية

واذا كانت المادة فى حالة حركة دائمة ، وتطور لا يتوقف من البسيط الى المركب ، فمن باب أولى يكون الانسان بكل ما يحوزه من مرونة نفسية وعضوية ، ومن قابلية للتأقلم أو للتكيف مع العصر والبيئة .

وعن تطور المادة يقول جوستاف لوبون Gustave Le Bon ان الأثير الذى يملأ رحبات الفضاء قد انتهى بأن تحول الى ذرات ، وعن تجمع الذرات نشأت المادة كما توجد فى أرضنا ، وكما يمكننا أن نراقبها فى الكواكب . وخلال فترة التكون التدريجى للمادة من الأثير ، قامت الذرات باختزان رصيد من الطاقة كان عليها أن تنفقه فى صيغ متنوعة منها الحرارة ، والكهرباء فيما تلا ذلك من الأزمان .

وعندما فقدت الذرات ببطء هذه الصيغ من الطاقة التى اختزنتها فى مبدأ الأمر ، مرت المواد بتطورات مختلفة ، وارتدت صيغاً متنوعة .

وعندما بعثت الذرات بكل ما فيها من طاقة مخزونة فى صورة اهتزازات مضيئة ، عادت — نتيجة للاشعاعات الصادرة عن تحللها — الى الأثير الأولى الذى جاءت منه . فالاثير يمثل اذاً « النرفانا » النهائية التى نعود اليها جميع الأشياء بعد وجود يتفاوت فى مدى قابليته للزوال .

وهذه النظرات الموجزة عن مصدر الكون الذى نعيش فيه وعن نهايته لا تلقى سوى أضواء باهتة على الظلمات العميقة التى تغلف ماضينا، وتحجب مستقبلنا . وهى تمثل تفسيرات قاصرة جداً ، ولكن العلم لا يملك ان يقترح غيرها . ولا يمكنه بعد ان يرقب اللحظة التى يتمكن فيها من تلمس السبب الأول الحقيقى للأشياء ، أو حتى ان يصل الى الأسباب الحقيقية لظاهرة واحدة . فينبغى اذا عليه أن يدع للاعتقادات

وللفلسفات مشقة تخيل الأنظمة المعدة لكي تشبع حاجتنا الى المعرفة(١).

* * *

ولقد لعبت نظرية التطور دورا هاماً فى ارتياد العديد من المجاهل الطبيعية التى كانت قبلها تستعصى على الارتياد ، والتى كانت تمثل محض ألغاز تنتمى الى ما وراء الطبيعة أكثر مما تنتمى الى بحوث العلم الوضعى، وبالذات الى بحوث علم الأحياء « البيولوجيا » .

وذلك الى الحد الذى دفع أحد المؤلفين الى القول بأنه بعد الاعتراف المبدئى بتطور الجسد ـ حتى بمعرفة اللاهوت ـ فانه من اليسير توقع الاعتراف ـ بلا تأخير بتطور الروح . ومن ثم فقد انهار ذلك السد الذى حاول اللاهوت أن يقيمه فى وجه الانسان حتى يمنع تطلعه الى الوراء .

وبالنسبة لدارس علم النفس الحديث فانه يجد أن فكرة « الوجود السبقى » انتقلت من نطاق الاعتقاد الى نطاق الواقع ... ولذا كتب العلامة البريطانى توماس هكسلى T. Huxley قائلا : « انه لا يوجد أحد بمقدوره أن يرفض هذه الفكرة على أساس أنها تمثل خرافة متوارثة الا المفكر المتعجل جدا . وفقه العودة للتجسد ـ شأنه شأن نظرية التطور نفسها ـ له جذوره فى عالم الواقع ، وربما تكون له أسانيد تماثل فى قوتها أسانيد التطور نفسها » .

ولاحظ أن هذه العبارات الخطيرة قالها هذا العلامة المعروف (١٨٢٥ ـ ١٨٩٥) عندما كانت الأسانيد التى يملكها العلم الوضعى عن هذا الموضوع ضئيلة جدا بالنسبة لتلك التى يملكها الآن ، بل لا نكاد تذكر فما بالك الحال بعد اذ بلغت وثائقه هذا المبلغ الذى عرضنا لبعض جوانبه فيما سبق ؟ !

هذا وقد تعرضت فى الجزء الثانى من « المفصل » لبعض مبادىء عامة عن هذه النظرية ، وعن موقف العلم المعاصر من ناحية عدم انكارها بوجه عام ، وان كانت الفلسفة المعاصرة أخذت تتحول تدريجياً من تعليل التطور بمادية الوجود الى التسليم بوجود قوى عاقلة ، وبتخطيط روحى عريق وراء هذا التطور . والمدارس فى هذا الشأن عديدة يضيق عنها المقام الحالى ؛ وقد اختلفت فى بعض مبادىء التطور لا فى صحة التطور نفسه كقاعدة عامة خصوصاً على الأحياء ولا ريب ان التطور

---

(١) عن مؤلفه فى « تطور المادة » L'Evolution de la Matière

ينبغى أن يثار كمبدأ عام عند الحديث فى نظرية احتمال العودة للتجسد بالنظر الى الصلة الوثيقة بين الموضوعين .

فالانسان كائن نام متطور ، وقابل للنمو وللتطور نحو الأفضل ما فى ذلك ريب ، وجميع الشواهد تؤيده . والحيوان كائن نام متطور ، وقابل للنمو وللتطور ما فى ذلك ريب أيضاً ، وجميع الشواهد تؤيده . لكن المشكلة الحقيقية هى فى تحديد خطوط التطور ومصدره واتجاهاته الصحيحة .

وكان الاعتقاد السائد بعد اعلان ناموس التطور ان الانسان والحيوان يسيران فى خط واحد مشترك التطور . وهذا الناموس الخاص بالتطور كان فى شكله الأول مستمدا من الفلسفة المادية للوجود ومرتبطا بها ، ولا يكاد يفسح مجالا بالتالى للحديث عن عنصر روحى يبقى حيا بعد فناء الجسد المادى . وكان القول بأن الانسان لا يختلف عن الحيوان شيئاً من ناحية التكوين البيولوجى لكل منهما يعطى دعامة ضخمة للفلسفة المادية عن الوجود . أو بالأدق يعطى حجة قوية لدعاة القول بفناء شخصية الانسان بسبب فناء جسده المادى .

هذا بالنسبة للغرب ، أما بالنسبة للشرق الأقصى ، فقد تصور عدد غفير من حكماء الهند — بوجه خاص — أن هذا القول يعطيهم دعامة علمية لتأييد دعوى احتمال عودة الانسان للتجسد ولو فى صورة حيوانية أحياناً ، بل وعودته الفورية عقب انفصال الروح عن الجسد رأساً ، بلا حاجة لأية فترة يقضيها خارج جسده المادى فى أى عالم من عوالم ما وراء المادة .

ولكن ما لبث لفيف من أحسن التطوريين فى الغرب أن أدركوا أن الانسان لا يسير فى خط واحد فى التطور مع الحيوان حتى مع التسليم بتطور الانسان ، وبتطور الحيوان ، ومن هؤلاء الفيلسوف الكبير برجسن — كما فطنوا أيضاً الى أن تطور الانسان أعرق كثيرا من تطور الحيوان وأسمى منه هدفاً (١) .

ومن ثم ينبغى أن نقول ان تنازع البقاء وبقاء الأصلح وان كان صحيحاً كناموس طبيعى ، الا أنه لا يصح أن يعتبر مصدرا للتطور ، بل بالأكثر نتيجة حتمية له . وبالتالى فانه يتعين البحث عن مصدر آخر للتطور غير ناموس تنازع البقاء وبقاء الأصلح . ومن ثم يبرز دور التخطيط الروحى العاقل وراء هذا التطور لتحقيق غايته الحقيقية وهى

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٤ — ٣٧ ، ٤٣ — ٥٢ .

الارتقاء بعقول بنى البشر ومشاعرهم ، عن طريق خلود أرواحهم ، وعــدم قابليتها للفناء ، حتى وان تعرضت الأجساد الترابية لكل النتائج الوبيلة التى يفرضها نشاط ناموس تنازع البقاء ، بكل ما فيه من قسوة مفرطة ، بل وحشية تبدو بحسب الظاهر — لا هدف لهــا ولا ضابط .

التطور والايمــان

وفى هذا الشأن يكتب العلامة المرحوم محمد فريد وجــدى مقــالا ضافياً يقــول فيـــه : « ان الأستاذ الكبير الفـــرد راســل والاس A. R Wallace الذى اكتشف ناموس الانتخــاب الطبيعى هو ودارون فى آن واحد ، وأحدهما بعيد عن الآخر قال فى كتابه عن « الانتخاب الطبيعى » صفحة ٣٣٢ : ان الانســان عالم قائم بنفســـه وانه متمتــع بروح وأن روحه تخلد بعد هــذا العالم .

والأستاذ الطبيعى الكبير فيركو الألمــانى يهــزأ بالدارونية ويعدها مفسدة للأخلاق ومحللة للاجتماع « راجع كتـــابه فى نقـــد الدارونية الاجتماعية » .

والعلامة الفيزيولوجى الكبير كاتروفاج قال فى كتابه عن « النـــوع البشرى » بعد تحليل دقيق للأصول الدارونية : « لسنا نستطيع أن نعلّم الناس أن الانســان متسلسل من القــرد أو من أى حيــوان آخــر ، بل لا نستطيع أن نعتبر القول بذلك مسألة علمية » .

وهــذا العلامة الجليـــل — كلود برنار — الذى يدعوه البيولوجى المشهور لوانتك بأبى الفيزيولوجيا كان لا يعتد بالمذهب الدارونى ويعتبر جميع التطورات الانسانية حاصلة بواسطة القــوة الحيوية الثــاوية فى اجسادها . . .

ثم يقول العلامة وجدى ان « كرنر الطبيعى الألمــانى كان يقول بوجود قــوة حيوية فى الوجود تمــد كل كائن بمــا يحتاج اليــه من الغـــرائز والوسائل .

أما هكسلى البيولوجى الانجليزى الكبير فكان يقول ان الحياة نفسها قــوة مدبرة ومنظمة ، وانها هى التى تهدى الكائن الضعيف لكل ما يحتاج اليه حتى عمل القوقعة ، وتلهمه زخرفتها وتكوينها .

والأستاذ هيكيل الألمــانى المتشدد فى اثبات نشوء الحياة بالعــوامل الآلية لم يستطع أن ينكر ان فى كل ذرة عضوية ، فضلا عن كل خلية روحاً وعقلا وارادة تديرها وتؤتيها بما يصلحها « راجع كتابه عجائب الحياة » .

هذه هى اقاويل المذاهب الكبرى وكلهم مجمعون على ضرورة وجود قوة مدبرة فى الكائنات الحية تمدها بالوسائل المقوّمة لهـا على خـلاف بينهم فى تصورها . انا لا انكر ان أكثر هذه الافتراضات لا يقـوى على النقد ، ولكنها تدل القـراء على مبلغ حيرة العلماء فى تعليل وجود هـذه الغرائز الغريبة بتأثير العوامل الآلية المجردة من العقل .

ومهما يكن الأمر فهل تخرج هذه الأقاويل عن دائرة الامور الظنيـة التى لا يمكن تحقيقها ، والتى هى بتخالفها يهدم بعضها بعضاً ؟ هـذا كلـه لا يعنينى وانما الذى يهمنى ان أقف قراء العربيـة على ما يدلى به بعض الكتاب اليهم تحت نواميس بيولوجية ومشاهدات علمية فى هـذا الوطن وغيره مما لا يمكن تمحيصه تحليـلا وتركيبا ؛ كلـه من قبيـل الظنيات التى لا تغنى عن الحق شيئاً .

فهى لا تصلح لأن تشكك مؤمناً فى ايمانه ، ولا أن تمـد ملحـدا فى الحاده ، وتجعل باب العـلم مفتوحا على مصراعيه للفتوح الجديدة المؤيَّدة بالمشاهدة والتجربة ، ومنها ما يقيم أقطاب العلم صرحه تحت اسـم المباحث الروحية ، فقد انكشفت للعقول بثبوت الروح والعـالم الروحانى ينابيع القوى الحقيقية للحياة الكونية . وهو عمل ضخم بذل العلمـاء فيه تسعين سنة متوالية (الآن حوالى قرن وربع) . ولم يبـالوا بارجافات المرجفين ، كما لم يبال بهـا مسـمر ، ولافوازييه ، وجالفانى ، وباستور من كاشفى مساتير الطبيعة الكبرى ... » (١) .

وفى الواقع ان نظريات التطور — حتى مع تسليمها كلهـا بمبـدأ تطور الحياة — لا تزال فى تطور مستمر ، وأيضا فى تناحر لا يتـوقف . ويبدو أن عودة الانسان للتجسد على نحو أو آخر ، وفى وقت أو آخـر ، ولسبب أو آخر ، تمثل ناموسا حقيقيا يلعب فى تحقيق تطور الحيـاة دوراً أعمق واخطر بكثير مما كان يجـول فى الأذهان ، خصوصا منهـا أذهان العلمـاء المـاديين الذين كانوا على استعداد لقبول مبدأ التطـور وليسوا على استعداد لمناقشة مبـدأ « العـودة للتجسد » أو لمحـاولة تفهمه ، أو حتى لتحقيق أسانيده وهى آخذة فى النمـو وفى الوضـوح بشكل مضطرد .

التطور فى المفهوم الثيوصوفى

وعن تطور الانسان تكتب الرائدة الثيوصوفية المعـروفة السـيدة آنى بيزانت Annie Beasant فى مؤلف من مؤلفاتها العـديدة

(١) منّ مقال له فى جريدة الاهرام عدد ٤ اكتوبر سنة ١٩٣٨ بعنوان « ناموس التطور والتسلسل ونشوء الغريزة الاخلاقيـة فى الانسان » ص ٣ ، ١٥ . وكان ذلك بمناسبة اعتراض اثارة احدهم على البحوث الروحية باسم نظرية التطور .

وعنوانه « الحكمة القديمة » (١) (١٨٩٧) قائلة ما مضمونه أن العلم الحديث آخذ فى الاثبات التدريجى الواضح لضعف دور الوراثة فى تطور الكائنات العليا ، وأن الخصائص الذهنية والأدبية لا تجىء جزافاً من ناحية الآباء . وبقدر ما تسمو الصفات بقدر ما يضعف فيها دور الوراثة فابن الانسان العبقرى كثيرا ما يكون أبلهاً ، وابن الوالدين العاديين قد يكون عبقرياً .

وبالتالى فلابد من وجود جوهر دائم تكمن فيه الخصائص الذهنية والأدبية ، وتنمو ، والا فان الطبيعة — فى هذا الجانب الهام من نشاطها — تبرز نتاجاً ضالا ليست له أية علة بدلا من الاضطراد المنتظم الذى نعرفه عنها . وفى هذا الشأن يبدو العلم أصماً ، لكن الحكمة القديمة تعلمنا أن هذا الجوهر هو « الموناد » Monad (كلمة هندية تعبّر عن الروح أو العقل) الذى هو موطن جميع النتائج ، والمستودع الذى تختزن فيه جميع الاختبارات بوصفها طاقات نشطة متزايدة .

وهذان المبدآن المرتبطان وثيق ارتباط « بالموناد » وبالامكانيات التى تتطور الى طاقات ، وبدوام الحياة والشكل ، يحلان كثيرا من المشكلات العويصة للعلم الحديث ، وأيضاً المشكلات التى يواجهها المفكر الانسانى ، والحكيم ، والتى لا تزال تتعثر فيها الجهود الجادة .

ثم تقول آنى بيزانت ما مفاده ان الروح الجنينية ، أو العقل فى الجنين يحوز فى البداية جسدا عقليا جنينياً يتضمن الشكل الذى جاء به ، لكن لم يحز بعد أية امكانية نشاط ، لانه عبارة عن مجرد نواة لجسد عقلى مرتبطة بنواة لجسد سببى Causal body

وبالنسبة للعديدين تبدو الحياة بوصفها رغبة قوية من الطبيعة تباشر ارادتها فى الروح ، فتدفعها الى المسير بامتداد الطريق الذى يلتئم مع عواطفها وشهواتها ، ويرتطم بكل أمواج رغباتها الحيوانية الهائجة ، التى لا تخضع لسيطرتها .

وهذه المرحلة المبكرة للروح تبدو لنا الآن كريهة عندما نتطلع اليها من مرحلة التطور المرتفعة التى وصلنا اليها ، ولكنها كانت ضرورية لانبات بذور العقل حتى يتعرف على الأمور ، ويدرك أن أمرا معينا يغاير الأمر الآخر ، وكان هذا هو المبدأ الأساسى للتفكير .

ولايقاظ تلك القدرة على الادراك فى العقل كان لا بد أن تمر الروح بمفارقات قوية وعنيفة ، حتى تفرض عليها التمييز فيما بينها . وكان لابد أن تتلقى الروح طرقات دورية من المتعة الجمة ، ومن الالم المرير . وهكذا أخذ العالم الخارجى يؤثر فى الروح خلال رغبة الطبيعة ، فأخذت

(١) The Ancient Wisdom. ص ١٨٣ — ١٨٤ .

الروح ببطء شديد تستخدم ملكاتها ، وتسجلها نتيجة تكرارات تفوق الحصر . والمكاسب الضئيلة التى حققتها الروح خلال كل حياة اختزنتها فى عاقلتها ، وهكذا حدث التطور البطىء .

وهو تطور بطىء فى الواقع ، لأن اى شىء فكرت فيه الروح ، واى جهد قامت به ، لم يؤثر فى تنظيم الجسد العقلى الى أن تم تسجيل ادراكات عديدة للأمور فيه بوصفها صوراً عقلية ، أمكن أن تكون مادة خام تقام عليها مناشط عقلية تنبعث من الداخل ... وكان هذا هو بداية التفكير ، ونواة كل أنظمة المنطق التى أمكن لعاقلة الانسان أن تطورها وان تتمثلها . وتم ذلك تحقيقاً لرغبة الطبيعة فى أن تنمّى بهجة الانسان ، وتقلل من آلامه ، ولكن كلا الأمرين كان من أثرهما زيادة نشاط الجسد العقلى ، ودفعه الى المزيد من النشاط .

وفى تلك المرحلة من طفولته كان الانسان لا يملك أية معرفة عن الخير والشر ، والخطأ والصواب . بل لقد كان الصواب هو ما يلتئم فحسب مع الارادة الالهية ، التى تساعة تطور الروح نحو الأمام ، والتى تميل الى تقوية الجانب الأسمى من طبيعة الانسان ، وترويض جانبها الأدنى واخضاعه . وكان الخطأ هو كل ما يعوق التطور ، ويقيّد الروح فى مراحلها الدنيا بعد أن تعلمت الروح الدروس التى عليها أن تتعلمها ، والتى تميل الى السيطرة على الجانب الأدنى لحساب الجانب الأسمى . وبالتالى فان الخطأ هو كل ما يقيّد الانسان بالوحش الذى انبثق عنه بدلاً من « الاله » الذى ينبغى أن يتطور اليه .

فكل انسان عليه أن يتعلم وجود « القانون » ، وذلك عن طريق اتباع كل ما ظل يجتذب انتباهه فى العالم الخارجى ، والتعلق به ، وعندئذ يتعلم بالاختبار البهيج أو الأليم ، ما اذا كانت متعته تلتئم مع « القانون » أم تتناقض معه ...

ولا ينبغى أن نغفل الاشارة الى انه فى تلك الأيام المبكرة حدث تنوع ضخم فى نموذج التطور الفردى وطبيعته نتيجة البيئة التى تحيط به . فقد كان على جميع الأرواح ان تنمّى طاقاتها ، لكن الطريق الذى تسير فيه التنمية يتوقف على الظروف التى وُجدت فيها الروح : ومنها الطقس ، والخصوبة أو الجدب ، وحياة الجبل أو السهل ، والغابة او الشاطىء ... فهذه الاعتبارات ، ومعها اعتبارات اخرى لا تحصى ، تباشر تاثيرها فى يقظة الطاقات العقلية فى اتجاه معين او فى آخر ...

والانسان عند مروره من الموت الفيزيقى الى مستوى « الديفاشان » (مستوى العودة للتجسد من عالم الحب بحسب التعبير الهندى) ينتقل

المرة بعد الأخرى أجساده المختلفة : الجسد الفيزيقى ، والكوكبى ، والعقلى ... وصلة الانسان بجسده الفيزيقى تنقطع نهائياً ، وينتهى أثرها ، لكن الجسدين الكوكبى والعقلى يصبحان هما الانسان نفسه باندماجهما معاً . ويكونان بمثابة المخزن للملكات والصفات الناتجة عن ممارسة مناشط الحياة الأرضية ، والبذور للجسدين الكوكبى والعقلى فى المرحلة التالية . ويبدأ عندئذ شروق حياة جديدة .

وتبدأ الحياة الجديدة عن طريق احياء البذور العقلية ، التى تواصل الحياة وتستمد عناصرها من المستويات الأدنى للعقل حتى ينمو منها جسد عقلى جديد يعبّر بالضبط عن المستوى العقلى للانسان ، وجميع ملكاته العقلية بوصفها أعضاء . ولا تبقى اختبارات الماضى فى هذا الجسد العقلى الجديد بوصفها صوراً عقلية ، لأن تلك الصور اختفت باختفاء الجسد العقلى القديم (باندماجه فى الجسد الكوكبى) ويبقى جوهر هذه الصور فحسب ، أى أثرها فى العقل .

وقد كانت هذه الصور بمثابة الغذاء للعقل ، والمادة الخام التى أصبحت ملكات ، وتظهر فى الجسد الجديد بوصفها طاقات تحدد تكوينه ، وتكوّن أعضاءه . وعندما يكون الانسان على هذا النحو قد صنع لنفسه جسداً جديداً لحياته المقبلة على المستويات العقلية المنخفضة ، يعمد الى احياء البذور الكوكبية الكامنة فيه ، كيما يزوّد نفسه بجسد كوكبى لازم لحياته على المستوى الكوكبى . وهذا الجسد يعبّر من جديد تعبيراً دقيقاً عن الصفات التى طوّرها فى ماضيه ، كما تعبّر البذرة عن كل خصائص الشجرة التى جاءت منها .

وهكذا يقف الانسان مزوداً تماماً بما يلزم لتجسده القادم . وتظل ذكريات أحداث ماضيه فى جسده السببى ، وهو الجسد الوحيد الدائم الذى يتنقل بصاحبه من حياة الى حياة . وعندئذ يحدث عمل أجنبى عنه لتزويده بجسد فيزيقى مناسب للتعبير عن خصائصه (هو تكوين الجنين بسبب التلقيح وانقسام الخلايا) . وفى حيواته الماضية يكون الانسان قد أنشأ بعض روابط مع كائنات بشرية ، وبعض تلك الروابط ستحدد جزئياً مكانه من ناحية الميلاد والأسرة ، ولقد كان هذا الانسان مصدراً لسعادة الآخرين أو لشقائهم ، وهذا بدوره عامل آخر يتدخل فى تحديد حياته المقبلة .

واذا كانت طبيعة الرغبة فيه منسقة جيداً ، أو بعيدة عن التنسيق ، فان ذلك يدخل ايضاً فى الاعتبار فى شأن الوراثة الفيزيقية لجسده المرتقب . واذا كان قد نمّى بعض الطاقات العقلية ، ومنها الطاقات الفنية ، فان ذلك يدخل فى الاعتبار ، لأن الوراثة الفيزيقية تمثل عاملاً هاماً ولأن

التكوين العصبى ، والحساسية الفيزيقية مطلوبان أيضاً ، وهكذا تسير الأمور فى تنويع لا ينتهى ...

وهكذا يتحدد نوع السلالة ، والشعب ، والأسرة ، وما يصح تسميته بشكل الجسم الفيزيقى المناسب للتعبير عن صفات الانسان ، وعن ثمرة أفعاله الماضية ... ويتكون الجسد الأثيرى الجديد فى رحم الأم ، متخللاً الجسد الفيزيقى الكثيف فى كل جزىء من جزيئاته ، وينمو معه تماماً ؛ وتكون الوراثة الفيزيقية قد أدت دورها فى الخامات التى قدمتها لتكوين الجسد الفيزيقى ...

وبعد مرحلة متقدمة يدخل الجسد الكوكبى فى ارتباط مع المقابل الأثيرى الجديد ، ويباشر تأثيراً قوياً فى تكوينه ، وعن طريقه يؤثر الجسد العقلى فى الجهاز العصبى ، حتى يعده ليكون جهازاً مناسباً للتعبير عن نفسه فى المستقبل . وهذا التأثير بدأ فى حياة ما قبل الميلاد ، وذلك الى حد أنه عندما يولد طفل فان تكوين مخه يعبّر عن مدى صفاته العقلية والأدبية ، وعن مدى اتزانها ، ويظل ذلك كله قائماً بعد الولادة حتى يتكامل التكوين الفيزيقى للانسان .

ويكون وعى الانسان الى سن السابعة من عمره نشطاً على المستوى الكوكبى اكثر مما هو على المستوى الفيزيقى ، وهذا يتضح كثيراً من نشاط المواهب الروحية عند الأطفال ، حيث قد يرون رفاقاً غير منظورين ، ويرون رؤى ، ويسمعون أصواتاً لا يشاركهم فيها الكبار .

وهذه الظواهر تختفى فى المعتاد عندما يبدأ العقل يعمل بنشاط عن طريق المركبة الفيزيقية ، والطفل الحالم يتحول الى الصبى أو الفتاة المألوفين . وكثيراً ما يلوم الكبار أولئك الأطفال عندما يروون مشاهداتهم غير المنظورة منهم ، فيضطر الأطفال الى اخفائها مخافة اللوم من الكبار ، أو السخرية منهم . لذا يتعين على الكبار أن يكونوا أوسع صدراً مع اطفالهم ، وأكثر تجاوباً معهم ، وفهماً لهم .

وعندما يتفهم الجميع موضوع العودة للتجسد ، فان ذلك كفيل بأن يرفع عن حياة الطفل كثيراً من مخاوفها وآلامها ، وبأن يمكنه من نضال روحه عندما تحاول السيطرة على اجهزتها الجديدة ، وترتبط ارتباطاً تاماً بجسدها الكثيف ، وفى نفس الوقت بغير أن تفقد قدرتها فى الافادة من اهتزازات أجسادها الأخرى الأكثر منه رقة عندما تحاول التأثير فى اهتزازات الجسد الفيزيقى (١) .

---

(١) تلخيص عن المرجع السابق ص ١٩٦ — ٢٠٧ .

تعليق

هذه هى بعض أقوال السيدة آنى بيزانت ، وهى مرتبطة بالتعاليم الثيوصوفية ، وبخاصة منهـا جانبهـا المتعلق بتعدد الأجساد الآدمية ، وتداخلها ، وتطورها ، وتنوعها بين فيزيقية ، وأثيرية ، وعقلية ، وكوكبية ، وسببية (١) ... نعرضها هنا لأنها قـد تلقى بعض أضواء لها قيمتها فى ايضاح ماهية الحياة فى الأرض وفى الأثير ، و « آلية » العودة للتجسـد بدون ارتباط منا بأى جانب منها ، ولكن فى نفس الوقت بغير أن نغفـل الاشارة الى أن بعض جوانب هذه الفلسفة ــ وليست كلها تلتئم التئاماً فريداً مع تلك النتائج التى وصل اليهـا بعض أعلام الباحثين العمليين : وبخاصة منهم الدكتور جوستاف جيلى فى فرنسا ، وشو دزموند فىانجلترا على ما سيرد فى المبحثين القادمين .

وفى نفس الوقت ينبغى أن نلاحظ أن تعدد الأجساد للشخص الواحد لا يعنى بالمرة ــ حتى فى المفهـوم الثيوصوفى ــ تعـدد الشـخصيات أو الفرديات ، بدلالة أن التعاليم الثيوصوفية تقصد بالجسد الفيزيقى مجرد الجانب الشهوى من جسد الانسان ، وهو كائن فى منطقة البطن (موضع شهوتى الطعام والجنس) ، وبالجسد الكوكبى الصدر (وهو موضع القلب والعاطفة) ، وبالجسد العقلى الراس (وهو موضع التفكير والعقل) ... وهكذا .

وعلى أية حال فان التسليم بالتطـور ، وبالعودة للتجسـد كوسيلة للتطور ، أمران مستقلان تماماً عن التسليم بتعدد الأجساد داخل الجسـد الواحـد ، ولا يتطلبان فى الواقع أكثر من التسليم بوجود جسـد أثيرى شامل يحمل كل رغبات الانسان ومشاعره ، وعاقلته أيضاً .

أما تقسيمه الى « مناطق » أو الى « عناصر » ، وأما الكلام فى مدى ترابط تلك العناصر أو عدم ترابطها المحتوم ، فهذا موضوع آخر ، ويمكن أن يكون محلاً للنقاش ، وللبحث العلمى الذى يبدو فى هذا الميدان بالذات ــ وهو ميدان التطور ــ انه لا يزال فى المهد .

من اتجاهات الفلسفة الهندية

ولا ريب أن التعاليم الثيوصوفية استمدت جل عناصرها من الفلسفة الهندية التى تقوم على مبادىء الخلود ، والعـودة للتجسد ، والكارما ،

---

(١) راجع ما ورد عن هذا الموضوع فى « المفصل » . الجزء الأول ص ٨٤١ــ٨٧٠ ، ٩٤١ ــ ٩٤٣ ، ٩٦١ وبوجه خاص المراجع المشار اليها فى هـذه الصفحة الأخيرة عن الثيوصوفية بوجه عام .

وتعدد الأجساد الآدمية او تداخلها . وكنموذج من موقفها فى هــذا الشأن ما ورد عن هــذا الموضــوع فى كتاب « فلسفة الهنــد فى سيرة يوجى » من « أن تداخل أجسام الانسان الثلاثة يتجلى بطرق متنــوعة فى طبيعته الثلاثية . ففى عالم اليقظة الأرضى يحس الكائن البشرى كثيرا أو قليــلا باغلفته الثلاثة .

فحينما يستغرق المــرء بحــواسه فى الذوق أو الشــم أو اللمس أو السمع او النظر فانه يعمل أصلا بجسمه المــادى . وبالتخيل أوالارادة يعمل بجسمه الكوكبى . وحينما يفكر أو يغوص فى الفحص والتأمل يعمل بجسمه السببى ، وتأتى أفكار النبوغ الكونية لذلك الانسان الذى يعتاد الاتصال بجسمه السببى اى الاستغراق فيه ، وبهــذا المعنى يمكن تقييم الأفراد اجمالا الى اشخاص ماديين ، أو عاملين ، أو عقليين .

ويعيش الانسان بجهازه المــادى نحو ســتة عشر ساعة كل يوم ، ثم ينام . فاذا استغرق فى حلم ظل فى جسمه الكوكبى يخلق بغير عنــاء أى أمر ، كما تفعل الكائنات الكوكبية . فاذا كان نومه عميقا خاليا من الأحلام لمــدى بضع ساعات استطاع تحويل وعيه أو احساسه بذاتيته الى الجسم السببى . ومثل هذا النوم مجدد للقوى ، فالحالم يلمس جسمه الكوكبى لا السببى ، ولا ينتعش فى هذا النوم تماما » (١) (مثل ذلك الذى لا يحلم تماماً لاستغراقه فى جسمه السببى) .

والتعاليم الثيوصوفية والهندية غاصة بالتفصيلات عن هذا الموضوع، وهى لا تلزمنا هنا ، بل كل ما يلزمنا هو ــ فى نهــاية المطــاف ــ التسليم بوجود جسد واحد لا مادى ، مرن ، خاضع للعقل ، وللتطور ، مستقل عن الجسد المــادى الذى يسقط بالوفاة ، بل هو حامل شــعلة الحيــاة ــ وهى الروح ــ والمزود للجسد المــادى بالحياة ، والشعور ، والعقل . وهى أمور دخلت بالفعل الى نطاق البديهيات فى العلوم الحديثة : وبخاصة الفيزياء ، والبيولوجيا ، والسيكولوجيا .

التطور ودورات الحياة

ولا ريب ان التطــور بوجه عام وثيــق صــلة بما يطلق عليه وصف « دورات الحياة » وفى هذا الشأن يتحدث جوفرى هدسن Geoffrey Hodson فى كتــابه « هل العودة الى التجسد حقيقة ام خيال »(٢) فيقول ــ نقلا عن الترجمة العربية للأستاذ زكى عوض المحامى :

---

(١) ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى سنة ١٩٥٥ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(٢) Reincarnaticn Fact ar Fallacy ?.

« هنا نقرر أن العودة الى الحياة تستند على مزيج من تعليم خاص بالحياة البشرية ، وقاعدة من قواعد الطبيعة . والتعليم كما تناولناه يهدف الى تكميــل الانسان ، أما العقيــدة فهى قاعدة الدورية . وما الانسان فى جوهره الروحى سوى بذرة للألوهية تغــرس فى العــوالم المــادية وفوق المــادية ، لكى تنمو وتبلغ أسمى درجة ممكنة . وفى مملكة البشر الدنيوية يطلق على الفرد الذى بلغ هذه الحالة ، اسم الضليع أو الانسان المكمل .

وواضح أن مثل هذا البلوغ لا يتحقق فى حياة أرضية واحـــدة . وحتى لو عاش المرء العمر المعتاد ، فلن يتوافر له الوقت أو الفرصة لانماء جميع مواهبه البشرية ، وتحاشى ذلك انما يكون بعملية الدورية ، وبالمــد والجزر ، وبالذهاب والاياب . وحتى المجموعات الشمسية على هيولتهــا والتى تضم أدق الكائنات تخضع لهــذا القانون . فليس مرة واحــدة بل مرارا عديدة يهبط الانسان كذاتية ، ويتخــذ جســما ماديا حين الولادة ويتركه عند الموت .

وفى كل مرة تحدث اختلافات فى الجنس والسلالة والبيئة والفرص وضروب النشاط ، وهذه الاختلافات تهيىء تقــدما فى كل حيــاة بحيث تحصل الروح فى النهاية على سائر الاختبارات اللازمة ، وتدرب جميــع القوى ، وتقمع سائر وجــوه الضعف . وبهــذه الكيفية يتحقق النجاح فى النهاية لسائر البشر بعامل الزمن اللانهائى ، والتنوع الواسع فى الاختبار اللذين يكفلان النجاح للنفس الروحيــة المتفتحة . وتتركب كل دورة على الطريق اللولبى الصاعد الذى يصل الانسان بواسطته الى قمــة الكمال ، بنزول قسم من القوة والحياة ووعى الذات الى التجســد المــادى فى كل حياة . ثم تأتى رجعة تالية ، ولكن دائما فى وضع أعلى على اللولب .

* * *

وتفتتح كل دورة جديدة بتغيير فى الوعى ، تحسه الذات فى وقت معين بعد انقضاء الدورة السابقة . وتعبر فلســفة الشرق عن هــــذا التغيير بالكلمة السنسكريتية « تنها » ومعناها الظمأ الى الحياة ، بقصد اطــراد النمــو ، وللاعــراب الأتم والأكمــل عن النفس . ولمــا كانت الذات التى تقطن فى مستوى وعى العقل المجــرد أو المعنــوى ، تعلم ان ذلك مستطاع بولوج باب الحياة المــادية مرة ثانيــة ، فانها توجــه انتباهها الى العوالم الأكثف ، فتقذف فى بادىء الأمر شعاعا ثلاثيا للذاتية من القوة والحيــاة والوعى على سطح العقل المــادى ، حيث يجمع حوله مادة عقليــة تــكون بالتدريج جسما عقليا .

وفى نفس الوقت يزداد الشــعاع نفــاذا الى حيث مملكة الانفعــالات

ويكون بالمثل جسما للرغبات . وفى النهاية ينفذ الى العالم المـادى عادة فى وقت الحمــل ، حيث ينــدمج فى الخليــة المزدوجة الأولى التى تكونته حينذاك ، والتى تنمو فيما بعد جسما ماديا (١) . وأبان الحياة السابقــة على الولادة تنمو هذه الأجسام ويتزايد وعى الذات لهــا . وتستمر العملية بعد الولادة ، ويزداد باطراد الوعى الذاتى فى المستويات الثلاثة لا ســيما اعتبارا من الســنة السابعة ، حتى تبلغ ســيادة الذات للجسم المــادى أقصى حد لهــا ببلوغ الرشد عادة .

* * *

ان عملية التطور عن طريق الاختبارات المـادية تواصل تقدمها حتى الممات . اما مدى هذا التطور ونوعه فيحكمهما قانون السببية . وبعدئذ يطرح الجسم المــادى جانبا وتبــدأ عملية العودة . ولوقت ما ، يتوقف طوله غالبــا على نوع وقوة الحياة العاطفية فى مقامها على الأرض ، تظــل الذات واعيــة فى الجسم العاطفى ، وتواصــل اجتنــاء كرماها فى ذلك الجسم .

وهذا الأمر يثير فكرة الاختبارات المطهرية بعد الوفاة ، حيث تكسب الذات دروسا ثمينة ويطّرد التقدم . وفى النهــاية يطــرح جانبا جســم الرغبات ويبــدأ الطور الأخير للمرحلة الراجعة ، التى تتألف من الحياة فى الجسم العقلى ، الذى يحصل بسبب تخلصه من شــوائب الأهــواء على سعادة تامة ، وهى حالة تطابق الى حــد ما الفردوس أو الســماء فى التعاليم الدينية .

وحينما تجد المطامح السامية اقصى تعبير عقلى لها تأتى هذه الفترة الى نهايتها . ويمتزج ثانيــة المظهــر أو قســم الذات الذى قام بالرحلة الدورية ، بالنفس العليا التى انفصــل عنها . ويرجــع الابن الشارد الى موطنــه (٢) . . .

التطور والسببية

كما يقول جوفرى هدسن فى نفس المرجع الآنف الاشارة اليه :

« ان قانون السببية أو الكارما يتصل بتطور الانسان الروحى اتصالا وثيقا ، بغيــة الوصول الى الكمال عن طريق حيوات متعاقبة على الأرض .

---

(١) انظر « دراسة فى الوعى » A Study in Consciousness لمؤلفتــه انى بيزنت ، وكتــاب « معجزة الميــلاد » The Miracle of Birth لجوفرى هدسن .

(٢) انظر كتاب Mystery of Death لجوفرى هدسن .

وكل عمل انسانى سواء أكان عقليا أم عاطفيا أم ماديا يحدث ، طبقا للقانون الكرمى ، انعكاسا معادلا له تماما . ولكن قد لا تتم الانعكاسات أو ردود الفعل فى نفس الحياة التى ارتكبت فيها الأعمال ، بل تظل أحيانا معلقة تتحين الفرص الملائمة فى تجسد تال لتعلن فيها عن ذاتها . فان دقة قانون السببية تتطلب أن تحدث الأسباب نتائجها فى نفس المستوى وفى العالم الذى حدث فيه السبب . فالأفعال المادية تؤتى ثمارها فى نتائج مادية والأفعال العاطفية والعقلية والروحية تحدث نتائجها فى عوالمها الملائمة لها .

الا أنه لما كان الفعل المادى الذى يتم فى حياة معينة قد لا ينتج رد الفعل الكامل أثناء تلك الحياة ، كانت العودة الى الأرض امرا ماسا حتى يتهيأ الظرف الملائم ، الا وهو توطيد الادراك فى جسم مادى . ويبدو أن القديس بولس قد ألمح الى هذه القاعدة فى اعرابه عن قانون الزرع والحصاد ، حيث يقول : « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادا ، ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة ابدية » (١) . وطبقا لهذا الرأى فان الاستحقاق أو عدم الاستحقاق الذى نشأ فى حيوات سابقة يحدد ماجريات الحياة الحاضرة . فكل انسان يدفع الى العمل الأسباب التى تحدث اختباراته التالية .

ان هناك نظريات ثلاث تعرض لتفسير ضروب التباين والاجحاف الظاهرة للولادة البشرية وللفرص . واحداها نظرية الخليقة الخاصة ، والتى تنظر الى كل طفل حديث الولادة كمخلوق جديد . وهذا الرأى الذى تستمسك به بعض المذاهب المسيحية غير مقنع من وجهات متعددة ، لا سيما وأن أصحاب هذا الرأى يعزون مشكلة الظلم الصارخ فى الحياة الى ارادة الله ، ويقولون بأن الحياة والموت هما لغزان لا يجوز التعمق فى بحثهما .

وهنا يجب ان نسلم بأن نفوسا دون ماض خلفها تقفز بغتة من العدم الى الوجود ، مزودة بمؤهلات معينة فكرية وادبية ، وتتميز بها عما للوالدين وافراد الأسرة ، انما هى فكرة غير مقبولة ، كالفكرة المقابلة لأطفال يظهرون بغتة من لا شىء ولا ينتسبون لأى انسان ، ومع ذلك يظهرون سجايا ومميزات وصفات فردية وعائلية وجنسية خاصة .

* * *

---

(١) غل ٦ : ٨ .

والنظرية الثانية هى الصدفة . ويحكى سر والتر سكوت قصة فليسوف مرح شبه الحياة البشرية بمنضدة بها ثقوب أعد لكل منها وتد يلائمه . الا أنه لما كانت هذه الأوتاد تغرز اعتباطاً دون نظر الى ثقوبها الملائمة ، فما لاشك فيه حدوث نتائج خرقاء من هذا العمل الاعتباطى . وللأسف لا يزال اناس يثقون أن صدفة مماثلة تحدد فى الولادة وبعدها ، ظروفنا الخاصة بالجسم وبالبيئة .

وهذه النظرية كسابقتها لا تقنع العقل المفكر على الاطلاق . فلماذا تكون الحياة البشرية هى الشىء الأوحد فى العالم الظاهر الذى لا يحكمه قانون ؟ ففى كافة جوانب الطبيعة اعتبارا من أكثف مادة الى أرق أثير ، ومن كوكبنا الأرضى فصاعدا الى ابعد النجوم ، ومن أحقر الأحياء الدنيئة الى أكبر المجموعات الشمسية ، يقف العلم على قانون محكم . وقد جاء فى حديث لسير أرثر ادنجتون أستاذ الفلك بجامعة كمبردج ، عن القانون خلف قوى العالم المادى ما يلى : « انه قانون جليل لا ينثلم ، وخليق أن يتفق وعقل الاله » . وبالنظر الى وجود قانون ثابت يحكم كل شىء فى العالم المادى ، فانه بالكاد يكون معقولا ان نجد القانون غائباً فى اختيار ظروف الولادة البشرية والحياة التى تتلوها . وهذا الغياب يتعارض أيضا مع تعاليم الحكماء على مر الأجيال ، ولا سيما مع فلسفة هرمس التى تقول : « كما فى السماء كذلك على الأرض » .

* * *

وثالث التفسيرات للاختلاف البين فى اختبارات البشر هو وجود القانون . وطبقا له فان ظروف الحياة البشرية من حيث الصحة والسعادة ، والمقدرة والفرصة أو المرض ، والشقاء والضعف والحرمان ، انما هى نتائج عمل قانون محكم وحصاد لغرس سابق . وتقدم عقيدتا العودة الى الحياة والكرما حلا لمشكلة عدم المساواة والفرصة فى الولادة ، تلتئم مع المنطق والعدالة . فالمفارقات والتباين فى الظروف البدنية والعقلية وفى المقدرة ، وفى البيئات المختلفة التى يولد ويعيش فيها الناس ، هى ثمرات مباشرة لسلوكهم الشخصى السابق .

وتقرر مدام هـ . ب . بلافاتسكى أن هناك كرما استحقاق وكرما عدم استحقاق . والكرما لا تجازى ولا تكافىء ، بل انها ليست سوى القانون العام الأوحد الذى يقود بغير خطأ ، وبغير مبالاة كما يمكن أن نقول ، سائر القوانين الأخرى الى احداث نتائج معينة فى أخاديد مسبباتها

الخاصة بهـا .... أسباب لا محيص عنها ، ولا يمكن اقصاءها من الكون، الى أن تستبدل بنتائجها الشرعية وتمحى بواسطتها . ومثل هذه الأسباب ما لم تستبدل أثنـاء حياة الشخص الذى أحدثها بنتائج سـديدة فانها سوف تقتفى أثر الذات الراجعـة الى الحياة وتظـل تلاحقها فى رجعتها التالية الى أن يستقر تماما الاتزان بين النتائج والأسباب .

التطور والتناسق

والكرما ولو أنها أمر معنوى لا تدركه الأفهـام ، فهى الأسـاس الذى يبنى فوقه العالم المـادى المحسوس ، وعن طريقها تحدث تلك التعديلات للعقل الأوحد الذى تتكون منه الفـردية واختبار الذات . وهى عمليـة تصورية اذ لا يمـكن ادراك التقسيم بالوحـدات . فالضراء هى نتيجـة اضطراب للسكون أو الهـدوء الذى يسيطر على الذكاء العام ، وتنافر فى تناسق الطبيعة . ويحدث الاضطراب أصلا من التفكير الأنانى للبشر والذى لا مناص من أن يتنافر بداخل العقل الأعظم الذى هو متزن وهادىء ويعمل بغير محاباه . فكل حركة تتلوها عودة الى السكون الذى سـبقها والذى بدأت منه . وكل اضطراب يجب أن يعود الى الاتزان . والـكرما — وهى نتيجة الفعل — تتكون بالأكثر من هذه الرجعة .

ومهمة القـانون حفظ التوازن التام ، فاذا انثلم التنـاسق بذل القـانون على الفور جهدا لاستعادته ، وهو ما يحدث الألم . والأعمـال المتنافرة هى التى تتم تحت تأثير الخداع بأن كل انسان كائن منفصـل . وسـبيل الفكاك من الألم هو قهر هذا الخداع . والمرء الذى تتسق أفكاره مع العقل الالهى وعن طريقه يعمل ذلك العقل باتقـان ، ولا يسلم بالعوامل الانفصالية — ومثل ذلك الانسان يحيا فى غبطة دائمة .

ومع ذلك فأبان أحد أدوار التطور ، لا يكون الاحساس بالفردية فى حد ذاته وبالا على المرء ، بل بالأحرى هو طـور من النمو يطابق فى حيـاة النبات تكوين الساق الذى تنمـو منه الأغصان والأليـاف ، والتى تعبر بعد ذلك عن حياة النبات . الا أن الفـردية تصبح مصدرا للألم اذا تفوت فوق الضرورة أو طال أمدها بغير موجب ، حيث تسبب الانانية والتطاحن وتولد الخصام . وحينما يكافح المـرء بغـير حق فى اية حالة فانه يعـكر اتزان العقل الواحد . وهنا يبـدأ القانون أن يعمل لاستعادة التنـاسـق ، بقـوة لا تجدى مقاومتها . لان محاولة المرء فى المقـاومة ولو بغـير وعى منه تزيد فى شـدة الألم . والخطـوة العملية لاقلال الألم ومحـوه هى

اصــلاح المرء لذاته والاذعان للقــانون . ومن هنا تنشأ اهمية فهم الانسان لهــذه العقيدة » (١) .

التطور والحكمة

فالعودة للتجسد على هذا الوضع تكون لازمة للتخلص تدريجيا من الرذائل وللتحلى تدريجيا بالفضائل ، ولا يكون ذلك بالمعـرفة النظـرية لمـاهية الرذيلة وماهية الفضيلة ، لأن المعرفة النظرية لا تغنى فتيــلا ، بل يكون عن طريق الممارسة العملية الطويلة المتكررة . وشأن ممارســة الرذيلة والفضيلة فى ذلك شأن ممارسة اى عمل أو فــن .

فالانســان لا يصبح جراحا مثــلا من قراءة كتاب أو مائة كتــاب فى الجراحة ، بل لابد له من أن يقــوم بالاختبار بنفسه مرارا وتكرارا حتى يصح أن تصفه « بالجراح » . ومن المحتمل جــدا أن يخطىء وان ينجح ، وأن يكون ســبباً فى اصابة غيره أو فى خدمتهم ، ولكن الممارسة العمليــة أمر لا مفر منه فى النهــاية .

وهنا فى نطاق أمور الرذيلة والفضيلة لا بد أن تتعدد صور الممارسة ومراحلها بتعدد الرذائل والفضائل تعددا لا حدود له ، ناهيــك بتعــدد المواهب والملكات ، واتجــاه هــذا كلــه ــ بحسب قانون السببية ــ الى الاتجاه الصحيح أو الخاطىء . ناهيك باحتمال تحول الميول من نطــاق الى آخر ، وتنوعها ، وتعددها ، واتصالها العميق بأوثق رغبات الانسان، وعواطفه ، وغرائزه ، ومثله العليا الصادقة أو الزائفة .

فمثلا بحســب النواميس الروحيــة التى أمكن التثبت منها يعد حب التسلط رذيلة كبرى ، أما حب الخــدمة فهو فضيلة كبرى ، بل هو اب الفضائل كلهــا لأنه لا ينبع الا عن نفس عطوفة وديعة قد امتلأت حبــاً للآخرين . فاذا فرضنا أن شخصا مثل نابليون بونابرت يحــوز عبقرية لا ريب فيها فى ميدان القتال واستعباد الشعوب ، فانه ينبغى بحسب ناموس التطور الروحى ، وهو ملازم للتطور العضوى ، أن تتحول هــذه العبقرية تدريجيا من حب التسلط الى حب الخدمة ، لمصلحة صاحبها ، ولمصلحة الانسانية بأسرها .

وهذا التحول لا يجىء بغتة ، أو نتيجة لمجــرد الاقتناع النظــرى بضرورة التحول وذلك لتحقيق التطور نحو الأرقى والأحسن ، وهو الهدف الاســمى من الحياة . بل يجىء التحول بطيئا نتيجــة ممارسات عمليــة مضنية فى تجسدات متنوعة قد يكون أغلبها متواضعا ، ومصــحوبا بالآم

---

(١) عن جوفــرى هدسن . ترجمــة الاســتاذ زكى عوض . المرجــع الســابق ص ٤٨ ــ ٥٨ .

متلاحقة من المهد الى اللحد حتى تكتسب الذات الخالدة قدرة التفكير للآخرين بعد الاغراق فى التفكير فى الذات وللذات . وحتى تمارس بنفسها الاحساس بالألم والحرمان من الحرية وهما من مستلزمات القتال ، والتسلط ، ومحاولة استعباد الآخرين التى يكابدها الضحايا ويجنى ثمرتها البغاة الطغاة من أمثال نابليون ، وغليوم ، وهتلر ، وستالين ...

وهكذا يظهر تماما كيف أن الانسان الذى يمضى أيامه فى حياة بسيطة متواضعة فى خدمة تطوره الروحى نحو المحبة والوداعة أفضل بكثير فى نواميس الحياة الراقية — من ذلك الذى قد يقيم « مجدا » زائفاً — ويقال عنه أحياناً مجدا خالدا — روته دماء الضحايا واشلائهم . وكم من جندى أفضل من قائده ، وكم من تابع انبل من متبوعه ، وكم من فقير أفضل من سيد زمانه ، رغم عريه وجوعه ، وحرمانه ودموعه ..

وهكذا تتحول مثل هذه الذات على الأمد البعيد من لهفة القتال الى اللهفة الى الأدب ، أو الفن ، أو العلم ، أو الطب أو النضال السلمى لأجل مبدأ سام ، أو غاية نبيلة بدافع من حب الخدمة وحده وهذا هو المجد الحقيقى الوحيد الذى يعرفه ناموس التطور الروحى . وهكذا تشترى مثل هذه الذات ماضيها ، وتتحول من الاتجاه الخاطىء فى التطور الى الاتجاه الصائب فيه . ومن اعتناق مفاهيم خاطئة عن المجد ، وعن الوطنية ، وعن الكرامة ، الى اعتناق مفاهيم صائبة عن المجد ، وعن الوطنية ، وعن الكرامة . مفاهيم جديدة لحمتها المحبة وسداها التواضع ، بعد مفاهيم مضللة لحمتها الأنانية وسداها الغرور .

وقل مثل ذلك عن موقف الذات من سائر مفاهيم الحياة ، بما فيها مفاهيم الايمان ، والأخلاق ، والاجتماع ، والفلسفة ... فموقف الذات من هذه المفاهيم كلها عرضة للتطور البطىء . أو بالأدق هو ينبغى أن يتطور دواما فى الاتجاه الصحيح ما دام هناك خلود للذات . وما دام هناك تطور نحو الأرقى والأحسن ، اى نحو الاصلح روحياً ناهيك بما هو اصلح عضويا وجثمانيا .

وهذه الصلاحية ليست سوى صدى لنشاط نواميس طبيعية تعمل بلا توقف من خارج الذات ومن داخلها ، ومن واجب الذات الاتساق ، أو بالأدق محاولة الاتساق معها على قدر طاقتها وبحسب درجة تطورها . وهى نواميس تعمل جنبا الى جنب مع نواميس المادة والطاقة ، مثل نواميس الحرارة ، والجاذبية ، والنمو ، والتحول ، والحركة ، والاهتزاز ... وكلها لازمة لوجود الحياة ، ولنموها ، ولتطورها نحو الارقى والأحسن .

وكما عرفت حركة التطور ــ على المــدى البعيد جدا ــ كيف تصقل في الذات الانسانيــة انفعــالات غرائز الجنس ، والاجتماع ، والاقتنــاء ، والسيطرة ، وحب البقاء ... في وسط نضال مــر ، عنيف ، طــويل ، سببه جهل الانسان بنفسه وبحقيقة أهدافه في الحياة ، أو بالأدق بحقيقة أهداف الحياة فيه ، فانها ستعرف مع الوقت كيف تصقل أيضا انفعالات غريزة الاحساس بالمجهول ، ولعلها أصعبها كلهــا صقلا ، لأنهــا تبــدو دائماً معصومة ليست بحاجة للصقل . ولأنها ــ فيما يبــدو ــ أكثرها ضراوة ، وأوثقها اتصالا بأعمــق خلجات النفس .

وعندما يتم صقل جميع الانفعالات عن طريق المرور بأكبر قدر ممكن من الاختبارات المثمرة المفيدة فسيعرف الانسان نفسه ، وسـيكون قد وضع قدميه في طريق الحكمة التي هي اثمن شيء في الوجود . والحكمــة لا تعــرف حدودا بل هي في نمــو مضطرد متزايد ، وعنــدما تبلغ لدى صاحبها مستوى رفيعا فهو يصبح كائنا رفيعاً ، وقد يصــل برفعته الى حــد التحرر النهائي من قيود الزمان والمـكان ، واختباراتها المــريرة . وعند هذا الحد لا تعود به حاجة للعــودة للتجسد الأرضي ، لأن هــــذا التجسد هو عبارة عن ارتداء هذه القيود بعينها ، والاكتــواء بنارها .

وبعبارة أخرى لا يصبح هذا الانسان فيما بعد هو نابليون ، أو هــو غليوم ، أو هتلر ، أوستالين ، اواضرابهم ... بل يصبح محض كائن حكيم له رسالة أرفع بمراحل كثيرة من رسالات كل هؤلاء الطغاة البغاة . رسالة مجيدة بالمعنى الروحي الصحيح لا بالمعنى الأرضي الزائف ، لأنها هي بعينها رسالة الخدمة في محبة ، وفي تواضع ، وقبل كل شيء في حكمة .

ومن يحصل على الحكمة يحصل في نفس الوقت على السعادة ، لأن الحكمة ــ كما قال ارسطو ــ هي طريق السعادة ، وهي أســمى الفضائل كلهــا لأنها عبارة عن رد فعل أمين يقــوم به العقل عن عمل لا يستهدف تحقيق اية مصلحة عملية أو مادية . ولذا « فان اللذة زائلة ، والأمجــاد عابرة ، والثروة عرضة للضياع ، والسمعة تتوقف على حكم الآخرين ، لكن الحكمة هي وحدها الفضيلة البــاقية الكاملة التي ترقى بالوجــــود الانســاني » . ولعــله لنفس هــذه الاعتبارات قال برجســـون ان الكون المــادي آلة لصنع آلهــة ، أي لصنع كائنات عاقلة حكيمة جديرة بمجــد الخــلود ، متحــررة من آلام الرذيلة واهوالهــا التي تصيب صاحبها كما تصيب الآخرين أيضاً بحكم ناموس مسلم بصحته من التضامن الاجتماعي .

بين تطور الانسان وتطور الحيوان

وهـــذا الفهم الفلسفي للتطــور ــ ســـواء أكان في اطار المفاهيم الثيوصوفية ام خارجها ــ كما يفسح للروح وللخلود ، وللتخطيط الالهي

المرسوم ، دورا واضحا فى الوجود ، فانه فى نفس الوقت لا يشجع — فى اى معنى من معانيه — احتمـال عودة الانسـان للتجسـد فى وعى أو فى صـورة حيـوان أعجم ، لأن التطور يسير نحو الأمام لا نحـو الخلف من جانب ، ولأن خط الانسان فى التطور مستقل عن خط الحيوان ، باستقلال الانسان عن الحيوان فى وعيه ، وفى وجـدانه ، وفى حاسته الخلقيـة من جانب آخر .

واستقلال خط التطور عند الانسان عن خط التطور عند الحيـوان لا ينفى وجود بعض نقط التقـاء بينهما ، هى تلك التى سمحت للاثنـين أن يوجدا فى وقت واحـد على كوكب واحـد ، وان يتحكم الانسان فى الحيوان ، فيتخذ من ظهره مقاما ، ومن لحمـه طعاما ، بغـير احتمال التداخل بينهما من ناحية الوعى ، أو الوجدان ، أو الحاسة الخلقيـة ، التى قد توجد عند الحيوان فى صورة باهتـة جدا أحيانا ، ولكن يعوزها التقـدم الموجود عند الانسان ، والذى يسير جنبا الى جنب مع تقـدم الوعى الشعورى واللاشعورى فيه ، وهو تقـدم مضطرد ، وان كان بطيئا بل أبطأ مما نتصور .

وليس من الصحيح ان يقـال أن الانسان يختلف عن الحيوان فى أنه يملك حاسة روحيـة دونه . او بالأدق ان له قـدرة على الادراك خارج الحواس لا يملك الحيوان الأعجم مثلها ، فان هذا القول محض خطـأ ، وهناك دراسات كثـيرة على الحيوانات أثبتت أن بعضـها قد يملك بعض قدرات روحية متنوعة ، مثل الجلاء البصرى ، ومثل استشـعار الأمور المستقبلة أو الحاضرة ...

وبعض هذه القدرات قد يكون وصف الالهـام وصـفا مناسبا له ، وأوضح أمثلة لهـا هى فى الهـامات النمـلة ، والنحـلة ، والعصـفور والسـمكة ....

* * *

ولا اريد ان اتعرض هنا للمشكلة الخطـيرة التى لم يحسمها العـلم بعـد ، وهى من اين بدأ تطور الانسان ؟ ولكن هناك نقطة ليست محـل نزاع ، وهى انه اذا كان تطور الانسان قد بدأ جدلا من اصل حيوانى يشبه الغول او الشمبانزى ، فان الانسان ولا ريب قد قطع صلته تماما بهـذا الأصل الحيوانى منذ عشرات الآلاف من الأعوام التى قد تبلغ المـائة الف عام او اقل او اكثر ، بغـير دخول فى التفصـيلات الخارجة عن دائـرة البحث .

وتطور الحياة نحو الأمام ـ على المدى البعيد ـ هو جوهر ناموس التطور الذى ينكر بتاتا احتمال تطورها للخلف . وهذا الجوهر لا يتعارض مع احتمال عودة الانسان للتجسد فى صورة انسان جديد ، وربما اكثر خبرة ونضجا مما كان ، لكنه يتعارض تماما مع احتمال عودته ـ وقد وصل بالفعل الى مرتبة الانسان بكفاح مائة ألف عام أو نحو ذلك ـ الى صورة حيوان يعوزه العقل ، كما يعوزه التطور بمقدار هذه الحقبة الطويلة نفسها . وذلك حتى اذا صح أن تطور الانسان بدأ من أصل حيوانى على نحو ما .

وهذا القول لا ينفى أن غرائز الحيوان قد تظل رابضة فى وعى الانسان ، وقد تكشف عن نفسها بمناح شتى للسلوك الاجرامى على ما لاحظه سيزار لومبروز ـ وغيره ـ بالنسبة لطائفة « الجناة بالفطرة » التى قد تمثل ارتدادا atavisme بالانسان الى أصله الحيوانى أو لا تمثل . لكن مقومات الانسان ، واخصها القدرة على استخدام الاستدلال المنطقى ، تكون ايضا لا تزال متوافرة فى هذه الطائفة المرتدة من الجناة واقوى ظهورا فيهم من غرائز الحيوان الرابضة فيهم ، والتى قد تنشط تحت تأثير ذبول الحاسة الخلقية او اختفائها ، لا تحت تأثير ذبول العقل او اختفائه .

وهذا هو ما يلاحظ ايضا عند طائفة المجرمين المصابين بالجنون الخلقى أو بالتخلف الروحى Psychopathes (أصحاب الشخصية السيكوباتية) حيث تعوزهم ـ هم أيضا ـ الحاسة الخلقية ، ولو فى أضعف صورها ، فتبدو تصرفاتهم محض حيوانية وكأنها من تراث ذلك الماضى السحيق الذى مر به الانسان عندما كان يتسلق الأشجار على اربعة ارجل (١) .

* * *

ويلاحظ الفرد راسل والاس A. R. Wallace وهو الذى اعلن نظرية التطور فى سنة ١٨٥٨ قبل داروين (٢) أن تطور الانسان فى تكوينه العقلى ابرز مما هو فى تكوينه الخارجى . فالانسان يختلف عن الحيوان

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « مبادىء علم الاجرام » طبعة ثالثة ١٩٧٤ ص ٥٠ ـ ٥٢ عن « الجناة بالفطرة » وص ٣١٠ ـ ٣١٩ عن « الجنون الخلقى » .

(٢) راجع ما ورد عن والاس فى « المفصل » الجزء الاول ص ٣٨٥ ـ ٣٧٨ ، وفى الجزء الثانى ص ٤٩ ـ ٥٢ .

من ناحية أنه عرضة لكى يتحمل تغـيرات ضـخمة فى ظروف العيش وفى البيئة بغير أن تحدث تغيرات مقابلة ملحوظة فى بنيانه وفى شكله .

وهو يواجه تغـيرات البيئة بأن يغير أساليبه فى الملبس ، والاقامة ، والدفاع ، والأجهزة التى يحوزها ... ورأس الانسان ووجهه يتناسبان مباشرة مع جهاز الذكاء الذى هو المترجم عن الانســان ، والمعبر عن ارق الحركات فى طبيعته . وأى تغيير حقيقى انما يجىء من جانب تغيير العقل ، وذلك منذ العصر الذى لم يكن فيه الانسان يحوز مخا متقدما على هــذا النحو الرائع ، هذا المخ الذى هو أداة الروح ، والذى هو حاليا — حتى فى أحط أنواع الانسان — يسمو كثيرا فوق أرقى الحيوانات ، وذلك منــذ العصر الذى كان يملك فيه الانسان الشكل ، ولكنه لا يملك الا بصـعوبة طبيعة الانسان ، ولم يكن يملك أيضاً لغــة الانسان ، ولا مشاعره العاطفية والأخلاقية . ولكن لابد أن الانسان كان ينتمى فى المـاضى الى ســلالة متناسقة ، انتماء أدى الى اختفاء الشعر الذى كان يغطى جسمه اختفاء شــبه تام .

وعلى أية حال فلا يوجد حتى الآن اى مبرر حقيقى للاعتقاد بأن خط التطور مشترك ومتداخل بين الانسان والحيوان ، أو بأن من الجـائز أن يعود الانسان المنتقل الىالتجسد فى صـورة حيوان أعجم ، وذلك بالاضافة الى انتفاء كل دليــل يؤيد هذا الاعتقاد الذائع فى الهند وفى الشرق الاقصى بوجه عام ، والذى لا يلقى بدوره تأييدا من آراء العلمــاء او من اقــوال الأرواح الراقية أو تعاليمها .

أما العودة الى التجسد فى صورة انسانية فيكاد يكون موضع اجماع من هذه الأرواح الراقية . ومع ملاحظة ان هذا النظر — اذا صح — قـد لا ينفى الأصل البـدائى أو شبه الحيوانى لجســم الانسـان ، لكنه ينفى المستقبل الحيوانى او شــبه الحيوانى لروح الانسان مهما عظمت خطاياه وتراكمت اخطاؤه .

ونضيف الى ذلك ان بعض المؤلفين الثيوصــوفيين — منهم سينيت Sinett — يقول ان التعاليم البوذية الأصلية قد سلمت بالعودة للتجسد فى صورة انسان ، لكنها خلت تمــاما من الاشارة الى احتمال العــودة فى صورة حيوان . وان هذا الاعتقاد الاخير دخيل على البوذية فى مفهــومها الاصــلى ، وانه من الخرافات التى تسللت اليهــا فيما بعد ، كما تتسلل الخرافات والاساطير وتتكاثر تدريجيا فى جميع المعتقدات (١) .

---

(1) Karl Muller : Reincarnation Based on Facts 1970, p 21.

من اقوال الباحثين الروحيين

وفى هذا الشأن يقرر البحاثة الروحى المعاصر جان بريير Jean Prieur فى كتاب له عنوانه « شهود غير المنظور » (١) (١٩٧٢) « ان المراسلين الروحيين يرفضون النظرية التى بمقتضاها يمكن للروح الانسانية العاقلة الخالدة أن تزوّد بالحياة وبالتتابع أجساداً حيوانية ، ثم اجساداً آدمية » .

كما يقول روح يدعى بيير Pierre فى نفس هذا الكتاب « ومع ذلك فان الانسان مخلوق على صورة الله ، وهذا ما لا يمكن للحيوان أن يصل اليه ، رغم الخداع الذى وقع فيه انصار تقمص الانسان لروح الحيوان . فالكلب مثلا وهو اكثر الحيوانات قابلية للانفعالات العاطفية التى يشعر بها فى روحه الحساسة ، لكنها مع ذلك بدائية يظل مع ذلك حيوانا حتى فى حياته العليا التى يلج اليها بعد الموت » .

واذا كان تقمص ارواح الحيوانات نظرية زائفة فان ذلك لا ينفى أن من واجبات الانسان أن يشجع تطور الحيوانات والارتفاع بها الى حياة اسمى من حياتها عن طريق تدريبها ، وايقاظ مواهبها الخاملة ، والعطف المتزايد عليها (٢) .

ثم ان ثبوت وجود اجساد اثيرية لجميع الكائنات الحية ، ومنها الجراد ، والضفادع ، والفئران — وقد ثبت ذلك بتجارب معملية متنوعة من بينها التقاط صور ايجابية لها باستخدام « مخدع ويلسون للتمدد » Wilson Expansion Chamber على مابينته فى مناسبة أخرى (٣) — من شأنه أن ينفى الحاجة الى عودة الوعى الانسانى للتجسد فى صورة حيوان ما لكى يزوده بالحياة ، أو للتزود عن طريق تجسده فيه باختيار مفيد فى نمو هذا الوعى ذاته .

انما الأمر الأقرب الى الاحتمال — متى ثبت افتراض العودة للتجسد بمعنى الولادة المتكررة لنفس الكائن على المستوى الترابى — ان تكون عودة الانسان فى صورة انسان ، وعودة اى حيوان فى صورة نفس الحيوان . وهنا ينبغى أن توضع فى الاعتبار عدة اعتبارات هامة وهى : —

---

(١) Les Témoins de L'invisible
بمقدمة من الفيلسوف المعاصر جابريل مارسيل Gabriel Marcel عضو الاكاديمية الفرنسية .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٧ — ١٤٤ . وراجع عن دوام حياة روح الحيوان ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٨٢ — ٨٨٩ .

(٣) راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الاول ص ٨٨٢ — ٨٨٩ .

أولا : ان قانون التطور من الأدنى الى الأسمى يلعب دوره دائما عند كل كائن حى ، ومهما كان التطور بطيئا فلا قيمه لذلك لأن الزمن لا حدود له فى الطبيعة .

ثانيا : ان تطور الانستان يسير فى خط مستقل عن تطور الحيوان على ما لاحظه برجسون .

ثالثا : ان المسافة بين تطور الانسان والحيوان تبدو بلا حدود على ما لاحظه نفس الفيلسوف ، حتى اذا قلنا باحتمال التطور من الحيوان الى الانسان .

رابعا : أن وراء التطور تخطيط روحى لا يمكن تعليله بالمصادفة كما لا يمكن تعليله بظواهر الحياة المادية مثل نقص الغذاء فى الطبيعة وافتراس الأقوى جثمانياً للأضعف (١) . لأن هذا الافتراس وان كان ملازماً للتطور المادى الا انه ليس التعليل المناسب له ، وفارق بين التعاصر الزمنى وبين العلية الطبيعية (٢) .

ويبدو أن النظريات الحديثة للتطور تسير فى هذا الاتجاه ، ولا تجد فى التعليل الداروني القديم ما يروى الغليل ، أو ما يتفق مع معطيات العلوم الأخرى .

ويقول ايضا الباحث الروحى المعروف ليون دنيز Léon Denis ان الروح بعد تطور بطىء تصل الى الحالة الانسانية ، وعندئذ تحصل على المعرفة ، ولا يمكن أن تتقهقر الى الوراء . وفى جميع الدرجات فان الأشكال التى ترتديها الروح انما تعبّر عن قيمتها الخاصة . والمكان الذى تشغله الروح فى سلسلة الكائنات ملائم دائما لحالتها من التقدم .



ليون دنيز

ولا ينبغى أن نتهم الاله بأنه قد خلق أشكالا كريهة وشريرة ، فانه ليس بمقدور الكائنات أن ترتدى مظاهر الا تلك الناجمة عن ميولها وعاداتها التى اكتسبتها . وقد يحدث أن أرواحاً آدمية

---

(١) راجع ما ورد فى « الفصل » الجزء الثانى ص ٣٥ — ٣٧ ، ٤٢ — ٥٢ وفى الجزء الثالث ص ١٠٧ — ١١٣ .

(٢) المرجع السابق . الجزء الثالث ص ٣٤٤ — ٣٥٥ .

تختار اجسادا آدمية ناقصة العقل أو عرضة للألم لكى تسيطر على شهواتها ، وتحصل على الصفات اللازمة لتطورها ، ولكن لا يمكن أبدا أن تمارس هذا الاختيار فى صورة كائنات دنيا حتى وان كان الكائن يقع بالضرورة تحت سيطرة الميول التى نماها فى نفسه ...

ولا يوجد بالتالى ما هو اعظم ولا اعدل ، ولا أكثر التئاماً مع قانون التطور من ارتقاء الأرواح الذى يحدث على مراحل تدريجية ، تكوّن فيها نفسها بنفسها ، وتتحرر تدريجياً من وطأة الغرائز ، وشطحات الأنانية لكى تستيقظ فى حياة العقل ، والحب ، والحرية . ومن العدل المطلق أن يخضع الجميع لنفس شروط التعلم ، وأن كل كائن لا يحصل على حالة عليا الا بعد الحصول على قدرات جديدة ..

وعندما تصل الروح الى الحالة الانسانية ، وتحصل على سيادتها ، ومسئوليتها الأدبية ، وتتفهم واجبها ، لا تكون بذلك قد وصلت الى نهاية تطورها ، بل بالعكس يبدأ عملها الحقيقى ، وتناديها مسئوليات جديدة . ومعارك الماضى ليست سوى تمهيد لما يدخره لها المستقبل .

فالروح تعود للميلاد فى أجساد لحمية تتتابع على هذه الكرة . وفى كل مرة تظهر الروح من جديد بأعضاء استعادت شبابها ، ورسالة التقدم التى تكون قد توقفت (أو بالأدق تباطأت) بالموت تستأنف من جديد ، وتتقدم الروح اكثر فأكثر .

وكسائحة ازلية فانه على الروح أن تصعد من مستوى الى مستوى نحو مزيد من الخبر ، ونحو العقل غير المحدود ، وتكتسب مزايا جديدة ، وتنمو فى العلم ، وفى الحكمة ، وفى الفضيلة ، وفى الحب . وكل وجود أرضى ليس سوى حادثة فى حياتها الخالدة . ولا يمكن لأية روح فى هذه الفسحة القصيرة من حياتها الأرضية أن تتحرر من عيوبها ، واخطائها ، وشهواتها السفلى التى هى بقايا من حيواتها المنقضية ، بقدر ما هى شواهد تنبىء عن أصلها القديم .

وعندما نقيس الأزمنة التى كان على الانسانية أن تجتازها منذ ظهورها على الأرض حتى تصل الى حالة الحضارة ، فاننا نقدّر انه لتحقيق اهدافها ، وللصعود من ضوء الى ضوء نحو المطلق والمقدس ، كان يلزم للروح أزمنة بلا حدود ، وحيوات لا تتوقف عن طريق «الميلاد المتجدد » (١) .

---

(١) عن ليون دنيز Après La Mort p. 163 - 165

وهذه الاعتبارات مجتمعة تتعارض تماما مع القول باحتمال عــودة الانسان الى الوراء فى خط التطور الذى مضت عليه حقب سحيقة تتجاوز قدرتنا على التقــدير أو القياس ، وبالتالى فلا نتصور أبدا الغاء كل هذا المجهود المتواصل بالتجسد فى صــورة دابة من الدواب العجماء البكماء ، مهما كانت جسامة الشرور والأخطاء . وفى آلام التجســد الأرضى ما قد يفوق كل تصــور ، وما قد يصلح لمواجهة اى داء عياء فى العقل والأخلاق ، بسبب مرونة الانسان وقابليته للتكيف وللتربية عن طريق الألم المرير اذا احاق بتلك الشعلة القدسية الخالدة فيه الا وهى الروح .

المبحث الثالث

عن التطــور من اللاشعور الى الشعور
(بحسب جوســتاف جيــلى)

بعد أن قدمت فى المبحث السابق بعض الجوانب العــامة فى نظــرية التطــور بمقدار اتصالها بموضوع العــودة للتجسد يجمــل ان اتناول فى المبحث الحالى طائفة من آراء الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley مدير « المعهــــد الدولى لمــا وراء الروح » ببــاريس وهــو مؤســـسة معترف رســمياً بأنها ذات نفــع عام منذ سنة ١٩١٩ .

والأمر الذى يدفعنى الى ذلك هو ان صاحب هـــذه الآراء له خبرة خاصة فى بحوث الظواهر الوساطية تمكنه من الحديث فى هذه الموضوعات حديث خبير متمكن من عناصرها العديدة التى تحتاج المــاماً خاصاً بأمور كثيرة ، والتى لم يعد يجدى الارتجال فى معالجتها مهما كانت قدرة الكاتب المرتجل وعلو مكانته كمفكر أو كفيلسوف نظرى .

ويبرز هذا الاتجاه عنده تحقيقاته الدقيقة فى الظواهر الوساطيــة ، وبوجه خاص فى ظواهر التجسدات التامة والجزئية التى جرت داخــل « المعهد الدولى لمــا وراء الروح » بباريس واشترك معه فيها عدد من أبرز العــلماء منهم شارل رشيه Ch Richet عضــــو اكاديميتى الطب والعــلوم بباريس (جائزة نوبل فى الفســــيولوجيا) ، ودى جــــرامون de Gramont (من اكاديمية العلوم) ، والــكونت ج . بوتوكى J Potocki .

وقد تمت كلها بأسلوب مدقق وحــذر تماما فى تســجيل المقدمات واستخلاص النتائج . وكلها مفرطة فى خطورتها بمقدار ماهى جديدة على الأذهان سواء فى الغرب ام فى الشرق . وقد حاضر عنها العلامة جيلى طويلا فى « الكوليج

دى فرانس » Collège de France وهو ارقى معهد هناك ومخصص لمناقشة القضايا العلمية الخطيرة بمعرفة جهابذة العلم والفلسفة ، من ذوى السمعة العالمية .



جوستاف جيلى

فنحن لسنا هنا بالمرة فى اطار الفلسفة النظرية ، بل الفلسفة الوضعية بمفهومها الدقيق ، ولايحسن الحديث فى موضوعات التطور والشعور واللاشعور سوى عالم مدقق وضعى فى مثل مكانة جيلى الذى ينظر اليه الكثيرون بوصفه من أبرز رواد هذا النوع من البحث العلمى ، ومن أبعدهم صيتا ، واعمقهم تفكيرا فى العالم اجمع (١) .

ونظرا للترابط الشديد بين آرائه فضلت أن اضمها معاً فى المبحث الحالى بدلا من توزيعها بين موضوعات اخرى متعددة ، رغم انها قد تكون وثيقة اتصال ببعضها ، حرصا على عدم فصم الترابط أو التكامل الواضح الذى يربط بين بعض اجزائها والبعض الآخر .

وقد عرض جيلى نظريته فى هذه الموضوعات فى مؤلف قيم عنوانه « من اللاشعور الى الشعور » (٢) (١٩١٩) انصح كل دارس لهذه الموضوعات بالعناية به ، وعنه الخص الآراء الآتية :

عن التمييز بين صورتين من الارادة

وهو ابتداءً يطالب بوضع تمييز واضح بين الارادة اللاشعورية ، وبين مقابلها فى الشعور ، لأن كل ما هو راقٍ حقيقة ورفيع فى الانسان — وهو جوهره الخالد L'essence eternelle — مثل العبقرية ، والالهام ، وقدرة الابداع ، موضوعى ، أى ينتمى الى الارادة اللاشعورية .

---

(١) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٦٤ — ٤٦٧ ، ٥٧٤—٥٨٥ . وما ورد عن التقاط صورة روحية له داخل « الكلية البريطانية لتعلم الروحى » فى الجزء الثانى ص ١٣٨ — ١٤٠ .

(٢) De L'inconscient Au Conscient.

وان دائرة الوعى التى يصنعهـا تجسيد objectivation خصائص الارادة لا تنبع الا من حيوية أو من روحية المخ psychisme cérébral ومن ثم فان الشـعور مرتبط عند الحيوانات العليـا والانسـان بموطنه العضوى (أى المخ) فهو يولد ويختفى به ، ويؤدى الموت الى افنائه . وعلى العكس من ذلك أن ما يمثل جوهر الكائن ، وهو الارادة ، لا يمسه سوء .

فاذا كنا بالموت نفقد الوعى ، فاننا نتحول ببساطة عن طريق الموت الى حالتنا الأولى المجردة من المعرفة لكنها ليست حالة لاشعورية بصفة مطلقـة . وهى حالة فى شكلهـا ذلك تكون بلا ريب اسمى من سابقتها اذ يختفى فيهـا التعـارض بين « الشخص » و « الموضوع » . واذا كان شوبنهور يقول ان الموت يعلن عن نفسه بوصفه فناء الفرد ، لكن فى هذا الفرد تكمن نواة لكائن جديد .

ومن ثم فان ما يفنى هنا لا يفنى نهائياً ، وما يولد هنـاك لا يتلقى وجوداً جديداً فى أساسه . وما يموت يفنى ، لكن تبقى منه نواة ، تخرج منها حياة جديدة ، تدخل الآن فى الوجود دون أن تعرف من اين جاءت ، ولا لمـاذا اصبحت هكذا .

كما ينقل جيلى عن شوبنهور قوله انه يمكن بالتالى النظر الى كل كائن انسانى من وجهتى نظـر متعارضتين : الوجهـة الأولى انه فرد يبدأ فى الزمان وينتهى فيه ، ماراً بطريقة عابرة ... والأخرى انه كائن أصيل غير قابل للفناء يتجسد فى كل كائن موجود .

ولاريب ان كائناً كهذا يمكنه أن ينجز شيئاً أفضل من مجرد الظهور فى دنيا مثل دنيانا ، تمثل عالمـاً محدداً للألم وللموت ، كلما هو موجود فيه ، وكل ما يخرج عنه ينبغى أن ينتهى ويموت . ولكن ما لا يخـرج فيه ، وما لا يريد الخروج فيه يخترقه بكل قدرة البرق الذى يبرق عالياً بغير أن يعرف فيما بعد زمناً ولا موتاً (١) .

ومن ثم فان الوعى الفردى ، وكذلك الكون ، ليس له وجود ذاتى وحقيقى . انه وظيفة مؤقتة للارادة ، ويولد من ارادة الحياة . ولذا فان ارادة الحياة تكون بمثابة خداع ضار للارادة .

---

(١) يحيل المؤلف القارىء الى كتاب « الاعتقاد » La Religion للفيلسوف الالمانى المتشاءم آرثر شوبنهور ، أما فلسفة جيلى فمؤسسة على العكس من ذلك على التفاؤل بمستقبل الانسـان على ما سيرد فيما بعد .

عن ماهية « الأنا »

ثم يتساءل جيلى قائلاً هل « الأنا » تمثل — كما يقول علم النفس التقليدى قمة حالات الوعى ، أم أنه يمكن فصلها ، وتصورها مستقلة عن تلك الحالات ؟ ويجيب بأن الجواب لم يعد محل شك وهو أن « الأنا » لاينبغى أن تختلط بحالات الوعى ، ولكن لتفهم ذلك يلزم بذل بعض الجهد.

فنحن نتقبل بلا صعوبة تذكر أن « الأنا » لا تتحدد بالجسد المادى، كما أنها لا تتحدد بحالات العقل ، وهو ما يحتاج الى مزيد من الصعوبة . لأن الانسان بمقدوره أن يميز ذاته عن حالاته العقلية بصعوبة أكثر مما يميزها عن كيانه العضوى .. انه ينبغى تحوير العادات العقلية الراسخة ، والاستعانة بكل صرامة المنطق للذهاب الى أبعد من قاعدة ديكارت « اننى افكر فأنا موجود » لكى نتقبل قاعدة « اننى موجود حتى خارج أفكارى . انها تمثل حالتى ، لكن الأمور التى اتمثلها بعقلى representations mentales كلها ليست هى « الأنا » .

واذا استندنا الى الوقائع فلا يوجد شيء محقق أكثر من هذه القاعدة الأخيرة ، والمنطق فيها محدد : وهو انه اذا كانت « الأنا » عبارة عن مجموع حالات من الشعور (أو الوعى) ، فانه يتعذر أن نفهم كيف أن حالات الشعور تلك حتى اذا كانت سليمة لم تمس فان « الأنا » — وهى تركيب من هذه الحالات يمكنها أن تفقد الاحساس بأنها متحدة معها ، وبالتالى تفقد القدرة على السيطرة على تركيبها الروحى ، وهذا هو أخطر ما تملكه « الأنا » ؟

وانها لحقيقة أولية وهى أن تكامل حالات الشعور يوجد فى نفس الوقت مع اختفاء الوحدة التركيبية unité synthétique (اى الأنا) والتوجيه المركزى (اى عن طريق المخ) . وان تناقص اشراف « الأنا » أو اختفاءه هو أساس علم النفس الشاذ ، ومن المسلم به ان كل حالات الشذوذ النفسى توجد فى وقت واحد مع بقاء المراكز العصبية سليمة من الناحية التشريحية — الفسيولوجية ... اذاً « فالأنا » متميزة عن حالات الشعور التى تعبر عنها . والظاهرة النموذجية من وجهة النظر التى نستند اليها هى حالات طروء تحويرات فى الشخصية .

وبالتالى فان جوهر « الأنا » لا يمكن ان يختلط بحالات الشعور الخاضعة لها ، والثانوية فيها . وفيما يتعلق بالعقل — كما هى الحال فيما يتعلق بالجهاز العضوى — ينبغى التمييز بين الجوهر الدائم ، وبين تمثلاته الوقتية . وحالات الوعى ليست سوى « تمثلات الأنا » ، وهى

شطر متفرد من « الحركة الروحية الكونية » **dynamo – psychisme universel** لا ينبغى أن تختلط بما تتمثله من امور .

بالاضافة الى ذلك فان الوقائع تبين انه توجد فى « الأنا » ملكات تتجاوز حدود حالات الشعور ، وتسيطر على كل ما يتمثله العقل من أمور . فالالهام والعبقرية المبتدعة يتجاوزان بكثير اطار الملكات العقلية . ولا يوجد فى الالهام وفى العبقرية شىء مما يميز تسلسل المنطق ، فهما ملكتان أسمى من المنطق ، نابعتان — كما هو واضح — من الجوهر المقدس « للأنا » .

ومن باب أولى الملكات الروحية فوق المألوفة ، وخصوصاً ملكة الاستشفاف ، فانها مستقلة عن الأعضاء وغير مرتبطة بالادراك أو بالعاقلة . ولذا أقول مرة أخرى ان « الأنا » ، أى « الأنا الجوهرية » أو « الانا الحقيقية » متميزة عن حالات الشعور ، وعن تتابع موكب ما تتمثله بصفة مؤقتة من أمور .

وليكن الأمر كذلك ، اذاً ماذا نعنى بالضبط بعبارة « الأنا الحقيقية » المتميزة عما تتمثله من أمور عقلية ؟ هل هى الجوهر المبتدع ، والارادة ، واللاشعور ، والديناميكية الروحية الأساسية ؟ ... ان الاسم لاقيمة له ، لكن ينبغى أن تعتبر « الأنا » شطراً من الديناميكية الروحية الأساسية يحتفظ بالفردية ، وبالذاكرة ، وبالاحساس بالذات حتى خارج التمثلات العقلية التى تمر بها .

عن دورات النمو فى مجرى الحياة

ولا تضيع اية ذكرى ، ولا اى اختبار نفسى او جوهرى . ان الأعضاء تلحقها تطورات واسعة خلال مجرى الحياة ، وبلا ريب تجدد نفسها جزيئاً بعد جزىء . وحالات الشعور تتتابع بتغير بعضها عن البعض الآخر تغيراً كبيراً او يسيراً . وان الحياة مصنوعة فى حقيقتها من سلسلة حيوات : حياة الطفولة الأولى ، ثم حياة الطفولة ، فالمراهقة ، فالرشد ، فالشيخوخة ، وكل حياة منها متميزة عن الأخرى رغم انه يجمع بينها أساس مشترك .

وهذه الحيوات تتأثر الى مدى او الى آخر بما يبدو انه نسيان نهائى لما مضى ، وكل نسيان منها يكون للكائن بمثابة موت صغير . ولكن خلال تجدد الجزيئات العضوية ، وحالات الشعور ، يظل قائماً كائن روحى سام وعميق قام بتسجيل كل حالات الشعور هذه . وهو يحتفظ بها بطريقة غير قابلة للمحو . فهى اذا ليست حالات ضائعة ، حتى وان ظلت خامدة فى جانبها الاكبر .

ومع ذلك فهذا ليس كل شيء ، فان الروح اللاشعورية التى تثرى بهذه الطريقة فى مجرى حياتها من كل حالات الشعور المتجددة لا تكتفى بتسجيلها ، بل تقوم بهضمها أيضاً . فان جميع ما تحصل عليه من معرفة واعية تهضمه ، ثم تحوله الى ملكات . وهـذا أمر واضح خلال مجـرى الوجود حيث نجد أن الكائن ينمو ، ويحصل على ملكات جديدة أو أكثر وضوحاً من الاحساس ، والادراك ، والمعرفة .

وهـذا النمو النفسى لا يمكن الا أن يكون ثمرة تحول المعارف الى ملكات . وهذا التحول لا شعورى ، وهو لا يجرى فى جزيئات المخ غـير المستقرة والفانية ، بل يحتاج الى كيان دائم وعميق فى الشـطر الدائم والجوهرى من الكائن ، أى فى كيانه الديناميكى ـ الروحى ـ الباطن (١) .

وهكذا يكون التغـير المستمر للشخصية الواعية ليس بذى قيمـة تذكر ، لأن الفردية الباطنة الدائمة تحتفظ بالذاكرة غير القابلة للمحو عن جميع حالات الوعى التى مرت بها .

علاقة ذلك « بالعودة للتجسد »

ثم ينتقل جيلى الى أهم نقطة تعنينا هنا مباشرة فيقول اننا اذا كنا لا نجد فى مجـرى وجـودنا الراهن سوى مصدر شطر فحسب من كنز اللاشعور ، فانه يكون من حقنا أن نبحث عما يكمل هذا المصدر فى اختبارات سابقة ، وان نرجع الى ما وراء الوجود الراهن لتفسير اللاشعور .

ولا ريب ان هذا الاستنتاج خطير ، ويبدو لعديد من القراء كما لو كان لأول هلة غير متناسب مع الوقائع التى يستند اليها ، بل خارقاً للعقل . لكن لا ينبغى أن ينظر اليه على حدة ، بل مرتبطاً بمجموع الأدلة الأخرى ، وعندئذ يكتسب قـوة جـديدة . وليس من الصعب أن نتفهم كيف أن « الديناميكية الروحية الجوهرية » عندما تتجسـد فى تمثلات عضـوية جديدة (اى فى اجسـاد جديدة قادرة على تمثل الأمور) تحتفظ لنفسـها بالذاكرة العميقة عن الاختبارات التى حققتها فى تمثلاتها السابقة .

فبدلاً من الحديث عن وجـود واحد ، اذا تمثل الانسـان وجـود سلسلة من الوجودات المتتابعة ، فانه يتفهم مباشرة كيف أمكن للانسان الحصول على الشعور بادئاً من اللاشعور الفطرى . فان كل وجود منهـا ـ وهى وجودات لا حصر لها ومتنوعة ـ قد أحدث حفراً فى الديناميكية

---

(١) راجع ما ورد عن الذاكرة فى « المفصل » الجزء الأول ص ٨٥٠ ، والجزء الثانى ص ٩٤ ـ ١٠٧ والاشارة هنا الى الجسد الأثيرى .

الجوهرية للكائن ، وترجم عن نفسه بحالة من الوعى : اى بذكرى ، وبملكة . وهكذا يتحول الكائن تدريجياً من اللاشعور الى الشعور .

وهذا الاستنتاج لا يتعثر بأى اعتراض علمى ، ومن العبث ان يجاهد الانسان فى العثور على اعتراض واحد عليه فى كتلة معارفنا . اما فيما يتعلق بنسيان الوجودات السابقة ، فانه ليست له أية قيمة بالنسبة للعلم المعاصر ، لأن الذاكرة لا تلعب الا دوراً ثانوياً فى علم النفس الحديث ، أما النسيان فهو يحدث دائماً وفى كل مكان .

ان الشطر الأكبر من الذكريات يتلاشى خلال الوجود . وذاكرة الانسان ، واعنى بها ذاكرة المخ ، قابلة للمحو ، وهى غير وفية ، وعاجزة ، وكثيراً ما تخوننا فى الحياة اليومية والعادية . وهى كذلك من باب أولى فى الحالات الشاذة ، كالحالات الثانوية **états séconds** التى تحدث تلقائياً ، أو تلك التى تحدث فى الغيبوبة المغناطيسية أو الوساطية .

ولكن فوق هذه الذاكرة المخية ، الجزئية ، الزائلة ، توجد الذاكرة اللاشعورية ، أى الذاكرة الفردية الحقيقية الكلية ، غير القابلة للزوال ، ولا للتدمير ، شأنها فى ذلك شأن الفردية نفسها . ففى هذه الذاكرة الأساسية تظل محفورة للأبد جميع أحداث الحياة الحاضرة ، وجميع الذكريات ، وجميع المكاسب الواعية التى تم الحصول عليها عن طريق السلسلة العظمى للحيوات السابقة .

وهكذا يتأتى لنا أن نتفهم تماما التطور الفردى ، وان نحل جميع المشكلات الطبيعية والفلسفية المتعلقة بالفرد . ولا ريب انه من وجهة نظر « ما وراء الطبيعة » فان فكرتنا تجد مكاناً متسعا لها ، لكن من وجهة نظر علم النفس فانها لا تترك لغزا بغير حل له (١) .

عن مستقبل الانسان

وبعد أن يعالج جيلى ما يراه فى شأن تطور الانسان فى ماضيه وحاضره يحاول أن يتوقع ماهية مصير الانسان مستندا الى استنتاج رئيسى ، وهو أن اندماج الشعور فى اللاشعور سيؤدى الى اضاءة جوانب هذا الأخير شيئاً فشيئاً ، وسيأتى وقت لا يعد فيه شىء ملغز أو غامض عن اللاشعور .

وعندما يصل الانسان الى ما نطلق عليه « قمة التطور » بمقدار ما يمكننا أن نتصور هذه القمة ، فان الانفصال الظاهر ، أو الحاجز

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٥ — ٢٢٨ ، ٢٣٢ — ٢٣٥ .

الوقتى بين الشعور واللاشـعور سيختفى . وكل ما يكوّن الكائن مثـل الملكات والمعارف ، وكل ما حازه خلال ماضيه الهـائل من خبرات يصبح فى متناول يده ، كليـة ، ومباشرة ، وبانتظام ، وبصورة طبيعية . حتى الملكات فوق المـألوفة ستكون رهن اشارة ارادته الواعية .

اى أن الـكائن « اللاشاعر » سـيختفى ولا يتبقى من بعد سـوى الكائن الشاعر . أما جوهره الميتافيزيقى فسيظل على حاله ، لكنه سيكون قـد حصل على معرفة نفسه ومعرفة ما يحيط به . وعند ذاك ، وعند ذاك فقط ستستحق الديناميكية الروحية أن تحمل اسم الارادة .

واذا كنـا لا نخشى ان نذهب فى متاهات أكثر ممـا ينبغى من الميتافيزيقيا ، فان بمقـدورنا أن نسمح لأنفسنا باستنتاج آخـر ، وهو استنتاج ينبغى أن نقنع بتدوينه بحذر وتحفظ . وهو أن الاتساع غـير المحـدود لوعى الكائن ينبغى ان يكون من عواقبـه أن يؤدى الى تفجـير الحواجز الوهمية والانتقالية التى يصنعها اتخاذ الكائن صيغة الفـرد L'ind vidualisation . وبعبـارة أخـرى انه يؤدى الى عودة الكائن الى الوحدة الأصـلية التى خرج منها . ولكن هذه الوحدة ، التى هى تركيب من كل صور الوعى ، ستضم هذا الانسان مع الحفـاظ عليه بوصفه فى جوهره كائنا خالدا لا يقبل المحو ... وهكذا فان قمـة التطور يمكن تصورها كما لو كانت نيرفانا واعية (١) .

عن تحقيق سيادة الوعى

ثم ينتقل جيلى الى الحديث عن تحقيق سيادة الوعى واضعا نصب عينه وجود ثلاث معطيات رئيسية وهى : —

أولا — أن كل ما هو أساسى فى الـكون ازلى ولا يمـكن تدميره ، وهو دائم خلال مظاهر انتقالية للأشياء .

ثانيا — ان كل ما هو أساسى فى الكون يمر بالتطـور من اللاشعور الى الشـعور .

ثالثا — ان الوعى الفردى يكوّن جزءا لا ينفصـم مما هو أساسى فى الكون . وانه يتطور من اللاشعور الى الشعور بطريقة ابدية ، وانه بذاته لا يقبل الفنـاء .

ويقول ان بين هذه المعطيات الثلاث الرئيسية فى فلسفته : الأولى منها تلاقى موافقة اجماعية ، او هى بالأقل تقـع فى الأساس من كل الانظمـة

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٤٩ — ٢٥٠ .

الفلسفية العظمى فى جميع العصور ، فاذا رفضناها فمعنى ذلك اعلان افلاس الفلسفة افلاساً تاماً . ومع ذلك فهذه المعطاة الأولى ليست فحسب وجهة نظر روحية أو عبقرية ، بل هى بديهية أولية ترتكز على اساس وضعى وطيد .

فالالهام ، والتعقل ، والوقائع كلها على اتفاق فى ان تكشف لنا عن وجود ديناميكية روحية مزوَّدة وحدها بالوحدة وبالدوام ، اى ان لها وحدها وجود حقيقى ، ويمكن أن نكتشفها خلال التمثلات التى لا تحصى، والتى تبدو لنا محسوسة ، ومؤقتة ، ومرتبطة بالمكان ، فهى بالتالى محض خداع شأنها شأن الزمان والمكان (١) .

اما المعطاة الثانية ، فانها وان كانت تفتح الباب للنقاش ، الا ان جميع الاعتبارات الخاصة بالتطور تفرضها علينا . فان المرور من اللاشعور الى الشعور هو أقل الأشياء التى يمكن انكارها فى التطور . ذلك أن تطور الأنواع والكائنات يتضمن حدوث محاولات ، واخطاء ، وتوقفات ، بل وتراجعات ، لكن التطور الواعى فى مجموعه لا ينقطع .

فالوعى العام يتزايد بانتقال التطور من طور الأسماك ، الى طور الزواحف ، ثم الى طور الثدييات ، ثم الى طور الانسان . وعند المقارنة بين الأنواع فيما بينها فلا يوجد سوى معيار واحد محقق عن التفوق التطورى وهو الوعى المكتسب . وما يصنع هذا التفوق ليس هو التركيب ، أو التكامل العضوى ، ولا هو القوة الجثمانية ، ولا هو الموائمة مع وظيفة ممتازة او أخرى كالقدرة على الطيران مثلا ، بل هو فحسب مدى الوعى المكتسب .

فالتطور هو فى الحقيقة الشعور بالحالة الحقيقية ، وبحالة البيئة المحيطة بنا ، وبالروابط القائمة بين الكائن الحى والوسط الذى يعيش فيه ، وبين الوسط الخاص والوسط العام . وتطور الفنون والعلوم ، وتحسين السبل التى فى أيدينا لانقاذنا من الآلام أو لاشباع حاجياتنا أمور لا تمثل بذاتها اهداف التطور . بل هى نتائج لتحقيق الهدف الأساسى وهو اكتساب الوعى اكتسابا متزايدا بالتدريج . وكل تقدم عام مشروط بالتزايد المسبَق لدائرة الوعى ...

واذا كانت المعطاتان الأولى والثانية من فلسفتنا لا تقبلان المناقشة، وعادة لا يناقشهما أحد ، فان المعطاة الثالثة ليست كذلك ، فان دوام الوعى الفردى وتطوره غير المحدود ينكرهما غالبية الفلاسفة حتى أولئك الذين نادوا بما اقتنعنا به عن الفكرة العامة عن الأمور .

(١) راجع « المفصل » الجزء الثانى ص ٢٢٨ — ٢٣١ ، ٣٤٥ — ٣٧٠ .



آرتر شوبنهور

ومن ذلك أن أفيرهوز Averroes وشـــوبنهـــور Schopenhouer يتفقان فى هـــذا الشـأن مع المـاديين المعاصرين اذ أن الوعى الشخصى بالنسبة لهما وظيفة من وظائف المـخ ، تظهـــر بظهوره وتختفى باختفائه ... أما نحن فعلى العكس من ذلك ننادى بأن الوعى الفردى يمثل جـزءا لا يتجـزأ مما هو أساسى ودائم فى الكائن (أى الروح) . وانه كان موجودا من قبل ، وانه سيوجد مستقلا عن تطور أعضائه المتتابعة ، وعن جميع ما مـر به من تجســـدات ومن تمثلات ، محتفظاً بالذكـرى الكاملة لكل تمثـلاته ، وانه ســينمو شـيئاً فشـيئاً عن طـريق جميع الاختبارات التى مر بهـا .

ومما لا ريب فيه أن دوام الوعى الفردى مناقض للظـواهر ، لأنه الشـــطر الأكبر لمـا اكتسبه يظـــل خلال فترة وجـــوده الأرضى فى اللاشـــعور ، وخامدا . ولذا فليس من المستغرب أن يبدو هـذا الدوام لجمهور الدهماء كما لو كان أمراً خارقاً للعقـل اللهم الا اذا كان هـــذا الدوام لديه مجرد بنـد من بنود الايمان . ولكن مما يؤسف له — على العكس من ذلك — ومما يسبب الذهول أن يوجد فيلسوف عبقرى مثـل شوبنهور يشاطر الدهماء رايهم بغير أن يناقشه .

ان دوام الوعى الفردى أمر تؤيده الميتافيزيقيا ، كما يؤيده العلم ، ومن الطبيعى أن تكون الأدلة العلمية المؤسسة على الاحاطة بالوقائع كانت مجهولة فى وقت شـــوبنهور ولذا فات أمرها عليه . ولكن من الصعب أن نفهم غشيأوته عن الاثبات الميتافيزيقى ، أو تحيزه ضد هذا الاثبات(١) .

وظيفة النسيان

ثم يعالج جيلى مشكلة النســيان قائلا ان نسيان المـاضى عند الولادة فيه خير للانسـان ، لأن من الضرورى أن يعتقد الكائن ان نطاق تصرفاته محـــدود بين الولادة والموت ، وأن يجهـل فى جانبها الأكبر — مكاســبه القديمة ، وايضا ملكاته الدفينة .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٣٠٩ — ٣١٢ .

وابتداء فان رهبة الموت مرتبطة بجهل الكائن لمركزه الحقيقى ، وهى لا غنى عنها للكائن ، لأنه بدون هـذه الرهبة الآمنـة ، لايمكن للكائن ان يبذل فى حياته الراهنة كل ما تسمح به الحياة من جهد ، وبالتـالى كان سيتطلع بسهولة الى التغيير . وكل عجـز مهما كان ضـئيلا ، أو كل اضطراب عضوى مزمن سيكون فوق طاقته ، وقد يصبح الانتحار هـو العمـلة السـارية بين الناس .

وجهـل الكائن لمكاسبه القديمة لا يقل لزوماً عن ذلك ، فبدونه كان سيصبح لدى الكائن ميـل لايقاوم نحو العمل الدائم فى نفس الاتجـاه القديم بسبب « قانون أقل مجهود » . وبالتالى فانه كان سيتقبل بصعوبة أى عمل جديد يتطلب منه مزيدا من الجهد . وكان سيكون مقوداً بطريقة لا تقـاوم تقريبا نحو تطـور فى اتجاه واحد لا ينتهى الا الى تخصص متضخم وضار .

وجهل الملكات فـوق المـألوفة التى قد يحوزها الكائن هو ايضـاً ضرورة مطلقة تزيد عما تقدم ، لأن الاستخدام المنظم ، العادى ، والعملى لهذه الملكات كان سيلغى الجهد تماما . والغريزة مثال يوضح لنـا تماما هذا الاعتبار . فالغريزة ليست شيئاً آخر سوى الصيغة المنحطة والبدائية للالهـام . وهى تتضمن كالالهـام قدرا من التخمين . وماذا نجـد فى نفسية الحيوان بالمقـارنة بغيره ؟ نجد انه حيثما سادت الغريزة فقـد أوقفت التطور العقلى .

فالحشرة لها غريزة رائعـة تخضع لهـا خضوعا اعمى ، فتطورت الحشرة فى أمان تام ، لكن تطورها قادها الى طريق مغلق ، ويبدو ان كل تقـدم عقلى أصبح محظورا عليها بطريقة وضعية .

ولننظـر الى الحيـوانات الفقرية فنجـد على العكس من ذلك ان الغريزة المعصومة افسحت المجال للتفكير غير المعصوم ، لكنه تفكير خصب لأنه يفترض الجهد ويتطلبه . ولذا فان التقدم العقلى عندها لم يتوقف ويسمح بأمل كبير . وما هو صحيح بالنسبة للغـريزة صحيح من باب أولى بالنسبة للملكات الغامضة المستقلة عن قيود الزمان والمكان .

فلنفترض ان انساناً بمقـدوره ان يتصرف فى الحيـاة اليـومية بمقتضى هذه الملكات ، فيقرأ مثلا افكار غيره من الناس ، ويرى الأشياء عن بعد . ويتمتع بالاستشفاف ، فما حاجة مثل هذا الانسـان لكى يفكر ، ولكن يحسب حـساب تصرفاته ، ولكى يقـدر العواقب ، ولكى يناضل ؟

فهذا الانسان قد يتجنب الخطأ ، لكنـه ايضاً سيتجنب الجهد ، وبالتالى فليس ثمـة تقـدم عقلى له . وهـذا الانسان كان سـيصبح

كالحشرة : محض آليـة رائعة . وهكذا فان التطور لو سـار فى هـذا الاتجاه فلن ينتهى الى وعى أسـمى بل الى نوع من الحركيـة النومية المفرطة فى الحساسية التى تسمح بمعرفة كل شىء بدون فهم أى شىء . وهكذا فان الانسان الأسمى كان سيصبح محض آلة سامية . فمن المفيد اذاً ، بل مما لا غنى عنه أن تكون جميع الملكات الرفيعة ، شأنها شأن كل الكنز النفسانى الذى ادخره الانسان فى تطوره كائنة فى شطرها الأكبر فى اللاشـعور ، وخامدة ، فى المرحلة الراهنة من مراحل تطوره .

وصفة الخمود فيها لا تمنع هذه الملكات اللاشعورية من أن تلعب فى الوجود الأرضى دورا هاما ، بل أساسيا . فانها هى التى تكوّن المستودع النقى للكائن ، والتى تعطيه صفاته الأساسـية . ولكن مظاهرها خامدة بالقـدر الكافى الذى لا يعوق الجهد ، حتى وأن كانت نشطة بالقدر الذى يساعد الانسان ويرشده . وهنا يوجد توازن رائع ، رغم انه نادرا ما يكون توازناً كاملا : فغالبية الكائنات تجهـل هـذه الملكات أكثر مما ينبغى لأنهـا لديها فى حالة سـبات . وثمة كائنات أخرى تعرف هـذه الملكات أكثر مما ينبغى فتتألم من ادراك عجزها عن تحقيق تطلعاتها الأسـمى من غيرها ، ولكن هذا الألم ضريبة العبقرية .

وجهل المـاضى مثل جهل الحاضر فيه خير بدوره . فالكائن الذى بلغ الذروة فى التطـور هو الذى يمكنـه بلا متاعب ان يتعـرف على كل التكدس الضـخم لمـا مر به من اختبارات ، ومن انفعالات وعواطف ، وجهود ومعارك ، ومباهج وآلام ، وميول وأحقـاد ، ومشاعر منحطـة أو سامية ، وتضحيات أو أعمال أنانية . وفى كلمة يمكنه أن يتعرف على كل ما كون تدريجيا شخصياته المتعددة ، وميّزه ، وخصصه المرة بعـد الأخـرى .

فلو عرف الانسان العادى ذلك ــ حتى ولو فى صورة ومضة برق ــ فان هذا البرق كفيل بأن يصعقه ! فان لديه ما يكفيه من أثقـال الحاضر بكل اخطائه ومشاغله . فكيف يتحمـل بالاضـافة الى ذلك آلام الأيام المـاضية ، وما ارتكبه من حماقات ومن تصرفات وضيعة ، ومن شهوات حيوانية كانت تدفعه ، ومن الملل الذى يتجاوز كل قياس عنـدما كان فى حيواته البدائية . فهل التأسى على التجسدات الممتازة يعادل ذكـريات التجسدات الاجرامية ؟

والنسيان يؤدى لحسن الحظ الى تهدئة احقاد المـاضى واطماعه العقيمة ، ويرضى بقدر معتدل الأغلال التى تقيد أكثر مما ينبغى الكائنات بعضها بالبعض الآخر ، وتحد من تحركاتها فى نفس الميدان . فكل تذكر للمـاضى لن يترتب عليه سوى اعاقة الكائن فى جهاده الحاضر ...

وفى النهاية فان الجهل بالمستقبل امر لا غنى عنه لأسباب اقــوى مما تقــدم ، وأدعى الى هدوء النفس فى الأوجه الدنيا لتطــور وعيها . وتعتقد الجموع أن هذا الجهل بالمستقبل نقمــة كبرى ، وفى الواقع ان الجموع العادية ، أو المنحطة متأقلمة مع ظروف الحياة الراهنة . ومتكيفة مع نزعاتها السفلى ، ورغباتها الهزيلة ، ومع متعها القصيرة ، وايضاً مع موكبها الطويل فى المــآسى .

وحتى عندما تشعر باختلاجات الفن فانها لا تفلح فى أن تسمو بهــا الى الادراك عالم أسمى ومشاهدته . وهى تجد انه من الطبيعى جــدا — لحسن الحظ — أن تحيا فى عالم للمعــارك وللآلام . وبفضل جهلها فانها لا تثور عبثاً ضد ما لا يمكن درؤه . وتجد من الأمور المــألوفة — بفضل عناية الله — أن ترى نشاطها يكاد يضــيع برمته فى البحث عن لقمــة العيش ، أو فى النضال ضد عناصر البغضاء .

وهكذا فان مشاغلها تكون من طراز منخفض وتعيش كما هى الحال فى الاطــار الذى خلقت فيــــه ، ولا ترى بديلا آخر لجهدها الحاضر ، وليس بمقدورها أن تتحمل بديلا آخر من جهــد يسمو على الانسان ، ولا حدود له .

وحتى بالنسبة للصفوة المختارة فان الجهل بحياتهــا المستقبلة أمر خيّر ، فانها بدون هذا الجهل كانت ستتضاعف آلامها فى حياتها الحاضرة. وكم كانت ستكون مأساتها عندما تدرك الأثر الهزيل فى المستقبل لمــا يبذل فى الحاضر من جهد ضخم ، وانتفاء الجدوى مستقبلاً — بحسب الظاهر — من آلام الحاضر . وعندما تدرك أية مأساة تحققت فى مجــرى التطــور الانسانى لغاية الآن : فالجاذبية المفرطة للجمال الأنثوى ، كالعبقرية المفرطة للمفكر ، كلاهما مرتبطان بتكوين عضــوى واهن ، وبوظائف دنيا ومنفرة ، ناهيك برواسبها وبأمراضها .

وللاستســلام لكل هذا البؤس يلزم الا تكون لدى الانســان أية فكرة عن وجــود عالم للنور وللحب أســمى من عالمنــا ، وذلك رغم أن بعض الأشخاص من الصفوة المختارة لديهم الالهام بوجود ذلك العالم . وهــذا الالهــام لا يعد مــع ذلك ميزة لهم بالنظر الى الموقف الراهن من تطــور الانســان . وان حــزن الأشخاص المتازين امتيازاً حقيقياً ليس له من سبب آخر سوى هذه الانطلاقة غير الواعية للاحساس بعالم جميل اكثر مما ينبغى ، لكنه يبــدو بعيداً كما لو كان يمثل حلماً خرافياً وعابثاً ... لكنهم وهم فى مواجهة الحقيقة الملموسة لايتبقى لهم من تلك الرؤية التى تسمو عن الانسان العادى ســوى تثبيط الهمة ، واحتقــار الأشياء الحاضرة ، والقاء ظلال الكآبة على كل حياتهم .

وهكذا ترى أن هذا الجهل الذى يحيط بالكائن من ناحية موقفه الراهن ، وماضيه ، ومستقبله ، لا ينبغى أن يدعونا الى استخلاص نتيجة تشاؤمية ، لأن هـذا الجهل يكون جـزءاً لا يتجزأ من الآلام التى لا يمكن منعها ، لكنها لازمة ومثمرة .

الا أن الجهـل فى فلسفتنا أمر عابر بالضرورة ، ومرتبط بالأوجه الدنيا للتطور . وهو فى جانب منـه قابل للتخفيف أو للتوقف المؤقت ، فى نطاق محدود خلال نفس مجرى التطور ، وسيترك مكانه يوماً للمعرفة الكاملة والتامة .

واذا كان الاندماج فى الجسد يتضمن قيوداً فى اتجاه معين ، كما يبين من كل شيء ، وتحديداً للفردية الواعية ، فانه يبدو واضحاً أن الانفصال عن الجسد يكون مصحوباً باتساع حدود تلك الفردية . فالكائن يمكنه عند ذاك أن يتفهم مايعنيه فى النطاق الذى يسمح به وعيه المكتسب عن طريق التطور وهو ما كان يفلت منه عندما كان محكوماً بحدود المخ . وهذا هو ما يحدثه جزئياً عند استخدام الملكات الوراء الروحية ، وهو ما يحدث لسبب أقوى عند الموت (١) .

تعليق

هـذه هي بعض جوانب فلسفة جوستاف جيلى عن التطور من اللاشعور الى الشعور ، وهى فلسفة أصيلة وتعتمد على حقائق وضعية كثيرة وتفسر العديد من ألغاز الوجود التى صادفها جيلى فى حياته العادية ، كما صادفها فى بحوثه فى الظواهر الوساطية بكافة أنواعها الفيزيقية والعقلية داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس الذى كان مديره منذ تأسيسه الى أن توفى جيلى فى حادثة سقوط طائرة فى وارسو سنة ١٩٢٥ (٢) .

وهى الى ذلك تعطينا تعليلاً يتعذر تماماً الحصول على أفضل منه عن مصدر الادراك خارج الحواس ، وتحديداً يتعذر الحصول على أنسب منه لحقيقة الصلة بين اللاشعور والشعور ، ولموضع كل منهما من تطور ملكات الانسان ، ولصلة ذلك كله بالعودة المحتملة للتجسد الأرضى مرات ومرات .

كما تساعد هـذه الفلسفة على وضع الانسان فى موضعه الصحيح من الكون بوصفه كائناً روحياً ديناميكياً لا ينتهى تطوره نحو الأمام الى

---

(١) المرجع السابق ص ٣١٦ — ٣٢١ ، وراجع للمزيد ما ورد فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٢٩٤ — ٢٩٦ .

(٢) راجع ما ورد بهذا الشأن فى « المفصل » الجزء الثانى ص ٣٥٧ و ٣٥٩ .

آلية الغرائز بقدر ما ينتمى الى حسن استخدامه لملكاته ومواهبه العقلية ، وما قد يبذله من جهد فى سبيل تنميتها وتوسيع دائرة نشاطها ، عن طريق النضال الخلقى الحكيم . ومحور هذا كله هو اقتناعه بخلود الانسان ، وباحتفاظه بشخصيته ، وبكل مكاسبه العقلية والعاطفية وهو فى طريق تطوره الهادىء من اللاشعور الى الشعور ، الى أن يكون كائنا راقياً جديراً بمكانه السامى فى الطبيعة ، ومتمتعاً بقدر وافر من السعادة لا يتاح له الآن سوى شطر ضئيل جداً من هذا القدر .

فهى فلسفة من التفاؤل العلمى بمصير الانسانية ، ومن التفاؤل الذى يتجاوز كل حدود ، ما دام تطور الانسان نحو الأفضل يتجاوز بدوره كل حدود تصورنا الراهنة . وهى بالتالى فلسفة تقع على النقيض من أية فلسفة مادية بوجه عام ، ومن أية فلسفة تشاؤمية بوجه خاص . ولذا فان جيلى جعل مناقشة فلسفة شوبنهور ودحضها يقع فى الأساس من هذه الفلسفة الروحية المتفاءلة المترابطة مع المنهج العلمى بمقدار ترابطها مع منهج البحث فيما وراء الطبيعة كما قال .

وهو يصل فى تفاؤله الى حد الاعتقاد بأن الانسان حتى عندما يتكامل فى تطوره . وتصبح ملكاته اللاشعورية ملكات شعورية لا يتلاشى فى الوعى الكونى العام ، ولا يفقد نفسه وملكاته فيه ، بل يظل محتفظاً بمكاسبه العقلية والروحية ويظل طافياً فى هذا الوعى العام كما تطفو قطع الجليد على مياه المحيط .

وهناك نقطة فى هذه الفلسفة لا تثير الآن اى نقاش فى دوائر الباحثين، وهى أن الانسان الراهن لا يمثل تجسداً تاماً لكل عناصر وعيه ، اى لكل عناصر تكوينه الشعورى واللاشعورى ، بل انه يمثل فحسب تجسداً عارضاً لجانب يتفاوت فى مداه من هذا الوعى الذى يعمل خلال المخ ، حين يظل باقيه ــ الى مدى أو الى آخر ــ خامداً خارج اطار المخ والجهاز العصبى للانسان .

ومقتضى هذا القول ــ عند المقتنعين بدوام حياة الانسان بعد الموت كنتيجة تفرض نفسها فرضاً تأسيساً على بينات لا تحصى توصل اليها أسلوب التحقيق الوضعى ــ ان الانسان يكون بعد تخليه عن جسده الترابى بفترة تتفاوت فى مداها افضل مما كان قبل هذا التخلى ، من الناحيتين العقلية والوجدانية .

وهذا التحول نحو الأفضل يجيء نتيجة زوال الحاجز القديم بين الشعور واللاشعور ، والذى كان من صنع الجسد المادى الخاضع لهيمنة المخ والجهاز العصبى ، وهما جهازان بالغا الضعف بالمقارنة بالعقل والجهاز

الاثيرى ، هذا حتى اذا صرفنا النظر عن الأمراض الجثمانية التى قد تصيب المخ والجهاز العصبى من شتى المصادر وأولها الشيخوخة ، وكل أمراض الدورة الدموية ايضاً ، بالاضافة الى الأمراض التى تصيب المخ والأعصاب بصفة مباشرة .

ولذا تجد ان الروحيين المطلعين يتحدثون كثيراً عما يسمونه « ذواتنا العظمى » greater selves التى نحصل عليها عن طريق « عملية الموت » أو بالأدق عن طريق عملية التحول عن طريق الموت أى مغادرة المعتقل الرهيب الذى يعتقل جانباً هاماً من شعورنا وبالتالى يعطل الاستخدام الكامل لحواسنا وملكاتنا الفطرية ، الا وهو الجسد المادى بكل ما يتحكم فيه من عناصر الضعف المتوارثة أو المكتسبة .

و « ذواتنا العظمى » ، أو بالأدق ذواتنا التى تسير سيراً حثيثاً وان كان بطيئاً نحو النمو والثراء فى العقل والوجدان ، عن طريق العلم الصادق والايمان النقى هى موضوع فلسفة النفس فى علم الروح الحديث ، كما هى موضوع فلسفة الروح فى علم النفس الحديث . ولا تعجب لما أقول ، فان علم الروح هو الوارث الشرعى لعلم النفس بمفهومه القديم ، وقد سلم تماماً بحقيقة هذه « الذات العظمى » حتى لقد اضحت فيه الآن بمقام البديهيات التى حاول الدكتور جيلى تأصيلها علمياً ، كما اتجه اليها آخرون كبار من قبله ومن بعده ، ومن أكثرهم اطلاعاً ، واعمقهم مستوى .

وقد اختلف أكبر علماء النفس مثل مكدوجال ، وآدلر ، ويونج ، خلافات جوهرية عند محاولة وضع الحد الفاصل بين الشعور واللاشعور ، وبالتالى عند تعيين دور كل منهما فى سلوك الانسان واتجاهات مناشطه المختلفة .

ويبدو أن العلم لن ينجح فى هذا التحديد فى المستقبل القريب ، وذلك بالنظر لتداخل العقلين الواعى والباطن تداخلاً تاماً فى نشاطهما ناهيك بتداخل دور العقل الأسمى معهما فى اداء هذه المناشط . وان اختلاط عناصر العقل المختلفة فيما بينها هو اشبه ما يكون بماء البحيرة المتحركة التى تتداخل مياهها على الدوام : ما يوجد منها فى القاع ، مع ما يوجد منها فى السطح ، مع ما يوجد منها بين القاع والسطح ، بسبب نشاط اى عامل يؤدى الى تحريك المياه ، ومنها مثلاً حركة الهواء ، والتيارات المائية التى تجرى فيها ، ناهيك بالنشاط اللاحى فيها .

وعندما يتجمد جزء من ماء البحيرة بسبب حلول فصل الشتاء من المحال تعيين مصدر هذا الجزء المتجمد فى مائها رغم أن الجليد يطفو على

السطح ، ويكون الجزء الأكبر منه (حوالى تسعة أعشاره) تحت السطح. ولكن مصدر هذا الجليد عبارة عن مياه مختلطة ومتداخلة معاً قادمة من كل مستوى من أعماق مياه البحيرة .

وعملية تجمد جزء من ماء البحيرة قادم من اعماق متفاوتة لكى يطفو وحده على السطح هو — فى تقديرى — اشبه شىء بتجسد جزء من وعى الانسان قادم من أعماق متفاوتة من وعيه المتوارث والمكتسب ، لكى يطفو وحده على السطح العاقل فى جانبه الأكبر ، ويظل أغلبه معزولاً عن باقى ماء البحيرة الذى لم يتجمد كله ، ولكنه يظل فى نفس الوقت غارقاً فيها ، حتى يذوب هذا الجليد فيعود من جديد للاختلاط بباقى ماء البحيرة .

وعملية ذوبان الجليد يقابلها فى الانسان انفصال العقل عن المخ ، بالوفاة ، فعندئذ تعود كل عناصر هـذا العقل الى الاندماج — بعضها فى البعض الآخر من جديد — داخل اطار الشخصية الجديدة التى يصير اليها الوعى بعد الوفاة ، ويظل عليهـا . وهو مع ذلك يظل فى تفاعل دؤوب ، وعمل متواصل الى أن يحل وقت عودة جانب آخر من ماء البحيرة للتجمد جزئياً من جديد .

وكل انسان هو هذه البحيرة الصغيرة برمتها ، وليس هو مجـرد قطعـة الجليد المتجمدة — الى وقت ما — من هذه البحيرة . وكل بحيرة هى عبارة عن قطـرة ماء صغيرة فى محيط لا يعرف العـلم له حدوداً ، ولا ابعاداً هو محيط الحياة الكونية نفسها . وكل قطرة ماء مآلها فى النهاية الأخيرة الى الاندماج فى هـذا المحيط الأعظم عندما تصبح القطرة جديرة بالاندماج فى المحيط . وعندئذ يحصل صاحبها على « النرفانا » او السعادة الأزلية التى لا تعكر صفوها تجسدات ترابية سعيدة او شقية ، متقاربة او متباعدة ، وذلك لأن السعادة الخالصـة عند تجسد جانب من الوعى فى التراب محض سراب ، وان وجدت فهى مقيدة بأغلال ومخاوف عديدة تنبع من طبيعة التجسد الترابى نفسه .

وهكذا يبدو تماماً ان قضية مصير الانسان اخطر بكثير من أن تكون قضية وجود مقيد محدود مـع انتماء بالوراثة الى اعتقاد وطقوس معينة تلقى به الى جحيم لا حدود له ، وبلا مقدمات واضحة معينة وبلا منطق مقبول عادل . او انتماء الى اعتقاد وطقوس اخـرى يلقى به الى جنات لا نهاية لها ، وايضا بلا مقدمات واضحة معينة ، وبلا منطق مقبول عادل . فقضية مصير الانسان تصبح على هذا النحو هى قضية دوام ، مع تطور. وتطور بعيد المدى ، عميق الاثر ، لا يحدث جزافاً ، بل تلعب فيه ارادة الانسان دوراً يتعذر اهداره تماماً . وهو قبل كل اعتبار آخر دور روحى واخلاقى لا يعصى على الفهم ، والتبرير ، والتقدير .

وعن طريق هذه العملية التى تتكرر عن طريق تكرار الميلاد والوفاة ، كما يتكرر تجمد ماء البحيرة عن طريق تعاقب الحر والبرد ، يحدث النمو المطلوب فى عناصر الوعى المختلفة وتطورها ، واندماجها معاً فى وعى واحد متناسق ، متطور على الأمد البعيد ، مخصص لأدار رسالة فى مستوى معين من مستويات الوجود أسمى بكثير من مستوى نشاطه الراهن عندما يتجسد جانب منه ، او بالأدق عندما يعتقل جانب منه فحسب للعمل فى اطار التكوين العضوى المكتسب والمتوارث للمخ ، وعن طريق هذا التكوين العضوى فحسب .

وهذه الاعتبارات تجعل من أشق ما يمكن محاولة وضع حد فاصل بين نشاط الشعور واللاشعور من جهة ، ونشاط العقل الأسمى والأسفل من جهة أخرى ، فالمشكلة ليست هينة بالمرة . وهى كالمشكلة التى يقابلها جميع الباحثين فى سلوك الانسان عندما يحاولون رسم حدود فاصلة بين ما يمت من عناصر السلوك الى الاكتساب ، وما يمت منها الى الفطرة .

ورغم تقدم الدراسات فى « علم الانسان » و « علم النماذج الحيوية » Biotypologie تقدماً نسبياً ، لا يزال من المحال رسم حد فاصل بين عناصر الإكتساب وعناصر الفطرة ، بل لا يزال — حتى هذه الساعة — من المحال وضع تعريف دقيق لمعنى الفطرة ومعنى الاكتساب . ولكن الأمر المحقق الوحيد هو أن طبع الانسان لا يمكن أن يكون محض فطرة ولا محض اكتساب ، لأن الشخصية الانسانية أو الفردية قابلة للتحول ، وللسيولة ، وللتطور بتأثير الزمن والوسط والظروف .

« فالطبع Caractère فى النطاق النفسى يمثل ما تمثله البنية أو السجية tempérament فى نطاق وظائف الاعضاء . ورغم التسليم بقاء الميول الفطرية فان ردود الفعل الخارجية تظل متغيرة . فالانسان بنفس طبعه الشبابى يحوز عادات مكتسبة تحت تأثير العوامل الخارجية قابلة لأن تدعم ميوله الفطرية ، أو لأن تنال منها منالاً قوياً أو ضعيفاً .

وكما يقول بعض العلماء ان التسليم بأن الطبع محض اكتساب وبالتالى متكيف مع الوسط معناه تحديد عدد الطباع بعدد الأوساط ، والخلط بين الطبع الانسانى وسيكولوجية الحيوانات العديمة الفقرات . فانه فحسب بفضل الفارق الموجود بين الطبع والشخصية يمكن الوصول الى حقيقتين تبدوان متعارضتين فى الظاهر : هما تحقيق شخصية الانسان بذاتها ، والتغير المستمر للروح الانسانية ، هذا التغير الذى عبّر عنه تعبيراً شعرياً نواى Noilles بقوله « لن تكون لنا أبداً الروح التى لنا فى هذه الليلة » .

هذا عن الطبع الفطرى للانسان ، أما عن العناصر البيولوجية المرتبطة به فهى تشير الى معنى نسبى يتحدد وفقاً لظاهرة السلوك الانسانى المطلوب اخضاعها للدراسة ، لأنها عبارة عن علاقة بين الذات (اى الوعى بكل عناصره المتجسدة وغير المتجسدة) وبين عدة عوامل حيوية ليست غريبة عنها ، مرتبطة بها من كل جانب .

وتتوقف هذه العلاقة على طبيعة هذه العوامل وما يتولد عن تفاعل هذه وتلك من ظواهر شتى . وقد تشعبت الآراء فى شأن تحديد هذه العلاقة : فمثلاً يعطى بعض العلماء قيمة خاصة للعوامل البيولوجية فى تفسير السلوك الانسانى حين يعتبرها البعض الآخر مجرد وسيلة لابراز الصفات الفطرية التى تلقاها الفرد عن طريق الوراثة (١) .

ويمكن أن يضاف اليها الآن ـ فى اطمئنان كاف ـ التأثيرات التى تلقاها عن طريق تجسداته السابقة ، وظروف هذه التجسدات وهى لا يمكن أن تنتهى عند حد فى تعددها وتنوعها . وهكذا يمكن بسهولة الاتفاق مع الدكتور جيلى فى أن اختبارات الشعور تتحول الى اللاشعور ، وأن ذكريات اللاشعور تصبح مع الوقت الطويل ملكات ومواهب يقظة فى الشعور نفسه .

عن موقف برجسون واينشتين

وفى هذا الشأن يتساءل برجسون الذى هو فيلسوف وضعى وعالم نفسى أيضاً قائلاً : « ماذا عسانا أن نكون فى الواقع ، او ماذا عسى أن يكون طبعنا ان لم يكن تلك الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا السابقة ، منذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ، ما دمنا نحمل معنا ميولاً وراثية ، او استعدادات سابقة على الولادة ...

صحيح اننا لا نفكر الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ، ونريد ، ونعمل ، بماضينا كله مع ما ينطوى عليه من اتجاه أصلى قد اتخذته نفوسنا منذ البداية . واذن فان من شأن ماضينا أن ينكشف لنا بأكمله من خلال قوته الدافعة على شكل ميل او اتجاه ، ولو أن جانباً ضئيلاً منه فقط هو الذى يستحيل الى قصور عقلى » .

ثم يقول ان من شأن الماضى أن يظل حياً باقياً فى الحاضر ، وأن من المحال على الشعور أن يمر بنفس الحالة مرتين ، وذلك لانه مهما تكن الظروف متشابهة ، او مهما تكن الملابسات واحدة ، فانها لا تؤثر مطلقاً

---

(١) للمزيد راجع مؤلفنا فى « مبادىء علم الاجرام » طبعة ثالثة ١٩٧٤ ص ١٩١ ـ ١٩٧ ، والمراجع المشار اليها فيه .

فى شخصية واحــدة بعينها ، ما دامت تعرض لهــا فى لحظة جديدة من لحظات تاريخها .

ولمــا كانت شخصيتنا فى تكون مستمر لأنها تبنى ذاتها فى كل لحظة ، مستعينة بما تجمع لديهــا من تجارب فان شخصيتنا فى تغير دائم دون ادنى توقف او انقطاع . وهذا هو السبب فى انه لا يمكن أن تتكرر فى أعماق شــعورنا حالة نفسية واحــدة ، حتى ولو بدا لنــا لأول وهلة أننا بازاء ظاهرة واحدة بعينها ... » (١) .

وهكذا يتحــدث برجســون ليس فقط عن دور الوعى وكيف انه « لا يعمل الا بجزء ضئيل من ماضينا ، ولكننا نرغب ونريد ونعمل بماضينا كله » ، كما يتحدث ايضــاً عن انفسنا بوصفنا الحصيلة التى تجمعت من تاريخ حياتنا الســابقة منــذ ولادتنا حتى الآن ، ان لم نقل قبل ولادتنا ما دمنا نحمل معنا « ميولاً وراثية او استعدادات سابقة على الولادة » . وهكذا نرى برجسون وقد اقترب اقتراباً واضحاً من جيلى فى الجــوهر والمضمون .

كما ذهب برجسون الى أن « المذاهب الروحية كانت على حــق فى استماعها الى الشــعور عندما كان الشعور يؤكد الحــرية الانسانية لكن العقل ما زال موجوداً هنا ليقول ان السبب يحدد نتيجته ، وان كل شيء معاد ، وان كل شيء موجود من قبل . وقد كانت هذه المذاهب الروحية على حق عندما آمنت بوجود شخصية فردية مطلقة ، وباستقلال الفــرد تجاه المــادة » ...

* * *

واذا تقبلنا هذا النظر وهو أن جميع اختباراتنا المــاضية لا تزال دفينة فى اللاشعور فانه يصبح مفهوماً امر الكثير من الأحلام التى يتعذر تعليلها بالاختبارات التى مرت بنا فى حياتنا الراهنة وحــدها . ذلك أن اللاشعور يمثل الجــانب الأعمق والأهم من الوعى ، والوعى ملازم للروح وهى لا تعرف فواصل الزمان والمكان ، لأن الروح خالدة بطبيعتها ، ولأنها تمثل قبساً باهتاً من العقل الأعظم أو من الروح العظمى .

ومن ثم يكون من المفهوم احتمال قــدرة اللاشعور على رؤية بعض احداث المستقبل رؤية صحيحة ولو على نحو ما وفى احوال نادرة . كمــا يكون من المفهوم ايضاً احتمال قــدرة اللاشعور على رؤية بعض احداث المــاضى رؤية صحيحة ولو على نحــو ما ، وفى احوال نادرة . وذلك كله

---

(١) عن الدكتور زكريا ابراهيم فى « مشكلة الحياة » ١٩٧١ ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

ما دام أن المستقبل لا يعدو أن يكون ـ بحسب تعبير اينشتين ـ عبارة عن ماض آت ، وأن الماضى لا يعدو ان يكون مجرد مستقبل قد فات ! !

وهذا النظر كله لا يكون متصوراً ومفهوماً الا فى ظل فهم رباعى لأبعاد الكون تتداخل فيه على نحو أو آخر أحاسيس الزمان بأحاسيس المكان لكى تحل محل هذه وتلك احاسيس « الحالة » . ولذا قال اينشتين « اذا كانت نظريتى عن الكون صحيحة فلابد أن توجد قوى ادراك رباعية الأبعاد » (١) . وهذا هو ما يتحقق بصورة جزئية فى بعض حالات النوم ، وفى بعض حالات الغيبوبة المغناطيسية ، والروحية . وفيها كلها قد ينشط اللاشعور الى استعراض بعض أحداث الماضى القريب أو البعيد للروح .

ومن ذلك مثلاً تنقل احساس أحد النائمين من الشعور بانه ذو نفوذ وسلطان ، الى متسول يقفعلى باب دار ، الىمغامر يجتاز الأدغالحيث يغتاله أحد الأشخاص ، أو يفترسه أحد الوحوش ، الى بحار يجوب أعالى البحار ... فمن الجائز علمياً الآن ان يكون هذا الشخص قد مر باختبار حقيقى او آخر من هذه الاختبارات فى أحد تجسداته السابقة ، بغير أن ننفى دور الرغبات المكبوتة ، وتداعى المعانى ، وقدرة اللاشعور على اعطاء رموز متنوعة ، أو اشكال عقلية متباينة . فكل تفسير منها لا ينفى الآخر ، وكل هذه التفسيرات مجتمعة لا تنفى دور الحالة الصحية ، والهضمية ، واختبارات الأمس القريب ، لأن المطلوب هو الوصول الى تفسير عام شامل يغطى جميع الأحلام العادية والشاذة ، فان فى الأحلام أيضاً ما هو عادى وما هو شاذ كما هو الشأن فى كل ظواهر الشعور واللاشعور (٢) .

تساؤلات أخرى حتمية

ومتى ثبت أن حياة الانسان الراهن تمثل تجسداً عارضاً جزئياً لجانب فحسب من وعيه ، فان هذا الثبوت يجر وجوبا الى التساؤل عن مصير باقى جوانب الوعى . ولماذا يتجسد مؤقتاً جانب منه دون آخر ؟ واذا كان التجسد المؤقت ضرورياً لنمو هذا الجانب المتجسد من الوعى فلماذا لا يكون لازماً لنمو باقى جوانبه ؟ وكيف يتأتى ان يحدث التناسق المرجو بين جوانب الوعى المختلفة اذا كان بعضها قد اتيحت له فرصة للنمو وللصقل لم تتح لباقى جوانبه ؟ ! .

---

(١) راجع ما ورد فى « المفصل » . الجزء الثانى ص ٣٤٥ ـ ٣٧٠ .

(٢) ومن الطريف انه ورد فى ورقة البردى « انانا » التى ترجع الى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد هذه العبارة وهى « أن الانسان لا يذكر حيواته السابقة الا فى الحلم أحيانا او كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة » . وراجع ما سبق عن « موقف قدماء المصريين من الاعتقاد فى العودة للتجسد .

ثم ان الألم أمر لابد منه لنمو الوعى ، وهذه أيضاً بديهية مسلم بها فلسفياً منذ أقدم الأزمان . والألم فى مستوى المادة وفير غزير ، وفى مستوى ما وراء المادة أقل غزارة بكثير فى الوضع المألوف للأمور . وذلك بالنسبة للانسان العادى أو المجرد abstrait الذى توضع له أقيسة علم النفس ، والطب ، والطب النفسى ، بل وأحكام التشريع الوضعى أيضاً ...

وكل هذه الاعتبارات مجتمعة تفرض نفسها فرضاً على أن تثار بمعرفة العقل المنقب فى مصير الانسان ، وفى احتمالات مستقبله القريب والبعيد ، والغاز ماضيه القريب والبعيد ... واذا ارتبطت هذه الاعتبارات بالاقتناع بدوام الحياة بعد الموت كحقيقة وضعية ، فانها تجعل احتمال العودة للتجسد امراً غير مفتقر الى اسانيد فلسفية ووضعية وطيدة وذلك حتى اذا تركنا جانبا الاستشهاد بفلسفة الفراعنة والاغريق وبالأسانيد والنصوص المنزلة وبمعتقدات الشرق الأقصى برمته وبالهامات كبار الفلاسفة والمفكرين .

فاذا اضيف الى ما تقدم التحقيقات العلمية الدقيقة التى مرت بنا فى الفصل السابق والتى جرت باتباع عدة سبل ، وفى عدة بلاد ، وعلى مدى سنين طويلة ، وما تكشفت عنه من نتائج ايجابية صارخة فى أكثر من الأحيان لتبين لنا تماما أن المعارضة المرتجلة لم تعد تمثل موقفا علمياً سليماً ناهيك بآراء الأرواح المراسلة الراقية التى يتعذر تماما اهدارها تماما فى هذا المقام أو فى مقام الفلسفة الروحية بوجه عام .

فنحن اذا وضعنا فى الاعتبار ، كل ذلك ، لتبين لنا تماما لماذا اتجه جمهور علماء الروحية العلمية اتجاها واضحا وصريحا نحو القول بأن مبدأ العودة للتجسد — رغم غرابته المفرطة للانسان العربى أو الغربى العادى — مبدأ لا يجافى الواقع ، ولا يتعارض مع تعاليم الاعتقاد ، أو الفلسفة ، أو العلم الوضعى ، متى احسنا الفهم ، وكنا مخلصين فى محاولة تقصى الحقائق فى هذه الأمور الخطيرة التى اصبحت تلقى عناية متزايدة من جميع المنقبين فى حقيقة موضع الانسان من هذا الكون غير المحدود ، بعد طول مقاومة عنيفة بلا اساس علمى ، أو بعد طول سبات عميق بلا هدف ولا جدوى .

بقيت كلمة من هذا التعليق عن جهل الانسان بماضيه وبمستقبله أو بالأدق عن نسيانه لماضيه وعجزه عن تعرف خطى حياته المستقبلة فى مستوى المادة ، ثم فى مستوى الروح ، فان هذا الجهل يخدم تطور الانسان خدمات جليلة كما لاحظ بحق جوستاف جيلى ، ويكسب الانسان هدوءاً فى حاضره واطمئنانا لمستقبله ، فما اتعس حاضر الانسان لو عرف

ما يخفيه عنه المستقبل من أحداث سعيدة ، أو سيئة لابد ان تتداخل معاً كما هى الحال دائماً .

* * *

واحتمالات نمو أو ثراء ذواتنا العظمى لا تقف عند حد ، اذا ما احسنّا اختيار طريق تطورنا نحو الأمام . فمن يحسن اختيار طريقه يصل الى هدفه فى يسر وبسرعة ، اما من تنكب طريق الصواب فعليه أن يعانى بسبب سوء اختياره الكثير من الأهوال والمتاعب قبل ان يصل الى هدفه ، الذى قد لا يصل اليه أبدا ، ما لم يغير من اساسه الطريق الذى اختاره لنفسه .

والانسان لا يحسن تخير طريق تطوره الا اذا عرف اولا كيف يحول ميوله القوية نحو الأمور المادية الى ميول اخرى قوية نحو الأمور الروحية . وهذا التحول لا يمكن ان يجىء بغتة ، بل هو مهمة التطور الطويل ، والفهم الأمين لرسالة العيش فى مستوى المادة لأعوام قد تقصر وقد تطول طبقا لتخطيط طبيعى تمتد جذوره الى ماضينا السحيق ، وترتفع أغصانه الى مستقبلنا البعيد .

وهذا كله يتطلب الارتباط بمفاهيم صحيحة عن علاقتنا بالكون . وحيثما تكون ارتباطاتنا وتطلعاتنا تكون أرواحنا ايضا ، ولذا قال سويدنبرج بحق أن « حب الانسان هو الذى يصنع له مسكنه » فخطوط ماضينا . ومعها ارتباطاتنا وتطلعاتنا الحاضرة ، هى التى تصنع طريق تطورنا من حياة المادة فى كل هوانها الى حياة الروح فى كل مجدها الذى يفوق بمراحل كثيرة قدرة تصوراتنا الراهنة .

وهى التى تحدد لنا ايضا فترات بقائنا فى الأرض ، او فى الأثير حيث قد تطول فترة الاقامة هناك فى المرة الواحدة لبضعة ايام ، اوسنين ، أو قرون ، أو اكثر . ولا قيمة لذلك لأن الزمن لا وجود له فيما وراء المادة ، وكل ما يلزم هو أن تهضم الروح فى كل اقامة لها اختبارات ماضيها السحيق ، وتستعد لتقبل اختبارات مستقبلها ، وذلك كله طبقاً لنواميس طبيعية للروح مفرطة فى حكمتها وفى رحمتها للانسان . وهى نواميس لا تتأثر بزمان ولا بمكان كما هو الشأن فى كل النواميس الطبيعية . كما لا تتأثر ايضا بأى انتماء ، أو رياء ، أو تسليم ، أو انكار ...

* * *

وثمة تساؤل اخير هنا ، وهو انه اذا كان تفسير كل هذه الظواهر المتلاحقة التى تنتمى الى فصيلة الظواهر فوق المألوفة ينبغى أن ينتهى

الى قبول العـودة للتجسد كمبـدا طبيعى ، فما الذى يدعو البعض الى تجاهل هذا التفسير المناسب او المكابرة فيه لغاية الآن ؟ !

كان من الممكن ان يتجه العـالم الوضعى غير هـذا الاتجاه ويحاول بكل السبل الوصول الى تعليل آخر ، لو كان التعليل بالعودة للتجسـد لا يتوائم مع ما حصل الانسان عليه من معطيات أخرى متنوعة عن حقائق الوجود المختلفة المتصلة بالوعى الانسانى ، وبالتطور وبالمـادة ... وبوجه عام بالمبـادىء العـامة فى الطبيعة الانسانيـة ، وفى البيولوجيا ، وفى السيكولوجيا . ولكننا رأينا ان التعليل بالعودة للتجسد يبدو لغاية الآن أكثرها التئاماً مع هـذه المعطيات فى حالتها الراهنـة ، ناهيك بمبادىء الفلسفة العـامة ، والعقائد المقـارنة منذ أقدم العصور لغاية الآن ، على ما وضحناه فى مواضعه فى المباحث السابقة .

ومع ذلك فقد تردد بعض العلماء فى قبول التعليل بالعودة للتجسد ، ولا يزال يتردد بسبب الارتباط المسبق برفض هـذا التعليل ، وان كان العدد الأكبر منهم أخذ يتحول تدريجيا اليه بسبب تدفق الوقائع الصارخة من جهة ، وبسبب التئامها الصارخ من جهة أخرى مع المعطيات العلميـة المتنوعة التى سبق التعرض لها ، الى حد اننا نتوقع أنه لن يمضى أكثر من بضع عشرات من السنين الا وقد ادرج الاعتقاد بالعودة للتجسد نهائيـاً بين هـذه المعطيات نفسها .

ومما قد يساعد على ذلك أيضا ارتباط هـذا التعليل بقانون خلقى وفلسفى معـروف وهو قانون « الكارما » أو ارتبـاط النتائج بأسبابها ارتباطاً محتوما بحكم قانون العلية الطبيعية ، الذى يحكم تطـور المـادة بقـدر ما يحكم تطور الروح أيضاً . ولذا يتعين أن نقف وقفة كافيـة عند قانون الكارما هذا ، وهو موضوع المبحث المقبل .

المبحث الرابع

ماذا عن قانون « الكارما »
او الجـزاء من جنس العمل

هناك عدة امور لم يحسمها نهائيا بعد « علم الروح الحديث » رغم أهميتها القصوى ، فمن الأمور محل النقاش فى هذا الميدان بحث عـدد مرات العودة ، والفاصل الزمنى بين كل حياة ارضية واخرى ، وما اذا كانت العـودة اختيارية ام مفروضـة على كل انسان كقـاعدة عامة ، وبواعثها وظروفها .. وغيرها من أوجه النقاش بين المدارس الروحيـة

المختلفة على النحو الموجود فى كل ميدان من ميادين العلوم النظرية والعملية معاً .

وتنادى التعاليم الروحية السائدة بامكان العودة للتجسد على المستوى الأرضى ، وذلك كوسيلة تتخذها روح راقية - احياناً - لأداء رسالة ما من الخدمة الراقية على هذا المستوى قد لا تؤدى الا عن طريق العيش بين البشر والاختلاط بهم . وتكون الروح فى هذا الشأن كانسان راق يقبل السفر الى بلاد نائية متخلفة حضارياً ، ويقاسى اهوالا من سوء المعاملة ومن الظروف الطبيعية القاسية فى سبيل اداء رسالة علاجية نبيلة ، أو رسالة لتخفيف ويلات مجتمعه الجديد ، أو تعريفه ببعض أسباب التقدم والعرفان اللازمة له .

كما يقولون ان العودة للتجسد قد تكون - احيانا أخرى - وسيلة لتكفير الروح المتجسدة عن أخطائها السابقة ، اى لسداد ديون الماضى بصورة ما ، أو كيما تحصل هى نفسها على مزيد من التطور والارتقاء تحت تأثير قسوة ظروف الحياة فى هذا الكوكب الحزين الملىء بصنوف الشقاء ، وبدواعى الكفاح المرير . ويعد عندئذ يوم ميلاد الروح على هذا المستوى الأرضى من اتعس أيام حياتها ، كما يعد يوم انطلاقها من اسر هذا المستوى الكئيب هو يوم الافراج المرتقب بعد طول الاعتقال فى المنفى السحيق .

فمثلا يجد عدد ضخم من الأرواح ومن الروحيين فى نظرية العودة للتجسد أو رجعة الروح هذه تفسيرا لأمور كثيرة يتعذر تفسيرها تفسيرا مقبولا بغيرها . ومنها ولادة بعض الأطفال عميانا أو مشوهين أو عاجزين ، مع ان الله تعالى عادل ورحيم ولا يتصور أن يكون قد فرض على هؤلاء الأبرياء آلاما رهيبة لغير ذنب جنوه ، أو لذنب اجترحه احد آبائهم او اجدادهم . اما مذهب العودة للتجسد فيقول انهم قد اجترحوا هم انفسهم فى حياة سابقة لهم ما اقتضى ولادتهم على هذا النحو للتكفير عن طريق الألم عما اجترحوه فيما مضى .

وكذلك الشان فى تعليل كل تعاسة قد تصيب انسانا ما ، وقد لا تبدو مسئوليته عنها واضحة فى سلوك حياته الحاضرة ، فهم يقولون ان سبب تعاسته كامن فى حياته او فى احدى حيواته السابقة ، وان هذه التعاسة تعد نتيجة محتومة لقانون الكارما Karma ، او ارتباط النتائج ارتباطاً محتوما باسبابها بقدر اتصال هذا الارتباط بحياة الروح التى لا تتوقف ، فهذا القانون يعلل التعاسة ، كما يعلل السعادة الراهنة

على نفس النحو عملا بناموس طبيعي معروف هو ناموس « الجزاء من جنس العمل » أو « ما تزرع اياه تحصد أيضاً » .

ماذا يقول همفريز فى « الكارما »

وفى هذا الشأن يكتب كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys قائلا ما مضمونه ان « كارما » Karma كلمة سنسكريتية مشتقة من كلمة Kri أى جذر النبات ، وتعنى عندهم الفعل أو العمل . فالكارما لذا تعنى العمل أو الفعل ، لكن مع مرور الوقت أصبحت هذه الكلمة تنطبق على ما وصفه المفكر الألمانى ليسنج Lessing بأنه اقدم فقه فى العالم .

وهى من وجهة النظر المادية تعنى مجرد قانون السببية Law of causation أو ميزان السبب والنتيجة ، أو ما يطلق عليه فى هذا النطاق بقانون التساوى بين الفعل ورد الفعل ، وبالتقابل بينهما . اما من وجهة النظر الروحية ، فالكارما هى قانون الجزاء الأدبى ، ليس فحسب بمفهوم أن لكل سبب نتيجة ، بل ايضا بمفهوم أن من يحرك نشاط السبب يتحمل هو نفسه النتيجة .

وقد اطلق المعلم الروحى رادا كريشنان Radhakrishnan على الكارما قانون « حفظ الطاقة المعنوية » ... وهذا القانون ليس قانونا هندوسيا ، ولا ثيوصوفيا ، بل هو قانون أساسى فى كل فلسفة شرقية ، ونادى به القديس بولس عندما قال « أيها الأخوة ، لا تضلوا ، الله لا يشمخ عليه ، فان الذى يزرعه الانسان اياه يحصد أيضاً »(١) .

وفى القرون الأولى للمسيحية كان هذا القانون يمثل اعتقادا كنسيا فى الغرب . ولكن عندما اكتشف مجمع القسطنطينية فى سنة ٥٥٣ أن العودة للتجسد لا تلتئم مع النظام العجيب للتفكير الذى كان بعض الأساقفة بصدد اقامته ، لذا أعلنوا أن هذه العودة تعتبر هرطقة ، ومعها القانون الآخر الذى يجعل العودة مقبولة ، وهو قانون الكارما .

وهذا القانون اما أن يكون صحيحاً ، واما أن يكون زائفاً ، والكون اما أن يكون تنظيماً ، واما أن يكون فوضى . ومن المحال أن يكون فى جانب منه محكوماً بالقانون ، وفى جانب آخر محكوماً بالصدف العمياء غير العاقلة . والكارما ليست قانوناً يمكن ان يقال فى شأنه « انه من الجائز ان يوجد ثمة شيء ما فيه » . فهو اما قانون موجود ، واما

---

(١) غلاطية ٦ : ٧ .

لا وجود له . فاذا كان موجوداً فان الانسان الأحمق هو ذلك الذى لا يستخدمه ، والانسان الحكيم هو ذلك الذى يدرسه ، ويعلنه بالطول وبالعرض ، ويطبقه على أصغر تفصيلات حياته اليومية .

واذا لم يكن قانون الكارما صحيحاً ، فان الخطأ يكون خطأ ضخماً الى حد فريد اذا نظرنا الى أنه ظل ينادى به كأساس لكل الحكمة المتراكمة فى العالم منذ بدأ البحث عن الحقيقة فيه ، واذا نظرنا الى ان احداً لم يقدم الينا قانونا بديلا له لتفسير ظواهر هذه الحياة الدنيا .

ولكن هذا القانون لا يمكن فهمه الا من وجهة النظر الروحية . اما اذا نظرنا اليه بوصفه قانوناً آلياً للاستحقاق والمديونية ، للأعمال الطيبة والشريرة ، فاننا نجرّده من كل قوته الحية . واذا كان هذا القانون ينطوى على كل شىء مرتبط بالكون فانه ينبغى النظر اليه فحسب من ناحية شاملة ، وهذه هى النظرة الروحية اليه .

ان الانسان ينتمى الى مستويات مختلفة للادراك ، هى بمثابة نوافذ تضىء له طريق الفهم الصاعد الى فوق . وكما ان حارس الفنار يقيم فى برج مشيد على صخرة عالية لكى يتطلع الى مستوى المصباح الذى يلقى ضوءا ليس موجهاً الى الحارس ، كذلك فان وعى الانسان عندما يتطور يكون عليه أن يتسلق من مستوى الى مستوى حتى يجد الضوء الذى بداخله ويميل اليه ، وهو ذلك الضوء الذى يشرق للأزل .

ووراء العقل ، الذى هو جهاز التفكير ، يوجد مستوى الالهام ، وملكة التأمل ، والتعرف المباشر على الحقيقة . وهذا المستوى خامد فى غالبيتنا ، او يعمل بطريقة خاملة فيعطى انعكاسا منخفضاً ، كما تفعل الغرائز . ومع ذلك فعلى كل انسان أن ينمى هذا المستوى من الالهام ... وهذا الالهام ينفع فى اضاءة البصيرة بشعلات مناسبة من الفهم ، وفيما بعد فان الوعى الصاعد يبدأ فى استخدامه على مستواه الخاص . وكل من اختبر هذه الشعلات الساطعة المنبعثة من قلب الأشياء سيعلم ، وسيعلم بعيدا عن كل شك ، أن هذا القانون حق .

ومن آن الى آخر ، فانه حتى على مستوى العقل عندما تثار الشكوك وتعوق الفهم ، يمكن أن ينظر الى هذا القانون بوصفه فحسب فقهاً مؤسساً على اعتبارات معقولة جميلة ، يمكن اختبارها وهى فى حالة نشاط للتحقق من صحتها .

فالكارما اذاً قانون يسود جميع القوانين الطبيعية الاخرى من قانون

الجاذبية ، الى قانون « المتوسطات » . وهو ليس قانوناً أعمى ، بل انه قانون حى وعاقل شأن كل شىء آخر فى الكون ...

والانسان هو الذى يصنع « كارماه » لأنها نتاج أفكاره . و « كل ما نحن عليه الآن هو نتاج ما فكرنا فيه من قبل » ، كما ورد فى الدهامابادا Dhammapada . فهو مؤسس على أفكارنا ومصنوع منها ، فاذا كان الانسان يفكر بأفكار شريرة أو يتصرف بها فان الألم يتبعه ، ولكن اذا كان الانسان يتحدث بأفكار نقية أو يتصرف بها فان السعادة تتبعه كالظل الذى لا يريد أن يغادره أبدا .

وبين ارادة العمل والعمل يوجد التفكير ، أى الفكرة التى يكون العمل هو التعبير الظاهر عنها . وبالتالى فان السيطرة على التفكير والانفعال مقدمة ضرورية لامكان السيطرة على العمل ، فمآل الانسان اذاً يتوقف على تفكيره ... وليس للانسان أن يشكو من القدر الذى قيد حريته ، أو أصابه بضربة ظالمة .. وهكذا فان قانون الكارما قانون موضوعى بمعنى الكلمة ، وهو دواما فى خدمة الانسان ، وليس ومضة خاطفة من اله بار أو منتقم . ولذا فمن غير المجدى ان يحاول الانسان ان يساومه ، أو ان يستجديه ، أو ان يجادله ، أو ان يتحداه لأنه « كما يفكر الانسان كذلك يصير » .

* * *

ان الانسان يعاقب بخطاياه لا من أجل خطاياه ، لأن الكارما لاتثيب ولا تعاقب ، بل هى فحسب تعيد التناسق الضائع . ومن يتألم يستحق الألم ، ومن لديه سبب للتنعم يحصد ما زرعه . ولكن حتى اذا كان كل انسان يستحق آلامه ، بمعنى انه قد تسبب فيها فانه لا يوجد أى مبرر لعدم الاكتراث لآلامه من جانب من هم أوفر منه حظاً . فعلى الأمد البعيد لا توجد « كارما » شخصية ، بل تصرفات الفرد هى تصرفات الجميع ، وتصرفات الجميع تؤثر فى الفرد .

وهذه « الكارمات » ، التى لا حصر لها فى اتساعها الدامى ، هى الأساس وحجر الزاوية للأخوة الانسانية بوصفها حقيقة كونية . فجميع الأشياء حسنة فى جوهرها ، والألم يعمل فى خدمة ما هو حسن . وهكذا فاننا نتعلم ، ونتحرك عن طريق آلامنا المشتركة ، بخطوات بطيئة جداً متجهين نحو تلك الحقيقة المقدسة النهائية التى تتحرك نحوها الخليقة برمتها .

ومع ذلك فرغم أن أن كل البشر واحد فى جوهرهم ، الا انهم — فى نأيهم الحالى عن المعرفة — كائنات متفرقة . ورغم أن « الكارما » تعكس فى كل واحد تصرفات الآخرين ، الا أن الانسان المتوسط يمثل « وحدة كارمية » ، فيعانى الخير والشر الناجمين عن تصرفاته الخاصة . وهذه الحقيقة تقع فى الأساس من قانون الاستحقاق ، فجميع الأفعال الطيبة تستوجب الثواب لفاعلها فى تاريخ لاحق فى هذه الحياة أو فى حياة لاحقة، والسبب يحمل نتيجته المحتومة .

ولكن الثواب والعقاب هما أحط صور التربية كما يقول حكيم صينى ، والعلة هى أن الدافع سيكون هو الخوف أو رغبة المتعة التى تحققها الأفعال الطيبة . وتحديد الفكر على هذا النحو قد يخدم صاحبه كقانون أخلاقى بسيط ، لكنه لا يجلب الاستنارة المطلوبة ، التى تدفع الى تحقيق الخير لأجل الخير ولأجل التضامن الانسانى لا لأجل الثواب أو المتعة (١) .

* * *

ثم يقول همفريز لقد قال شوبنهور Schopenhauer — الفيلسوف الألمانى — لو أن شخصا أسيويا سأله عن تعريف لأوروبا لأجابه انها ذلك الجانب من العالم الذى يقطنه خداع لا يصدق بأن الحياة الحاضرة للانسان تمثل دخوله الأول الى الحياة !

واذا نظرنا الى العالم ككل ، فانه ينبغى أن نقلب التساؤل قائلين : من ذا الذى لا يتقبل قانون « الكارما — العودة للميلاد » وعلى أى أساس يمكن رفضه ؟ وعلى أية حال ان من نافلة القول أن نختبر الموقف الأوروبى نحو هذا الموضوع ، مع أن غالبية المؤلفات عنه تقدم بينات عديدة مع ثراء فى التفصيلات والاحالات ، مما يبين الى أى مدى قد انتشر الآن هذا الاعتقاد .

ومن جانب آخر فقد لاحظ أوين روتر Owen Rutter انه لا يوجد انسان — فيما يبدو — يريد أن يتقبل فلسفة لا تنتمى اليه ، ولا يريد بالضرورة أن يقتنع بأسانيد الحقيقة لمجرد أن الرجال الأذكياء قد اقتنعوا بها خلال عصور التاريخ . ومع ذلك اذا كانت الأسانيد لاتقنع سوى القليل من الأشخاص فان العديد منهم على استعداد للاصغاء الى

---

(١) تلخيص من كتاب « الكارما والعودة للميلاد » ص ١٣ — ٢٩ .
Karma and Rebirth.

التفسيرات ، خصوصاً عندما تتصل هذه التفسيرات بالمفارقات والآلام ، التى يقدم لها هذا القانون وحده تفسيرا ملتئما مع العقل ومع الاختيار .

وفى مقدمة كتـــابه عن « العــودة للتجسد » يقول أ. د. والكر E. D. Walker انه اذا اعتنق كل العالم المتحضر عقيدة العـودة للتجسد فانه سـيجد فيها اجابة شافيـة عن لغـز سـقوط الانسان ومصيره ، ولكن العـالم الغربى لا يزال مشغولا بالغزو المـادى للعـالم ، مكتويا بنـار الفلسفة المـادية ، ففقـد ايمانه القـديم وانزلق الى اقليم مظلم التهبت فيه لهفته على الأشياء « العملية » .

كما يعالج همفريز موضوع بناء الطبع فيقول انه فى ظل هذا القانون يمكن للانسان أن يخطط لبنـاء طبعه فى المستقبل بغير نظـر الى الوقت الذى يلزمه متبعاً الشعار الآتى : « ازرع فكرا احصد عملا ، وازرع عملا احصد عادة ، وازرع عادة احصد طبعا ، وازرع طبعا احصد مصـيرا » ، وهكذا تجرى القاعدة القديمة التى تبدو الآن صحيحة .

فهل أنت مجهد من طبع يميـل الى الكآبة ؟ ابحث عن سببه وابعد هذا السبب . وهل أنت تبحث عن قدرة أعظم مما تملك لتركيز العقل ؟ لا يوجد انسان بمقدوره أن يحرمك منها اذا صحت عزيمتك على ان تضع خطة لتقدم الذات ، مع تنفيذ هذه الخطة . وعندما يتقبل انسان عمـل الكارما ويتفهمه جزئياً فان بمقدوره أن يبـدأ فـوراً فى بنـاء طبعـه ، واضعا كل حجر بحذر مدروس ، عالمـاً أنه يبنى نفسه للأبدية .

ولا يوجد هنا جرى مندفع الى فوق والى تحت ، وتخبط بين خطـة معينة لليوم ، وأخرى للغـد ، وانتفاء كل خطة لمـا بعد الغـد ، بل يوجد تخطيط مدروس بعنـاية لبناء الطبع ، كمـا يريده صـاحبه ، وعندئذ تصبح الروح مهندسا ، وبنـاءً ، ولا تضيع بعد الآن لحظة واحـدة فى اتخاذ بداءات فاشلة .

وكل ذلك يحتاج الى وقت ، ونحن يوجـد وقت للصبر ، وكلاهما لتنفيذ العمل برمته ، ولانتظار اللحظة الصحيحة المناسبة لكل عمـل ، وهـكذا يمتلىء الاناء ، بوضـع المـاء فيه نقطـة بعد أخرى ، بالخـير أو بالشر . ومن جانب آخر فثمة تناسـق فى تتابع الأحـداث ، تنبغى دراسته والافادة منه ...

والاخطـاء لابد منها ، لكن من يريد أن يتعلم عليه أن يدفع الثمن المطلوب ، وأن يتراجع عن الخطأ ، ثم يسير فى طريق الصواب . وسيتعلم من أخطائه الخاصة كيف يصبح أقل انتقادا للآخرين ، فأولئـك الذين

يحتقرهم يقفون الآن فى نفس الموضع الذى وقف فيه هو من قبل . وعندما يصل الى القمم التى امامه سيرى من هم أكثر منه تطورا من الرجال .

والأخطاء ستقع ، وسيدفع ثمنها بالقدر المناسب كما هو الشأن فى كل مقام آخر ، لأن القيم تنتمى الى العقول لا الى الأشياء ، وبقدر ما يتطور العقل ، كذلك تتطور عنده القيم ، ومقدرته على التقييم الحكيم . والخطيئة والألم أمران ينبغى أن يعاد النظر فى تقييمهما على الدوام ، وهذه رسالة الزمن ، لأن الزمن وحده هو الذى يفصل بين أولئك الذين هم ادنى منا فى سلم التطور ، وأولئك الذين هم اعلى منا فى هذا السلم .

وهكذا ينبغى أن يكون الشأن ايضا بالنسبة للموت وللخوف من الموت . وعندما نبدأ فى النظر الى الجسد بوصفه رداء للروح ، وننظر الى الروح أو الذات العائدة بوصفها هى انفسنا ، فمن أين اذاً يجيء الأسى عند الحاجة الى النوم ، أو عند الحاجة الى الراحة فى غروب النهار ؟

والدرس الذى يحصله الانسان جيدا ، لا يمكن فيما بعد ان يشتريه غالياً . وكثيرون من أولئك الذين خسروا فى غمرة الحرب كل ما يملكون قد تعلموا من هذا الأستاذ القاسى وهو الحرب تفاهة كل مايملكه الانسان عندما يدرك أنه لا يملك شيئا الا ما يكون عليه هو نفسه .

وطريق الوصول هو ابدا « الحل الوسط » ، أى طريق الاعتدال وتفادى التطرفات ، لأن كل نقيض يؤدى الى نقيضه ، وهو ما يقتضى القول بأن الفعل ورد الفعل متساويان ومتعارضان ... والحل الوسط يجتاز بك ـ بين المتناقضات ـ السبيل الآمن فى رفق وفى تعقل الى حد انه لا يصدر منك ابدا فعل يعقبه رد فعل ضار ، وعندئذ فلا حاجة بالذات لأن تتألم من نتائج افعالها ، لأن العمل الكامل لا يسبب ألماً (١) .

« الكارما » فى المفهوم الثيوصوفى

وتكتب الباحثة القديرة السيدة آنى بيزانت Annie Beasant ـ وهى من اعلام المدرسة الثيوصوفية ـ عن الكارما قائلة ما مفاده انه بعد تحرر الروح من العناصر السفلى (الجسد الترابى) تذهب الى مستوى فى عالم الغيب تطلق عليه وصف ديفاشان Devachan (وهو مأخوذ من الفلسفة الهندية) حيث تمضى فترة متناسبة مع ثراء صورها العقلية mental images (وهى تتوقف على مستوى تطورها ونضجها) أو فاقة تلك الصور .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٦٢ ـ ٧٢ .

وهناك تجد الروح أثر كل جهد قامت به فى حياتهــا مهما قصرت مدته ، ومهما كان تافهاً ، وتستمد من تلك الخامات الطاقة التى تلزمها فى حيواتها المستقبلة . ففى فترة الاقامة هنـــاك تهضـم الروح نتائج الاختبارات التى جمعتها على الأرض حتى تصبح تلك الاختبارات داخـلة فى نسيجها الخاص . وعن ذلك الطريق تنمو الروح ، ونموها يتوقف على عدد الصور العقلية التى كوّنتها خلال حياتها على الأرض ، التى تحوّلها الى نماذجها الخاصة بها ، والأكثر دواماً مما كانت فيما مضى .

وعن طريق هذا التحول لا تعد تلك الصور مجرد صور عقلية ، بل تصبح طاقات للروح ، وجزءاً من طبيعتها الخاصة وعندئذ اذا أراد أحـد الأشخاص أن يحوز ملكات عقلية أسمى من تلك التى يحوزها حاليـاً ، فبمقدوره تنميتها عن طريق تصميم الارادة على ذلك ، واضـعاً نصب عينيه على الدوام حيازة هذه الملكات ، لأن ما يعد مجرد رغبة أو محض تطلع فى حياة ، قد يصبح ملكة حقيقية فى حياة أخرى ، والرغبة فى الانجاز تصبح هى القدرة على التحقيق .

ولكن ينبغى أن يتذكر الانسان أن الملـكة التى حصـل عليها تكون مقيدة تماما بالمـادة الخام التى أعدها لهـا ، لأنه لا يمكن بنـاء شىء من لاشىء . واذا فشلت الروح على الأرض فى استخدام طاقتها فى زرع حبوب الرغبة والتطلع ، فانها فى عالمهـا الآخر لن تكون فى مركز عالٍ .

والصور العقلية التى تتردد على الدوام فى ذهن صاحبها تنتمى الى الطاقات الضعيفة التى تسـمح بهـا الروح أكثر مما تنتمى الى تطلعـات طبعها ، أو رغباتها التى ترغب فى تحقيقها . ومن هنا تبرز أهمية عـدم ترك العقل هائماً بلا هدف فى وسط الأشـياء التافهـة ، التى تصـنع صورا عقلية خاملة ومضللة ، وتسمح لها بالاقامة فى العقـل . فان تلك الصـور ستظل لصيقة بالعقل ، صانعة قنوات لطاقات عقليـة رديئـة مسـتحوِّمِ فى المستويات المنحطة ، وفى كهوفها المـألوفة .

والارادة أو الرغبة فى انجاز عمل معين عندما تثمر عن طريق الرغبة فى الفرصة لا الرغبة فى القدرة ، أو عن طريق تذليـل العقبات التى تحول دون التحقيق ، ستسبب صورا عقلية ستكون نشطة فى حيـاة ما بعـد الموت اذا ما كانت متصلة بنشاط من طبيعة سامية ونقيـة ، وستتحول الى أعمال عند العودة الى الأرض .

فاذا كانت الصورة العقلية مشيّدة على رغبة انجاز أعمال نافعـة ، فانها ستكون سبباً فى يقظة الانجاز العقلى لتلك الأعمال فى حياة ما بعـد الموت . وهـذا الانجاز — الذى هـو انعكاس للصورة ذاتها — سيترك فى

الذات أثره بوصفه صورة عقلية لنشاط سيسقط جانباً على المستوى الفيزيقى (الأرضى) بوصفه نشاطاً فيزيقياً الى أن تحين اللحظة المناسبة لبلورة هذا الفكر فى صورة عمل . والنشاط الفيزيقى لا مفر منه عندما تكون الصورة العقلية قد تم تحقيقها بوصفها عملاً على مستوى الديفاشان (ما وراء المادى) .

ونفس القانون ينطبق على الصور العقلية عندما تكون قائمة على رغبات منحطة . وصور كتلك الصور — رغم أنها لا تمر ابداً الى مستوى « الديفاشان » — لكنها عرضة لنفس الموكب الذى سبق بيانه ، ولأن تستعاد من جديد فى طريق العودة الى الأرض .

فالكارما السببية Causative Karma قانون كامل ، والنشاط الفيزيقى يصبح نتيجته التى لا مفر منها ، عندما يصل الى المستوى الذى يسمح بتكرار جديد للصورة العقلية التى تعنى الانتقال الى مرحلة التنفيذ. ولا ينبغى أن ننسى أن تكرار عمل معين من شأنه ان يجعل هذا العمل آلياً ، وهذا القانون يعمل على المستويات الأخرى غير المستوى الفيزيقى . ومن ثم فان التكرار المنتظم لعمل ما على المستوى الروحى سيجعل هذا العمل آلياً وعندما تحين الفرصة على المستوى الفيزيقى فان صاحبه سيعيد تكراره آلياً على هذا المستوى .

وكم يقال عادة بعد ارتكاب جريمة معينة « لقد وقعت قبل ان افكر فيها » ، أو « لو كنت قد فكرت فيها لما ارتكبتها أبداً » ؟ والقائل على حق تماماً فى زعمه بانه لم يكن عندئذ مدفوعاً بفكرة مدروسة . وبطبيعة الحال هو يجهل الأفكار السابقة ، وتسلسل الاسباب التى ادت الى النتيجة المحتومة ...

فالصور العقلية المخزونة فى الذاكرة ، شأنها شأن الاختبارات التى مرت بها الروح فى حياتها الأرضية ، وشأن التسجيل الدقيق للعمل الذى بنى عليها فى العالم الخارجى ، ينبغى أن تؤثر فى نشاط الروح . وبدراسة ذلك ، وبالتأمل فيه تتعلم الروح كيف تنظر الى الروابط القائمة ، والى قيمتها بالنسبة لأعمال العقل الكونى العام الذى تكتشف فى الطبيعة . وفى الجملة فان الروح تستخرج منها — بالتفكير المثابر فيها — جميع الدروس التى عليها أن تتعلمها .

ومنها دروس اللذة والالم ، أو اللذة التى تغذى الالم ، والالم الذى يغذى اللذة . ودروس وجود نواميس لا تخرق ينبغى على الروح أن تتعلم كيف تتكيف معها . ودروس النجاح والفشل ، والانجاز والخيبة ،

والمخاوف التى يبين انها على غير اساس ، والآمال التى يعوزها التحقيق . ودروس القوة عندما تنهار أمام الاختبار ، والمعرفة الموهومة التى تؤذى نفسها كانجهالة سـواء بسـواء . ودروس التحمل الصبور عندما يحمى النصر من الهزيمة الوهمية ، والصبر عندما يهزم النصر الموهوم .

والروح تمر بكل ذلك ، وبقدراتها السحرية تحـوّل كل هذا النسيج من الخبرات الى درة من الحكمة ، فتعود بذلك الى الأرض كروح أحكم مما كانت ، وأقدر على تحمل احداث حياتها الجديدة بثقل اختبارات حياتها القديمة . وهنا أيضاً تكون الصور العقلية قد تحـوّلت ، ولا تكون بعد مجرد صور عقلية ، وان كان يمكن فحسب استخراجها فى شكلها القديم من سجلاتها الكارمية .

ومن الصور العقلية للاختبارات ، وبوجه خاص من تلك التى عانى منها الانسان بسبب جهله « بالقـانون » يولد الضمير وينمو . فالروح خلال حيواتها الأرضية المتتابعة ، تقودها الرغبة نحو شيء جذاب ، وفى متابعتهـا له تصـطدم « بالقانون » فتسقط متألمة دامية . واختبارات متعددة كهـذه تعلّمها أن اشباع الرغبات ضد « القانون » يزرع بذور الألم . وعندما تحاول الروح فى حيـاة جديدة اشباع نفس الرغبات عن طريق جسـد الرغبة ، فان ذاكرة الاختبارات السابقة تتحـرك بوصفها ضميراً ، وتصرخ عالياً بأن ذلك محظور ...

والروح تقف على عتبة ما وراء المـادة فى المستوى الذى اطلقت عليه « مستوى العودة للتجسد » حاملة معها نتيجة عملها سواءً أكان هـذا العمـل صغيراً أم كبيراً .. وعلى ذلك كله تتوقف سرعة تطـورها ونمو ملكاتها ، وشكل جسدها الأثيرى والهالة التى تنتمى اليها بوصفها فرداً ، والتى تتفاوت فى مدى مجدها ، وسطوع اضوائها ، واتساعها ، بحسب مرحلة التطور الذى وصلت اليه الروح (١) .

« الكارما » والعدالة الالهية

ولذا يقول المقتنعون بصحة عقيدة العودة للتجسد ان فى الاحساس بقانون الكارما هذا — اذا ما رسخ فى النفس رسوخاً كافياً — ما قد يحقق وظيفة الردع العام التى يسعى رجال القانون واللاهوت الى تحقيقها عن طريق العقاب ، كما أن فى صرامة هـذا الناموس الطبيعى ما قد يحقق بصورة فعالة هادفة وظيفة الردع الخاص ، أى تقويم اعوجاج النفس أيضـاً .

---

(١) عن مؤلف لها عنوانه « كارما » Karma ص ٣٥ — ٤٣ .

ويقولون ان هـذا الاحساس اذا ما رسخ فى النفس رسوخاً تاماً قد يكون أعمـق أثراً فى تحقيق الوظيفتين معاً من مجرد التلويح للناس بنار أبدية يصعب اقناعهم من الناحية العاطفية والمنطقية بوجودها الحقيقى مع احساسهم بأن من يعرف ظروف الناس يغفر الكثير من زلاتهم وبأن الله رحيم وعادل ، ولا يتصـور أن يستخدم مع خليقتـه اسلوب التعـذيب الأزلى ، أو الانتقام الرهيب بالنيران الذى قد يتجاوز بمراحـل كثيرة ما يسمح به قلب الأب البـار الرحيم نحـو ابنائه مهمـا كان مدى عقوقهم للنواميس الأخلاقية .

واية كانت خطيئة الابن فى مدى جسامتها ، فان قلب الاب فى النهاية هيهات أن يتحجر ، أو أن يقسو الى حد النيران الأبدية الحقيقية المـادية التى لا تطفىء . والتى هى ـ فى نظر بعض الروحيين ـ مجرد كناية عن عذاب الضـمير ، والتطهير الأبدى عن طريق الآلام المتجـددة فى ظروف متجددة قد يكون فيها من القسوة ما يكفى للردع وللتقويم ، مثل الولادة على الأرض فى فاقة كاملة ، أو فى تشويه خلقى ، أو فى داء عياء كالشلل ، أو العمى ، أو الجـذام ... وذلك حتى تسـدد الروح ديونهـا بالالم ، وتستحق عن طريق تطورها العقلى والخلقى البطىء ـ وهما متلازمان ولو الى حد ما ـ مكاناً أسمى فى عالم المـادة والروح .

وهكذا يرى أصحاب هذا الاعتقاد أن العقـوبة المحققة التوقيع ـ ولو كانت خفيفة فى نظر البعض ـ اجدى فى تحقيق وظيفة الردع العام وفى تقـويم الاعوجاج من التلويح بالعقوبة الشـديدة اذا لم تكن محققـة التوقيع ، وهو المبدأ الذى فطن اليه عدد من أبرز الفلاسفة مثل منتسكيو، وروسـو ، وبكاريا ، وغيرهم ، وعليه تقـوم سياسـة الشرائع العقابية المتحضرة كلها ، ناهيك بجميع المدارس المعاصرة .

* * *

كما يرى أصحاب هـذا الاعتقاد ان الجنة بمفهوم السعادة الأبدية لا يستحقها اشـد الناس على الأرض طهارة ، لانه لا توجـد نفس بشرية عادية عاشت على الأرض ـ مهما كان سموها ـ لم تتلوث بأوزار الخطيئة على نحو أو آخر ، والى مـدى او آخر . كما ان النار بمفهوم الاحتراق الأبدى لا يستحقها اشـد الناس على الأرض اثماً وفساداً ، لانه لا توجد نفس عاشت على الأرض ـ مهما كان انحطاطها وتدهورها ـ خلت تماماً من جانب أو آخر من جوانب البر والخير ، ولو بالاقربين ، ولو بدافع ما حتى ولو كان هذا الدافع انانياً فى النهاية .

ثم ان من بديهيات الفلسفة أيضاً أن عقاب الخطيئة لا يصح أن يستمر الا بمقدار استمرار الخطيئة ، لأن العلة تدور مع العلول وجوداً وعدماً ، فلماذا يستمر العقاب الى الأبد اذا كانت الخطيئة قد انمحت بفعل التوبة ، أو الصلاح الحقيقى ، أو الألم ، أو الغفران ، أو بفعل ذلك كله مجتمعاً معاً ؟ !

واذا قيل – جدلاً – ان التعذيب يصح أن يحيق بالانسان اذا اتخذ موقفاً خاطئاً من الايمان ، فهو لا يصح منطقياً اذا تغير هذا الموقف الخاطىء بالتحول مثلاً من الالحاد الى الايمان ، أو من الشك الى اليقين أو من الجهالة الى المعرفة ، أو من المكابرة الى الاقتناع ...

ولذا فان عدداً كبيراً من الفلاسفة والمفكرين يرى فى العودة للتجسد اجابات شافية عن تساؤلات هامة كثيرة من الطبيعى أن يثيرها كل عقل ناضج يبحث عن مصادر الاقتناع المترابط المنطقى حيثما وجدت . أو بعبارة أخرى يرى هذا النفر فيها اجابات منطقية – بعيدة عن الغلو أو التطرف – عن تساؤلات مشروعة من حق كل عقل مفكر أن يثيرها ، أو بالادق من واجبه أن يثيرها اذا اختار لنفسه طريق البحث عن المعرفة المنطقية المترابطة .

كما يرى فيها هذا النفر ناموساً طبيعياً للأخلاق ، ولمبدأ « الجزاء من جنس العمل » ، وهو من أقوى النواميس تأثيراً فى الروح ، اذا ما رسخ لديها اليقين بأن ناموس الحياة – كما بدعه الاله – لا يترك لنا « شاردة ولا واردة الا أحصاها » .

وهذه كلها مبادىء حكيمة تلتئم تماماً مع ناموس « الكارما » أى سداد ديون الماضى السحيق على نحو أو آخر مهما طال الأمد على هذه الديون ، ناهيك بناموس التطور والارتقاء الروحى .

صلة « الكارما » بالبله والجنون

وسداد ديون الماضى له صلة أيضاً ببعض حالات البله والجنون التى قد تبدو وراثية من الوالدين أو من أحدهما ، أو من أحد الأجداد ، مع انها قد تكون فى الحقيقة عبارة عن وراثة الروح من ذاتها ، ومن أفعال ماضيها السحيق ، أو بالأدق من الخط الذى اخطته لنفسها فى طريق تطورها ، وانتهى بها الى هذا المصير الذى هو على اية حال مصير مؤقت لفترة وجود قد تطول وقد تقصر .

هذا وقد تعرضت فى الجزء الأول من « المفصل » لآراء بعض

الأرواح عن تعليل بعض حالات البله والجنون بأنها تمثل سيطرة غير كافية من الروح حاملة العقل على جهازها المادى ، الذى تعبّر به عن نفسها خلال فترة تجسدها على الأرض ، وبما قد يفسح المجال لحدوث بعض حالات المس بل الاستحواذ أيضاً (١) .

ويراعى أنه لا يوجد أى تعارض بين تعليل البله أو الجنون بالمس ، أو بالاستحواذ ، أو بالعوامل الوراثية ، أو باضطرابات وظيفية عضوية ، أو بالدورة الدموية ، أو بالصدمات العصبية ، وبين التعليل بقانون الكارما أو بسداد ديون الماضى . وذلك لأن هذه التعليلات الأولى تمثل التعليلات القريبة أو المباشرة ، لكن يوجد دائماً وراء الأسباب المباشرة لأية ظاهرة من ظواهر الوجود المادى أو الروحى ، أسباب أخرى غير مباشرة تمتد الى الماضى البعيد وتتعدد بطبيعها تعدداً لا نهاية له .

وهذه الأسباب البعيدة او غير المباشرة هى تلك التى يعنى بها « علم الروح الحديث » الذى يعنى بالمثل بالبحث عن الأسباب غير المباشرة لكل ما قد يعانيه الانسان من اعراض ، وامراض ، وآلام ، ومن بينهما ظاهرة التخلف العقلى فى كل انواعها ، ودرجاتها . وهذا هو الفارق بين دائرة نشاط هذا العلم ، ودائرة نشاط العلوم الطبيعية الاخرى مثل علم النفس ، والطب النفسى ، والطب العام والتكوينى ، وعلم الاجتماع ...

ويراعى دائماً ان علم الروح ينبغى ان يفهم بدوره على انه علم طبيعى الا انه غير مرتبط بالفلسفة المادية عن الوجود ، وهو ادخل فى طائفة العلوم الانسانية منها فى غيرها ، وهو الآن اهمها بلا ريب فى قدرته على الكشف عن الكثير من اسرار الذات الانسانية ، وبالتالى فى تخفيف بعض ويلاتها ومتاعبها .

وقد بحثوا فى « جمعية باريس الروحية » موضوع صلة البله والجنون بقانون الكارما ، اى بسلوك الروح فى تجسداتها السابقة ، وتداولوا فى هذا الشأن مع احد الأرواح المراسلة ويدعى بيير جوتى Pierre Jouty فاملى الروح البيان الآتى : « البلهاء كائنات تعاقب على الأرض بسبب سوء استخدامها لملكاتها القوية ، فتكون ارواحهم سجينة فى جسم تنوء اعضاؤه العاجزة عن التعبير عن افكارهم . وهذا العجز العقلى والجثمانى من اقسى صور العقاب الأرضى ، وكثيراً ما تطلبه الارواح التائبة التى تريد ان تكفّر عن اخطائها .

(١) راجع ما ورد فيه فى ص ٨٢٢ — ٨٢٧ .

وهــذه المحنة ليست عقيمة بالمرة ، لأن الروح لا تظــل متوقفة فى سجنها اللحمى ، لأن عينيها المشدوهتين تبصران ، وعقلها الحائر يتصور ، لكن لا يمكن التعبير المطلوب لا بالقول ولا بالنظر . وفيما عــدا الحركة ، فان الروح تكون معنوياً فيما يشبه السبات أو التشنج . فهى ترى وتسمع ما يجرى من حولها بغير أن تقدر على التعبير عن نفسها .

وعندما يصيبك فى الحلم كابوس مخيف عن خطــر تريد أن تفلت منه ، فتصرخ طالباً النجدة بينما يظل لسانك معقودا فى فمك ، وتظل قدماك مقيدتين على الأرض فأنت تمر بمحنة عابرة يحيا فيها المعتوه على الدوام ، وهى محنة شلل الجسم عندما يكون مرتبطاً بحياة الروح .

وجميع التشوهات لهــا علة وجودها ، لأنه لا يوجد أمر بلا علة ، وما قد تطلقون عليه ظلم المصير هو تطبيق لأسـمى صــور العدالة ، والجنون هو كذلك عقاب لسوء اســتخدام الملكات العليا . والمجنــون له شخصيتان احداهما خارجة عن الوعى ، والثانية تملك الوعى عن حركاتها ، لكنها لا تملك السيطرة عليها .

أما بالنسبة للبلهاء فان حياة التأمل والعزلة لأرواحهم التى لا تملك نعيم الجسد ، قد تكون أكثر اضطرابا من حياة أولئك الذين يمرون بأحداث معقدة جدا . وبعضهم قد يثور ضد هذا التعذيب الاختيارى ، ويندم على سبق اختياره ، ويشعر برغبة جامحة فى العودة الى حياة أخرى ، وهى رغبة تدفعهم الى نسيان التسليم بالحياة الحاضرة ، لأن البلهــاء والمجانين قد يعلمون أكثر منكم بحالتهم ، وقد تختفى تحت عجزهم الجثمانى قدرة معنوية ليست لديكم فكرة عنها .

واعمال الغضب أو البلاهة التى قــد يندفع اليهــا الجســد كثيرا ما ينقدها الكائن الداخلى الذى يتألم منها ويحمر خجــلا . ومن ثم فان انتهارهم وسبهم ، واساءة معاملتهم ، كمــا يحــدث أحيانا ، يؤدى الى زيادة آلامهم ويدعو الى مضاعفة الاحساس على صورة قاسية بعجزهم وانحطاطهم ...

والبلاهة ليست قانونا من قوانين الله ، وقد يتمكن العلم من التغلب عليها لأنها تمثل النتــاج المــادى للجهالة ، وللتعاسة ، وللدنس . ووسائل الصحة الحــديثة التى جعلها العلم فى متناول الجميــع تميــل الى التغلب عليها . واذا كان التقدم هو الوضع الصريح للانسانيــة ، فان الاختبارات المفروضة ستتبدل ، وستتبع مسيرة الزمن ، وستصبح الاختبارات كلهــا معنوية . وعندما تكون أرضكم ــ التى لا تزال شابة ــ قد انجزت جميــع

أوجه وجودها ، فانها ستصبح مقـرا للتنعم ، كما هى الحـال فى كواكب أخرى أكثر تقدما » . بيير جوتى

* * *

ثم يكتب آلان كاردك الفيلسوف والرائد الروحى المعـروف تعليقا فى هذا الشأن مقتضاه انه مر وقت كان يثار فيه التساؤل عما اذا كان البلهاء والمجانين ينتمون حقيقة الى الجنس الانسانى ، ولكن الطريقة التى تواجه بها الروحية مشكلتهم أليست ذات قيمة خلقية وتعليمية عالية ؟ الا نجد هنا مصـدرا لتأملات جادة بالتفكير فى ان هذه الأجسام القاصرة قد تضـم أرواحا ربما تكون قد لمعت فى العالم ، وهى مثـل أرواحنا فى قدرتها على الوضوح وعلى التعقل ، لكنها مغلفة بغلاف كثيف من جسد عاجز (الاشارة الى الجهاز العصبى) يحد من قدراتها التعبيرية ، واننا قد نصبح يوماً مثلهم لو أننا أسأنا استخدام الملكات التى وهبتنا العناية اياها ؟

والا فكيف يمكننا أن نفسر نقص العقـل ؟ وكيف يمكننا ان نجعله ملتئما مع عدالة الله وطيبته بغير أن نتقبل تعدد الحيوات ؟ واذا لم تكن الروح قد عاشت من قبل فمقتضى ذلك انها خلقت مع الجسم فى وقت واحد ، وفى هذه الحالة خلق الله أرواحا بائسة ، كأرواح ناقصى العقول ، مع انه اله عادل ورحيم ؟

ولا يتعلق الأمر هنا بحادثة من تلك الحوادث التى يمكن تفاديهـا او علاجها ، بل ان هذه الكائنات تولد وتموت فى نفس الحالة ، وليست لديها اية فكرة عن الخير والشر فما هو مصيرها فى الابدية ؟ وهل ستكون سعيدة بمقدار سعادة الأشخاص الأذكياء العاملين ؟ هل ستكون فى حالة محايدة أو مختلطة ليست بالسعيدة ولا بالتعيسـة ؟ ولكن لم هـذه الدونيـة الابدية ؟ فهـل من خطئـهم أن يـكون الله قد خلقهم ناقصى العقـول ؟

اننا نتحدى كل أولئك الذين يرفضون فقـه العـودة للتجسد أن يخرجوا من هذا المـأزق . اما مع قبول هذا الفقه فعلى العكس من ذلك ان ما يبـدو الآن ظلما صارخا يصبح عدالة رائعة ، وما يبدو الآن غير قابل للتفسير يصبح مفسـرا بأكثر الأساليب التئاما مع المنطق .

بالاضافة الى اننا لا نعرف ان رافضى هـذا الفقه قد قدموا الينـا حججاً أخرى سوى نفورهم الشخصى من العودة الى الأرض . وعن هـذا النفور نقول لهم : ان الله لا يطلب لاعادتكم الى الأرض أن تأذنوا له بذلك، كما أن القـاضى لا يطلب من المتهم الاذن بارساله الى السـجن . وكل

انسان يملك امكانية عدم العودة اذا ترقى بما يكفى كيما يستحق الذهاب الى مستوى أعلى ، ولكن فى تلك المستويات السعيدة الأنانية والكبرياء مرفوضان ، فيتعين بالتالى العمل على التخلى عن هاتين الرذيلتين الخلقيتين ، اذا كان الانسان يرغب حقا فى الصعود قدما .

ومن المعلوم انه فى بعض الأوساط لا يكون ناقصو العقول عرضة للازدراء ، بل محلا للرعاية ، الا يستمد هذا الشعور مصدره من الهام صادق بحالة أولئك التعساء ، وهو شعور جدير بالتقدير ، خصوصاً لان ارواحهم التى ينبغى أن تدرك حالتهم تتألم حتماً عندما ترى نفسها نفاية للمجتمع ؟

بل انهم فى تلك الأوساط يعتبرون أن من مصادر الثواب والبركة احتضان احد أولئك التعساء فى الأسرة ، فهل هذه خرافة ؟ من الجائز ان يكون الأمر كذلك ، لأنه فى الأوساط الساذجة قد تمتزج الخرافة مع اكثر الأفكار قداسة بغير قصد . وفى جميع الحالات تكون هذه للآباء فرصة لممارسة البر ، الذى يزيد من مجده أن ناقصى العقول يكونون فى المعتاد من الفقراء ، فعبء تربيتهم يكون بلا مقابل مادى لمن يتولى العناية بهم .

ويكون الثواب عن العناية العطوفة بطفل ناقص الادراك أعظم قدرا اذا كان هذا الطفل أميل الى التخريب ، وذلك لأن برّ القلب أسمى الفضائل المقبولة من الله ، وهو يجلب دائما بركته على من يطبقونه . وهذا الشعور الفطرى الكامن عند أولئك الأشخاص يعادل هذه الصلاة : « الشكر لك يا الله لأنك منحتنا كاختبار لنا كائنا ضعيفا لكى نرعاه وحزيناً لكى نواسيه » (١) .

ماذا يقول ماترلنك فى الكارما ؟

وممن تناولوا موضوع احتمال العودة للتجسد والكارما الباحث البلجيكى والأديب المعروف موريس ماترلنك Maurice Maeterlinck (جائزة نوبل فى الأدب) (٢) ، وله أكثر من مؤلف تناول فيه موضوع الظواهر الروحية . وفى مؤلف قيم له عنوانه « الموت » (٣) يشير الى هذا

---

(١) من كتاب « الجنة والنار » Le Ciel et L'rufer طبعة ١٩٢٣ ص ٤٧٦ — ٤٧٩ .

(٢) راجع ما سبق منه فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٨٥ .

(٣) La Mort.

الموضوع كمجرد احتمال ليس هناك ما ينفيه وان كان فى نظره لم يثبت بعد علميا الثبوت الكامل ، حتى تاريخ صدور هـذا الكتاب وهو سنة ١٩١٣ (ولم يكن أمامه تقريبا سوى اختبارات دى روشا التى أشار اليها صراحة ودافع عن قيمتها وقيمة صاحبها) .

وهو يأسف لذلك ، لأنه ـ فى تقديره ـ « لم يوجد قط من قبل اعتقاد أكثر جمالا ، وعدالة ، ونقاء ، وخلقا ، وغنى فى نتائجه ، وتعزية، وقربا الى التصور من هذا الاعتقاد .

فهو بما يقيمه من فقه عن التكفير ، والتطهير المتتابع مرة بعد الأخرى ، يفسر التفاوت بين انسان وآخر فى الجسد وفى العقل . كما يفسر المفارقات الاجتماعية ، وما يبدو من مظالم صارخة فى المصائر . ولكن مزايا أى اعتقاد ليست دليلا على صحته . وبالرغم من أن هـذا الاعتقاد يمثل عقيدة ستمائة مليون من البشر (١) ، فهو أقربها الى تفسير الأصول الخفية ، ولعله التفسير الوحيد الذى لا يثير الامتعاض ، ولا يبدو بعيدا عن التصور ، وينبغى أن يلقى من العناية فى دراسته أكثر مما يلقاه غيره ، وأن يقدم لنا الباحثون فيه أدلة لا تدحض ، أما ما قدموه لنا حتى الآن (قبل سنة ١٩١٣) فهو ليس أكثر من ظلال أوليـة لأدلة لا تزال فى مبدئها » .

كما يقول أيضا « انه حتى لو ثبتت نظرية العودة الى التجسد علميا ، ومعها حياة الانسان بعد الموت ، فان ذلك لا يكفى لحل مشكلة التساؤل الهام عن الأصل وعن المصير ، وهما المشكلتان الأساسيتان للانسان ، بل ان ثبوت ذلك يؤدى فحسب الى تراجع المشكلتين للوراء لعدة قرون ، أو لعدة آلاف من السنين بأمل أن نفقد المشكلتين أو ننساها فى الصمت أو فى الفضاء » ... (٢) .

* * *

ولعقيدة العودة الى التجسد غير ما تقدم مزايا أخرى وهى تخفيف حدة الفواصل الصناعية التى قد تفصل بين شتى الأجناس والاديان والألوان . فبحسب هذه النظرية قد يتعاقب الشخص الواحد على التجسد فى أجناس مختلفة ، وفى أديان متنوعة ، وفى ذلك وحده مايدعوه

---

(١) يشير ماترلنك الى ذيوع هذا الاعتقاد فى بلاد الشرق الأقصى بوجه عام . وعقيدة العودة للتجسد هذه تمثل الآن عقيدة اكثر من نصف سكان الكرة الارضية ، أى حوالى ثلاثة أضعاف الرقم الذى تصوره ماترلنك فى سنة ١٩١٣ وان كانت قد داخلتها الأساطير ، والخرافات كما هى الحال دائما . وعلى أية حال ان ذيوع أى اعتقاد لا يصلح دليلا للاثبات ولا للنفى .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨ ـ ١٧١ .

حتما الى أن ينظر بعين الوداعة والتسامح الى باقى الأجناس والاديان الاخرى ، اذ من الجائز انه كان بين اتباعها يوما ما ، أو انه سيكون يوما ما من هؤلاء الاتباع ، فى تجسد لاحق عندما تشاء ذلك مشيئة الله . فعلام هذا الاعتداد المفرط بالانتماء الى جنس دون آخر ، أو الى دين دون غيره فى مرحلة التجسد الحالى ؟ .

وفى كل تجسد جديد من المفروض أن يكتسب الانسان خبرة جديدة وخلقا متزايدا ، ولعل ذلك يعطى تفسيرا مقبولا لحكمة بارىء هذا الكون التى سمحت بتعدد الأجناس ، والالوان ، والاكوان ، والاديان ، على النحو المعروف وذلك لزيادة فرص التعلم والاختبار ، ولتحقيق رسالة التطور ، ومعها رسالة المحبة والتسامح .

بل انه قد يكون من آثار الاعتقاد بالعودة الى التجسد تخفيف حدة التعصب حتى بين الذكور والاناث : فهى بما قد تسمح به من احتمال التجسد مرة فى الذكورة واخرى فى الأنوثة ، تحمل الانسان خصوصا الرجل على الا يحتقر الجنس الضعيف لمجرد ضعفه ! .. ان الفروق بين الجنسين — اذا ما استبعدنا ما يسند منها الى طبيعة الجنس Sex الذى ينتمى اليه الانسان — ليست قوية ، بل ضئيلة عند من تعودوا أن يتعمقوا فى بحث انفعالات الروح ، ودوافعها ، وغرائزها بعيدا عن الارتباط بجسد من نوع معين .

فبين الشقيق وشقيقته ، أو الأم وابنها ، قد تجد أحيانا من وجوه التشابه فى الشكل وفى الوعى ما قد يسترعى الأنظار ويحير الالباب ، وما قد لا تجده بين شقيقين كليهما من الذكور ! ثم ان للجنسين معا ميلا للتقارب اشار اليه فيكتور هيجو عندما لاحظ أن أول اعراض الحب الصادق فى الرجل هو الخجل ، وفى الفتاة الجراة .. فللجنسين ميل فريزى للتقارب ، وكل منهما قد يتخذ صفات الآخر .

ماذا يقول كايس فى « الكارما » ؟

وممن تناولوا موضوع « الكارما » وصلتها بالعودة للتجسد الوسيط والبحاثة الأمريكى المعروف ادرجار كايس E. Cayce ويتساءل كايس لماذا جعلنا الله تعالى ننسى حيواتنا الماضية ؟ ويجيب بأن الحكمة فى ذلك هى انه يريد أن يحمينا من ذكريات آثامنا الماضية التى قد تكون رهيبة ، بل رهيبة جدا فى بعض الأحيان لأنه لا يريد أن يجربه انسانا باكثر من طاقته على تحمل الألم والمهانة .

كما يقول ان اغلب الأشخاص يسيئون فى الوقت الحاضر فهم « الظروف الكارمية » . فكل روح أو كائن عليه أن يحصل على الفهم

الصحيح لمعنى القدر . والقـدر مودع بداخلنـا ويلزمنا الايمـان بذلك ، فهو بمثابة منحة من القوى الخالقة لنـا . وبالتالى فان التأثير «الكارمى» يكون فى هذه الحالة فهما ثوريا ضـد فـكرة القضاء والقدر الخارجيين . ويستشهد فى هذا الشأن بقول بولس الرسول « اذا كنتم تحيون حسب الناموس فبحسب النـاموس تدانون ، ولكن اذا كنتم تحيـون بحسب الايمـان فبحسب الايمـان تدانون » .

فينبغى اذا أن تفهمـوا أن ناموس الله هـو الـكامل ، وليس فهم الناس لهـذا الناموس . وينبغى تحقيـق الناموس فهـل سـتحققونه بأنفسكم ، أم سـتدعون الآخرين يفعلون لكم ذلك ؟ ... ان « من يبحث يجد ، ومن يطـرق البـاب يُفتح له » ... وهـذه نواميس لا يتـأتى دحضها ، ولا تغييرها .

و « الكارما » عبارة عن رد فعل روحى يمكن أن يقارن برد الفعـل فى الجسد عندما يتناول الانسان طعاما فيتحـول الطعام الى جـزء من الجسد نفسه ، ويتخلل الى كل خليـة حية فيه ، ويؤثر فى صحة الجسد والعقل . وهذا هو ما يحدث فى الروح عندما تحل فى جسد للاختبار على الأرض ، وتصبح أفكار الانسان ، مقترنة بأفعـاله الناجمـة عن هـذه الأفكار بمثابة الغـذاء الذى تتغـذى به خلايا الروح . وهـذه الأفكار والأفعال ولّدتها بدورها أفكار وافعال سابقة لها منذ مولد الروح .

فاذا ما دخلت الروح الى جسد جديد فقد انفتح امامها باب جديد يقود الى فرصة لبناء قدر الروح . وكل ماسبق بناؤه فيما سبق من خير ومن شر داخل فى هذه الفرصة . وتوجد أيضا فرصة للغفران ، ولـكن لا توجد فرصـة للافلات من المسئوليات التى تقبّلت الروح نفسـها أن تتحملها .

وهكذا تكون الحياة سـبيلا للتطور ، واعدادا لتطهير الروح ، رغم أن الحياة تمثـل سـبيلا شاقا للوعى الفيزيقى ، وللجسد الفيزيقى . ثم يأتى التغـير ، ويعتقـد البعض أن الحظ هو الذى تدخّل ، لكنـه ليس الحظ ، بل هو ثمـرة ما صـنعته الروح عنـدما اتيحت لها فرصـة الغفـران .

وبالتالى فانه بحسب كايس يكون ناموس الكارما عبارة عن مجـرد تقصير منك فى الارتفاع الى المستوى الذى تعلم انه ينبغى عليك أن تصل اليه . وكما تريد أن يغفر الله لك ذنوبك عليك انت ايضا أن تغفر للاخرين، وهذا هو الأسلوب الذى علينا أن نواجه به قانون الكارما .

ولا يتأتى لارادة الله ، ولا لارادة البشر ان ترغم أى انسان على أن يغفر لنفسه أو للآخرين ما لم يعتزم هو نفسه أن يفعل ذلك . فله الحرية فى أن يظل مقيما فى « مطهره » الذى اختاره لنفسه الى أن يختار حالة اخرى غيره .

والى أن يطور الانسان نفسه تطويرا كافيا فى طريق الاستنارة حتى ينتزع نفسه من حالته بمجهوداته الخاصة ماذا يستفيد من التساؤل قائلا « لماذا لا اذكر الماضى ؟ » ان من الأولى أن يقول « بل انى ليسعدنى الا اتذكره » . وذلك حتى لو كان النسيان يحرمه من نعمة تذكر حيواته الماضية التى يكون قد عاشها كملاك خادم للنفوس الأخرى المحيطة به ، فمات محبوباً ، ومحلا للتكريم وللاحترام . ولكن كل خير انجزته الروح سيظل دواما مع الروح ، ولا يتأتى للروح أن تحرم من نعمة الخير الذى صنعته .

ومهما كانت ظروفك اليمة فى الحياة الحاضرة فانك قد وضعت نفسك فيها بعدم اكتراثك السابق بالنواميس الالهية . وكل ناموس تخرقه فأنت تخرقه بمخض ارادتك الحرة التى منحك اياها الخالق منذ البداية . ولقد تخيرت وحدك أن تكون حيثما أنت كائن فى هذه اللحظة . وان ذلك يتيح لك بالأقل شرف الاقرار بأنك قارفت أخطاءك الخاصة وما يمنحه ذلك من احترام للذات ، حتى وان كان الاقرار مصدرا فى تبديد أوهامك بأنك ضحية اله غضوب ، منتقم ، يراقبك بلا عدالة ، ولا فهم ، ولا حرية لك .

ولعله لهذه الاعتبارات يتعذر التوفيق بين أضواء الايمان المستنير ، وبين فكرة النار الأبدية فى جهنم . ولذا فان الاله الوحيد الذى عرفه ادجار كايس عندما كان يروح فى غيبوبته كان الها للرحمة غير المحدودة التى غفرت لجميعنا ذنوبنا بالفعل ، وليضع كل قارىء فى ذهنه أن كل ناموس من نواميسه ــ بحسب العودة للتجسد ــ يتبع أسلوب الرحمة ، ولا يمكنه ان يتبع اى اسلوب آخر .

ولذا يقول كايس أيضا ان كل كائن فى حرب مع نفسه ، وان كل كراهية وخبث ، وكل ما يجعل الانسان خائفا ينبغى استبعاده من الذهن ، لانه كما قيل لنا منذ القدم سيتعين على كل روح أن تقدم حسابا عن كل كلمة تفوهت بها ، وكل خلجة شعرت بها ، حتى وان كانت الروح تعلم أو ينبغى أن تعلم أن ثمة صلحا حدث مع الآب ... وان ناموس الغفران يمثل المقابل الأزلى لناموس الحساب عن الديون المتراكمة . وهو يتدخل عند العمل فى غير انانية لاسعاد الآخرين ، لأن ما تزرع اياه تحصد أيضا ، وذلك ما لم تنتقل من سطوة ناموس الكارما

الى ناموس الغفران ، وغالبية الأرواح تتقلب فيما يبدو بين هذين الناموسين (١) .

تعليق

عند مقارنة آراء الباحثين فى الكارما من المدرسة الثيوصوفية بآراء الباحثين الروحيين المتحررين من الارتباط المسبق بأية مدرسة عقيدية أو فلسفية نجد فارقا واضحا هو ان الأوائل يغفلون تماما - أو يكادون - وجود نواميس طبيعية للغفران تعمل الى جانب نواميس الجزاء ، حين يتحدث الآخرون عادة عن وجود هذه النواميس وتلك جنباً الى جنب .

وفى واقع الأمر - الذى اقتنعت به - هو اننا لا ينبغى أن ننكر وجود نواميس للغفران ، ومع مراعاة ان كلمة نواميس تشير بذاتها الى أن الغفران - وهو أعظم هبة فى الوجود ، والزم الهبات لسعادة النفس وخلاصها من آلامها - لا يمكن أن يمنح جزافاً ، بل يخضع بدوره لقوانين ، أى لضوابط طبيعية .

ومن غير المقبول ان يقال أن مجرد التوبة - ولو كانت خالصة وصادرة من القلب - تكفى للغفران ، خصوصا وان التوبة - بحسب اجماع البحوث الروحية - جائزة هنا وهناك ، وفى كل وقت . ان التوبة الخالصة قد تمنح صاحبها قدرا ولو ضئيلا من الرضاء أو من الاطمئنان، لكنها لا تكفى لمحو آثار اخطاء الماضى القريب او السحيق ، بل يلزم أيضا حسبما اكده آلان كاردك - وهو من ابرز فلاسفة الروحية واعمقهم اثرا حتى الآن - اصلاح الضرر الذى يكون الانسان المخطىء - بسبب خرقه لناموس من النواميس الطبيعية للأخلاق - قد الحقه بضحيته البائسة .

واصلاح الضرر لا يكون بالضرورة عن طريق معاناة الالم وحدها ، بل قد يكون ايضا - ومن باب أولى - عن طريق احساس الانسان احساسا شعوريا أو لا شعوريا بانه ينبغى عليه باتخاذ سلوك معين أن يصلح ضررا احدثه بغيره نتيجة اتخاذه سلوكا مغايرا .

وهذا الاحساس نفسه قد يكون مصحوبا بالسعادة لا بالألم ، لأن كل انسان يؤدى خدمة حقيقية للعدالة ، أو لتضميد جراح الآخرين ، أو لتحقيق رغباتهم المشروعة ، يشعر أو ينبغى أن يشعر بالسعادة مهما

---

(١) من كتاب Novel Laugley : Edgar Cayce on Reincarnation. p. 40 - 52.

تكبد من المتاعب ، أو مهما صادفه من الصعوبات الأليمة ، خصوصا عندما تربطه روابط كارمية بهؤلاء الآخرين . وهذه الروابط العريقة قد تمثل بذاتها ثمرة تطور الانسان ، ونتاج سلوك ماضيه ، وتلعب دورها فى صيغة قانون للتجاذب أو للتوافق الاجتماعى مستمد من قاعدة أن كل شبيه منجذب الى شبيهه .

وعلى اية حال فان من مقتضيات الايمان بالكارما الايمان بأن روح الانسان باقية ، وانها بمثابة سجل خالد يحفظ لصاحبه كل أفعاله ، ومشاعره ، وعواطفه . فلا شيء قابل للزوال ، وان كانت جميع الأشياء تمثل نتائجا واسبابا فى حالة تفاعل دائم ، وتولد آثارها المحتومة بدقة تفوق الوصف : ان خيراً فخيراً وان شراً فشراً . وعلى قدر الخير تكون سعادة الانسان وهى أعز أمانيه ، وعلى قدر الشر يكون شقاؤه وهو الد أعدائه .

والكل يخطىء ، لأنه فى أفضل الناس يوجد جانب ولو باهت من الشر ، وفى شر الناس يوجد جانب ولو باهت من الخير . وما دمنا نملك القدرة على التسلق فاننا نملك ايضا القدرة على السقوط . والقدرة على أن نكون أخيارا ونصنع الخير ينبغى أن تكون لها قدرة مقابلة على أن نكون أشرارا ونصنع الشر . فكل هذه خصائص للتعبير عن قدرة الانسان على التفكير ، وعلى الحركة .

ففى كل انسان منا قدر فحسب من الكمال الخامد ، وهذا هو الارث الروحى لجميع البشر . وأعلى صور الكمال هى القدرة على أن نغتفر اساءات الآخرين نحونا ـ مهما كانت جسيمة ـ وهى تمثل مجرد قبس باهت ضئيل من قدرة الله على أن يغتفر لنا أخطاءنا عندما نغتفر للآخرين اخطاءهم وبنفس المقدار تماما .

وبقدر ما نعطى نأخذ ، وبقدر ما نسعد الآخرين نصبح أهلا للسعادة . واذا غفرنا فاننا نحب ، واذا أحببنا فاننا نمحو الكراهية من قلوبنا وننسى الألم الملازم لها . ومن هنا يمكن القول بأن الكراهية لا يمكن فى ناموس الطبيعة أن تنتهى الى كراهية ، لأنها لا تلبث أن تتحول عن طريق المغفرة الى محبة ، والمحبة الى تطور وارتقاء .

وهكذا فان المدن ، والجبال ، والقارات ، قد تزول ويمحى أثرها ، اما خلجة واحدة من خلجات الانسان للخير أو للشر فلا تضيع هباء ، بل هى تولد نتائجها الى ما لا نهاية . وهكذا فان اية خديعة لنواميس الطبيعة لا قيمة لها فى سفر الحياة ، ومشكلة المشكلات هى فى معرفة

اين الخطأ واين الصواب فى تصرفات الانسان ، ثم فى كيفية الارتباط بالصواب ولو عظمت مشقته ، وتجنب الخطأ ولو عظم اغراؤه .

ولا تحسبنَّ أن الصواب واضح والخطأ واضح ، فان ضمائر البشر تتفاوت تفاوتا ضخما فى مدى نضجها وتطورها . وكثيرا ما تكون حقائق الحياة محجوبة عن ضمير الانسان — حتى ولو كان ناضجا متطورا — بغيوم كثيفة من الأنانية ومن الاعتداد بالذات ، ومن شهوات الدنيا الباطلة ، ومن القيم الاجتماعية الملتوية ، ومن المفاهيم الخلقية الخاطئة ، التى قد تزين للانسان أفدح الشرور فى صورة أعظم الفضائل .

ولابد اذاً من تحديد ماهية الخطأ والصواب فى نواميس الطبيعة الراقية ، وهذه هى رسالة فلسفة الروح فى انبل أهدافها التى تسعى الى تحقيقها وتحاول على قدر طاقتها الاضطلاع بها ، وتقديمها للانسانية خالية من شوائب الأوهام والترهات العريقة المتوارثة من جيل الى جيل . وتشترك مع الفلاسفة فى نضالهم النبيل طائفة من الأرواح الراقية التى تدرك تماماً مدى حاجة الانسانية فى مرحلة تطورها الراهنة لاستكناه القيم الروحية الصادقة ولمحاولة بذل غاية الجهد فى تعريف بنى البشر بها ، ودفعهم الى محاولة التقيد بها فى افعالهم ، ومشاعرهم ، وعواطفهم ، فان أصروا على الخطأ فلابد من تصحيح الأخطاء فى النهاية .

وسواء أتم تصحيح اخطاء الماضى عن طريق الألم — الجثمانى أو النفسى — أم عن طريق الخدمة ، فى غمرة المحبة والتفانى ازاء الآخرين، فان تصحيح أضرار الماضى هو فى النهاية باب الغفران الذى فتحته الطبيعة على مصراعيه لمن يريد ان يتوب توبة حقيقية خالصة ، ليحصل عن طريق هذه التوبة على اعظم هبة فى الوجود ، وهى هبة النسيان والغفران .

فالغفران لا يُعطى جزافا ، ولا من باب المحاباة . ولا يعطى نتيجة لتوبة سلبية لا اثر لها فى اصلاح خطأ الماضى ، بل يعطى كنتيجة طبيعية للتوبة ، ولغفران ذنوب الآخرين ثم لاصلاح الخطأ الصادر منا بكل آثاره . وهو يبدو على هذا النحو ناموساً طبيعياً للروح يعمل تلقائياً مثل كل النواميس الطبيعية الأخرى التى تحكم تطور الروح والتى تتحكم فى عوامل شقائها وسعادتها ، وسقوطها ونهوضها ، وذبولها وازدهارها ...

وهو يعمل سواء أسلمنا به أم انكرناه ، وشعرنا به أم جهلناه . وكأننا فى حدود هذا المفهوم المحدد للغفران يكون علينا أن نصلح فى الأثير اضرار اخطاء حياة الأرض ، وأن نصلح فى الأرض اضرار اخطاء حياة الأثير . ومع مراعاة ان المادة اثير ، والأثير مادة وكلاهما محكوم بالعقل

ولو على نحــو ما . وكل الفارق بينهما هو فى رتبة الاهتزاز ، وبالتالى فى مدى اتصاله بحواسنا العاجزة جداً .

عن أثر « الكارما » فى طبائع الشعوب

وعلى أية حال فان الاعتقاد بالكارما أية كانت صيغتـــه — أمر له أثره العميق فى طبائع الشعوب . ومن يدرى فلعل رســوخ هــذه العقيدة رسوخاً شديدا فى الهند كان له أثره فيما عرف عن أهلها من ميل حقيقى الى السلام ، ومن اتجاه مخلص الى الوداعة ، والقناعة ، والأمانة ، والوفاء أيضاً ، الى حد قلما يجد له الانسان نظيراً خارج الهند ؟ ناهيك بما عرفه عن أهلها أيضــاً من التعلق الشديد بكل ما يتصــل بالروح ، وبالخلود ، وبالأديان ، وبالتدريبات الروحية الشاقة ؟

وهذا لا ينفى فى نفس الوقت أن الهند تعانى تخلفاً ملموساً فى جوانب روحية عــديدة ، كان له صــداه أيضاً فى التعلق الشــديد بالشخوص وبالطقوس ، وفى انتشـــار الخــرافات الضارة بل القاتلة أحياناً ، ناهيك بتفشى الروح السلبية فى مواجهة العديد من مشكلات الحياة ، والغموض الشديد فى مواجهة العديد من أمور الاعتقاد .

فمن يتصور مثلا أن غاندى البطل ، القديس ، كان رغم كل مبادئه السامية متعلقــاً بالكثير من الخرافات الضارة ؟ فمثلا تجــده يقول عن نفسه أنه لا يتناول البيض « وحــدث فى وقت ما أن كادت احدى كنَّاتى تهلك من ســوء التغذية ، وقد الح طبيبها على تناول البيض فلم أوافق . واجابنى الطبيب ان البيض غير ملقَّح ولذا ينتفى القتل (قتل البيضة !) . واذ ذاك سمحت لكنَّتى عن طيب خاطر أن تأكل البيض ، وقد استعادت صحتها حالا » أما هو فقد رفض تناول البيض — سواء أكان ملقحاً أم غير ملقح — وذلك حتى وفاته ، وباصرار عجيب (١) .

وهكذا تجد أن الخرافات باسم الدين لا تزال تعوق تقدم الشرق ، ولا تزال مسئولة الى حد كبير عن تخلفه ، لأنها تؤدى فى كثير من الأحيان الى تعطيل دور العقل مهما كان ناضجاً ، ودور الأخلاق أيضاً مهما كانت نامية وسامية . ولسنا نقصد مجرد الخرافات الخاصة بالأكل والشرب ، اذ لعلهــا أهونها شأناً ، بل نقصد جميع الخرافات الخاصــة بغذاء العقل والعاطفة ، والتى تكاد تفترس العقل والعاطفة افتراساً رهيباً لا هوادة فيه .

---

(١) راجــع « فلســفة الهند فى سيرة يوجى » تعريب الأستاذ زكى عوض المحــامى سنة ١٩٥٥ . ص ٤٦٦ .

وهكذا تجد أيضاً أن الاعتقاد عرضة لأن يتأثر بالبيئة ، كما هو عرضة لأن يؤثر فيها على نحو أو آخر ولو على الأمد البعيد . وكلما كانت مفاهيم الاعتقاد أكثر صحة ونقاءً ، كلما كان اثره أكثر وضوحاً ، وكلما كانت مقاومته لعوامل الضعف أو الانحلال التى قد تجىء من جانب البيئة اروع أثراً واطول أمداً .

والاعتقاد فى النهاية — بكل مفاهيمه — كائن نامٍ متطور ، وهو فى نفس الوقت من أقوى عوامل التطور اذا ما احسن فهمه ، ومن اقوى عوامل التخلف اذا ما أسيء فهمه .

ولذا أيضاً فان الاعتقاد الواحد فى البيئة الواحدة قد يسفر عن رسوخ مفاهيم نقية صحيحة تدفع الانسان دفعاً نحو الأمام بمقدار ما قد يسفر عن مفاهيم ضارة غير مشرقة بالمرة تدفعه دفعاً الى الجمود والتخلف. والتخلف فيما يبدو يمثل الخطيئة الكبرى فى الحياة لأنها خاضعة خضوعاً تاماً لناموس التطور والارتقاء فى العقل والعاطفة لا فى الملبس والمأكل ... وفى هذا الميدان بالذات فليعمل المخلصون من مفكرى الشرق والساعون الى دفع عوامل جموده وتخلفه ، وتوفير أسباب تطوره وارتقائه .

* * *

كما يعتقد بعض المؤلفين ان رسوخ هذا الاعتقاد نفسه فى اليابان كان له أثره الملموس فى « سيكولوجية » الشعب اليابانى ، وما يتميز به من روح فدائية عديمة المثال نحو الوطن والامبراطور . ومن الذائع عندهم الاعتقاد بأن من يموت شجاعاً يتلقى الجزاء فوراً بالعودة للتجسد فى مستوى اجتماعى أعلى من مستواه السابق .

فمن يموت لأجل الامبراطور أو الوطن وهو عامل فقير ، أو صانع مغمور ، سيعود للتجسد غنياً ، أو نبيلاً ، أو من ذوى الألقاب . ويترتب على ذلك انك تجد الانسان هناك — مهما كان من فئة متواضعة فى الشعب — لا يحمل اية ضغينة ضد الفئات العليا ، لأنه متيقن انه بميلاده فى فئته المتواضعة انما يدفع ثمن اخطاء الماضى . كما يعلم ان الانسان الغنى يتلقى جزاءً سخياً عن تضحياته السابقة .

لذا فان الجندى اليابانى يعدو ملهوفاً نحو الموت عدْواً ، أما الجندى الأوروبى فيحتاج الى الكثير من التركيز الخاص على الارادة حتى يموت فى الحرب موتاً نظيفاً . وهذا موضوع متصل بطبائع الشعوب ، ولكن دعونا هنا — كما يقول الدكتور جيرار انكوس — نركز على قوة هذا الاعتقاد فى

عقول الشرق الاقصى (١) .

المبحث الخامس

عن « العودة للتجسد » في بعض جوانبها العامة (بحسب شودزموند)

اظن أن الفصول والمباحث السابقة ليست شحيحة بالبينات عن عقيدة العودة للتجسد ، التى أخذت تترى فى تدفق مثير للانتباه منذ بدأت محاولات الباحثين العلميين للوصول الى جواب حاسم فى شأنها بوصفها عقيدة تقع فى الصميم من موضوعات عديدة تمس « علم الانسان » مساساً مباشراً وأصيلاً .

وفى نفس الوقت أخذت تتضح تدريجياً عناصر ارتباط هذه العقيدة بأمور كثيرة أصبحت الآن فى مقام المعطيات العلمية الثابتة ، وبخاصة ما تعلق منها بتعليل التطور وتحديد بعض أهدافه ، ناهيك بتعليل اللاشعور ، وتحديد الصلة بينه وبين الشعور ... الخ على النحو الذى ورد فيما سبق .

على أنه مهما كانت قوة البينات القائمة فى جانب هذا « الاحتمال » ، هناك تساؤل هام ينبغى أن يثار بالحاح : وهو الى أى مدى يصلح هذا « الاحتمال » ينبوعاً للفكر وللشعور لدى الانسان العصرى ، أى لدى الانسان الذى يظن الكثيرون أنه قد قطع شوطاً بعيداً فى حضارة الفكر والشعور ؟

أو بعبارة أخرى هل من المفيد للانسان المثقف أن يتمسك بأهداب هذا الاعتقاد ، وأن يتخذه أساساً لمفاهيم شعورية واجتماعية محددة لتكييف صلته بالله تعالى ، وباخوته فى المجتمع ، وفى الانسانية ؟

ابتداءً ينبغى أن يقال ان الاجابة تتوقف على الاقتناع بثبوت هذا « الاحتمال » من الناحية العلمية أو عدم ثبوته . فاذا قيل بالثبوت ، فان الاجابة تصبح يسيرة جداً ، وهى أن كل خطوة يخطوها الانسان نحو الوصول الى حقائق الحياة تصل بنفس المقدار بينه وبين الله تعالى لأنه مصدر كل حقيقة يمكن ان يصل اليها عقل الانسان أو وجدانه . وهذه الخطوة نفسها تصل أيضاً بينه وبين اخوته فى الانسانية ، لأنه لا يمكن

---

(١) عن جيرار انكوس . المرجع السابق ص ١٦٩ .

أن تقام علاقة أمينة الا على حقائق الأمور ، لا على أوهامها وترهاتها ، وهذا كله وثيق صلة بتحديد بعض النتائج العامة لمثل هذا الاعتقاد .

وعلى اية حال ، فان الاجابة على هذا التساؤل لا ينبغى ان تكون من مسئوليات كاتب هذه السطور ، بل ينبغى أن يقوم بها باحث عملى اتصل — على مدى خمسين عاماً تقريباً — أوثق صلة ببحوث الظواهر الوساطية التى أقنعته بصحة الخلود وصحة هذه العقيدة فى مفهومها المحدد الذى قدمناه فى فصول هذا البحث ، وهى عودة الانسان للتجسد فى صورة آدمية لا تقبل تبديلا ، الا أن تكون صورة آدمية اخرى ، وربما افضل من سابقتها بحكم التطور الطبيعى للحياة نحو الأمام . اى تطور الحياة فى التكوين الفكرى للانسان ، وتطور هذا التكوين الفطرى فى مدارج الحياة من كافة نواحيها .

ماذا عن دزموند ؟

والباحث العملى الذى اخترته كيما يقوم بتحمل مسئولية الاجابة على هذا التساؤل الهام عن بعض النتائج العامة لهذا « الاحتمال » هو العلامة الايرلندى شو دزموند Shaw Desmond مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن (١) . ومن عوامل اختيارى اياه — ليس فحسب تضلعه فى العلم الروحى — بل ايضاً تضلعه فى سبر أغوار النفس الانسانية ، ومواجهة عويص مشكلاتها ، خصوصاً منها ما تعلق بينابيع الفكر والشعور فيها ، وذلك بأسلوب مفكر قدير يعد فى القمة بين مفكرى العصر .



شو دزموند

فهو صاحب عدة مؤلفات قيمة فى « علم الروح الحديث » وضعت بيانها فى مناسبة اخرى (٢) ، بالاضافة الى عدة روايات وكتب ادبية ذائعة

(١) International Institute For Psychical Research.

(٢) راجع ما ورد عنه وعنها فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٣٨ ، والجزء الثانى ص ٤٠٣ — ٤٤٩ .

الصيت منها : « روح الدانمرك » (١) (١٩١٨) و « العاطفة » (٢) (١٩٢٠) ، و « بلادى » (٣) (١٩٢١) ، و « مأســـاة ســين فاين » (٤) (١٩٢٣) ، و « قصص عن غــلام » (٥) (١٩٣٠) ، و « قصـــة ســيدة مرحـــة » (٦) (١٩٣٣) ، و « الجــذع الافريقى » (٧) (١٩٣٥) ، و « كبرياء لندن » (٨) (١٩٣٧) ، و « ميلاد العالم » (٩) (١٩٣٨) ، و « تنمية الانسان المتحرر »(١٠) (١٩٤٠) ، و « ايزيس المتجسدة » (١١) (١٩٤١) .

ومن مؤلفاته أيضاً : « الشروق الأسود » (١٢) (١٩٤٥) ، و « طابور الجنــة » (١٣) (١٩٤٦) ، و « قصـــة آدم على حقيقتها » (١٤) (١٩٤٧) ، و « قصة ادوارد » (١٥) (١٩٥٠) ، و « الشخصية والقوة » (١٦) (١٩٥٠) ، و « ناتانيل » (١٧) (١٩٥٠) ، و « الحج الى الجنة » » (١٨) (١٩٥١)،وغالبية مؤلفاته ترجمت الى عدة لغات وطبعت عدة طبعات .

وهذا الانتاج الأدبى الزاخر لم يمنعه من مواصلة اعماله العـــديدة ومن القيام بسياحاته الى كل أطراف الأرض ومن ممارسة هواياته العديدة للسباحة ، ولليوجا ، وللموسيقى ، وللجودو (المصارعة اليابانية) . وكان يحاضر كثيراً فى موضوعات الروح فى جامعتى كامبريدج واكسفورد ، وعدة جامعات فى الدانمرك واسكندنافيا .

---

(١) The Soul Of Danemark.

(٢) Passion

(٣) My Country.

(٤) The Drama Of Sinn Fein

(٥) Tales Of Boy.

(٦) The Story of a Light Lady.

(٧) African Log.

(٨) London Pride

(٩) World - Birth.

(١٠) Foster Freeman.

(١١) Incarnate Isis

(١٢) Black Dawn

(١٣) Paradise Pow

(١٤) The Story of Adam Verity.

(١٥) The Edwardian Story.

(١٦) Personality and Power.

(١٧) Nathaniel.

(١٨) Pilgrim to Paradise.

وقد كان دزموند الى حين انتقاله الى عالم الروح (فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٠) رئيساً « لرابطة الحياة بعد الموت » (١) ، وقد عالج قضية العودة للتجسد فى كتاب على حدة اسمه « عودة التجسد لكل انسان » (٢) من جوانب عديدة يغنينا منها فى المبحث الحالى جانب الايمان بهذا الاعتقاد من ناحية بعض نتائجه وأثره فى الفكر والشعور لدى الانسان العصرى ، وقد تناول المؤلف ذلك بمقدرة أدبية أصيلة فى عدة فصول ، تمثل ثمرة بحوث شاقة دامت لعشرات من السنين فى العلم الروحى ويمكن ان يضمها مجتمعة العنوان الذى تخيرناه للمبحث الحالى . وفيما يلى سنقدم بعض آرائه فى هذا الشأن فى تلخيص نرجو الا ينتقص من قيمتها شيئاً .

عن التذكر

ويلاحظ دزموند ابتداءً أن تذكر الحيوات السابقة هو من معدن الأحلام ، وأن تذكر الحياة الأعظم ، أى تذكر تلك الحيوات السابقة هو الذى يقودنا الى وجودنا الحالى بوصفه حلقة فى سلسلة مترابطة من الحلقات . وهذه الذاكرة هى التى سميتها « بالذاكرة السماوية » لأنه فيما يتعلق بها يوجد عنصر أسمى من الانسان ، بل عنصر مقدس .

وقدرة التذكر هى العلامة المميزة للرجل ولشريكته المرأة ، وهى خاصة بهما ، لأن الحيوانات السفلى لا تتذكر ، او اذا شئت تتذكر بقوة الغريزة ، لكنها لا تملك فى يدها القدرة على أن تستعيد الماضى ، كما انها لا تملك تلك القدرة التى هى شطر من قدرة التذكر ، وهى القدرة على ان تطرح عقولها الى المستقبل لكى تتوقع ما هو امامها .

وعندما تقول ان أحداً لا يتذكر ايه دنيا ، أو اية حياة غير هذه ، هل انت متأكد انك على حق ؟ لأنك اذا كنت على حق فان كل دراسة عن العودة للتجسد تصبح محض ضياع للوقت ، واذا كان لا يتأتى لأى انسان ان يتذكر اية حياة سابقة ، فان ذلك يعنى ان ما يشغلنا فى هذه الصفحات مجرد مضاربة جوفاء .

ولقد عرفت ـ كما عرف الآخرون ـ دستة من الأشخاص المسئولين الناقدين الذين امكنهم ان يتذكروا بعض أشياء من حيواتهم السابقة . واسماء الرجال والنساء المتازين الذين تذكروا اشياء كهذه تملأ كتاباً ،

---

(١) The Survival League.

(٢) Reincarnation For Every Man.

ولكن رغم أن تذكر هـذه الأمور نادر نسبياً فى نصف الكرة الغربى فانه شائع فى الشرق .

وفى كتابه القيم المتماسك عن « روح شعب » (١) يقدم فيلدنج هول Fielding Hall فصلاً وبياناً عن حالات عديدة تذكَّر فيهـا الهنود تجسداتهم السابقة . وفى بورما ، كما فى أرجاء أخرى فى الشرق ، تحدث هذه الظاهرة بصورة شائعة الى حد أنها لا تثير انفعالاً ، حتى لكأنها هى القاعدة . وفى بعض الأماكن ينظرون الى الانسان الذى يقول انه لا يؤمن بالعودة للتجسد ، كما ينظر الأوروبى المتشكك الى الانسان الذى يقول انه يؤمن بها ، لأن البينات للانسان الشرقى — فيما قد يبدو لنا — دقيقة وحاسمة .

والأطفال يحوزون كثيراً ذكريات كهذه — ذكريات يبدو أنهـا جاءت طازجة معهم من العـالم الآخر الذى قدموا منه . والانسان المفرط فى حماقته هو ذلك الذى يسخر من أقوالهم بوصفها قصصاً صبيانية عن الجنيات ، واظن أن هؤلاء الساخرين مخطئون ... وبعدئذ يروى دزموند بعض أمثال لهذه الوقائع من نوع تلك التى تكبد أيان ستفنسون مشـقة تحقيقها — فيما بعد — على النحو الذى ضربنا له آنفاً عدة أمثلة (٢) .

المغـامرة المجيدة

تمثل الحياة الراهنة للملايين محض مسئولية يائسة ووضيعة ، فهى تبعث فيهم الخـوف والتعاسة فى عالم ملىء بالحروب وباحتمالات الحروب ، وتسد عليهم المنفذ الى الربيع الحق للحياة ، وهـو الأمل ، لكن لمن يؤمن بالعودة للتجسد فان الحياة تمثل مغامرة مجيدة .

ونحن الرجـال والنسـاء لم نحيا أبداً فى عصر رائع وهام كهـذا العصر ، ولم تكن الحياة أبداً تستحق أن نحياها مثلما هى الآن ، ولا الموت يستحق أن نموته مثلما هو الآن ، اذ لم توجد أبداً من قبل مثل هـذه الامكانيات الموجودة حالياً .

وقـد يساءلنى البعض : كيف يمكنك أن تزعم ذلك ان كنا نعيش حالياً فى عالم مهدد بخطر متزايد ؟ واذا كان الواحد منا لا يعلم ماذا يمكن للغد ان يحمل اليه ؟ ان الحضارات آخذة فى الذبول ، وان الملايين يعيشون بلا عمل ، وان أموراً وحشية ترتكب فى عالم للطغيان ، وكل طبقة ثائرة على

---

(١) The Soul of a People .

(٢) المرجع السابق ص ٧١ — ٧٤ .

غيرها . ويبدو أن أولادنا يسيرون نحو ليل لا آخر له ، ليل بلا اله ، ودنيا بلا دين . اذاً ماذا يمكنك أن تعنى بقولك أن الرجال والنساء لم يعيشوا ابداً فى عصر رائع كهـذا العصر ؟ وفى اى عصر عشت وعشنا من قبل ؟ بالتأكيد ان هذه هى اقامتنا الأولى والأخيرة على الارض !

ولكننى مع ذلك أعنى كل ما قلته ، واذا ما صبرتم على أقوالى حتى نهايتها قد تجدون أن كل ما أقرره صحيح . واننى أقرر فى لهفة رزينة ، اننا قد نتعلم متى جئنا ، ولمـاذا نحن هنا ؟ وقد تكون لدينا ومضة من ضوء عما سنؤول اليه عندما نجتاز الباب الصغير لصديقنا الموت .

وسواء اكنا خدماً أم سادة ، ورجالاً أم أولاداً ، فاننا قد نكتشف أن الحياة شيء مجيد كما اكتشفها الملايين غيرنا،وان كل لحظة منها تستحق ان نحياها ، والا شيء يضيع فيها ، وان كل اسى فيها هام بما لا يقل عن كل متعة . بل قد نتعلم أن المتعة والأسى وجهان لنفس الشيء .

وقد نجد انه خلف كل حياة على هذا الكوكب الصغير ، الذى هـو واحد من مائة ألف مليون كوكب ، يوجد تخطيط ، وهـدف ، وحب . فتعلموا خلال الواقع المر ، لاخلال الشعور الأحمق ، ان الحب فى عالمنا يخفى نفسه خلف الألم والموت . وعندما يجيء التحقيق فى نهاية المطاف فلتعرفوا أن هـــذه هى مجـرد حلقــة واحدة فى سلسلة حيوات عشناها من قبل ، وأننا على الأرض سنحيا من جديد .

وأنا ــ الذى لا انتمى الى رأى مسبق ــ اومل ان اثبت ان كل رجل وامرأة منا ، من الأمير الى الفـلاح ، ومن الملكة الى الخادمة له فرصـة ثانية ، بل مئات من الفرص ، واننا كلنا نقف على طريق يقود خلال الأبدية الى الكواكب بطريقة لا يمكن تفاديها ، كما ان الكواكب نفسها معلقة فوق رؤوسنا لكى تقودنا فى الطريق اليها . وأنه بعد تمضية حياة وحياة يصبح الموت ليس سوى العبور الى حياة اخرى اوفر ثراء ، واكثر قابلية للنهم .

واليك ــ أيها القارىء ــ اذا كنت من رجال الأعمال ، أو كنت زوجة او اماً ، سيفتح مصير من الروعة والتحقيق يفوق قدرة التصور ، لأنك ستجد فى انتظارك عند الاقامة فى الروح تعويضاً وسلوى . واليك ايتهـا السيدة ذات القلب الكسير التى فقدت رجلهـا اقول انه يوجد هناك على الجانب الآخر مكان يصبح الحلم فيه حقيقة . وانا لا اقول هذه الأقوال من باب الأمل المفتعل ، او من باب الضعف ، بل اقولها واعلم انها حقائق لاننى احمل فى ذاكرتى ذكرى حيواتى السابقة .

ولعلك أيهـا القارىء تحمل من حيـاة الى حيـاة تلك « الذاكرة السماوية » ولعلك طالما رفضت أن تنظـر الى تلك الذكريات بوصفهـا محض مصادفات لا أكثر فحولت وجهك بعيداً عن المرآة الفضية التى تحملها الذاكرة نحو الماضى والمستقبل . فاذا كنت احد أولئك فان هذا الكتاب الصغير سيضع بين يديك « شَلة » الخيط المعقدة ويرشدك الى طريقة فك العقد التى فيها .

واذا كنت من أولئك الذين « لا يتذكرون » ، فان هذه الكلمات ربما توقظ سلسلة الذكريات التى تقود من الماضى الى الحاضر ، ومن الحاضر الى المستقبل . تلك الذكريات التى بدونها نجـد أنفسنا فى ضياع ، وفى حيرة ، وفى تعثر ، وفى عالم غير قابل للفهم .

واذا أمكننا أن نمسك بزمام ذاكرتنا عن حيواتنا السابقة ، فاننا نرى الطـريق الذى اجتزناه خـلال القرون كيما نصل الى حياتنا الراهنة ، وتتضح لنا علة وجودنا هنا . وعند شروق هذه المعرفة ، التى بمقدورها أن تبدد بضوئها المشرق كل شك وكل خوف ، فاننا لا نرى فحسب الطريق الذى اجتزناه ، بل أيضاً الطريق الذى نحن على وشك اجتيازه .

وفى لحظة كهذه سنجد الرضاء المقـدس ، ومعه الراحة والاتزان ، وكل ما ينبغى أن تواجه به ، ليس فحسب أتراح الحياة ، بل أفراحهـا ايضاً . وفى النهاية نعرف لماذا نحن هنا ، ولهذه المعرفة نشكر الله الذى يقف وراء كل شيء ، مراقباً ، ومترقباً ، وحانياً .

وكل معلم عظيم من معلمى التاريخ الطويل ، خلال العصور المختلفة ، قد سلك التجسد مختاراً حتى يتمكن من المعاونة على تحرير روح الانسان من لحمها الوثيق ، فنادى بكل ذلك .. وسننادى مثلهم وشهودنا هم أعظم المعلمين فى جميع العصور ، وبالأقل نصف الجنس البشرى ، ولن نطالب أنفسـنا بالاقتناع بأى أمر ما لم يكن قابلاً للاثبات ، ولن نطالب انفسنا بالايمان ، هذا ولو أن الايمان له مكانه وله وظيفته .

ولن نلجأ الى رأى احـد الثقات بل الى الوقائع ، ولا الى التقاليد بل الى البينات ، ولا الى الافتراض بل الى الاختبار . فيبين لنا انه ، على الرغم من أن جميع الرجال قد وقف بعضهم ضد البعض الآخر فى اختلاط لا ينتهى للأفكار حـول العقائد والمذاهب ، فان جميع المعلمين الروحيين منذ القدم قد التقوا على المبداين التوامين اللذين يوجهان كل تفكير جدير بهذا الاسم : وهما العودة للتجسد والكارما . فهنا يوجد اتفاق جوهرى رغم كل القمم الملتهبة للشك وللجدل . ومناقشات الفلاسفة واللاهوتيين

قليلة عندما يتعلق الأمر بك وبى ، ولا يعنى الدين شيئاً الا اذا كنا نجد تطبيقه على الحياة .

وذلك هو الهدف من هـذا الكتاب ، لأننا عندما نصـل الى نهاية الطـريق فى الاقتناع بهـذين المبداين سنكون قد عثرنا على الوسيلة التى نتغلب بها على الأسى والخوف ، وايضاً على انكى صور الضعف الانسانى ، وهى الاشفاق على الذات .

وسنعرف عندئذ أن كل ما يحـدث لنـا من خير او من شر متولد فحسب من ذواتنا . واننا كلنا نملك حرية فى اختيار الطريق الذى يقود من حيـاة الى حيـاة ، كلما انتقلنا من الاهتزازات الدنيا الكثيفة الى الاهتزازات الأسمى منها . لأننا بذلك نقترب — عن طريق الموت — من الله ، ومن تحقيق ذواتنا العظمى التى تقف خلف كل واحد منا . وهكذا تصبح الحياة لكل واحـد منا هى المغامرة المجيدة ، خصوصاً بالنسبة لأولئك الذين ينقلون معهم ذكرياتهم عن المـاضى من حياة الى حياة .

وهكذا تنطبق نظرية العودة للتجسـد على كل جانب من الحيـاة العملية . ومـع ذلك فربما كان جانبها المتعلق بأخيلة الحب هـو الذى يمسك — أكثر من غيره — بزمام تصوراتنا .

« أخيلة الحب » والعودة للتجسد

ان عالمنا يسخر من أخيلة الحب romance رغم ان هـذه الأخيلة تمثل القلب النابض لكل حياة ، ويفخر بأنه عالم واقعى ، رغم أن المـادة نفسها ليست أكثر من ظـل للحقيقة التى هى الروح . فعالمنا يلح بكآبة لاشعورية على اننا لا نحيا الا ليومنا ، وان بمقدورنا أن نمحو من الحيـاة كل ما ليس له وجود مادى .

ان عالمنا عالم أحمق،خالٍ من الذاكرة،ويحيا ليومه لأنه نسى ماضيه . ولأنه لا يذكر ماضيه فليس بمقدوره أن يطرح نفسه الى مستقبله . وهناك مثـل زائف يقول « ما أسعد الانسان الذى لا ماضى له » ، الا ما اتعس ذلك الانسان ، والا تباً للانسان الذى لا يملك سوى الحاضر ؛ لأن مثله لا مستقبل له .

ومع ذلك فيوجد بداخل كل واحد منا احتجاج صامت ضد هـذه الوجهة الهزيلة لاقتناص المتعة . وقلما يوجد مع ذلك واحد من بيننا — أو حتى من بين اولئك المـاديين انفسهم ، لا يشعر فى لحظات الالهام أن أخيلة الحب هى الجوهر الحقيقى لكل حياة . ولعله لا توجد سيدة واحدة،

وربما عـدد محـدود من الرجال ، لا يشعرون فى قلوبهم التى هى مطاية الالهام المقدس ، بأن الحياة بدون الحب والخيال هى الموت ليس الا .

وان الانسـان المتلهف على اللذة الذى يعتقل نفسه داخل احتجاج أخرس ضـد اخيلة الحب تمر به لحظات لليأس يتساءل فيها مستفسراً عما اذا كانت الحياة تستحق أن يحياها الانسان بلا تخيل ، أى بلا حب .

وماذا نعنى بأخيلة الحب ؟ ان خيالاتنا المختنقـة فى أيامنـا الراهنة جعلت هذه الكلمة المحبوبة تنطبق على جانب واحد من الحياة ، هو جانب الحب الجنسى وذلك مع ان أخيلة الحب هى الحياة نفسها . انها الطريق الجرىء المتحرر للنظر الى جميع الأشياء . انهـا تعنى تمجيد الحيـاة فى خطر ، الذى بدونه تكون الحياة على كوكبنا ليست أكثر من موت مؤجل .

ان هذه المغامرة المقدسة التى تجرى أحياناً من داخل المكان والزمان، وأحياناً أخرى من خارجهما ، هى التى تقودنا الى أوطاننا بين الكواكب . انها تمثل انتصار سمو الروح على وضاعة المـادة ، وهى المنفذ من الموت الى الحياة الأبدية ...

ولذا فان مبدأ العودة للتجسد ربما يكون هـو المبدأ الوحيد الذى يرغم اكثر الناس تشككاً على الاقتناع بأن أخيلة الحب حقيقة ، ولعلهـا تمثل الحقيقة العظمى للحياة ...

هل من تخطيط ؟

ثم يقـول دزموند انه تلقى من أرواحه المراسلة « ذات القدرة على الحكم » على ماضيه البعيد ما يفيد أنه منذ ٣٣٠٠ عاماً كان يحيا كفيلسوف تحت حكم امنحوتب الثالث ، وأنه ساعد على اشعال الثورة لأجل التوحيد فى وجه الاعتقاد بتعدد الآلهة الذى اعتنقه كهنة ذلك العصر ، ومعهم الملكة الفرعونية تى Tiy .

وان تجسده اللاحق كان بعد ذلك التاريخ بحـوالى ١٣٠٠ عاماً فى ايرلندا ، ثم فى روما تحت حكم نيرون ، وهـو تجسـد لا يحمل عنه أية ذكريات تفصيلية (لكنه يكتب عما سمعه من تلك الأرواح) .

« ولدىّ » سبب للاعتقاد « بأننى » عدت للتجسد وعملت فى حلبة للمصارعة الدموية فى روما فى ذلك الوقت الذى كان يسوع يجـول فيه حول بحر الجليل وذلك بعد فترة من تجسـد آخر لى فى اليونان القديمة .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٨ — ٩٥ .

قد يبدو كل ذلك بلا مغزى ولا هدف ، ومع ذلك فان كل تلك الفترة الزمنية الطويلة ليست أكثر من قطرة فى محيط الأبدية . كما لا اذكر — ولو حتى بطريقة باهتة — كل حياة عشتها على الأرض ، ولابد انني عشت منها الكثير القابع بين تلك الذكريات نفسها .

وهكذا يسرد دزموند بعض التجسدات التي يعتقد انه سبق له ان مرَّ بها ، او تلك التي قيل له — من بعض أرواحه المراسلة — انه قد مرَّ بها فيما مضى .

وبطبيعة الحال لا يجوز للباحث العلمي أن يعلق أية أهمية على انباء تلك التجسدات الخاصة ، ولا أن يتصور انها تحوى الحقيقة الكاملة ، سواءً بالنسبة لدزموند أم لغيره ، لأن صحة التفصيلات هنا موضوع يختلف تماماً عن صحة المبدا فى ذاته .

فالمبدأ قد يكون صحيحاً ، وقد يمكن اقامة الأدلة العديدة المترابطة على صحته ، حين قد يتعذر تماماً اقامة الأدلة على صحة أمثال هذه التفصيلات التي لاينبغى أن نفترض فيها الصحة أو الدقة ، والتي قد يتعذر فيها الاثبات بمقدار ما قد يتعذر فيها النفي ؛ لأن الخيال ، او الوهم ، أو الارشاد الخاطيء قد يلعب فيها دوراً ما ، على ما بينته فى مناسبة سابقة . وبعد ذلك يستطرد المؤلف قائلاً :

ومع ذلك فثمة خطة خلف العودة للتجسد ، هى خطة من وضع الله ، وتعمل بطريقة لا يفلت منها انسان ، وبطريقة طبيعية مثل قانون الجاذبية ، ولا يوجد استثناء لهذا القانون .

وهو قانون للتعقل الجميل ، وعادل لا يخطيء أبداً ، ويتبع كل واحد من أفكارنا وأعمالنا من مولد الى مولد ، ويسجل علينا كلما صنعناه من خير أو من شر . وهو لا يسعى الى عقابنا ، بل يدعنا لنعاقب انفسنا بأنفسنا ، فنحصد ما زرعناه . فاذا فكرنا وعملنا شراً فاننا نحصد شراً فى هذه الحياة أو فى غيرها . واذا فكرنا وعملنا خيراً فان الخير يكون من نصيبنا فى هذا العالم وفى العالم الآخر ، ولا يوجد ارغام ، ولا تداخل فى ارادتنا الحرة .

واذا ارتكبنا الشر بغير أن نشعر به ، كما يتصور البعض أن بمقدورهم ذلك ، فاننا نقدر أن نتمادى فى الشر ، لكننا بما اننا نتالم عندما نخطيء ، فانه تجيء الينا تدريجياً الفكرة القائلة بأن الخطيئة لا تربح ، وتحقيق هذه الفكرة هو موضوع كل عودة للتجسد .

والخطوة التالية هى تحقيق جمال القداسة ومتعتها . فكأننا لا نكتشف فحسب أن الخطيئة لا تربح ، بل اننا نكتشف أيضاً متعة عمل الخير لذاته . وعندما يصل الرجل أو السيدة الى ذلك فانهما يكونان على العتبة التى لا يلزم لهما فيها أن يموتا موتاً ثانياً ، أى أن يولدا من جديد فى جسم ترابى ، وفى عالم من مادة . ولن يكون عليهما فيما بعد أن يسلكا الطريق الشاق لاختبارات الحياة الدنيا بأقدام تنزف دماً . لأنهما وقد تعلما الدرس لم تعد بهما ثمة حاجة للعودة ...

هذا هو القانون الكائن وراء عوداتنا للميلاد فى هذا العالم . فعندما تتحرر من ربقة العودة للتجسد ، التى أعادتك للأرض مرة بعد الأخرى تخرج متحرراً من العوالم الكوكبية السفلى التى هى موطن الأرواح غير الكاملة ، الى المناطق الأكثر اشراقاً من غيرها ، وتصنع ذلك بما بذلت من جهود خاصة . ولن يرغمك انسان ، أو حتى يعاونك اذا كنت أنت نفسك ترفض تلقى المعونة .

وهكذا تحصل تماماً عن طريق المرور بحياة بعد حياة على ما كنت تتطلع اليه ، بغير زيادة ولا نقصان . ولا يملك أى انسان نفعاً لك الا ما تملكه أنت لنفسك . وان الأرواح العظمى التى تقف خلف الحياة الأبدية ستعاونك بشرط واحد : هو أن تعاون نفسك بنفسك (١) .

عن الفترة بين التجسدات

والآن فلنتقدم الى المشكلة الخلابة ، وهى ما هى ظروف الرجل والمرأة فى الفترات التى تقع بين تجسداتهما على الأرض ؟ ماذا يفعلان ؟ وأين هما ؟ وهل الحياة فى عالم الروح متميزة تماماً عن الحياة فى المادة ؟ وكيف يمكننا أن نعرف ماذا يجرى لهما اذا كان ثمة شىء يجرى ؟

يوجد مصدران لمعرفة هذه الأمور : أولهما تعاليم المعلمين الكبار الذين كانوا فىعالمنا عندما كانوا فى الجسد ، وثانيهما هو الاتصالات الروحية التى اثبتها العلم الذى يطلق عليه « علم الروح الحديث » ...

ويبدو أن الحياة فى المكان الأول ــ أى فى العوالم القريبة من الأرض والتى تلى القبر ــ لا تختلف كثيراً عن الحياة على كوكبنا الخاص .. بل أن الظروف قد تبدو متشابهة الى حد أنه كثيراً ما يبدو من العسير اقناع المنتقلين حديثاً من الأرض بأنهم قد « توفوا » . وكثيرون منهم يرفضون التصديق (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠ ــ ١١٧ .

(٢) راجع فى وصف هذه الحياة « المنفصل » الجزء الثانى ص ٢٦١ ــ ٤٥٢ .

وبعد أن يستعرض دزموند بعض الفروق بين عالمنا وعالمهم يقول ان عالم الروح عالم للراحة ، أما عالمنا فهو عالم للنضال . وان التردد بين الراحة والنضال يمثل المبدأ الدورى الذى يبدو انه يجرى خلال كل وجود ، فبعد النضال تجيء الراحة .

ولا ينبغى أن نتخيل أن شخصياتنا تتغير فى الجانب الآخر من الموت ، والا فاننا نرتكب خطأ فاحشاً ، فنحن هناك كما نحن هنا فيما عدا الفروق التى اسلفناها فى ظروف العيش . فنحن ننقل معنا الأمل والخوف ، الرغبة والعاطفة ، والحب والكره . والرجل الجشع هنا جشع هناك ، والمرأة العاطفية هنا عاطفية هناك ، ولماذا يكون الأمر غير ذلك ؟

ونحن نحصد هنا ما زرعناه هنا ، ونحصد هنا ما زرعناه هناك ، فحصاد الحياة حياة ، وحصاد الموت موت ، وثمة عدالة الهية فوق كل ذلك . وهى عدالة تطمئن تماماً الرجل أو المرأة من ذوى النوايا الطيبة ، اللذين يحاولان التملص من اسار المادة ، كما تقلق تماماً الانسان المادى الذى يحيا حياة شريرة .

وسيكون علينا أن نناضل هناك ضد رغباتنا ، ومخاوفنا ، وشرورنا ، وسيكون علينا ان نغزو اقاليم ذواتنا التى تبدو لنا الآن غير قابلة للغزو . لكن لن يكون النضال هناك فى صورة محدودة محسوسة كما هى الحال على الأرض ، ولكن رغم أن تراجع حدود النضال يقدم الينا فرصاً لنوع آخر من التقدم ، الا ان اسلوب النضال نفسه يبدو اقل تركيزاً .

ولهذا السبب فنحن نتعلم فى خمس دقائق من حياتنا الأرضية اكثر مما قد نتعلم فى قرن من حياتنا الكوكبية على ما سمعت البعض يقول . ولذا فان من الأمور الأساسية اننا عندما نعود الى الارض ينبغى أن نستخدم كل لحظة صغيرة للعيش لأجل مجد الله ، لا لأجل مجد اللحم ، او مجد الشيطان .

وثمة حقيقة بمقدورنا ان نلاحظها كل يوم ، وهى أننا عند عودتنا للأرض بذكريات لاشعورية عن تصميمات طيبة اتخذناها قبل قدومنا اليها ، فاننا فيما يبدو — نبذل قصارى جهدنا للتغلب على الشر . ولكن بمضى الوقت تتراجع هذه « الذكريات السماوية » وتصبح باهتة ، ويكون تصميمنا عرضة للتلاشى الى ان نفيق الى انفسنا فى النهاية ونتنازل عن متع الجسد ، والعالم المادى .

ولكن فلنشكر الله لانه لا يزال يوجد الملايين ممن لا يفعلون ذلك . وربما لا يوجد انسان يفعل ذلك تماماً ، والا لما تأتى للانسان أن يسمو من المادة الى الروح [1] .

---

(١) عن شو دزموند . المرجع السابق ص ١٧٨ — ١٨٤ .

عن التطبيق على الحياة

ونحن الآن فى موقع قد يمكننا أن نرى كيف يتأتى لاعتقادنا فى العودة للتجسد أن ينطبق على حياة كل يوم لنا فى الأرض ؟ ابتداءً ان ذلك يدعونا لان نفكر فى أداء الخدمات للآخرين . ان العودة للتجسد كانت سبباً فى تحريرنا من الأغلال التى تقيّد دائماً اقدام الرجال والنساء الذين لا يعرفون أنهم قد ولدوا من جديد .

فالانسان المؤمن بالعودة للتجسد يحوز نظرة متزنة بعيدة عن الآخرين . ودعونا نرى كيف يمكننا أن نطبق هذا الاعتقاد المجيد للحياة على مشاعرنا ، وأعمالنا ، وأفكارنا ، لأن الاعتقاد الذى لا يقبل التطبيق على الحياة لا يكون اعتقاداً ، بل مجرد نظرية .

فنحن نشعر فى المقام الأول أن اقدامنا تقف ثابتة على طريق قادنا من حيواتنا السابقة الى حياتنا الراهنة ، وسيقودنا الى حيواتنا المستقبلة، فلا نسير عمياناً ، بل نعلم الى اين نذهب ومن أين جئنا ، وذلك يعطينا مناعة ضد خيبة آمالنا فى الحياة . بل اننا على عكس الآخرين قد نرحب بمثل تلك الخيبة لأننا نعلم انها قد أرسلت الينا كيما نتعلم منها اختبارا ، وهكذا نشكر الله لنظامه ولرعايته .

وعندما يلازمنا سوء الحظ فان بمقدورنا أن نتحمله فى يسر أكثر من غيرنا ، لأننا نعلم انه يقود الى حسن الحظ بطريقة لا يمكن تفاديها . ولا يوجد هنا تذمر أو اعتراض لأن كل اختبار لنا يعلّمنا أن سوء الحظ هو اعداد لحسن الحظ ، فهو شقيقه .

والاشفاق على الذات لا يعنى لنا ما يعنيه لغيرنا ، فحين يصرخ الإخرون من حظهم السيء ، فاننا نعلم أن كل حظ طيب أو سيء انما يجيء من قانون « الكارما » . وبما اننا نضع « كارمانا » أو قدَرنا بأنفسنا فليس لنا أن نسخط مما قد يحل بنا ، لقد جلبنا ذلك على أنفسنا بأفعالنا فى حياتنا الراهنة ، أو فى حيواتنا السابقة ، وهذا هو منطق العدل ، بل الذوق السليم .

وعندما تحل بنا متاعب مالية فاننا لا نقول فحسب أن « الرب اعطى والرب أخذ ، فليكن اسم الرب مباركاً » ، بل نقول ايضاً — بسبب معرفتنا بمتاعب الأغنياء ودواعى يأسهم — الشكر له لانه منحنا هذا الوضع المثالى الذى لا يعرف غنى ولا فقراً ...

اننا نعلم أن الالم لا يدوم لأكثر من ليلة ، وأن المرح يأتى مع الشروق، لأننا من أولئك المباركين الذين يعرفون أن تعاسات الماضى التى كانت تبدو

دائمة وفوق الاحتمال البشرى عند حلولها ، قد نسيت فى خلال بضعة أيام او خلال بضع سنوات ، وكثير منها لا يمكننا ان نتذكره ، حتى ولو حاولنا التذكر .

ومن جانب آخر فان الحظ الحسن لا يمكن ان يكون وحده من نصيبنا لسببين : أولهما أن ما قد يبدو من قبيل الحظ الحسن قد يكون قناعاً للحظ السيء ، وثانيهما أننا نعلم ان حياة الانسان تتأرجح بين النجاح والفشل ، وانه بعد شروق الشمس قد يأتى المطر ...

والاعتقاد فى العودة للتجسد يصنع عالماً اكرم بنا ، لأننا عندما نتحقق من أننا جميعنا نسير على نفس طريق الأبدية ، كرفاق على الطريق ، وكرفاق فى السراء والضراء ، فاننا ـ فيما يبدو ـ سنكون اكثر تقديراً لمشاعر أولئك الذين يحيطون بنا . وبالتالى نكف عن الدينونة عالمين أن واحداً منا لا يمكن أن يعرف تماماً الدوافع التى كانت وراء أى تصرف من تصرفات رفاقنا ، فقانوننا اذاً هو « لا تدينوا لكيلا تدانوا » .

فالعودة للتجسد اعتقاد عملى بالمعنى الدقيق ويمكن أن يطبق عالمياً . وفى العلاقات بين الأزواج ، اذا علم الزوجان ان ثمة دروساً قد فاتهما تعلمها فى حيواتهما السابقة ، فانه سيتعين عليهما أن يحاولا تعلمها ، والا لما جمع القدر بينهما من جديد فى الحياة الراهنة فى رباط وثيق . وسينظر كل واحد منهما الى فرص التعلم الضائعة من شريك حياته ، بحيث يستكمل ما فاته أن يتعلمه فيما سبق . وسيكون أقدر مما كان على أن يغتفر لشريكه ما دام يؤمل فى ان شريكه يغتفر له اخطاءه هو ايضاً .

واذا تفهم الآب حقيقة الحواجز التى تفصل بين الأرواح المتجسدة وهى فى طريق تطورها ، فان موقفه من ابنه أو من ابنائه سيكون مختلفاً عما كان بطريقة جوهرية . فان هذا التفهم يجعل الاب والام اكثر تسامحاً لما يصدر عن أطفالهما من صور ضعف الطفولة وعثراتها . وهو يتيح معاملة مناسبة لكل طفل على اساس انه يمثل مشكلة متميزة عن غيرها . وقبل كل شيء ، فان هذا الاعتقاد سيحول الوالدين عن محاولة التمادى فى المطلب الجنونى ، وهو ان يكون الولد صورة منهما .

وعندما نعلم أن الطفل هو الذى يتخير ابويه ، وليس الوالدان هما اللذان يتخيران طفلهما ، فان ذلك يعطينا زاوية مختلفة تماماً للنظر الى طبيعة الصلة بين الآباء والأبناء . ولقد عرفت والدين كانا يشعران بذلك ، وكانا يشعران بالسعادة لأن طفلهما هو الذى اختارهما ، فلم ينظرا اليه كالعوبة ينبغى ان تصاغ على شاكلتهما ، بل لقد عرفا فيه روحاً مختلفة تماماً عنهما ، وكان لديهما بالتالى احساس مرهف بألا يحاسبا القدر عن مجيء هذا الطفل ...

ومثل آخرين كثيرين ، لقد شاهدت بنفسي التغير الجميل الذي تحدثه المعرفة عن العودة للتجسد في مواجهة مواقف الحياة في كل صيغها ، بل لقد يمكن الذهاب الى حد القول بأنه من المتعذر الا يكون تقبُّل هذه المعرفة سبباً في تحقيق مستوى أرفع في الفكر وفي العمل . فالمؤمن بالعودة للتجسد في الغرب هو في غالب الأحيان ذلك الانسان الذي يحوز نظرة أسمى عن الحياة ، وعن الوجود ، لأن فيها صقلاً وتطويعاً لمعدن الحياة ...

ان المؤمن بذلك يكره التعصب أيضاً ، كما يكره التقيد بأغلال الحرف ، ويحاول أن يعالج وأن يتفهم وجهات نظر غيره من الأشخاص ، وأن يستمع في أدب الى ملحوظاتهم في موضوعات الاعتقاد ، ويعرف قبل كل شيء آخر كيف يتفادى الجدل الأجوف الذي هو عدو لكل معرفة . ذلك لأنه عندما يتجادل الناس حول الاعتقاد ، يهرب الاعتقاد فوراً ، وهذا ما يعرفه جيداً المؤمن بالعودة للتجسد .

وحتى عندما يقابل انساناً يتلقى الهامه من الشيطان فان عليه أن يتحمله ، عالماً انه يشكو من مصدر شكوى الجميع ، الا وهو الجهل الذي نعاني منه جميعنا . وعالماً أيضاً انه قد يقابل ذلك الانسان في حياة مستقبلة ، فليكن حذراً على قدر امكانه حتى يتحاشى كل عدوان . بل انه ليحاول أن يساعده على الطريق ، وأن يجيبه تلك الاجابة الرقيقة التي تذهب السخط بعيداً ... (١) .

هدف « العودة للتجسد »

ان امكانية « ذواتنا العظمى » تفتح امام كل واحد منا بوابة نجم المشرق ، التي تسمح لنا بأن نلقي نظرة خاطفة على المشكلة المحيرة عن مستقبل الانسان ، الذي وصل الى هذه البوابة عن طريق عوداته للتجسد . اذاً ما هو الهدف النهائي للعودة للتجسد ؟

اننا لا نجرؤ على الحديث عن هدف نهائي للروح الانسانية ، لأننا نعلم انه في أبدية التقدم لا يمكن أن يوجد هدف كهذا ، فالتطور أبدي كالانسان نفسه ...

ومع ذلك اذا ما أمسكنا بشجاعتنا في أيدينا فيمكننا ان نتطلع خلال ثقوب تلك البوابات التي سيقودنا اليها في يوم ما طريقنا المرصّع بالنجوم ، ومن الجائز أن الرؤيا تبهرنا فتزيغ نظرتنا . ومن الجائز ان يكون الخيال

---

(١) من المرجع السابق ص ٢١٨ — ٢٢٨ .

الانســانى لأنه « انســانى » قادراً على أن يتفهم بصعوبة الموضوع الذى يسعى الى تخيله . ولذا يتعين علينا ــ فى كل امكانيات تصورنا ــ ان نكون حذرين ، وأن نقرر أن كل ما وصلنا اليه عبارة عن ظل من الحقيقة الرائعة التى تسمو على الخيال .

ولما نلقى نظـرة على تلك القلاع البعيدة ، والمعـارك التى توجت بالنصر ، عندما يوشـك الفجر أن يشرق وراء بوابات عالم النعيم ، فانه يكون من العسير علينا أن نتذكر الليالى السوداء ، وأيام العودات اللافحة للتجسد التى قادتنا الى تحررنا من المـادة ومن الأرض .

وهكذا قد رأينا كيف أن موضـوع العودة للتجسـد هو اكتسـاب الخبرة عن طريق طرح الروح فى الجسد . لقد تعلمنا ان التحرر من قيود المـادة محال بدون تلك الخبرة . ولقد تحققنا الآن ان الروح تكتسب طبعاً ارق مما كان عن طريق اندماجها المؤقت فى حنايا الضلوع .

واذا تم التحرر ، تتوقف تجسداتنا لكى تبدأ المرحلة التاليـــة . لقـد تحملنا حتى النهـاية فخلصنا . خلصنا من ماذا ؟ من ذاتنـا التى تركناها خلفنا للأبد . من ذات الأنانية التى حل محلها انكار الذات ، اى الحب . لقد ربحنا الحرية عن طريق الخدمة ، لكن هل تتوقف خدماتنا للآخرين ؟

الجواب كلا ، لأننى أعتقد أن خدمة الآخرين هى الشىء الوحيـد الذى نحمله معنا خلال الأبدية ، وانه بدون خدمة لا يمكن أن يوجـد حب كامل ، والمسيح نفسـه قال لنا ان الله محبة ، ولذا فاننا نعلم انـه حيث يوجد اله توجد ايضاً خدمة . وهكذا يكون من فخرنا أن نخـدم ، لكن ما هو نوع تلك الخدمة ؟

عندما نكون قد القينا نهائياً أجساد المـادة ، فان خدمتنـا تكون ابتداء على مستوى العقل لأننا نخدم بالعقل اكثر مما نخـدم بالجسـد ، رغم انه توجد خلف كل خدمة بالجســد حتى على الأرض ، خدمــة استجاب لها العقل أولا ، فنحن نخدم اذا بالعقل .

وهذا التحرر يكون نحو ما اسميه « عوالم الفردوس » التى لا ينبغى ان تختلط بالعوالم الكوكبية التى زرناها فى الفترات بين تجسداتنـا الأرضية ، والتى سنتركها نهائياً عن طريق تلك التجسدات ، وعنـدئذ سنكتشف ان كل ما قيل لنا عن الفردوس لا يساوى شيئاً ..

وسنكتشـف اننا قد عرفنا الخطيئة والالم على وجهيهما الصحيح ، بوصفيهما مكملين للخير ، اى بوصفيهما حجر المسن اللازم لصقل الروح .

وسنتحقق لأول مرة بأنه بدون الألم والتعب لا يمكن للخير أن يؤدى عمله. وعندما نعود للمرة الأخيرة من تأمل معاركنا الأرضية ، سنجد أنفسنا فى مواجهة معارك مختلفة تماما ، ذات أساليب وأهداف مختلفة عما نقدم .

لأنه حتى فى عالم الفردوس لا يتوقف النضال الأزلى بين الخير والشر ، الذى لم تكن معاركنا الأرضية سوى ظلال له . لايزال على مضيفى الفردوس أن يناضلوا ضد مضيفى الموت فى صراع لأجل السيادة لا ينتهى . وسيرى الانسان كيف أن الشر يدخل دائماً فى معارك خاسرة كما يحدث على الأرض ، وكما هى الحال دائماً عندما يصر الوهم على أن يواجه الحقيقة .

ولكن الطريق الوعر للعودة للتجسد يقود الانسان الى اكتشاف آخر ، وهو اكتشاف عقله الانسانى ، الذى لا زلنا نجهل تقريباً عنه كل شىء فى الغرب رغم جهود فرويد ، وآدلر ، ويونج . وفى هذا النطاق ينظر الينا اليوجيون فى الشرق كما لو كنا أطفالا كما نحن فى الواقع . لكننا عندما نتنازل عن المادة ، وعن جسد اللحم ، خلال تجسدات متتابعة فاننا سنحصل على النطاق غير المحدود للعقل الذى سيتفتح امامنا .

وبهذه المعرفة سنحصل على الملكات الجديدة لطرح العقل ، وللاستخدام المباشر للعقل على الأثير .. والواقع اننا خلال كل ذلك سنجد انفسنا ذوى ملكات رباعية الأبعاد فى عالم رباعى الأبعاد .

والهدف التالى لمعاركنا على الأرض ، وعلى المستوى الكوكبى ، هو أن نعرف الفارق بين « الفردية » و « الشخصية » . وهنا يحدث تقدم كبير ، فاننا سنعرف أن الفردية هى المعبد الذى يشيده الانسان فى حياة بعد أخرى ، وفى تجسد بعد آخر ، اما الشخصية التى كان جد فخور بها على الأرض فهى شىء عابر ، مجرد فقاعة زائلة تمثل ثمرة حياة واحدة .

وسنتعلم — بالاضافة الى ذلك — أن الذات هى ذلك العنصر الذى صنعناه بأنفسنا ، لكن الروح هى الشعلة القدسية التى لا تنطفىء لأنها خالدة . وعند ذلك سنتحقق فورا انه لا يوجد حاجز بين اى انسان وآخر فى اى مكان او فى اى زمان . واننا جميعنايجمعنا نوع من اتصال لاسلكى ، واننا كلناعلى صلة متبادلة شعورياً ولا شعورياً .

والآن لقد غامرنا فى الأعماق التى تقع وراء ما نعرفه من اختبارات انسانية . لقد تطورنا من انسان حيوانى الى انسان الهى . لقد اصبحنا

من نفس نسيج الآلهة ، « ذات الأردية البيضاء كالثلج ، والأكاليل الذهبية التي ستوضع فوق رؤوس أولئك الذين تألموا ألماً عظيماً » .

لقد اجتزنا — بأقدامنا الدامية — الطريق الموصل الى الابتداع بامتداد سبيل العودة للتجسد المليء بالأشواك،ولقد حملنا اكاليل الشوك، لكي نستبدلها بأكاليل الذهب . وفى كلمة لقد أصبحنا سادة ، سادة فى الحياة وفى الموت .

عن كيفية العودة

ويقرر شو دزموند عن هذا الموضوع فى مؤلفه الآخر « كيف تحيا عندما تموت » ؟ .. — الذى هو ثمرة بحوث عشرات من السنين فى موضوعات الروح من كافة نواحيها الوضعية والفلسفية — ان سكان العالم الكوكبى يبذلون ما فى وسعهم لاعداد الروح لهبوطها المقبل الى مادة الأرض فى كل كثافتها . وهكذا يحاولون أن يجعلوا هذا الهبوط سهلا ونافعاً على قدر الامكان .

فهناك معابد أو « قاعات للحكمة » يتجه اليها من يرغب فى الهبوط الى الأرض للحصول على خبرة جديدة ، وفيها يتعلم كيف ، ومتى ، ولماذا يتخير مكان ميلاده الجديد ، ووالديه ، وبيئته . ولا زلنا نعلم القليل عن الأسلوب المستعمل ، لكننا فحسب نعلم ان العودة للتجسد لا يمكن تحاشيها حتى وان أمكن تأجيلها .

ولا يوجد ارغام ، لأن العودة للميلاد اختيارية دائما . وهناك يتعلمون كيف يخفضون من اهتزازاتهم فيزورون الأرض التى تحتهم بارادتهم ، حتى يتعودوا من جديد على حركاتها وشعوبها . لانه رغم ان الموت على الأرض هو الذى يحررنا الى المستوى الكوكبى ، فيعطينا ذاكرة للوراء نحو ما مر بنا من احداث ، الا انه لا يعطينا ذاكرة للأمام عن الأحداث التى قد تجىء ، أو عن تلك الاحداث الجارية فعلا .

وكل انسان هناك يعلم انه يمثل شطرا من الذات العظمى ، التى تقف وراءه ، ووراء كل كائن كوكبى .كما يعلم انه يمثل شطراً من روح الجماعة التى تتكون من الرجال والنساء ذوى الاهتزازات المشابهة لاهتزازاته. ولكل واحد منا ذاته العظمى ، وعند العودة الى المستوى الكوكبى يقابل كل واحد مجموعته التى يساهم فيها باختباراته التى حصل عليها عند كل عودة الى الأرض .

---

(١) عن المرجع السابق ص ٢٣٨ — ٢٤٤ .

ويوجد على المستوى الكوكبى ، كما يوجـــد على المستوى الأرضى نفوس على درجات متفاوتة من التطور ، فبعضها فى أدنى السلم ، وبعضها الآخر فى أعلاه . واحد الموضوعات الأساسية للتعليم الكوكبى هو تفادى عودة الأرواح المنحطة للتجسد لمجرد اشباع رغباتها الجسدية فى جســـد ارضى . ولا تنس اننا نحمل معنا الى المستوى الكوكبى رغباتنا ، وآمالنا، ومخاوفنا ، وباقى صفاتنا الأخرى ، والأرواح التى ترغب للعودة للتجسد لاشباع شهواتها الحسية يطلق عليها « الأرواح الهائمة فى محيط الأرض» .

لكن توجد ارواح اخرى ترغب فى العودة لانجاز مهمتها التى تركتها بلا انجاز . واخرى ترغب فى العودة للارتبـــاط من جـــديد بشخص عزيز عليها تركته على الأرض ، لكن لهـــذه الأخيرة أرواح يفهمونها حماقتهـــا لأن الشخص العزيز عليها قد يكون غادر الأرض ، أو على وشك مغادرتها ، وبالتالى فانها بالعودة الى الأرض قد تفقد الارتبـــــاط الذى تسعى الى تحقيقـــــه .

وبالتالى فقد ينصحون هذه الأرواح عن نوع التجسد المناسب لها ، والبيئة الطبيعية ، والحالة الاقتصادية من الثراء أو من الفاقة .. حتى تحصل على أكبر نفع ممكن من عودتها للتجسد ، ولذا يختار البعض آباء فقراء أو متواضعين ، حين قد يختار البعض الآخر آباء ذوى مستوى عال وثراء ، فكل ذلك يتوقف على نوع الاختبار الذى يحتاج اليه الانســـان . وكل ذلك يفسر لمـــاذا أن الانسان المتسول فى تجســـد معين قد يكون ملكا أو ثريا فى تجسد لاحق .

والفكرة القائلة بأن الرجل ينبغى أن يظل رجلا دائما ، والمرأة امرأة دائما عبارة عن خرافة صبيانية ، ولا ينادى بها أى معلم من المرشــــدين الكبار . وتغيير الجنس يبدو — كما هو جلى — ضروريا كيما تكتمل دائرة الاختبار . ومع ذلك يقولون لنا من المستوى الكوكبى ان نتريث بالنسبة لمثل هذه الأفكار التى ولدتها اختباراتنا الأرضية ، ويقولون لنا جميعنا أن احدا منا لا يعلم ما فيه الكفاية ، لذا ينبغى أن نكون متواضعين وقنوعين .

كما يقولون لنا انه حتى المستوى الكوكبى الثالث الذى منه يجيئون يحوى مناطق أو مستويات كثيرة ، أى عدة عوالم فى عالم واحد . وأن كل عالم من تلك العوالم له اعتقاداته الخاصة ، ومفاهيمه عن الحيـــــاة والموت والتطور . وكلها عوالم اهتزازية ، كما هو الشأن بالنسبة لعالمنا بحسبه الوصف العلمى .

ولذا فان الواحد منهم قد يشغل نفس المكان فى نفس اللحظة مثـــل

آلاف آخرين ، ومع ذلك لا يشعر بعضهم بالبعض الآخر بسبب التفاوت فى رتب الاهتزاز ، وهذا ما لا يمكن حصـــوله على الأرض لأن الأرض ذات ثلاثة أبعاد فقط وليست ذات أربعة أبعاد . ولذا فنحن يتعذر علينـــا فى عالمنا أن نرى الأرواح التى تحوم من حولنا لأنها ذات اهتزازات عاليـــة ، ولأنها أيضا كائنات رباعية الأبعاد (١) .

تعليق

مما لا ريب فيه أن العودة للتجسد تمثل بالنســبة للروح خطوة هامة فى طريق تطورها نحو الأمام ، لا تقل عن خطوة خروجها من التجسد بالتحول الذى اعتدنا أن نسميه موتا . فالولادة والموت هما أهم خطوتين من خطوات التطور فى فترة الحياة الأرضية الواحدة .

ويبدو أننا اذا كنا لا نختار ظروف موتنا ، بمعنى أن أحدا لا يأخذ رأينا فيها ، فاننا ــ ولو الى حد ما ــ نختار ظروف عودتنا للتجســـد ، بمعنى أننا ينبغى أن نتطلع اليها ولو على وجـــه ما . كما ينبغى أن تكون أيضا موضوع ضراعتنا واتجاهنا لله ، كما هو الشأن فى كل خطوات حياتنا المقبلة خصوصا عندما تكون الخطوة منطوية على قدر ما من المغامرة ، أو تمثل بالنسبة الينا قدرا ما من الأهمية . والانسان العاقل هو ذلك الذى يتجه الى الله فى كل أحداث حياته ، أو بالأدق يجعل حياته عبـــارة عن ضراعة دائمة لله بالعقل والوجدان ، وقبل كل شىء بالعمل الصالح ، ولعل فى هذا الاعتبار ما قد يرد على قول الشاعر الفارسى عمر الخيام عندمـــا يقول فى احدى رباعياته « لبست ثوب العيش لم أستشر ، وسوف أنضو الثوب عنى .. وأين المفر ؟ » ! .

ولا ريب أن الانسان ــ قبل تطلعه الى العودة للتجسد ــ يكون فى صراع قاس بين عوامل تدفعه وأخرى تمنعه . وهذه العوامل وتلك تمثل تفاعل دوافعه الفردية مع دوافعه الطبيعية أو الاجتماعية . هذا التفاعل الذى قد ينتهى بانتصار الاقدام على الاحجام أو بالعكس ، كما هو الشأن فى كل سلوك هام يسلكه الانسان حتى فى أمور حياته الدنيوية .

وذلك خصوصا عندما يكون عند مفترق الطرق ، ويكون لكل طريق مزاياه الواضحة ومخاطره الشديدة . فهو عليه أن يتخير عنـد ذلك بين

---

(١) How You Live When You Die. 5 th ed p. 154 - 157

وراجع ما ورد فى « المفصـل » . الجزء الثانى عن معنى « عالم رباعى الأبعاد » ص ٣٤٥ ــ ٣٥٤ .

دوام الاقامة فى حياة يكون قد ألفها وعرفها بما لها وما عليها ، وبين أن يبدأ من جديد مغامرة اخرى كيما يحوز المزيد من الخبرة ، ويؤدى المزيد من الخدمة ، ولو عن طريق الكفاح الشاق والألم المتواصل .

وهنا يلعب نضج الانسان ، وحكمته ، ورغباته ، ومثله العليا ، وصلاته القديمة والحديثة .. دورا طبيعيا ، الى جانب دور نواميس الكون التى قد نحسن استخدامها او قد نسيء هذا الاستخدام . وفى الحالين نجنى ثمار خطأنا أم صوابنا ، **لأن كل تصرفات الانسان ونواحى** نشاطه عبارة عن تركيب من تخيير وتسيير متداخلين ـ يتفاعلان بلا توقف مع نواميس طبيعية مطلقة وموضوعية لانتاج نتائج منطقية محددة لهذا التفاعل ، وأخطر هذه النتائج ما كان متصلا بتطور الانسان فى الطريق الصحيح أو الخاطىء ، أى ما كان متصلا فى النهاية بتوفير عناصر سعادته أو شقائه .

واذا صح هذا النظر فمن مقتضاه ان تكون صلاتنا مع أفراد أسرتنا صلات عريقة ، بل موغلة فى القدم . ومثلها صلاتنا مع كل أولئك الذين نتعامل معهم ، والذين قد نتصور أن « الصدف » الحسنة أو السيئة قد جمعنا بهم .

او بالأدق ان هذه الصلات لم تتحقق بغتة ولا جزافاً كما قد نتصور عندما نسعد « بالصدف » الحسنة أو نشقى « بالصدف » السيئة . فكل صلة من هذه الصلات مهما كان رضانا أو عدم رضانا الحالى عنها مرتبطة بشبكة من علل قديمة لا تنتهى ، ولا تزال تحدث آثارها طبقاً لناموس « العلية الطبيعية » .

وهكذا يبدو الانسان نفسه نتاج هذه الشبكة العريقة القادمة من ناحية سلوك ماضيه القريب والبعيد . وهذه العلل لم تفرض نفسها عليه ، بل لقد لعبت ارادته فى تخيرها دوراً طبيعياً ، اما توقع المعلولات فهو الأمر الذى يفلت عادة من تقدير الانسان فى كل ضعف تقديره ، ونقص تفكيره .

وعلل الماضى ولّدت معلولات الحاضر ، ومعلولات الحاضر هى علل المستقبل . وهكذا الشأن الى ما لا نهاية مما يلقى على الانسان مسئولية ضخمة نامية فى ضرورة البحث عن السبيل الأصوب ، وبالتالى فى ضرورة التعرف على النواميس الخلقية للكون ، وتحديد موضعه منها .

وذلك لا يتأتى الا اذا تعرف على نفسه تعرفاً صحيحاً . ولهذا السبب وجّه سقراط نداءه الخالد « أيها الانسان : ان اعرف نفسك » .

خاتمة

قال ارسطو عبارة تروقنى كثيرا وهى أنه « اذا لزم التفلسف فلنتفلسف ، واذا لم يلزم فلنتفلسف أيضا لنثبت عدم لزوم التفلسف ». وعلة روعة هذه العبارة هى أن كل باحث جاد عن الحقيقة لابد ان يجد هذه العبارة وقد ارتسم مغزاها من جديد امام ناظريه . أى يجدها وقد « عادت الى التجسد » من جديد ، وربما بمغزى آخر جديد !

وها نحن هنا فى مقام اختتام موضوع العودة للتجسد لا أجد افضل منها اقدمه الى القارىء المقتنع بصحة هذا الاحتمال وبثبوته معمليا، وأيضاً المنكر لصحته ، ولامكان القول بثبوته ... لماذا ؟ لأن البينات الايجابية — كما ترى — وفيرة وفرة لا بأس بها ، وقوية قوة ينبغى أن تسترعى انتباه الباحث الجاد ، الراغب فى تفهم الأمور على حقيقتها .

ووفرة هذه البينات وقوتها أمران مستمدان ليس فحسب من عددها ونوعيتها ، بل ايضا من أن جميع الذين قاموا بتجميعها ليسوا بالمرة من انصار العودة للتجسد . او بالأقل لم يكونوا كذلك عندما بدأوا بحوثهم المثابرة فى هذا الموضوع الهام ، ولا راغبين فى اثباتها . فاذا كانوا قد اقتنعوا بها فيما بعد فلأن منطق الوقائع قد غلبهم على أمرهم ، وأمكنه فى النهاية أن يزحزح — فى مشقة بالغة وفى مقاومة شديدة — آراءهم المسبقة فى هذاالشأن ، والمشيدة بعناية واحكام على ان ميلاد الجسد بدأ وفناء الجسد ختام !

كما هما مستمدان ايضا من ترابط هذه البينات فى اثبات العودة للتجسد مهما كان مصدرها بين مصادر البحث المختلفة التى وصل اليها العلم الوضعى . وسواء أكانت هى تحقيقات التنويم المغناطيسى فى ظروف مؤاتية لبعض الوسطاء ، أم أكانت هى تحقيقات ظاهرة « رؤى من قبل » و «سمع من قبل» عندما يكون صاحب الظاهرة فى كامل يقظته ، أم أكانت هى تحقيقات الاتصالات الوساطية بكائنات متجسدة أم غير متجسدة ، أم أكانت هى تمحيص عناصر الفلسفة الباذخة التى تكشف عنها بحوث « علم الروح الحديث » . وهو علم محض وضعى ومرتبط بأسلوب المذهب العقلانى كما ارسى دعائمه « كنط » أكثر بكثير مما قد يتصور المؤيدون والمعارضون معا . وأسلوب كنط هو فى حقيقته امتداد وتعميق للمنهج

الفلسفي الذي نادى به أرسطو صاحب هذه العبارة العميقة المغزى التي وضعناها في صدر هذه الخاتمة .

ولا اريد ان اتحدث عن ذيوع هذا الاعتقاد لدى شعوب كثيرة ، وفي عصور كثيرة ، وعن استناده الى أسانيد دينية كثيرة ، لأن هذا الاستناد قد لا يرضى عنه المتزمتون من أتباع رينيه ديكارت ، وعمانوئيل كنط ، واوجست كونت ، ومن اليهم ممن يرون بحق ان ذيوع أي اعتقاد لا يصلح دليلا على صحته ، لأن الأوهام والخرافات أكثر ذيوعا بكثير من الحقائق الثابتة ، وهو أمر أسلم به تماما ، وأتفق معهم فيه الى آخر حدود الاتفاق .

ولكن من حقي ان الاحظ ترابط الأدلة التي قدمها المحققون العلميون مع العديد من المشكلات الفلسفية التي اعيت ولا تزال تعيي محبي الفلسفة في كل مكان : وهي مشكلات العدل الالهي ، والشر ، والألم ، والضمير ، والمصير الانساني ، والثواب والعقاب .. وكيف أن هذه البينات تلقي اضواء ساطعة من المحال ان يجد لها الانسان نظيرا في أي مقام آخر من مقامات البحث في القضايا الكلية وهي موضوع الفلسفة ، أو في القضايا الجزئية وهي موضوع العلم الوضعي .

ومن حقي أيضا ان اتحدث عن ترابط الأدلة التي قدمها أولئك المحققون المثابرون مع تلك الحقائق الثابتة التي وصل اليها العلم الوضعي عن المادة ، والعقل ، والطاقة ، والهيولي المحايدة ، والادراك خارج الحواس ، والذاكرة ، وعن خلود النفس الانسانية ، وعن التطور ، وعن دور اللاشعور ، وعن الوراثة أيضا .. حتى وان كنت أسلم تماما بأن المعارف الانسانية في هذه الأمور لا تزال تحبو في مهدها ولا تزال قاصرة كأشد ما يكون القصور .

ولكن مما يسترعي الانتباه حقا أن القدر المحدود الذي وصلت اليه معارف الانسان في شأن هذه الأمور كلها — وما افدحها من امور — يلتئم التئاما فريدا ، وتتوافق توافقا مثيرا مع النتائج التي سجلها المحققون المثابرون في الظواهر غير المألوفة مهما بعدت المسافات بينهم في الزمان او في المكان ، ومهما تنوعت أساليب التحقيق تنوعا كبيرا .

كأني بظاهرة العودة للتجسد — شأنها شأن سائر الظواهر الروحية المتصلة بموضوع دوام الحياة بعد موت الجسد المادي — تريد أن تتحدى العلماء وتثبت تفاهة مداركهم ، وضآلة معارفهم عن انفسهم . فما من ظاهرة منها أخضعت للتحقيق العلمي — في جو من الاستخفاف

التلم بالظاهرة وبمصدقيها - الا واذ بها مع الوقت الطويل تثبت تدريجيا ثبوتا تاما ، واذ بالظاهرة ترفع راسها عاليا لكى ترغم المكابرين والمعاندين على احناء رؤوسهم اجلالا امام عظمة الانسان فى عمق تكوينه واتساع ملكاته ، ومواهبه الظاهرة والدفينة ، وتفاهة عقله فى تفهم الغاز هذه الملكات والمواهب نفسها .

وهذا القول عن ظاهرة العودة للتجسد يصدق - بنفس المقدار - على ظواهر التلباثى أو انتقال الأفكار ، والادراك خارج الحواس E S P وتأثير العقل فى المادة ، والهالة والجسد الأثيرى ، وظهور الأطياف والتجسدات التامة والجزئية ، والخروج من الجسد المادى وبالجسد المادى ، والرؤى والأحلام والتنبؤات الصادقة ، والعلاج الروحى ، والمنازل المسكونة ، والمس الروحى والاستحواذ ، والمجلوبات والمأخوذات الروحية ، والصور العقلية التى تظهر على الألواح الحساسة ، والالهام والأدب الروحى .. وغير ذلك مما تناولناه فى الجزئين الأول والثانى من « مفصل الانسان روح لا جسد » بالدراسة التفصيلية والتحليل العلمى.

فكل هذه الظواهر لاقت فى مبدأ تحقيقها نفس المقاومة ، ونفس الزراية والاستخفاف بالظاهرة وبمصدقيها ، وذلك الى أن ثبتت - كلها - تدريجيا كاشد ما يكون الثبوت ، والى ان رفعت الظاهرة راسها عاليا لكى ترغم المحققين والمثابرين على أن يحنوا رؤوسهم ، ويراجعوا آراءهم المسبقة عن أنفسهم وعن علاقتهم بالكون الذى فيه يعيشون ، أو بالأدق فيه يلهون ويعبثون . وكأن أى واحد منهم طفل صغير يعبث فى عدم اكتراث بشعر راسه وهو لا يعلم ان كل شعرة منها تخفى اسراراً هائلة ، لا يمكن أن يدور بخلده وجودها ، ولا يمكن أن يصل اليها ادراكه المحدود ، حتى وان لم يعجز عن حمل كل هذه الاسرار على راسه الخاوى الصغير .

والآن فلنعد الى عبارة ارسطو ولنقل مثلما قال : اذا كانت كل هذه التحقيقات المترابطة فيما بينها ، وفيما بين سائر معطيات الفلسفة والعلوم الوضعية غير صحيحة ولا تنبىء عن صحة مبدأ العودة للتجسد ، اذاً فلنتفلسف ولنكتشف عدم صحة هذا الاعتقاد ! ولنقدم على بطلانه بينات ايجابية تعادل فى وفرتها وقوتها تلك التى تقف الى جانبه ، أو تفوقها ، أو لعلها تمحوها من الوجود محواً . وعندئذ فلنحنى رؤوسنا من جديد اجلالاً أمام عظمة الكون وخجلاً من تفاهة عقولنا ومداركنا عنانفسنا وعن هذا الكون نفسه .

ولكن الى ان تقدم الينا البينات المضادة الجديدة التى تهدر أو يحتمل أن تهدر تلك التى جمعها كد العلماء ونضالهم خلال قرن من

الزمان — او ما يجاوز القرن — فمن حقنا أن نقول أن العودة للتجسد عقيدة مفرطة فى أهميتها ، وفى عمق آثارها التى لا تنتهى عند حد فى تفسير الكثير من ألغاز الكون ، ومعميات الانسان . ومن حقنا أن نقول انه ينبغى متابعة دراستها وتمحيصها بلا توقف مع الاحتفاظ بها كمبدأ أولى عام الى أن نعثر على تأصيل علمى أفضل منها لكل هذه النتائج المتدفقة فى بحوث العلماء المثابرين ، اذا قدر هذا العثور بعد زمان طويل أو قصير ، وبعد عناء كثير أو يسير .

ثم فلنتساءل سؤالاً طبيعياً جداً — فى هذا المقام بالذات — وهو هل نجح العلم المادى فى تعليل الوراثة ، والتكوين الفطرى للانسان ؟ هل حقيقة يمكن الجزم بأنه فى اللحظة التى تدخل فيها خلية الأب فى بويضة الأم يتحدد كل شىء فى جنين المستقبل : جنسه ، وملامحه ، ولونه ، وصفاته ، وأمراضه ، وأخلاقه ، وميوله ... هل حقاً كل ذلك تحدده خلية الأب التى يبلغ وزنها ٦ من مليون من الجرام والتى يحوز منها بلايين لا تحصى فى القذيفة الواحدة ... ويقال انها — أو انها باتحادها ببويضة الأم — تحوز كل هذه الخصائص مجتمعة ؟

* * *

اخشى ان يكون هذا تدليساً باسم العلم لا علماً صحيحاً ! واخشى ان تكون هذه مضاربة جوفاء كالعديد الذى لا يحصى من مضاربات العلم الجوفاء التى ألقيت على عواهنها فى عصر اغبر كان العلم قد ارتبط فيه تماماً بالفلسفة المادية للوجود . لقد قرأت فى التكوين الفطرى أكثر مما قد يتصور القارىء محاولاً أن أجد تعليلاً واحداً مقنعاً للوراثة من الناحية البيولوجية فلم أجد . وعندما نقبت فى البحوث الروحية وجدت أن بحاث الروح يقدمون هذا التعليل ، بأسانيد واضحة مترابطة يتعذر رفضها الا لمن اعد ذهنه مقدماً للرفض وللمكابرة .

ثم من قال ان خلية الأب أو بويضة الأم لها تكوين عاطفى ، ولها ذاكرة شعورية أو لا شعورية ، ولها خصائص الانسان ؟ قد يكون لها حياة أو قدرة على الحياة كالنملة أو كالذبابة ، أما ما عدا ذلك فهى محرومة منه بتاتاً ، ولم ينازع اى انسان فى ذلك .

واخشى أن تكون البيولوجيا قد حاولت فحسب تعليل وراثة الجسد ، أما الروح فلم تحاول تعليلها لأن الروح لا تورث ! ولأن شخصية صاحبها تمثل نتاج تطور موغل فى القدم . وعندما أنكرت

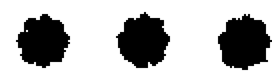
البيولوجيا — وهى علم الحيـاة — الروح اصبحت هى نفسها علم حيـاة بلا حياه ، اى بيولوجيا ميته على ما لاحظه برجسون الفيلسوف العظيم .

فالانسان يرث الجسـد من اجتماع جسدى ابويه ، وهـذا الارث يعلل تماما أوجه الشبه العديده التى كثيرا ما تتوافر الى حد ملفت للنظر بين الانسـان واحد ابويه او احد اجـداده (عملا بقـانون منـدل للوراثه) . اما روحه فهو يرثها من نفسه . او بالادق من ماضيه العريق ، واختباراته التى لا تحصى خلال هذا الماضى العريق . ولذا كثيرا ما نجد ان المولود العبقرى ينحدر من صلب اب غبى والمولود الغبى من صلب اب عبقرى ، والمولود الصالح من صلب اب طالح وبالعكس .

ولمـا كان التكوين العضوى يمكن ان يحدث تاثيره فى التكوين الروحى لصاحبه وبالعكس ، لان العقـل والمـاده يتفاعلان على الدوام ، فانه من المتصور ان نجد بعض التوافق بين عقل الانسان ومظهره ، لا كل التوافق ، لان قوانين الوراثه بوجه خاص ، والبيولوجيا بوجه عام ، تلعب دائمـا دورها فى تحقيق هذا التوافق ولو الى حد ما . ولو على نحو ما ، والا اذا تداخلت عوامل جديده يمكن ان تسند الى قوانين روحيه اخرى .

فكل هذه الحقائق الروحيه تلقى اضواء لا غنى عنها فى تفسير بعض ظواهر الوراثه ، وتفقدها تمـاما ، لو اننـا صممنا على القـول بان كل خصائص الانسان كامنه فى خليه الاب وبويضة الام ... هذا القول الذى قد يعلل تكوين الرداء الخارجى ، لا الانسان صاحب هذا الرداء ، والمندمج فيه اندماجا تاما او شبه تام ولو الى حين :

ولعل هذا الاندماج ما كان ليحدث بدوره لولا وجود روابط عريقة وربما اعرق مما نتصـور بين أفراد الأسره الواحده ، والمجتمع الواحد ، والوطن الواحد ، والقارة الواحـدة ، بل والكوكب الواحد ايضا . ولولا وجود اهـداف خطيرة ، واخطـر بكثير مما نعـتقد ، كامنه وراء هـذا التخطيط الذى جادت به قدرة جليلة من عند عزيز حكيم والذى يسمو على مستوى مداركنا بما يتجاوز كل قياس .



ثم فلنتسـاءل سؤالا آخر طبيعيا — فى هذا المقام بالذات — وهـو هل نجحت الفلسـفة — حتى الفلسفة النظرية فى الروح وفى الوجود — فى تعليل مفارقات الدهر التى لا تحصى ، ومظالمه التى لا تنتهى ؟ هل حلت الفلسفة النظرية حلا مقنعا مشكلات العـدل الالهى ، والالم ، والشر ، والتخيير ، والمصير ؟ .. او هل قدمت للعقل حلولا — او اشباه حلول — فى هـذه الامور يطمئن اليها حقـا العقل الباحث عن الاقتناع ، والوجدان الباحث عن الاطمئنان ؟

اننى ايضاً اخشى أن تكون حلول الفلسفة النظرية فى هـذه الأمور هى بدورها تدليساً باسم الفلسفة ، لا فلسفة صحيحة . واخشى أن يكون دور الفلسفة النظرية هنا هو ابعادنا عن الحقائق لا مساعدتنا فى الوصول اليها . فالفلسفة هنا لم تتواضع وتبحث الأمور فى هدوء وفى روية ، كما فعـل المنقبون الجادون عن حقائق الروح والوجود فى هدوء وفى روية ، ولمدى عشرات من سنى البحث الحذر ، المثابر ، الناقد ، الموضوعى .

واسلوب الفيلسوف النظرى يعتمد أصـلاً على محض استدلالات مرتجلة لحـل القضـايا الكلية قد تصيب وقد تخطىء ، بل تخطىء غالباً اكثر مما تصيب . وهـو لا يشعر انه مطالب بتقديم الدليل على صحة ما يقول ، واذا قـدمه فهو فى كثير من الأحيان من ضروب المصادرة على المطلوب . اما اسلوب الفيلسوف أو المفكر الوضعى فهو يعتمد فى كل لبنة من لبناته على محض وقائع جمعها فى مثابرة وتأن على أوسع نطاق ممكن ، واخضعها لأسلوب التمحيص الناقد والتحليل الدقيق . ولذا فهـو فى المعتاد اكثر اعتدالاً فى استدلالاته ، واكثر تدقيقاً فيها واكثر قدرة على اثباتها والدفاع عنها . وبالتالى فهو أقرب الى الوصول الى قلب الأمور من الأسلوب الأول .

واذا كان هـذا هو شأن الفلسفة الوضعية فى الكشف عن مجاهل الوجود المـادى ، فهو شأنها ايضـاً — ومن باب أولى — فى الكشف عن مجاهل وجودنا الروحى التى هى أعصى من غيرها على الارتيـاد الآمن . ولذا كان الفيلسوف هنرى برجسون على حـق تمـاماً عندما لاحظ منذ اكثر من ستين عاماً انه : « لو انصرف العـلم الى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غـير يقينى ولا دقيق مهما تقـدم . ولعله ما كان يميّز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب ، وبين ما ينبغى ان يقبـل قبولا نهائيـا .

اما اليوم — وقد اصبحنا بفضل دراستنا نحسن هذا التمييز، ونتمتع بالمزايا التى تقتضيها — فاننا نستطيع أن نغامر بدون ما خوف فى هـذا الربع الذى لم يكد يستكشف بعد ، ربع الوقائع الروحية . فلنتقدم فى جراة عاقلة ، ولنلق عن اكتافنا تلك الميتافيزياء (ما وراء الطبيعة) السيئة التى تعرقل حركاتنا . ويقينى ان علم الروح سيؤدى الى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال » (١) .

وها هى الأيام تمضى سراعا منذ قال برجسون هذه الكلمات المليئة

(١) للمزيد عن آراء برجسـون فى الروح والبحث الروحى والتطور راجع ما ورد فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٧٢ — ٣٧٥ ، والجزء الثانى ص ٣١ — ٣٧ .

بالمغزى ، وها هو كل يوم منها يثبت انه كان على حق ، وربما اكثر مما قدر هو نفسه وتوقع من هجر أسلوب « ما وراء الطبيعة » الى اسلوب استكشاف الوقائع الروحية فى جراة عاقلة ، وصلت الى نتـــائج كثيرة تسبب الحيرة والذهـــول ، وتحف بها الخطورة من جميع جوانبها ، ولن يمضى طويل وقت حتى تدخل الى اطار البديهيات عند رغبة معالجة قضايا الانســان ، أو بالأدق الانسان بوصفه أعقد قضايا هذا الوجود .

* * *

ثم لا يسعنى — ايها القــارىء — الا ان اضـــع امامك هـــذه الخواطر التى جالت ببال المفكر الألمــانى جوتهولد لسنج G. Lessing (١٧٢٩ — ١٧٨١) ، فلا اجد افضل منها للتعبير عما يجول الآن ببالى ، وما أرجو ايضا ان يجول ببالك انت ، وذلك عندما قال : « ان متعـــة الانسان لا تنحصر فى امتلاكه للحقيقة ، وانما هى تنحصر فى الجهـــد الذى يبذله من أجل العمل على بلوغها .. ولا تنمو ملكات الانسان بامتلاك الحقيقة ، بل بالبحث عنها ، كما ان كماله المتزايد لا يتمثل الا فى هـــذا المظهر وحـــــده .

والحـــق ان امتلاك الانسان للشىء يميـــل به الى الركود والتكاسل والغرور . ولو ان الله وضع الحقائق كلها فى يمينى ، ووضع فى يسارى شوقنا المستمر اليها — وان اخطأناها دائما — ثم خيرنى ، لســـارعت الى اختيار ما فى يسارى ، قائلا له : « رحماك يا ربى فان الحق الخالص لك انت وحدك » .

ومن يدرى ! فلعل هـــــذا الشوق المستمر الى الحقـــائق هو العلة الحقيقية الكائنة وراء تجسدنا فى عالم الاختبار ، ثم عودتنا للتجســـد فى نفس هذا العالم . فالانسان لا يتعلم الحياة من نعيم التأمل بل من جحيم التألم ، ولا يتعلمها من الاستماع او من القراءة ، بل من الممارسة العملية . وبالتألم وبالممارسة تنمو ملكاته وينمو كماله المرجو فى سفر الحياة كمـــا يدعه الاله ، الذى لا يريد لأحد الشقاء او الضـــياع ، بل بالعكس يريد للجميع البقاء ثم الارتفاع .

وذلك حتى يستحق ان يشغل الانسان المكان السامى المعـــد له منذ بدأ تأسيس الكرة الضئيلة التى نشغلها ، لا منذ بدأ الزمان كما يقال فى بعض الاحيان ، لأن الزمان كالدائرة لا يعرف له بدأ ولا انتهاء ، او بالأدق لقد عرفوا بالفعل انه لا بدأ له ولا انتهاء !

عن بعض المراجع فى العودة للتجسد

لمن يريد المزيد فى « العودة للتجسد » أن يرجع الى بعض المراجـــع العلمية ، وهى وفيره ، واوفر مما قد يخطر على بال اى قارىء . وقـــد اخترنا منها ما يلى :

أولا : باللغة الانكليزية

— وليام ولكر أتكنســون W. Walker Atkinson وله مؤلف عنوانه « العوده للتجسد وقانون الكارما » (١٩٠٨) (١) .

— ليزلى ويذرهيد Leslie Weatherhead وله مؤلف عن « قضـــية العوده للتجسـد » (٢) .

— ا . د . والكر E. D. Walker وله مؤلف عن « العـــودة للتجسد . دراسة لحقيقة منسية » (١٩١٩) (١) .

— وللسيدة هيلين بتروفا بلافاتسكى H. P. Blavatsky مؤسسة « المدرسة الثيوصوفيـــة » بحوث فى هذا الشأن فى مؤلفهـــا « ايزيس بلا نقاب » (١٨٧٧) (٤) و « الفقه الخفى » (١٨٨٧) (٥) .

— وللسيدة انى بيزانت Annie Beasant وهى من أعـــلام هذه المدرسة عدة كتب فى هذا الشأن منها « العودة للتجســـد » (٦) . كما تعرضت له فى بعض مؤلفاتها الأخرى مثل « الحكمة القديمـــة » (٧) (١٨٩٧) ، و « الحياة الروحية » (٨) (١٩١٢) ، و «حياة الانسان فى هذا العالم ، وفى العوالم الأخرى » (١٩١٣) (٩) .

---

(١) Reincarnation And The Law Of Karma.

(٢) The Case For Reincarnation.

(٣) Reincarnation : A Study Of Forgotten Truth.

وفى نهايته يجـد القارىء بيان بالمئات من المراجع باللغات اللاتينية ، والالمـانية ، والفرنسية ، والانكليزية ، وفى المجـلات العلميـة والفلسـفية المتنوعة ، وذلك لمن يريد الاستزادة فيه .

(٤) Isis Unveiled

وله ترجمة فرنسية عنوانهـا Isis Devoilée.

(٥) The Secret Doctrine.

وله ترجمة فرنسية عنوانهـا La Doctrine Secrète.

(٦) Reincarnation.

(٧) The Ancient Wisdom.

(٨) The Spiritual Life.

(٩) Man's Life in This And Other Worlds.

— ولنفس المؤلفة بالاشتراك مع الأسقف ك . و . ليدبيتر C. W. Leadbeater وهو بدوره من أعلام المدرسة الثيوصوفية — كتاب قيم فى جزئين بعنوان « حيوات السيون » (١) (١٩٢٤) .

— وللبحاثة ف. بلاى بوند F. Bligh Bond مؤلفان فى هذا الشأن أولهما بعنوان « بوابة الذكرى » (٢) وثانيهما بعنوان « حملة أفالون » (٣) (١٩٢٤) .

— وللبحاثة الارلندى المعروف شو دزموند Shaw Desmond كتاب عنوانه « العودة للتجسد لكل انسان » (٤) .

— وشيرلى رالف Shirley Ralph وله كتاب عن « مشكلة الميلاد الثانى » (٥) (١٩٢٤) .

— ل. ستانلى جاست L. Stanley Jast وله مؤلف عنوانه « ماذا يعنى كل هذا » ؟ (١٩٤١) (٦) .

— ت. كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys وله مؤلف عنوانه « الكارما والعودة للميلاد » (١٩٤٣) (٧) .

— روبرت جيمس ليز Robert James Lees وله مؤلف عنوانه « دراسة فى العودة للتجسد » (٨) .

— وقد أملى عالم النفس المعروف فردريك مايرز (٩) بياناً من هناك عن صحة العودة للتجسد تجده فى كتاب للوسيطة جيرالدين كامينز Geraldine Cummins عنوانه « الطريق الى الخلود » (١٠) (١٩٣٢) .

---

(١) The Lives Of Alcyone

(٢) Gate Of Remembrance

(٣) The Company Of Avalon.

وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الأول ص ٤٠٣ .

(٤) Reincarnation For Everyman.

(٥) The Problem Of Rebirth

(٦) What It All Means.

(٧) Karma And Rebirth.

(٨) An Astral Bridgegroom : A Reincarnation Study.

(٩) راجع ما ورد عنه فى « المفصل » الجزء الأول ص ٣٨٢ — ٣٨٥ .

(١٠) Road To Immortality.

— ولآرثر هيل Arthur Hill بحث فى هذا الشأن فى « مضابط جمعية البحث الروحى » بلندن . المجلد الثامن والثلاثون بعنوان « بعض مخطوطات تلقائية عن « العودة للتجسد » (١) .

— لويس كريستوفورو بوستيلونو Louis Cristoforo Postiglono وله مؤلف عنوانه « أسس الفلسفة العلمية عن دوام الحياة بعد الموت والعودة للتجسد » (١٩٥٦) (٢) .

— جيوفرى هودسون Geoffrey Hodson وله مؤلف عنوانه : « العودة الى التجسد ، وهل هى حقيقة أم خيال ؟ » (٣) .

— فرانسيس ستورى Francis Story وله كتاب عنوانه « قضية الميلاد الثانى » (٤) (١٩٥٩) .

— دكتور سوشيل بوز Sushil Bose وله مؤلف عنوانه « حياتك الأخيرة والمقبلة » (١٩٥٩) (٥) .

— لورانس تمبل Lawrence Temple وله كتاب عنوانه « الأخ المشرق » (١٩٤٠) (٦) .

— جورج ب. براونيل G. Brownell وله كتاب عن « العودة للتجسد » (١٩٤٦) (٧) .

— وجيمس سكادى بركنز James Scuddy Perkins وله مؤلف عنوانه « من الموت الى العودة للتجسد » (٨) (١٩٦١) .

— و ك .ج. ديكاس C. J. Ducasse الأستاذ بجامعة براون وله مؤلف تناول فيه هذا الموضوع عنوانه « الاعتقاد فى حياة بعد الموت » (١٩٦١) (٩) .

---

(١) Some reincarnationist Automatic Scripts

(٢) Fundamental Scientific Philosophy About Survival And Reincarnation.

(٣) Reincarnation Fact Or Fallacy ?.

(٤) The Case For Rebirth.

(٥) Your Last Life And Your Next.

(٦) The Shining Brother.

(٧) Reincarnation.

(٨) Through Death To Rebirth.

(٩) The Belief In A Life After Death.

- و ن . سمارت N. Smart وله كتاب عنوانه « الفقه واسانيده فى الفلسفة الهندية » (١٩٦٤) (١) .

- وجوزيف هيد Joseph Head بالاشتراك مع س. ل. كرانستون S. L. Cranston ولهما معا كتاب عنوانه « العودة للتجسد : أصولها فى الشرق والغرب » (٢) .

- وجينا كيرمينارا Gina Cerminara ولها كتاب تناولت فيه هذا الموضوع عنوانه « منازل كثيرة » (٣) وآخر عنوانه « العالم الذى بالداخل » (٤) .

- ج. هـ. برينان J. H. Brennan وله كتاب عنوانه « خمسة مفاتيح للحيوات السابقة » (٥) .

- ت. كريستماس همفريز T. Christmas Humphreys وله كتاب عنوانه « الكارما والعودة للميلاد » (٦) .

- كريستين هارتلى Christine Hartley ولها كتاب عنوانه « حالة عودة للتجسد » (٧) .

- و أ. و. ريال E. W. Ryall وله كتاب عنوانه « دورة للمرة الثانية » (٨) .

- ايان ستفنسون Ian Stevenson استاذ التحليل النفسى بجامعة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية وله كتاب « عشرون حالة ترشح للعودة للتجسد » (١٩٦٦) (٩) .

- ونوفل لانجلى Novel Langely وله مؤلف عن « موقف ادجار كايس من العودة للتجسد » (١٩٦٧) (١٠) .

---

(١) Doctrine And Argument In Indian Philosophy.

(٢) Raincarnation : An East - West Anthology.

(٣) Many Mansions.

(٤) The World Within.

(٥) Five Keys To Past Lives.

(٦) Karma And Rebirth.

(٧) A Case For Reincarnation.

(٨) Second Time Round.

(٩) Twenty Cases Suggestive of Reincarnation.

(١٠) Edgar Cayce On Reincarnation.

— كارل موللر Karl Muller وله كتاب عنوانه « العـودة للتجسد مؤسسة على وقائع » (١) (١٩٧٠) .

— روبرت ا. سميث Robert E. Smith وله كتاب عنوانه « نحن نحيا حيوات متعددة » (٢) (١٩٧١) .

— وسوامى ابهد داناندا Swami Abhedananda وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد » (٣) (طبعة تاسعة ١٩٦٨) .

ثانيا باللغة الفرنسية :

— آلان كاردك Allan Kardec وهو اب هذا الفقه فى البلاد ذات الحضارة اللاتينية وقد عرضه فى عدة مؤلفات أهمها « كتاب الأرواح » (٤) (١٨٥٦) . بالاضافة الى كتاب آخر وهو « الجنة والنار » (٥) (١٨٦٥) .

— ليون دنيز Léon Denis وله فى هذا الشأن « مشكلة الكائن والمصير » (٦) .

— أوجين البير دى روشا Eugene Albert De Rochas وله كتاب « الحيوات المتتابعة » (٧) (١٩١١) .

— الدكتور جوستاف جيلى G. Geley وقـد تناول هـذا الموضوع فى مؤلف من أجمل مؤلفاته وهو من « اللاشعور الى الشعور » (١٩٢١) (٨) .

— ا. كالدرون E. Calderone وله مؤلف عن « العودة للتجسد بحسب الدكتور جيلى » (٩) .

---

(١) Reincarnation Based On Facts

(٢) We Live Many Lives

(٣) Reincarnation.

(٤) Le Livre des Esprits.

(٥) Le Ciel Et L'enfer.

(٦) Le Problème de L'Etre et De La Destinée.
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٦٩ — ٤٧٢ .

(٧) Les Vies Successives
وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

(٨) De L'Incoscient Au Conscient.

(٩) La Reincarnation D'Après Dr. Geley.

ـ الدكتور جيرار انكوس (بابيس) Gérard Encausse (Papus) وله مؤلف بعنوان « العودة للتجسد » (١) .

ـ جابريل ديلان Gabriel Délanne وله كتاب عنوانه « دراسة للحيوات المتعاقبة » (٢) ، وآخر عنوانه « وثائق تنفع فى دراسة العودة للتجسد » (٣) .

ـ شارل لانسلان Ch. Lancelin وله كتاب عنوانه « العودة للتجسد » (٤) ، وآخر عنوانه « كيف يموت الانسان وكيف يولد » (٥) .

ـ الدكتور ا . برنارد A. Bernard وله كتاب عن « الحيوات المتعاقبة » (٦) .

ـ الأب الطا Abbé Alta وله مؤلف عن « وحدة وجود الروح وتعدده » (٧) .

ـ جورج باربارن George Barbarin وله مؤلف عنوانه « عشت مائة مرة » (٨) .

ـ وهنرييت جوتيل جاى Henriette Joutel Gay ولها كتاب عنوانه « تلك الأخرى التى كانت أنا » (٩) .

ـ سيمون سان كلير Simone St. Claire ولها مؤلف عنوانه « حيواتنا السابقة » (١٠) .

ـ الدكتور ادوار برتوليه Ed. Bertholet وله مؤلف عنوانه « العودة للتجسد » (١١) (١٩٤٩) .

---

(١) La Reincarnation.

(٢) Etudes des Vies Successives

(٣) Documents Pour Servir A L'étude De La Reincarnation.

وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٧٠ ـ ٤٧٢ .

(٤) La Reinarration.

(٥) Comment On Meurt, Comment On Nait.

(٦) Les Vies Successives.

(٧) Unité et Pluralité Des Existences De L'Ame.

(٨) J'ai Vecu Cent Fois.

وراجع ما ورد عن المؤلف فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٨١ .

(٩) Cet Autre qui Fut Moi.

(١٠) Nos Vies Antérieures.

وراجع ما ورد عن المؤلفة فى « المفصل » الجزء الاول ص ٤٨١ .

(١١) Réincarnation.

- بيير نوفيل Pierre Neuville وله مؤلف عنوانه « تلك الحيوات الأخرى التى عشتها مع ذلك » (١٩٧٠) (١) .

ثالثا : باللغة العربية (بترتيب ابجدى) :

- ج. دى بور : ترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة فى كتاب « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » .

- جوفرى هدسن : ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى فى كتاب « العودة الى الحياة ، وهل هى حقيقة أم خيال ؟ » (١٩٥٧) .

- عبد الرزاق نوفل فى كتاب « أسرار وعجب » (١٩٧١) .

- عبد العزيز جادو وله كتاب « العودة للتجسد فى مفهومها العلمى الحديث » (١٩٧٤) .

- عبد القادر حمزة فى كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » (١٩٤١) .

- محمد على ابو ريان فى كتاب « أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردى » (١٩٦٩) .

- محمد غلاب فى كتاب « التصوف المقارن » .

- مرجريت مرى : ترجمة الأستاذ محرم كمال فى كتاب « مصر ومجدها الغابر » (١٩٥٧) .

---

(1) Ces Autres Vies que Vous Avez Pourtant Vécues.

فى العودة للتجسد

بين الاعتقاد والفلسفة والعلم

الصفحة

ـ **تمهيد** ١
ـ عن الوضع العلمى للمشكلة ١
ـ صلة هذه المشكلة بالخلود ٢
ـ نقد « التناسخ » ٥
ـ عن تزايد الاهتمام بالمشكلة ٦
ـ تبويب ١٥
الفصل الأول : فى « العودة للتجسد » كعقيدة وكفلسفة . . . ١٧
المبحث الأول : عن « العودة للتجسد » عند الفراعنة والاغريق ١٧
ـ عن موقف قدماء المصريين ١٨
ـ عن موقف الاغريق ١٩
ـ عن الموقف فى أوروبا القديمة ٢٣
المبحث الثانى : عن « العودة للتجسد » فى المسيحية . . . ٢٤
ـ بعض الآيات ٢٤
ـ موقف بعض آباء الكنيسة ومؤسسيها ٣٠
ـ عن موقف سانت أوريجين ٣١
ـ عن قرار « المجمع المسكونى الخامس » ٣٦
ـ متابعة لموقف آباء الكنيسة ٤٠
ـ عن موقف بعض المذاهب والنحل ٤٢
ـ ماذا يقول ميخائيل نعيمة ؟ ٤٣
ـ ماذا يقول وذرهيد ؟ ٥٠
المبحث الثالث : عن « العودة للتجسد » فى الاسلام . . . ٥٢
ـ بعض الآيات ٥٢
ـ من اقوال الكندى ٥٤
ـ عن موقف السهروردى ٥٥
ـ عن موقف بعض المذاهب والنحل ٥٧
ـ ماذا يقول ابن الخطيب ؟ ٥٨

الصفحة

- ماذا يقول الدكتور نوفل ؟ ٥٩
- ماذا يقول الأستاذ جادو ؟ ٦١
- ماذا عن موقف الأستاذ الكيك ؟ ٦٥
المبحث الرابع : عن « العودة للتجسد » فى الديانات الافريقية ٧٠
- كلمة لابد منها ٧٢
المبحث الخامس : موقف لفيف من أعلام الفلسفة والفكر من مشكلة « العودة للتجسد » ٧٥
- بعض الفلاسفة والمفكرين ٧٥
- عن مصدر اقتناعهم ٧٧
- طائفة أخرى من المفكرين والحكماء ٨٠
- بين دوام الوجود والعودة للتجسد ٨٠
- ماذا يقول جبران ؟ ٨٢
الفصل الثانى : فى موقف العلم الحديث من « العودة للتجسد » . ٨٥
- بعض الباحثين الوضعيين ٨٥
- ماذا عن الحركة الثيوصوفية ؟ ٨٨
- تبويب ٨٩
المبحث الأول : عن اختبارات « ارجاع الذاكرة » بالتنويم المغناطيسى ٨٩
المطلب الأول : من اختبارات دى روشا فى ارجاع الذاكرة ٨٩
- حالة السيدة روجيه (فى تجسدها الراهن) . ٩٢
- عن التجسد الأول (السابق له مباشرة) . . ٩٤
- عن التجسد الثانى ٩٥
- عن التجسد الثالث ٩٧
- عن التجسد الرابع ٩٨
- عن التجسد الخامس ٩٨
- عن التجسد السادس ٩٩
- عن التجسد السابع ٩٩
- عن التجسد الثامن ١٠١
- عن التجسد التاسع ١٠١
- عن التجسد العاشر ١٠٢
- عن التجسد الحادى عشر ١٠٣
المطلب الثانى : من اختبارات باحثين متعددين فى موضوع ارجاع الذاكرة ١٠٦

الصفحة

- تنويم مغناطيسى مع استحواذ وعودة للتجسد . ١٠٦
- أختبار له مغزاه لاميرين بولنديين ١٠٨
- من اختبارات بيير نوفيل ١٠٩
- ماذا قالت جيزلين ؟ ١١٠
- مارى ليز غير منظورة وحاضرة ١١١
- الانتقال الى مسارح الأحداث ١١٩
- تعليق ١٢٢
- من اختبارات أدجار كايس وآرائه ١٢٤
- من اختبارات مورى برنشتين ١٢٧
- اختبارات لاحقة من نفس النوع ١٣٢
- متابعة لنفس الاختبارات ١٣٢
- حالة هيلين سميث ١٣٤
- ماذا يقول كولن ويلسون ١٣٤

المطلب الثالث : عن التعليل العلمى لظاهرة ارجاع الذاكرة ١٣٨

المبحث الثانى : عن ظاهرتى « رؤى من قبل » و « سمع من قبل » ١٤٠

المطلب الاول : طائفة من الوقائع والتحقيقات . . . ١٤٢
- ماذا يقول لامارتين ؟ ١٤٢
- طائفة اخرى من « ذكريات » بعض الأعلام . . ١٤٣
- بعض الوقائع التى تأيدت بتحقيقات ١٤٦
- حالة صبية هندية ١٤٦
- دليل قضائى عن حياة سابقة ١٤٨
- قوة الذاكرة تتعزز بأدلة مادية ١٤٩
- استرداد الذاكرة والموهبة ١٥٠
- جندى يولد من جديد ١٥٠
- متابعة لحالات أخرى ١٥٢
- من تحقيقات ستفنسون : ١٥٢
- حالة عماد الأعور ١٥٣
- من حالات هنود التلنجيت ١٥٧
- حالة نيرمال براكاش ١٥٨
- حالة ويجيراتن ١٦٠
- حالة وارنا سيرى أديكارى ١٦٢
- حالة جنانا تيليكا ١٦٤

الصفحة

المطلب الثانى : عن التعليل العلمى لظاهرتى « رؤى أو سمع
من قبل » ١٦٦
— ملاحظات مبدئيـة ١٦٦
— من تعليقات ستفنسون على نتائج تحقيقاته . . ١٦٩
— من حديثين له مع جريدة بريطانية ١٧٣
— عن التمييز بين العودة للتجسد والاستحواذ . . ١٧٥
المبحث الثالث : عن بعض النتائج العلمية الهـامة التى خلص
اليهـا الباحثون ١٧٩
— ماذا يقول موللر ؟ ١٨٠
— عن موطن الذاكرة ١٨٣
— عن تغيير الجنس ١٨٥
— آفاق جديدة فى التحليل النفسى ١٨٧
— من آراء دوك اندرسون ١٩٢
— ماذا يقول ارنول بلوكسهام ؟ ١٩٤
المبحث الرابع : بعض اختبارات فريدة فى الأحلام والاتصالات
الروحيـة ١٩٥
— حالة كانت موضوع رسالة دكتوراه فى الطب . . . ١٩٥
— بعض شهودها ٢٠١
— صور للمقارنة ٢٠٢
— اختبارات اخرى عن طريق الاتصالات الروحية . . ٢٠٤
— اختبارات اخـرى ٢٠٥
— اختبارات لها دلالتها فى تجسدات الأرواح . . . ٢٠٨
— اعتبارات ينبغى أن تراعى ٢١٠
المبحث الخامس : آراء بعض الأرواح فى شأن «العودةللتجسد» ٢١١
— عن موقف الأرواح بوجه عام ٢١١
— من حوار بين كاردك وبين بعضها ٢١٣
— من حوار بين سوافر وسيلفر بيرش ٢١٩
— من حوار بين هوايت راى ووسيطته ٢٢١
— ماذا يقول هوايت ايجل ؟ ٢٢٥
— ماذا يقول روح فون ليست ؟ ٢٢٦
— ماذا يقول روح آرثر فورد ؟ ٢٢٨
— ماذا عن أسلوب العودة ؟ ٢٢٩
الفصل الثالث : فى بعض المعلومات والحقائق العامة بقدر اتصـالها
بالعودة للتجسد ٢٣٤

الصفحة

المبحث الأول : عن بعض الحقائق العامة فى الطبيعيات وفى الذات بقدر اتصالها بالعودة للتجسد . . ٢٣٤
- عن بعض المبادىء الطبيعية العامة ٢٣٤
- عن « النظرية المركبة » للعقل ٢٣٨
- عن « الهيولى المحايدة » ٢٤١
- عن النبوغ المبكر ٢٤٥
- عن وحدة « الليبيدو » ٢٤٧
- عن بعض ألغاز شخصية الانسان ٢٤٩
- عن أحلام الأجنة ومشاعرها ٢٥٢

المبحث الثانى : عن « نظرية التطور » بقدر اتصالها بالعودة للتجسد ٢٥٤
- التطور حقيقة علمية ٢٥٤
- التطور والايمان ٢٥٧
- التطور فى المفهوم الثيوصوفى ٢٥٨
- تعليق ٢٦٣
- من اتجاهات الفلسفة الهندية ٢٦٣
- التطور ودورات الحياة ٢٦٤
- التطور والسببية ٢٦٦
- التطور والتناسق ٢٦٩
- التطور والحكمة ٢٧٠
- بين تطور الانسان وتطور الحيوان ٢٧٢
- من أقوال الباحثين الروحيين ٢٧٦

المبحث الثالث : عن التطور من اللاشعور الى الشعور (بحسب آراء جوستاف جيلى) ٢٧٩
- عن التمييز بين صورتين من الارادة ٢٨٠
- عن ماهية « الانا » ٢٨٢
- عن دورات النمو فى مجرى الحياة ٢٨٣
- علاقة ذلك « بالعودة للتجسد » ٢٨٤
- عن مستقبل الانسان ٢٨٥
- عن تحقيق سيادة الوعى ٢٨٦
- وظيفة النسيان ٢٨٨
- تعليق ٢٩٢
- عن موقف برجسون واينشتين ٢٩٧

الصفحة

المبحث الرابع : ماذا عن قانون « الكارما » أو الجزاء من جنس العمل ؟ ٣٠٢
ــ ماذا يقول همفريز فيه ؟ ٣٠٤
ــ « الكارما » فى المفهوم الثيوصوفى ٣٠٩
ــ « الكارما » والعدالة الالهية ٣١٢
ــ صلة « الكارما » بالبله والجنون ٣١٤
ــ ماذا يقول ماترلنك « فى الكارما » ؟ ٣١٨
ــ ماذا يقول كايس فيه ؟ ٣٢٠
ــ تعليق ٣٢٣
ــ عن أثر « الكارما » فى طبائع الشعوب ٣٢٦
المبحث الخامس : عن « العودة للتجسد » فى بعض جوانبها العامة (بحسب آراء شو دزموند) . . ٣٢٨
ــ ماذا عن دزموند ؟ ٣٢٩
ــ عن التذكر ٣٣١
ــ المغامرة المجيدة ٣٣٢
ــ « اخيلة الحب » والعودة للتجسد ٣٣٥
ــ هل من تخطيط ؟ ٣٣٦
ــ عن الفترة بين التجسدات ٣٣٨
ــ عن التطبيق على الحياة ٣٤٠
ــ هدف « العودة للتجسد » ٣٤٢
ــ تعليق ٣٤٧
خاتمة ٣٤٩

عن بعض المراجع فى العودة للتجسد

اولاً : باللغة الانكيزية ٣٥٦
ثانياً : باللغة الفرنسية ٣٦٠
ثالثاً : باللغة العربية ٣٦٢

ثانيا : فهرس الصور

الصورة (مع حفظ القاب الأشخاص)	الصفحة
اوليفر لودج	٣
افلاطـون	٢١
م. نعيمة	٤٣
عبد العزيز جادو	٦١
جبران خليل	٨٣
دى روشـا	٩٠
ادجار كايس	١٢٤
القس « جاى » يوقع زوجته فى الغيبوبة	١٢٩
كولن ويلسون	١٣٦
ايان ستفنسون	١٥٣
عماد الأعور	١٥٦
كارل موللر	١٨٠
الكسندرين (الطفلة العائدة للتجسد)	٢٠٢
الكسندرين وشقيقتها التوام مارى باتش	٢٠٣
سيلفر بيرش (الروح)	٢١٩
آرثر فورد	٢٢٨
لحظة نزول الروح الى بطن الأم	٢٣٣
تشارلى بروض	٢٤٠
وليـام جيمس	٢٤٢
ليون دنيز	٢٧٧
جوستاف جيلى	٢٨٠
شو دزموند	٣٢٩

تصويب

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
٣٢	٢٢	يعمل	فقهه ينتشر
٧٦	١٤	Hárder	Herder
٧٧	١٩	Flammarioh	Flammarion
٢٠٥	هامش (١)	Pevue	Revue
٢٠٧	٥	يدى	يدعى
٢١٩	١	سيلر	سيلفر
٢٢٦	١٤	جبيثا	خبيثا
٢٤٢	٣	Rassell	Russell
٢٤٦	١٩	شقانية	شفافية
٢٥٠	١٦	حياته	حياة
٣٣١	٣	(١٣)	(٢)
٣٤٨	١٦	جممنا	جمعتنا

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٤٠٥٤

المـؤلف
(الطبعات الأخيرة)

* * *

فى التشريع العقابى

- « **مبادىء القسم العام من التشريع العقـابى** » . ظهرت طبعتـه الثالثة فى سنة ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .
- « **السببية فى القـانون الجنائى : دراسـة تحليلية مقارنة** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **فى الجرائم وعقوباتها** » . دراسة فى القسم الخاص من قانون العقوبات المصرى . ظهر فى سنة ١٩٥٣ .
- « **جرائم التزييف والتزوير فى القـانون المصرى** » . ظهـرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٥٤ .
- « **جرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال** » . ظهـرت طبعتـه السادسة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **شرح قانون العقـوبات التكميلى** » . فى جرائم المخـدرات . الأسلحة والذخائر . التشرد . الاشتباه . التـدليس والغش . تهريب النقد . ظهرت طبعته الرابعة فى سنة ١٩٦٨ .

فى علم الاجرام

- « **مبادىء علم الاجرام** » . ظهرت طبعته الثالثة فى سنة ١٩٧٤ .

فى الاجـراءات الجنائية

- « **مبادىء الاجراءات الجنائية فى القانون المصرى** » . ظهـرت طبعته العاشرة فى سنة ١٩٧٤ .
- « **المشكلات العملية الهـامة فى الاجراءات الجنائية** » . ظهـرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٣ فى جزئين : ـ

الجزء الأول : دراسات فى تكييف الواقعة . القبض والتفتيش . حق الدفاع . استظهار قصد القتل . دعوى البلاغ الكاذب . الدعوى المدنية .

الجزء الثانى : دراسات فى الطعن فى الأحكام وأوامر الاحالة .

— « **ضوابط تسبيب الاحكام الجنائية فى قضاء النقض المصرى** »
ظهر فى سنة ١٩٥٦ .

فى فلسفة التشريع

— « **فى التسيير والتخيير : بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون** »
ظهرت طبعته الثانية فى سنة ١٩٧٦ .

فى علم الروح الحديث

— « **مفصل الانسان روح لا جسد** » ظهرت طبعته الرابعة فى ثلاثة اجزاء كالآتى : —

الجزء الاول : الخلود حقيقة وضعية (١٩٧٥) .
الجزء الثانى : الخلود والقضايا العلمية (١٩٧٦) .
الجزء الثالث : الخلود والقضايا الفلسفية (١٩٧٦) .

— « **عروس فرعون وشوقيات جديدة من عالم الغيب** » . دراسة تحليلية عن الالهام ، وعن الصلة بين عالمى الروح والمادة .
ظهر فى سنة ١٩٧١ .

— « **قصتى العظمى** » . تعريب لتحقيق روحى استمر عشرين عاماً قام به الاديب المعروف هانن سوافر نقيب الصحافة البريطانية .
ظهر فى سنة ١٩٧٢ .

— « **ظواهر الخروج من الجسد : ادلتها دلالاتها** » .
مدخل الى علم جديد . ظهر فى سنة ١٩٧٥ .

— « **فى العودة للتجسد : بين الاعتقاد والفلسفة والعلم** » ظهر فى سنة ١٩٧٦ . دراسة فى تاريخ الانسان الذى يتجاوز حياته الراهنة .

* * *

بالفرنسية

— Essai Sur La Justice Pénale De L'Egypte Pharaonique Paris 1941.

— La Science Pénitentiaire et le Probleme Des Jeunes Délinquants En Egypte. Paris 1941.

— Des Ministres Comme Ordonnateurs Des Dépènses De L'Etat en Egypte Etude de droit Comparé. Paris 1942.

— Le Rôle des Organes de Poursuite dans le Procès Pénal en Egypte. Rapport Présenté au IXe Congrès International De Droit Pénal à La Haye (du 23 au 28 Aout 1964) Revue Internationale De Droit Pénal 35 année. Nos. 3 et 4 P. 41 et ss.

اقرا اروع تحقيق فى الروحية الحديثة :

قصتي العظمى

بقلم هانن سوافر

نقيب الصحافة البريطانية

تعريب وتقـديم

الدكتـور رؤوف عبيد

« ان سوافر رجل صادق ، وليس بالساذج الذى تخيل عليه العوبة افاق ، وليس هو بالدجال الذى يحاول غش الآخرين وخداعهم . والواقع انه تخصص فى التحقيق الصحفى لكبريات الجرائم ، فكان يعهد اليه دائماً فك طلاسمها ، فليس من المعقول ان نتهمـه بالتلفيق ... وانا شخصياً انصح بتصديقه لمـا اعهده فيه دائماً من تحرى الصراحة والصدق فى كل ما يكتبه ...

ويمضى المؤلف فى سرد ما يمتع نفس القارىء العادى ، ويشبع رغبة البحث والاستقصاء فى الباحث المدقق ، ويغرى بغزو هذا الميدان الشائك الذى يضل فى ارجائه الفسيحة امثالنا . ويا ليتنا نوالى ضغطنا عليه حتى ينجلى السر الاكبر ، او نعود مدحورين مقهورين » ....

(**الاستاذ الدكتور مصطفى الديوانى** فى تعليق له فى كتـابه الرائع بعنوان « قصة حياتى » ١٩٦٥ ص ١٣٤ ، ١٣٦) .

عروس فرعون

وشوقيات جديدة من عالم الغيب

ستقرأ فيه :

ـ دراسة تحليلية عن الالهام ، وعن الصلة بين عالمى الروح والمادة .

ـ دراسة عن شاعرية شوقى شاعر التاريخ .

ـ رواية شعرية كاملة من طراز « مصرع كليوباترة » ، وخمس عشرة قصيدة تتناول مشاعر الانتقال ، ووصف عالم الروح ، والأحداث الجارية فى بلاغة مأثورة .

ـ نثراً فنياً مميزاً غنياً بالأخلاقيات والحكم المأثورة .

ـ آراء أعلام الشعر والنقد والأدب فى كل هذا الانتاج ، مؤيدة بأسانيدها التفصيلية الحاسمة .

للمؤلف : تظهر قريبا طبعة ثانية مزيدة ومنقحة .

فى التسيير والتخيير

بين الفلسفة العامة وفلسفة القانون

- عدل هى الحياة أم قدر ؟
- وهل هى صدف عشواء تمليها النزوات والأهواء ؟
- وهل من توفيق بين التشريع الأعظم والتشريع الوضعى ؟

اذا اثار ذهنك امثال هذه الأسئلة فقد تجد فى هـذا الكتاب مـا تبتغيه ، واذا لم يثرها فالأفضل لك الا تقتنيه !

اقرأ :

مفصل

الإنسان روح لا جسد

طبعة رابعة فى ثلاثة اجزاء ضخمة كالآتى :

الجزء الاول : الخلود حقيقة وضعية .

الجزء الثانى : الخلود والقضايا العلمية .

الجزء الثالث : الخلود والقضايا الفلسفية .

عندما تقرأه بامعان ستعلم عن اسرار الخلود ، والعقل ، والاعتقاد ، والأخلاق ، والعاطفة ، والنفس ، والتطور .. ما يتفق تماما مع حقائق الكون ، ومع تيارات الفكر العالمى المعاصر فى ارفع مستوياتها .



هل بينهم ارتباط لحم ودم، أم ارتباط فى الأثير، وتاريخ مثير، وحب عريق تائه فى حنايا اللاشعور ؟!

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى